



جامعة وهران-2-محمد بن أحمد

كلية العلوم الاجتماعية

قسم علم الاجتماع

رسالة لنيل شهادة دكتوراه علوم في علم الاجتماع التربوية

المرجعية الإسلامية للتنشئة الاجتماعية في الأسرة
الجزائرية- دراسة ميدانية لعينة من الأسر بمزغران- مستغانم-

تحت إشراف: أ.د. بن عمر يزلي

من إعداد الطالبة: الضاوية معاش

لجنة المناقشة

أ.د. جنيد حجيج	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة وهران 2
أ.د. بن عمر يزلي	أستاذ التعليم العالي	مقررا	جامعة وهران 2
أ.د. مصطفى مرضي	أستاذ التعليم العالي	مناقشا	جامعة وهران 2
أ.د. عبد العزيز راس مال	أستاذ التعليم العالي	مناقشا	جامعة الجزائر 2
أ.د. تومي أم الخير	أستاذة التعليم العالي	مناقشا	جامعة وهران 1
د. كرايبة أمينة	أستاذة محاضر "أ"	مناقشا	جامعة مستغانم

السنة الجامعية 2020/2021

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ
وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ
وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ

سورة التحريم آية 6

مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا وَّ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ،
فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ

حديث نبوي شريف

"الطفل أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة، ساذجة خالية من كل نقش وصورة ، وهو قابل لكل ما نقش، ومائل لكل ما يمال به إليه، فان عود الخير وعلمه نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبواه، وكل معلم له ومؤدب، وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له".

الإمام أبي حامد الغزالي

إهداء

إلى اللذين أمدني حبهما الكبير وعونهم المعنوي بالقوة والعزيمة والصبر

إلى اللذين ظاهروني على المشقة والملل والكسل ورافقوني في رحلتي الطويلة مع هذا البحث المتواضع

إلى روح جدتي الطاهرة المجاهدة ، رمز الحب و التضحية

إلى أمي وأبي

وإخوتي وأخواتي

إلى كل عائلة "معاش" كبيرا وصغيرا.

إلى زوجي الأستاذ الدكتور حمداوي محمد

إلى ولدي الغاليين وشقاوتهما الحلوة: لسان الدين، ويوسف الصديق

إهداء خاص: إلى روح أستاذي "مصطفى بوتفنوشت" ، الذي لم يمهلني القدر لمواصلة الإشراف على هذه الأطروحة.

شكر وتقدير

الشكر لله مرتين، على نعمة الإسلام وعلى توفيق العمل.

ولأن الذي لا يشكر الناس لا يشكر الله فإني أتقدم بالشكر إلى الأستاذ الكاتب والأديب المبدع الدكتور "عمار يزلي"، الذي لم يكن ممكنا انجاز هذا العمل دون نصائحه النافعة وتوجيهاته الصائبة.

كما أتوجه بالشكر إلى كل أعضاء لجنة المناقشة اللذين لا بد أن تتير ملاحظاتهم طريقي في البحث العلمي.

كما أتجوه بالشكر إلى أستاذي الفاضل وزوجي الأستاذ الدكتور "محمد حمداوي" أطال الله في عمره على مساندته العلمية والمعنوية.

كما أخص بشكري أيضا الأستاذة: "سامية سلّة" على ما قدمته من مساعدة لغوية ومعنوية، وإلى صديقتي "سلّة كلتوم" على دعمها النفسي لي.

وإلى الأستاذتين الصديقتين "أمينة كرابية" و"تجمة بوضوار" اللتين حملتا معي أعباء هذه الأطروحة في لحظات انجازها الأخيرة حيث ثقل عليا حملها.

وإلى كل من ساعدني من بعيد أو قريب لإنجاز هذه الأطروحة

مقدمة

مقدمة

عند قراءة التاريخ الجزائري نكتشف أن هذا المجتمع منذ الفتح الإسلامي وإلى يومنا هذا، توافدت عليه الكثير من الثقافات المختلفة والمتنوعة، والمتباينة في كثير من الأحيان، وكل ثقافة فرضت بعض عناصرها عليه، طوعا أو كرها.

لقد دخل الفاتحون العرب إلى هذا المجتمع، فوجدوا سكانه الأصليين بربرا أمازيغ لهم ثقافتهم ومعتقداتهم الدينية الخاصة بهم، والتي هي مزيج بين الوثنية والمسيحية واليهودية، هذه الثقافة التي يرجع بعضها إلى مخلفات الإمبراطورية الرومانية، والبعض الآخر إلى ثقافة السكان الأصليين. لقد وجد هؤلاء العرب الفاتحين في بادئ الأمر مقاومة شديدة وعنيفة في بعض الأحيان، من قبل السكان الأصليين، ولكن هذه المقاومة سرعان ما بدأت ملامح أفولها تظهر، عندما اقتنع السكان الأصليون أن هؤلاء الفاتحين ليسو غزاة ولا مستعمرين كمن سبقوهم، واكتشفوا من خلال سلوكياتهم ومعاملاتهم أن نواياهم تختلف عن نوايا هؤلاء، بكونها لا تنزع لا إلى سيطرة ولا إلى استعمار، هذا الأخير الذي يترتب عنه عادة إذلال الشعوب وقهرها وإبادتها.

لقد دخل العرب الفاتحون يحملون معهم ديناً جديداً أبهر ملوكاً وأباطرة بتسامحه وبقيمه ومبادئه الرفيعة، وقد كان هدفهم هو تقديم خدمة لهذا المجتمع تختلف عن تلك الغاية التي أدخلت الغزاة والمستعمرين من قبلهم. حيث انتهى الأمر بالسكان الأصليين إلى تقبل الدين الجديد والدخول فيه أفواجا طواعية وعن رغبة صادقة، وسرعان ما اندمجت أسر المقيمين وأسر الوافدين، وأفرز توأجدهم عبر السنين ثقافة جديدة، هي مزيج بين الثقافتين.

وما تجدر الإشارة إليه، هو أن العرب الفاتحين لم يدخلوا ثقافة هذا الدين فقط، وإنما بالإضافة إلى ذلك حملوا معهم ثقافتهم العربية الجاهلية التي هي مترسبة في وعيهم ولا وعيهم. وبعد مدة من الزمن تشكلت ثقافة جديدة، ومن مبدأ البقاء للأصلح، فإن كل الثقافات

الأخرى بدأت تتدثر شيئاً فشيئاً، ولاسيما فيما يتعلق بالعقائد الوثنية وغيرها، وأصبح الطابع الرسمي لهذا المجتمع هو الدين الإسلامي، وأصبح هو دين الدولة، ومؤسساته كلها أصبحت تخضع لمبادئه ونظمه، وعن طريق مؤسسات التنشئة الاجتماعية ولاسيما الأسرة بدأ الإعداد لهذا المجتمع الجديد، الذي يتطلب فيه تربية على قيمه ومبادئه، فأنشئت المساجد والكتاتيب، والزوايا، وبدأ المجتمع البربري يتخذ شيئاً فشيئاً ملامح المجتمعات العربية الإسلامية، ثقافة ولغة ودينا، حتى أصبحت هي السمة الغالبة عليه، مما جعله أقرب إلى هذه المجتمعات منه إلى مجتمعه الأصلي.

ولكن مع هذا الاندماج كله، باتت رواسب الثقافات الأصلية، البربرية منها والعربية، متخفية في نفوس السكان الفاتحين منهم والأصليين، وبقي الحال على هذا إلى أن عرف المجتمع الجزائري ثقافة أخرى، من خلال دخول الأسبان إلى الغرب الجزائري، فأدخلوا معهم هم الآخرين ثقافتهم الأوروبية ومعتقداتهم المسيحية. ولقد دفع هذا الغزو الجزائر إلى الاستجداد بالعثمانيين الذين كانت امبرطوريتهم آنذاك تخضع لها الكثير من الأمصار العربية والإسلامية. هذه الإمبراطورية التي تركت هي الأخرى بصمتها من خلال ثقافتها التركية والإسلامية الحنفية، وبهذا تكون الثقافة الجزائرية قد أضافت إلى ثقافتها ثقافة أخرى فامتزجت بها وتجانست لدرجة يصعب معها التفكيك، فتكونت شخصية جزائرية إسلامية ببصمات عربية أمازيغية تركية.

وبعد ذلك تعرض المجتمع الجزائري لأخطر استعمار دام قرناً وثلاث القرن، وهو الاستعمار الفرنسي، هذا الأخير الذي تمكن من تجريد أفراد المجتمع من كل مقوماتهم الإسلامية. حيث استطاع عن طريق الأنثروبولوجيا الاستعمارية وسياسته الاستعمارية العنصرية الاستئصالية، دراسة ثقافة هذا المجتمع دراسة ذاتية، ركّز فيها على عيوب هذا المجتمع وسلبياته من خرافات وأساطير، فراح يروج لها من خلال كتاباته الاستشراقية، فأعطى لها الشرعية، وجعلها الصورة الوحيدة له، وفي المقابل غيّب الصورة الإسلامية

الحقيقية، وحارب مبادئها وأضعفها في نفوس الأفراد وأباد مؤسسات المجتمع، فحول مساجدها إلى كنائس ، وأحكم قبضته على الزوايا الحقيقية التي تناهضه وقضى عليها، وشجع الزوايا الطرقية الموالية له ودعمها.

وبالرغم من المقاومة التي تمثلت في بعض الثورات آنذاك، إلا أن هذا الاستعمار تمكن من تجويع الشعب وتفقيره، والأكثر من هذا تجهليه، هذا الأخير الذي كان له عظيم الأثر في المجتمع، والذي لا زال يتجرع نتائجه إلى يومنا هذا، ولولا جمعية العلماء المسلمين وعلى رأسها المصلح الإمام العلامة عبد الحميد بن باديس، رحمه الله، لكانت الجزائر اليوم حالها حال إفريقيا الجنوبية لسانا وثقافة وحتى عقيدة، كما قال أحدهم.

لقد وجد الجزائريون أنفسهم بعد الاستقلال لا هم ينتمون إلى الثقافة العربية الإسلامية، والتي هي ثقافتهم الأصلية، ولا إلى الثقافة الفرنسية الأوربية. ذلك لأن الاستعمار الفرنسي جرد هذا الدين من ماهيته وحقيقته، وصيّر مجرد عادات وتقاليد، فأصبح عند الكثير من الأفراد مجرد فكرة ليس لها أي فعالية في حياتهم العملية ، وصيّر فرائضه طقوسا تمارس من قبل كبار السن فقط، أما الشباب فلا تعنيهم هذه الفرائض لا من قريب ولا من بعيد، وخرج الاستعمار وهو مطمئن على مشروعه الاستثماري، الذي كَلّل بالنجاح حاضرا ومستقبلا، وبقي المجتمع على هذه الحال، دينه الرسمي الإسلام، ولكن ممارسة أفراده اليومية وعلاقتهم الاجتماعية لا يكاد فيها الدين يذكر، حتى سنوات الثمانينات حيث عرف هذا المجتمع صحوة إسلامية، وفدت من المشرق العربي، أدخلت عليه الكثير من التغييرات ولاسيما في الجانب الديني، حيث انتشرت الكثير من المظاهر التي تعكس هذا الدين كارتداء الحجاب للنساء والفتيات، وتدين الكثير من الشباب ولم يبق الدين حكرا على كبار السن من الشيوخ والعجائز، وبدأت مظاهر هذا الدين تتجلى شيئا فشيئا في سلوك الكثير من الأفراد وفي مختلف جوانب حياتهم الاجتماعية، وقد ساعد على ذلك التطور التكنولوجي، الذي أدى إلى ظهور القنوات الفضائية، التي ساعدت هي الأخرى على نشر الثقافة الإسلامية، وعلى

تعليم الناس مبادئ دينهم الحنيف، وتحريضهم على إتباعه. وقد صاحب هذه الصحوة الإسلامية ظهور المجتمعات الصناعية، التي أفرزت هي الأخرى أفكار وقيم وثقافة تناهض في كثير من الأحيان ما تدعو إليه هذه الصحوة الإسلامية، فوجد المجتمع نفسه مرة أخرى أمام كم من الثقافات المتناقضة، أدت إلى عجز الكثير من المؤسسات الاجتماعية على غربلتها وانتقاء ما يتماشى وثقافتها الأصلية، وهي الثقافة العربية الإسلامية، وعلى رأس هذه المؤسسات، مؤسسة الأسرة، هذه الأخيرة التي هي موضوع دراستنا هذه، وهي دراسة تساءلنا من خلالها عن نصيب الثقافة الإسلامية في ممارسات التنشئة الاجتماعية للأسر الجزائرية، من الثقافات الأخرى.

ولانجاز هذا البحث، اتبعنا خطة منهجية حاولت أن تغطي هذا الموضوع من كل جوانبه، حيث قسم إلى قسمين: قسم نظري وآخر ميداني، احتوى كل قسم على مجموعة من الفصول. حيث اشتمل الفصل النظري على ستة فصول، تطرق الفصل الأول منها إلى الإطار المنهجي للبحث، وتناولنا فيه تحديد الموضوع وأهميته ودوافعه، وتساؤلاته الإشكالية بالإضافة إلى فرضياته، وللإشارة فإننا لم ندرج مفاهيم الدراسة في هذا الفصل كما هو متعارف عليه في منهجية البحث العلمي، وإنما فضلنا التطرق إلى كل مفهوم من المفاهيم المحورية في الدراسة، بعد تناوله مباشرة في كل فصل، ذلك تقاديا للتكرار والحشو الذي غالبا ما نجده في كثير من الأطروحات.

هذا وقد تضمن الفصل الثاني المقاربات النظرية التي لها علاقة بهذا الموضوع، بالإضافة إلى الدراسات السابقة، التي تطرقت لمواضيع مشابهة. وبما أن هذا العمل ينتمي إلى حقل علم الاجتماع، فإن هذا فرض علينا دراسة هذا الموضوع في الفكر الغربي، فخصصنا الفصل الثالث لموضوع الأسرة في الفكر الغربي، وذلك من خلال الوقوف على مفاهيمها واتجاهاتها النظرية عند بعض علماء العلوم الاجتماعية، وبالأخص عند علماء الاجتماع، هذا وجاءت مباحث الفصل الرابع تتناول موضوع التنشئة الاجتماعية في الفكر

الغربي، من حيث مفاهيمها ونظرياتها، ومن خلال هذين الفصلين كنا قد نظرنا لهذا الموضوع تنظيرا غربيا، بقي التنظير الإسلامي والذي يعتبر محوره الأساسي، فقمنا بتناول موضوع الأسرة في الفكر الإسلامي في الفصل الخامس، حيث تطرقنا إلى مفهوم الأسرة في اللغة العربية، و في مصادر الفكر الإسلامي من قرآن كريم وسنة نبوية، وأفكار وآراء بعض المسلمين، كل هذا كان في الفصل الخامس، بعد ذلك خصصنا الفصل السادس إلى موضوع التنشئة الاجتماعية في المرجعية الإسلامية، وتطرقنا في هذا الموضوع أيضا إلى مفهومها وأهميتها في مصادر الفكر الإسلامي .

هذا بالنسبة للجانب النظري، أما بالنسبة للقسم الميداني فقد ضم خمسة فصول، تناول كل فصل من هذه الفصول، بعض متغيرات الدراسة، حيث تضمن الفصل السابع، الإطار الميداني والإجراءات المنهجية، واندرجت تحت هذا الإطار عدة عناصر تناول بعضها مجالات الدراسة المكانية منها والزمانية، وتناول عنصر آخر المناهج المستخدمة وأدوات جمع المعطيات، هذا وتضمن العنصرين الأخيرين الإجراءات المنهجية ، ومجتمع البحث وخصائصه، أما الفصل الثامن فقد تناول موضوع التنشئة الأولية للمبحوثات، وأثرها في ممارستهن للتنشئة الاجتماعية، وذلك من خلال الوقوف على حياتهن في مرحلة الطفولة، وعلى القيم التي تشرنها في أسرهن والأساليب التي استخدمها آبائهن لتحقيق أهدافهما التربوية، مقارنة كل هذا بالمرجعية الإسلامية، أما الفصل التاسع فقد خصص لتناول موضوع التنشئة الاجتماعية في الأسر المبحوثة وربطها بالمرجعية الإسلامية، وهو المحور الأساسي لهذه الدراسة حيث وقفنا من خلاله عند بعض المفاهيم الأساسية كمفهوم المرجعية ، والمرجعية الإسلامية، والمفهوم الإجرائي للمرجعية الإسلامية، بعدها تطرقنا إلى بعض القيم التي تنقلها هذه الأسر إلى ناشئتها للتعرف على نسبة القيم الإسلامية فيها، ثم أساليب التنشئة التي تعتمدها في نقل هذه القيم، ومدى قربها أو بعدها عن المرجعية

الإسلامية، وفي الأخير الأهداف التي تتوخاها هذه الأسر من هذه العملية الاجتماعية، ومدى توافقها مع الأهداف الإسلامية.

هذا وتناول الفصل العاشر، موضوع التحديات التي تواجه الأسر في الاعتماد على مرجعية إسلامية في عملية التنشئة الاجتماعية، وقد حددنا من خلاله نوعين من التحديات، داخلية، وهي التي تكون من داخل النسق الأسري كطبيعة العلاقة الزوجية، وجهل الوالدين بأحكام الدين، وغيرها أما الخارجية فهي تلك التي تأتيها من الخارج والمتمثلة في المحيط الخارجي والمتمثل في مؤسسات التنشئة الاجتماعية، من جماعات الرفاق، والمدرسة، ووسائل الإعلام . وغيرها.

هذا وقد حاول الفصل الأخير اكتشاف المرجعية الإسلامية في فكر وفعل الأمهات وذلك من خلال بعض المؤشرات كمرجعية أسماء الأولاد ومؤشر تدين الأمهات من صلاة مكتوبة ونوافل ، وقراءة قرآن وغيرها، ومؤشرات أخرى لها علاقة بطريقة الاحتفالات بالأعياد والمناسبات الدينية.

الفصل الأول الإطار المنهجي للدراسة

تمهيد

أولاً : تحديد الموضوع وأهميته

ثانياً : دوافع الدراسة وأهدافه

ثالثاً: إشكالية الدراسة وفرضياتها

رابعاً: صعوبات الدراسة

- خلاصة الفصل

تمهيد

يمثل هذا الفصل الإطار المنهجي للدراسة، بما تضمنه من تصور أولي للموضوع وبناء له ورسم الحدود بينه وبين المواضيع الأخرى التي تختلط به أو تشكل معه جوانب لظاهرة واضحة. وفي هذا الإطار قمنا بصياغة مجموعة من التساؤلات الإشكالية التي لا نحمل عنها إلا أجوبة ضبابية، ننتظر من الدراسة الميدانية أن تحدد محلها من الصحة أو الخطأ بالتأكيد أو التقييد. وقبل ذلك فإننا شرحنا الأسباب الذاتية والموضوعية التي دفعتنا إلى اختيار موضوع الدراسة كما حددنا الأهداف التي نتوخى الوصول إليها، إذا نحن أنجزنا هذه الدراسة وفقا للمعايير الأكاديمية المطلوبة.

أولا : تحديد الموضوع وأهميته

تحاول هذه الدراسة أن تستكشف عملية التنشئة الاجتماعية، كما تتم في مجال الأسرة وذلك من خلال الوقوف على القيم التي تلقن وترسخ لأفرادها، وعلى استكشاف المرجعيات التي تتهل منها وتستند إليها في ممارستها هذه. ولا تتوقف الدراسة هذه عند هذا الحد، بل تتعداه إلى معرفة الأساليب المعتمدة في عملية النقل ومرجعيتها أيضا، هذا ولفهم هذه العملية أكثر يحاول هذا البحث كذلك استكشاف الأهداف والغايات التي يسعى القائمون على هذه العملية إلى تحقيقها.

إن كل هذه العناصر المذكورة أعلاه تتم دراستها من خلال ربطها بالمرجعية الإسلامية، أي أننا نحاول في هذا البحث معرفة ما إذا كانت الأسر محل الدراسة تتطلق في ممارستها لعملية التنشئة الاجتماعية من مرجعية إسلامية، وذلك على مستوى القيم والأسلوب والأهداف. ولما كانت هذه الدراسة تقترض غياب هذه المرجعية عند الكثير من الأسر فإننا حاولنا أيضا البحث عن الأسباب والعوامل التي تحول دون الاعتماد عليها في عملية التنشئة الاجتماعية.

وعلى هذا الأساس، فإن دراسة الموضوع من هذا المنطلق، يتطلب منا التركيز على كل ما من شأنه أن يوضح العمل ويبسطه، كتحديد المفاهيم الأساسية المستخدمة فيه ولاسيما تلك التي تمثل المحاور الأساسية : كمفهوم الأسرة، والتنشئة الاجتماعية، والمرجعية الإسلامية، والقيم والأساليب، والأهداف.... وغيرها، كل هذا يتطلب تحديده وتعريفه تعريفا إجرائيا.

ومما تجدر الإشارة إليه، أن هذا الموضوع يكتسي أهميته من خلال ربطه ببيئته الثقافية الإسلامية، فهو موضوع يضع الدراسة السوسولوجية في مجالها الصحيح، على عكس الكثير من الدراسات العربية في مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية، هذه الدراسات التي دأب أصحابها أن يجعلوا من الظواهر الاجتماعية ظواهر منفصلة عن بيئتها الثقافية ولاسيما الدينية منها، فتجد الواحد منهم مثلا، يدرس الأسرة دون فرق كما هي في الجزائر أو فرنسا، ويدرس التنشئة الاجتماعية كذلك، لا فرق بين تنشئة تتم في مجتمع غربي أو مجتمع إسلامي، واضعين بذلك حاجزا بين ما هو ديني وما هو دنيوي وبين ما هو ديني وما هو علمي كذلك، مقلدين في ذلك المناهج الغربية المعادية لكل ما هو ديني، متجاهلين بذلك البعد التاريخي لهذا العداء بين الدين والعلم، والذي يضرب بجذوره في العصور المسيحية الوسطى، والذي أفرز ردة فعل عنيفة من طرف مفكري وفلاسفة الأنوار، تمخض عنه إقصاء تام للدين على المستوى الفكري والسلوكي، وعلمنة كل شيء على جميع المستويات: المؤسسات، الأفراد، الجماعات، وأصبح أي باحث بالنسبة لهؤلاء، يخوض في مسائل كهذه يكون مصيره ومآله الوقوع في منزلقات التحيز الثقافي، ويتهم بعدم موضوعيته التي هي أساس كل بحث علمي في نظرهم.

إن الكثير من باحثينا، سواء بوعي منهم أو بدون وعي، يستوردون مناهج ونظريات هي في الحقيقة حلول ليس لها في واقعنا مشاكل تستدعيها، كما عبّر عن ذلك الدكتور

"محمد عمارة"، رحمه الله ، في كتابه عن "العلمانية ونهضتها الحديثة". بل الأكثر من هذا أن هذه الحلول سرعان ما أثبتت عجزها أمام سلطة الواقع (واقعهم وواقعنا).

لقد أدخل هؤلاء المقلدون (بكسر اللام) أنفسهم في جحر ضب، دخولا أوقد فيهم شرارة الاستلاب الأعمى ، هذا الأخير الذي قد يكون سببا ونتيجة في الوقت ذاته، قد يكون سببا في عدم اطلاع هؤلاء على الثقافة العربية الإسلامية، أو قد يكون نتيجة لجهلهم لكل ما يمت بصلة لهذه الثقافة، فالطبيعة كما يقال تأبى الفراغ.

أما نتائج هذا التقليد على مستوى البحث العلمي، والتي هي في الحقيقة نتائج حتمية من نتائج الاستلاب الفكري، فهي الوصول في كثير من الأحيان إلى نتائج مشكوك فيها نتائج لا تعكس الواقع المدروس ، بل الأكثر من هذا قد تشوّهه عندما تنسب إليه أمور، أو تغطي عن أخرى، لأن المنهج فيه كان مخلا بمبدأ الترابط بين الظاهرة المدروسة والبيئة التي تنتمي إليها من جهة، وبين العلم الاجتماعي وبيئته التي لا يمكن أن يولد في غيرها.

فإذا كانت القواعد الفقهية تبنى على ما يعرف بفقه الواقع، - طبعا ليس تلك التي لها نصوص قطعية الدلالة - آخذة في ذلك أحوال الناس وظروفهم، دون أن تخرج عن الإطار العام للشّرع، فكيف لعلم لا يستطيع تكييفه مع بيئته وكل ما لهذه البيئة من خصوصية ثقافية ودينية واجتماعية؟

" إن ما يميّز القيم المنهجية الغربية هي انفصالها عن الدين ونموها وتطورها بمعزل عنه وقد كان هذا سببا في إفراغ العلوم من شحنتها الدينية مما جعلها تصل إلى طريق مسدود ومن ثم أصيبت بالعقم والانحطاط. فعالم الطبيعة الغربي في تطبيقه للمنهج التجريبي يقف عند حدود القوانين المادية التي تكشفها أبحاثه وتجاريه، ولا يتعداها لما سواها. فهو لا يكلف نفسه عناء البحث في ما وراء الأسباب المسببة لها أي علّة العلل وهو الله عز وجل"⁽¹⁾.

¹ -أنظر: عبد المجيد بن مسعود، القيم الإسلامية التربوية والمجتمع المعاصر، قطر: كتاب الأمة ، ديسمبر 1998 يناير 1999 ، ص 110 ،

أما عالم الاجتماع فهو الآخر متأثر بهذا المنهج مقلد له بكل حذافيره، وهذا الأخير مصيبته أكبر وأعظم من الأول. "أما عالم الاجتماع المسلم فإن خصوصيته هذه تفرض عليه الحرص على القيم الإسلامية وإلى نقد كل الأوضاع والتغييرات الاجتماعية التي تتعارض مع طبيعة الإنسان وفطرته"⁽¹⁾ ، ومع دينه وعقيدته ، فهو لا يعالج أي ظاهرة بمعزل عن إطارها الإسلامي، ويبقى دائم البحث عن الأسباب والعلل التي جعلت من هذه الظاهرة تخرج عن إطارها الإسلامي وتتم بالصورة التي هي عليها. إن العمل بهذه الطريقة - هذا حسب رأينا- لا ينقص من المنهج العلمي شيئا ولن يضر به أبدا بل العكس هو الصحيح.

إن ما تجدر الإشارة إليه، هو القول بأنه، وبالرغم من أن أغلبية باحثينا في علم الاجتماع يتبنون هذا النمط الغربي اللاتكي في التفكير وفي مجال البحث العلمي، إلا أن هناك من تشذ عليهم هذه القاعدة، حيث أصبح الكثير منهم يروجون لفكرة إقامة سوسولوجيا مباينة لنظيرتها في البلاد الغربية ، مختلفة عنها في مضامينها ومنهجيتها، وذلك لقتاعتهم بوجود تباين صارخ وفروق جوهرية بين ظروفهما وأنظمتها الاجتماعية.

إن أهمية هذه الدراسة إذن، تكمن في كونها لا تتدرج في هذا النوع من الدراسات المشار إليه ، والتي تغيب الدين وأثره في الحياة الاجتماعية ، وإنما على النقيض من ذلك فهي تعتبره متغيرا أساسيا لكل الظواهر الاجتماعية الأخرى، وذلك لسبب بسيط ومنطقي وهو أن هذا المجتمع مؤمن يتحكم الإيمان في تصورات و سلوكات وتوقعات أفراده ، بشكل كبير حتى وإن غابت عند البعض ممارسة بعض طقوسه، بل الأكثر من هذا أن الكثير من قوانينه التشريعية والتنفيذية تتخذ لها مرجعية هذا الدين.

¹-المرجع نفسه، ص 111 .

ومما تقدم، يمكن القول أن أي دراسة تكتسي أهميتها من خلال ما تقدمه لمجتمعها من خلال قدرتها على فقه الواقع وفهمه، ومن ثم تفسيره وتشخيصه ومعالجته وفقا لخصوصية هذا المجتمع الثقافية والدينية.

إن تحقيق هذا الهدف - حسب رأينا- يستدعي الخروج من جحر الضب الذي أدخلنا فيه أنفسنا أولا ، ثم الاطلاع على تراثنا في هذا المجال ثانيا. وأن هذه مسؤولية كل باحث يدعي انتمائه لهذا المجتمع دينا ولغة وثقافة.

ثانيا : دوافع الدراسة وأهدافها

لقد أشرنا سابقا، إلى القول بأن تبني الكثير من المفكرين المنهج الغربي في مجال البحث العلمي، ولاسيما في مجال العلوم الاجتماعية، تبنيا أعمى ، جعل الكثير منهم يفهم مسألة الموضوعية والذاتية فهما خاطئا ، فهما يجعل التحلي بالأولى يستلزم التخلي عن الثانية، وهذا لكي يضمن الوصول إلى مرحلة التجلي بأمان، وهي المرحلة العلمية التي ينشدها كل باحث.

إن هذا الاعتقاد فيه الكثير من الخلط واللغظ، أدى بأصحابه إلى الخلط بين الذاتية التي تتدخل في الباحث وتقود مسار بحثه لتحقيق أغراض إيديولوجية كانت أو مادية، وبين الذاتية التي تعني الميولات والرغبات والاهتمامات التي تجعل الباحث يجد شغفا واهتماما ببعض المواضيع دون غيرها.

صحيح أن الذاتية بالمعنى الأول تخل بالبحث العلمي وبمصادقته، وهذه حقيقة لا يمكن نكرانها، أما الذاتية بالمعنى الثاني فهي على العكس من ذلك ذاتية تجعل صاحبها يبدع في مجاله متمتعا في ذلك خلال مسيرته البحثية، لأن القاعدة تقول إذا أحببنا شيئا تقفنا في عمله، وصبرنا عليه إذا ما ابتلينا فيه، وكلنا يعلم الابتلاءات التي يبتلى بها كل طالب علم.

إن هذه الذاتية إذن، ضرورية ومهمة لكل بحث علمي، فالباحث الذي لا يحمل بين جنبيه هم مجتمعه ودينه، ولا يحمل شعورا اتجاه وطنه وأمته، هو باحث لا يمكن أن يعول عليه على حد تعبير العلامة "ابن خلدون"، لأنه لن يضيف شيئا لثقافة وهوية هذا المجتمع. فهو لا يستطيع أن يشخص ظواهر ولا يعطي حولا.

وما أكثر الدراسات من هذا النوع، دراسات أفرغت في كثير من الأحيان من أبعادها الروحية والثقافية والاجتماعية، حتى أصبح لا يفرق بين هوية دارسيها، مسلما كان أو بوذيا أو حتى ملحدا، كل هذا بسبب المبالغة في تشييء الظواهر الاجتماعية بحجة أن المجتمع مادة واعية، يمكن دراسته كما تدرس الظاهرة الطبيعية، متجاهلين بذلك خصوصيات كل مجتمع وثقافته، بل خصوصيات الإنسانية في حد ذاتها، هذي الخصوصية التي تتمثل في الدين، وهي الصفة الفاصلة بينه وبين الحيوان إذا أخذنا برأي بعض الفلاسفة.

إن المتأمل في الظواهر الاجتماعية يجدها في الحقيقة نتاج لما تفرزه التفاعلات الاجتماعية عند دخول الأفراد في علاقات بعضهم مع البعض، هذه التفاعلات لا تتم في فراغ وإنما تتم في مجتمع له خصوصياته الثقافية والدينية والتاريخية والحضارية وغيرها والتي تجعله يتميز عن غيره من المجتمعات الأخرى. ومن هذا المنطلق فإن استبعاد هذه المتغيرات أو تجاهلها سوف يؤدي لا محالة إلى استعصاء قراءة الواقع قراءة صحيحة تمكن صاحبه من تشخيصه ومن ثم معالجته.

لقد كان دافعنا الأساسي إذن في دراسة هذا الموضوع، هو شعورنا بوجود نقص كبير في دراسة ظواهر اجتماعية فيها ترابط بين ما هو اجتماعي وما هو ديني، وعلى هذا الأساس جاءت رغبتنا في إنجاز عمل سوسيولوجي يصب في هذا الاتجاه، هذا العمل الذي يكشف عن نفسه من خلال عنوانه. إنها دراسة لظواهر من صلب مجتمعنا العربي الإسلامي، دراسة تحمل صاحبها هم ما آلت إليه مجتمعاتنا الإسلامية من تفسخ ووهن على

جميع المستويات، مجتمع علا فيه صوت القيم المادية وتراجعت فيه القيم الإسلامية ، وهي القيم التي تعرف بالوسطية، قيم توازن بين ما هو مادي وما هو روعي ، ما هو فردي وما هو اجتماعي .

إن غيرتنا على هذا الدين أولاً بحكم انتمائنا إليه، وإيماننا بأنه المخلص الوحيد الذي يخلصنا مما نحن فيه من انحطاط وتدهور ثانياً، أحييت فينا رغبة البحث في مواضيع كهذه.

لقد كانت رغبتنا – ولأزالت – في تناول مواضيع اجتماعية، تعكس هويتنا العربية والإسلامية، محاولة منا نقادي تلك المواضيع المتداولة في علم الاجتماع بكثرة ، والتي في كثير من الأحيان تقصى منها بعض المتغيرات الخاصة بهويتنا وعلى رأسها متغير الدين . هذه المواضيع التي جعلت المفكر الفلسطيني "هشام شرابي" – في كتابه "مقدمات لدراسة المجتمع العربي" – ، يدعو نفسه، ويدعو علماء الاجتماع العرب إلى ضرورة تناول قضايانا الاجتماعية الحيوية، ولا يقفون عند الأبحاث الأكاديمية التي اعتادوا تناولها بسبب ثقافتهم الأجنبية⁽¹⁾

ثالثاً: إشكالية الدراسة وفرضياتها

1- إشكالية الدراسة

تعتبر التنشئة الاجتماعية من أهم العمليات الاجتماعية، على الإطلاق. وذلك لما تقوم به من وظائف تعود بالفائدة على الفرد والمجتمع، فمن خلالها يستطيع الفرد اكتساب دور أو مجموعة من الأدوار، ومن ثم الاندماج في مجتمعه والتكيف معه، وبواسطتها يتمكن المجتمع من الحفاظ على هويته وخصوصيته الثقافية. وتقوم بهذه العملية العديد من المؤسسات الاجتماعية، وعلى رأسها مؤسسة الأسرة، التي هي أكثر المؤسسات أهمية في

¹ - هشام شرابي، مقدمات لدراسة المجتمع العربي، بيروت: ، بيروت: الدار المتحدة للنشر ط2، 1975 ، ص 33، 32

القيام بهذه العملية ، باعتبارها أول فضاء يحتضن الطفل، ولاسيما في مراحل عمره الأولى، وهي المراحل الملائمة لترسيخ القيم والمعتقدات والمبادئ في نفوس الناشئة.

وتحتل الأسرة مكانة معتبرة في المجتمعات العربية والإسلامية . وهي لم تكتسب مكانتها المرموقة في هذه المجتمعات إلا لأن الإسلام أعطاها إياها ، بحكم الوظيفة التي خصّها بها، والمتمثلة في تشريب النشء قيم ومبادئ الدين الإسلامي الحنيف.

ولئن كانت الأسرة في المجتمعات التقليدية تقوم بهذه العملية بكل ارتياح، فإنها في المجتمعات المعاصرة على النقيض من ذلك. فالتعقد الذي يطبع هذه المجتمعات أثر على كل مؤسساتها الاجتماعية، فجعلها أكثر تعقيدا. حيث أصبحت الأسرة المسلمة تعيش الكثير من الإكراهات والضغوطات ، سواء منها الداخلية، التي تتعلق بطبيعة بنياتها ووظائفها، أو الخارجية، التي مصدرها العلاقات مع الوسط الخارجي، انتمى إلى ثقافتها أم إلى ثقافة أخرى، والتي قد تحول دون اعتمادها على المرجعية الإسلامية، التي من المفترض أن تكون مرجعيتها في التنشئة الاجتماعية.

على هذا الأساس، تتساءل هذه الدراسة عن مدى اعتماد الأسرة في المجتمع الجزائري على هذه المرجعية، باحثة عن المتغيرات والعوامل التي يمكن أن تشكل تحديات تحول دون اعتماد الأسر على هذه المرجعية، وعن العوامل التي من شأنها أن تعزز هذا الاعتماد.

لذلك فإن دراستنا لهذه الظاهرة تضعنا أمام مجموعة كبيرة من التساؤلات الإشكالية التي نكتفي منها بما نراه أكثر اتصالا بالظاهرة:

- فما هي المرجعية التي تعتمد عليها الأسر المبحوثة في تنشئة أبنائها ؟ هل هي مرجعية إسلامية على مستوى القيم والأسلوب والأهداف؟ أم أنها عبارة عن مزيج من المرجعيات يختلط فيها ما هو إسلامي بما هو عادات وتقاليد وثقافات أخرى، البعض منها وافد عبر

وسائل الإعلام والاتصال، والبعض الآخر من ثقافات توارثتها عبر التاريخ نتيجة الاستعمار والاحتكاك بثقافات الغير؟

- وإذا كانت الأسر لا تعتمد في كثير من الأحيان على مرجعية إسلامية في عملية التنشئة الاجتماعية، فما هي الأسباب والعوامل التي حالت دون اعتمادها على هذه المرجعية؟

- هل يرجع السبب في ذلك إلى كون الأمهات اللواتي يمارسن التنشئة الاجتماعية قد تأثرن بتنشئتهن الأولية، وأعدن إنتاج هذه التنشئة على أطفالهن؟

- أم أن السبب يرجع إلى طبيعة العلاقة الزوجية التي تؤثر سلباً أو إيجاباً على عملية التنشئة الاجتماعية، حسب ما إذا كانت علاقة صراع أو علاقة تفاهم وانسجام؟ أم أن السبب يرجع إلى جهل الوالدين بتعاليم الإسلام وأحكامه، والتي هي مصدر للقيم التي تشكل مرجعية للتنشئة الاجتماعية.

- أم أن السبب يرجع لكون عملية التنشئة الاجتماعية لم تبق حكرة على الأسرة كما كانت في السابق، بل ظهرت مؤسسات أخرى نافست الأسرة هذه الوظيفة مثل: المدرسة، النوادي، الشارع، التلفزيون، الإنترنت... الخ؟

هذه الأسئلة وغيرها هي التي تبادرت إلى ذهننا ونحن نباشر البحث في هذه الظاهرة. ولسير البحث فإننا صغنا مجموعة من الأجوبة المؤقتة، التي لا نعرف ما إذا كان الميدان يؤكدها أو يفندها، أو يقدم لنا أجوبة أخرى لم تكن لدينا في الحسبان.

2- فرضيات الدراسة

تقوم عملية التنشئة الاجتماعية عموماً على أربع أسس رئيسية، وهي:

أولاً: طبيعة القيم، أي مرجعيات التنشئة، أو محتوى القيم.

وثانياً: الأسلوب المعتمد في عملية نقل هذه القيم،

وثالثاً: الأفراد القائمين على عملية النقل هذه، كوالدين في الأسرة والمعلمين في المدارس وغيرهم،

ورابعا: الأهداف المتوخاة من هذه العملية.

ولهذا فان صياغتنا لفرضيات هذه الدراسة كان انطلاقا من هذه الأسس التي تقوم عليها عملية التنشئة الاجتماعية، وقد قمنا بصياغة فرضية رئيسية هي جواب لسؤال الإشكالية المحوري تتفرع عنها أربع فرضيات أخرى، بحيث أن كل فرضية تجد لها أجوبة مؤقتة على شكل متغيرات مستقلة تفسر بها الفرضية الرئيسية.

أ - الفرضية الرئيسية

إن الأسرة الجزائرية لا تعتمد في عملية التنشئة الاجتماعية بشكل كبير على مرجعية إسلامية سواء على مستوى القيم، أو على مستوى الأسلوب ، أو حتى على مستوى الأهداف بل إن مرجعية هذه العملية في جميع مستوياتها منها ما يندرج ضمن العادات والتقاليد المتوارثة ثقافيا وتاريخيا ، ومنها ما هو وافد من ثقافات أجنبية عن طريق وسائل الإعلام والاتصال.

ب - الفرضيات الفرعية

- الفرضية الأولى

إن جهل الوالدين بمعظم أحكام الدين الإسلامي وتعاليمه، أضف إليه غياب الرغبة في تعلم هذه الأحكام يعتبران من العوامل التي حالت دون الاعتماد على مرجعية إسلامية ونجم عن هذا وجود خلط بين الدين والتقاليد في فكر الوالدين القائمين على عملية التنشئة ففي كثير من الأحيان يلقن هؤلاء، القيم للناشئة على أساس أنها من التقاليد وهي من الدين والعكس صحيح .

- الفرضية الثانية

تلعب مؤسسات التنشئة الاجتماعية (المدرسة، الشارع، جماعة الرفاق) ولاسيما وسائل الإعلام والتكنولوجيات الحديثة، دورا مؤثرا لدرجة تصل بالناشئة إلى اكتساب قيم قد تتناقض في كثير من الأحيان القيم الإسلامية ، مما يجعلهم يفرضون هذه القيم على والديهم

.وتصبح عملية التنشئة تمارس بطريقة معكوسة، أي الأطفال هم الذين يمارسون التنشئة على والديهم. وقد يكون هذا من العوامل التي تجعل الأسرة عاجزة في كثير من الأحيان على اعتماد مرجعية إسلامية في التنشئة الاجتماعية.

– الفرضية الثالثة

تتأثر مرجعية التنشئة الاجتماعية المعتمدة في الأسر إلى حد ما بطبيعة التنشئة الاجتماعية للأم وبمرجعيتها، بحكم أن الأطفال يقضون معظم أوقاتهم مع أمهاتهم ولاسيما في مراحل الطفولة المبكرة، وبحكم أيضا الثقافة السائدة التي تجعل من التربية في كثير من الأحيان مسؤولية الأم وحدها. فإن مرجعية التنشئة الاجتماعية تتأثر إلى حد بعيد بطبيعة التنشئة الاجتماعية الأولية للأمهات وبمرجعياتها.

– الفرضية الرابعة

تساهم طبيعة العلاقة بين الزوجين بشكل كبير في تبني مرجعية من المرجعيات ففي بعض الأحيان يكون هناك تضارب في القيم أو الأسلوب أو الأهداف التي يؤمن بها كل من الوالدين، وفي أحيانا أخرى تكون العلاقة الزوجية علاقة صراع وبالتالي هذا يؤثر على عملية التنشئة الاجتماعية ككل وليس فقط على المرجعية المعتمدة.

رابعا: صعوبات الدراسة

إن أي دراسة علمية كما يعلم الجميع، لا تخلو من صعوبات، مهما كان صاحبها يتمتع بكفاءات وقدرات ومؤهلات علمية عالية، وقد تختلف هذه الصعوبات باختلاف طبيعة الموضوع محل الدراسة، وباختلاف ظروف كل باحث وإمكاناته على مختلف الأصعدة.

أما بالنسبة لطبيعة الموضوع فإن من الصعوبات التي قد يتلقاها الباحث في مسيرته البحثية هي نقص المراجع التي تغطي موضوع بحثه، ولاسيما إذا كان موضوعا جديدا لم يسبق لأحد تناوله. هذا في ما يخص الجانب النظري، أما الجانب الميداني فصعوبته قد

تتجاوز في بعض الأحيان مثيلتها في الجانب النظري، فالكثير من الباحثين من يتعطل لسنوات لهذا السبب كرفض بعض المبحوثين مثلا إجابته على استمارة بحثه، أو إجراء مقابلة معه إذا كان قد استخدم تقنية المقابلة. أما في ما يخص الصعوبات المتعلقة بذات الباحث وظروفه فهي متعددة ، وهي نفسها الصعوبات التي واجهتنا في مشوارنا البحثي.

نعم، نحن والحمد لله لم نتلق أي صعوبة على الصعيدين الأولين، ففيما يخص المراجع والدراسات التي تناولت مواضيع شبيهة بموضوعنا أو قريبة منه، فنحن لم نجد أي صعوبة في الحصول عليها خصوصا ونحن نملك مكتبة بيتية يتجاوز عدد الكتب بها ألف كتاب، معظمها في مجال تخصصنا والأكثر من هذا قريبة من موضوع أطروحتنا، ولهذا فقد وجدنا ضالتنا في بطون الكثير منها. وبالإضافة إلى ذلك فنحن نملك أيضا مكتبة إلكترونية ضخمة قمنا بتحميلها من مختلف مواقع الانترنت وفي مختلف تخصصات العلوم الاجتماعية.

كل هذا جعل من مشكلة انعدام المراجع ونقصها لا وجود لها في عملنا هذا. وحتى على الصعيد الآخر المتعلق بالجانب الميداني، فنحن أيضا لم تواجهنا أية عراقيل أو صعوبات لتعطيل مشروعنا العلمي، بل بالعكس تلقينا الكثير من المساعدات لإنجازه، لقد كان لنا الحظ في استقبالنا من طرف كل الأسر التي أجرينا معها المقابلات إلا بعض الاستثناءات التي تشذ عن القاعدة. لقد استقبلنا بحفاوة عند الكثير منهم، لدرجة أن بعض النساء أصبحن هن من يتصلن بنا لإجراء مقابلات معهن، ولاسيما عندما انقطعت عن العمل الميداني بسبب الموجة الأولى من مرض كورونا، هذا المرض الذي أربع العالم بأسره.

إن الصعوبات التي واجهتنا في إنجاز هذا العمل هي من الطراز الثالث، صعوبات البعض منها متعلق بظروفنا الصحية، والبعض الآخر بظروفنا الاجتماعية، أما بالنسبة لظروفنا الصحية فإنها قد كانت بالفعل عائقا أمام تقدمنا في هذا العمل، مما أدى بنا إلى

الانقطاع عنه يصل في بعض الحالات إلى أكثر من شهر أو يزيد ، وكل باحث يعلم الآثار المترتبة عن هذا الانقطاع على المستوى النفسي والفكري.

هذا، وباعتبار أن كاتبة هذه السطور متزوجة وأم لطفلين، وأستاذة في الجامعة، فإن كل هذه المسؤوليات أثرت على انجازنا لهذا البحث، وإن كان هذا التأثير لم يكن بنفس درجة تأثير العامل الصحي. إن هذه المسؤوليات جعلتنا نكتشف بأن البحث العلمي بالنسبة للمرأة بصفة عامة وللأم بصفة خاصة ليس بالأمر السهل، بل هو جهاد يتطلب الكثير من العزيمة والصبر والتضحية.

الفصل الثاني: الدراسات السابقة والنظريات المفسرة للظاهرة

تمهيد

أولاً: الدراسات السابقة

ثانياً: النظريات المفسرة للظاهرة

- خلاصة الفصل

تمهيد

تعتبر الدراسات السابقة ذات أهمية بالغة في أي بحث علمي، فكل بحث لا يمكنه أن ينطلق من فراغ مهما كانت جودة هذا الموضوع وحدثته، وإنما في الحقيقة هو امتداد للمساهمات العلمية والمعرفية المتراكمة عبر الزمن، بل هو بداية لنهاية مشوار علمي آخر.

وتكمن أهمية الدراسات السابقة في كونها تزود الباحث بكم من المعلومات والمعارف حول الظاهرة المدروسة، كما أنها تزوده بجهاز مفاهيمي يؤطر بحثه، ناهيك على أن النتائج المتوصل إليها من خلال هذه الدراسات قد تكون انطلاقة لدراسات وبحوث أخرى. وقد توفر هذه الدراسات الجهد والوقت على الباحث بحيث تجعله يتعلم من أخطاء الذين سبقوه في هذا المجال ويتجنبها خلال مسيرته البحثية.

ومما تجدر الإشارة إليه، هو عدم قدرة أي باحث على الاطلاع على كل الدراسات التي أنجزت في مجال من المجالات، وذلك مهما كان مبلغه من العلم والاجتهاد والموهبة البحثية. ونحن كغيرنا لا نشذ عن هذه القاعدة، إنما لا ندعي الاطلاع على كل ما كتب حول موضوع بحثنا، غير أن هذا لا يعني أننا لم نبذل قصارى جهدنا في البحث عن هذه الدراسات في بعض الأطروحات والتتقيب عنها في بعض الكتب، وحتى في مواقع الانترنت وغيرها، وانفقنا ما نراه يشترك مع موضوع هذا البحث ومع بعض متغيراته.

إن التأريخ للدراسات الخاصة بعملية التنشئة الاجتماعية، يرجعها البعض إلى أواخر الثلاثينات وأوائل الأربعينات من القرن العشرين، أين بدأ الاهتمام بهذه الظاهرة الاجتماعية باعتبارها إطاراً مرجعياً لدراسة المجتمع، وذلك من خلال ما نشره عالم الاجتماع الأمريكي "روبرت بارك Robert Park" سنة 1939 حول هذا الموضوع⁽¹⁾.

¹ - أنظر: عبد الله الرشدان، التربية والتنشئة الاجتماعية، الأردن، دار وائل للنشر والتوزيع، ط1، 2005 ص16.

لقد كان موضوع التنشئة الاجتماعية محل اهتمام الكثير من تخصصات العلوم الاجتماعية، ولاسيما علم الاجتماع، وعلم النفس والأنتروبولوجيا، وبالتحديد الأنتروبولوجيا الأمريكية، وذلك من خلال ما قام به أصحاب مدرسة "الثقافة والشخصية"، هذه المدرسة التي ينطلق أصحابها من **الثقافة والتنشئة الاجتماعية** كمتغيرين أساسيين يمكن أن يفسر بهما الاختلافات الشخصية الحاصلة بين الشعوب.

وهناك من الدراسات التي تناولت موضوع التنشئة الاجتماعية ومرجعياتها، بطريقة غير مباشرة، بمعنى أن دراسة هذا الموضوع كانت مضمنة ، أي لا يمكن اكتشافها من عنوان البحث، وإنما من خلال قراءته بكامله ، وهو ما نجده في بعض الدراسات كالدراسة التي قام بها العالم الألماني "ماكس فيبر" في أطروحة الدكتوراه التي تحمل عنوان: "البروتستانتية وروح الرأسمالية".

إن طريقتنا في تناولنا لهذه الدراسات هي تصنيفها إلى دراسات أجنبية وأخرى عربية وأخرى جزائرية. وسوف نأخذ من هذه الدراسات فقط ما له علاقة مع متغيرات بحثنا، ولهذا سوف نركز أولاً على تلك الدراسات التي تطرقت إلى مرجعيات التنشئة الاجتماعية بالدرجة الأولى، وهو المحور الأساسي الذي يدور عليه موضوع بحثنا، ثم إلى تلك التي تناولت أحد متغيرات بحثنا، كالقيم والتنشئة الاجتماعية، أو أساليب التنشئة الاجتماعية وأهدافها، أو الأسرة ودورها في عملية التنشئة الاجتماعية ، أو مؤسسات التنشئة الاجتماعية... الخ ، فكل موضوع نجده يشترك مع بحثنا في جزء منه أو أجزاء سوف نسلط عليه الضوء، وبالطبع لا يمكننا التطرق إلى كل الدراسات ، ولاسيما أنها كثيرة في هذا المجال.

وبما أن أول ظهور للعلوم الاجتماعية كتخصصات تدرس في الجامعات كان في المجتمعات الغربية، فإن بداية الدراسات في هذا المجال بدأت هناك، حيث كان لهم فضل

السبق في دراسة هذه الظواهر دراسة علمية، وعلى هذا الأساس فإن عرضنا لهذه الدراسات سوف يكون بالدراسات الأجنبية.

أولاً: الدراسات السابقة

1 - الدراسات الأجنبية

أ - دراسة "ماكس فيبر"⁽¹⁾ هي دراسة نشرت بتاريخ 1905 ، وهي أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع الاقتصادي، ومنهم من يصنفها ضمن علم الاجتماع الديني ، تحمل عنوان: "الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية"، وتهدف هذه الدراسة إلى اكتشاف دور الظاهرة الدينية في ظهور الرأسمالية كنظام اقتصادي، ولاسيما في المجتمعات الأوربية حيث انطلق صاحب هذه الأطروحة من سؤال محوري هو: "في أي صيغة تحدد بعض المعتقدات الدينية بروز عقلية اقتصادية وبعبارة أخرى بروز "التقليد" بشكل معين من الاقتصاد؟ ولإجابة على هذا السؤال يقول الباحث: "وقد أخذنا مثلاً على ذلك العلاقات بين روح الحياة الاقتصادية الحديثة وبين الأخلاق العقلانية لدى البروتستانتية النسكية".

أما عن المنهج الذي اعتمده الباحث فهو المنهج التاريخي والمنهج المقارن، كما اعتمد على المنهج الإحصائي، وقد وظّف المنهج التاريخي من خلال تتبع هذه الظاهرة في فترات زمنية مختلفة وفي بلدان عدّة ، كما استخدم المنهج المقارن من خلال مقارنته العلاقات بين الأخلاق الاقتصادية في الأديان الكبرى في العالم، ومن بينها الإسلام والدين المسيحي ولاسيما المذهب البروتستانت الكالفيني. هذا وقد اعتمد كذلك على بعض الإحصائيات للمقارنة بين نسبة الطلبة البروتستانت الذين يلتحقون بالمدارس الثانوية التقنية وبالطلبة الكاثوليك، كما أجرى أيضاً مقارنة بين الدول الأكثر تطوراً من الناحية الصناعية

¹ - أنظر: ماكس فيبر، ترجمة محمد علي مقلد، الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية، لبنان: مركز الإنماء القومي، دط، دت، ص 18، 12، 13، 16.

كانجلترا وألمانيا وغيرها بالدول الأخرى الأقل تطورا في هذا المجال وعزا هذا إلى انتشار المذهب البروتستانتي في الأولى وغيابه في الثانية.

لقد توصل هذا الباحث الألماني إلى مجموعة من النتائج، وسوف نعرض فقط ما له علاقة بموضوع بحثنا:

- إن معظم رجال الأعمال وأصحاب المناصب الإدارية ولاسيما في بلاد Bade باد (ألمانيا الغربية) ، والبافير Bavière ، والمجر، وغيرها، هم من البروتستانت.

- وإن السبب يرجع في هذا إلى طبيعة التخصصات التي يختارها الأولياء البروتستانت لأولادهم، وهي مؤسسات مخصصة للدراسات التقنية والوظائف الصناعية والتجارية، في حين أن نسبة الطلبة الكاثوليك متدنية جدا والإقبال على هذه المؤسسات ضعيف جدا، فهم لديهم إقبال على دراسة الآداب القديمة أكثر ، وبهذا يفسر ظاهرة المشاركة الضعيفة للكاثوليك في الكسب الذي يستند على رأس المال.

هذا بالإضافة إلى أن البروتستانتية له طموح أوسع حيث لا يرضى بالبقاء في المحترف، فهو يطمح دائما للالتحاق بالمصانع وتقلد مناصب عليا بها، في حين الكاثوليك أقصى طموح لديه هو أن يصبح رئيس شغيلة. ويعزو "ماكس فيبر" كل هذا الاختلاف بين الطائفتين إلى طبيعة التنشئة الاجتماعية العائلية ولاسيما الدينية التي يخضع لها كل منهما.

لقد اكتشف صاحب هذه الأطروحة إلى أن القيم التي تنتقلها الأسر البروتستانتية لناشئتها، ولاسيما القيم الاقتصادية هي قيم تجد مرجعيتها في المذهب الديني البروتستانتي الكالفيني، هذه القيم تعمل على تشجيع الادّخار والاستثمار، بل إن أتباعها يقدسون العمل ويحترمون أرباب المهن، وينبذون الخمول والتكاسل والتواكل، وتتم في نفوسهم علو الهمة والإرادة وذلك قناعة منهم بأن العمل سبيلا لتحقيق الخلاص الفردي .

لقد قارن "ماكس فيبر" هذه القيم بمثيلاتها في الأسر الكاثوليكية والتي تتم غالباً بصورة معاكسة ومضادة ، حيث أن الأسر الكاثوليكية ترسخ في نفوس ناشئتها قيم اللامبالاة إزاء ثروات العالم، وبالتالي **فالكاثوليكية كمذهب ديني** يعتبر أكثر انفصالاً عن العالم مقارنة بالبروتستانتية.

لم يتوصل "ماكس فيبر" في دراسته إلى نتائج خاصة فقط بالقيم البروتستانتية والكاثوليكية في علاقتهما بالعقلانية الرأسمالية، بل قارن أيضاً هذه القيم بالديانة الإسلامية وتوصل إلى نتيجة مفادها أن الإسلام يفتقر إلى القيم الروحية التي تجعله يسيطر على العالم، وذلك حسب رأيه لأن هذه العقيدة لها اتجاه شره - إن صح التعبير ولاسيما نحو الملكية والكماليات والنساء، وكل هذا يجعله بعيد عن التصرف العقلاني.

إن ما ذهب إليه "ماكس فيبر" في ما يخص القيم الإسلامية يكشف عن الخلط الذي وقع فيه الباحث بين الإسلام كدين وبين سلوك المسلمين، وهذا قد يفسر مدى جهله للإسلام الذي هو دين الوسطية بامتياز، وهو أقرب للعقلانية من غيره من الأديان الأخرى.

أما في ما يخص العلاقة العلمية التي تربط بين دراسة "ماكس فيبر"، ودراستنا هذه فهي تشترك في كون الدراسة التي قام بها "ماكس فيبر" ، تركز على مرجعيات التنشئة الاجتماعية وأثرها في اكتساب سلوك اقتصادي معين ترجم في ظهور النظام الرأسمالي، وهي بذلك تهم بحثنا في اعتبار الدين مرجعية من مرجعيات التنشئة الاجتماعية، يمكن أن نفسر به بعض أنواع السلوك البشري، ويمكن أن يكون أحد العناصر المكونة لهوية كل مجتمع من المجتمعات.

هذا وتشترك أيضاً مع دراستنا في المجال الذي تتم فيه هذا النوع من التنشئة، وهو مجال الأسرة باعتبارها مؤسسة من مؤسسات التنشئة الاجتماعية وإلى القيم التي تنقلها الأسر لناشئتها وعلاقتها بالمرجعية الدينية، وإن كانت هذه الدراسة تسلط الضوء على القيم

الاقتصادية دون غيرها من القيم الأخرى مقارنة بدراستنا التي تناولت أغلبية القيم التي تكون شخصية الفرد وتحدد علاقاته مع نفسه ومع الله ومع غيره ومع الكون.

أما أوجه الاختلاف بين الموضوعين فهو أن دراستنا عالجت موضوع التنشئة الاجتماعية في جوانبها المتعددة من قيم وأساليب وأهداف، وتحديات، ومعوقات... وغيرها وحاولت أن تربط هذا كله بالمرجعية الإسلامية، في حين أن دراسة "ماكس فيبر" ركزت فقط على جانب واحد وهو القيم الاقتصادية في علاقتها بالمرجعية الدينية.

ب - دراسات مفكري مدرسة "الثقافة والشخصية"⁽¹⁾

ظهر هذا التيار الفكري في الثلاثينات من القرن العشرين، ثم أصبح لديه نفوذ كبير على الأنثروبولوجيا الأمريكية، ولقد انطلق أصحاب هذه المدرسة في دراستهم للثقافة من نقدهم لإسهامات بعض المفكرين آنذاك في هذا المجال، حول تناولهم لموضوع الثقافة تناول تجريدي، بعيدا عن الواقع، وعن علاقتها بالأفراد. ومن هنا كان تركيز أصحاب هذه المدرسة حول علاقة الثقافة بالأفراد، أي كيف أن الثقافة تعتبر المتغير الأساسي في اختلاف الأفراد، ومن ثم اختلاف المجتمعات، وقد وصلوا إلى هذه النتيجة من خلال دراستهم لثقافة العديد من القبائل وذلك من خلال التعرف على الطريقة التي تشرب بها هذه الثقافة، بمعنى أنهم درسوا كيف تتم عملية التنشئة الاجتماعية في هذه المجتمعات وما هي مرجعياتها وأساليبها، وكيف تؤثر ثقافتهم فيهم، أو كيف تجعلهم يتصرفون. فالفرضية تنطلق من كون أن كل ثقافة تحدد أسلوبا من التصرف المشترك بين مجموع الأفراد المنتمين إلى ثقافة ما.

إن من أشهر مفكري هذه المدرسة هم : أبرام كاردينار KARDINER Abram رالف

لينتون Ralph Linthon ، روث بينيديكت، Ruth Benedict ، مارغريت ميد

¹ -أنظر : دنيس كوش، ترجمة منير السعيداني، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، بيروت : المنظمة العربية للترجمة،: 61-69

Margaret Mead، فرانز بوا س Franz Boas ، إدوارد ساپير Edward Sapir. وسوف نقوم بعرض دراسات بعض منهم:

– دراسة أبرام كاردينار ورالف لينتون : (الشخصية الأساسية)

لقد درس "كاردينار"، وبالتعاون مع "لينتون"، ردود أفعال الأفراد اتجاه الثقافة ، هذه الأخيرة التي هي محور الشخصية الأساسية . هذه الردود تتشكل حسب رأيه من مؤسسات ثانوية ولاسيما أنساق القيم والعقائد، والتي تعوض الفرد عن الكبت الذي تحدثه المؤسسات الأولية ، وهذا يؤدي بالثقافة إلى التقدم شيئاً فشيئاً. وينطلق "كاردينار" في دراسته الأنثروبولوجية للثقافة وعلاقتها بالشخصية، من فكرة مفادها أن التربية التي يخضع لها الفرد في حياته هي التي تكسبه الشخصية الأساسية ، فالمؤسسات الأولية ولاسيما العائلة والنسق التربوي بالدرجة الأولى هما المسؤولان عن هذه العملية . ولقد تم اختبار هذه الفرضية على عينة من قبائل جزر "المركز" (جنوب المحيط الهادي)، ومدغشقر، توصل من خلالها إلى النتائج التالية: إن كل ثقافة تؤثر أو تختار نمط شخصية من بين كل الأنماط الثقافية الممكنة يصبح عندها اعتياديا، أي يكون معترفاً به اجتماعياً ، هذا النمط الاعتيادي هو الشخصية الأساسية، أي هو الأساس الثقافي للشخصية، هذه الأخيرة ما هي إلا انعكاسا لنسق التربية الخاص بهذه المجتمعات.

– دراسة روث بينيديكت Ruth Benedict : (الأنماط الثقافية)

لقد كانت دراسة هذه الباحثة دراسة مقارنة بين قبيلتين مختلفتين ثقافياً، نموذج هنود البوبيلو Pueblo ، في المكسيك الجديد، وبالتحديد الزوني Zuni ، ونموذج جيرانهم هنود السهول ، ومن بينهم الكواكيتول Kwakiutl ، وقد لاحظت الباحثة أن هذين النموذجين محل الدراسة مختلفين اختلافاً صارخاً، بحيث يتصف أصحاب النموذج الأول بأنهم: وديعون وامتثاليون ومتضامنون بشدة ومتزنون في التعبير عن مشاعرهم، ومقدرون للآخرين، في حين أن أصحاب النموذج الثاني طموحون وفردانيون ولهم نزعة للعنف والغلو العاطفي.

لقد توصلت "بنديكت" إلى نتيجة مفادها أن الفرد وعبر تاريخه له تكيف مع الأنماط والمعايير المتوارثة تقليدياً في مجتمعه، ومنذ لحظة ميلاده تُشكل الأعراف التي يولد في ظلها خبرته وسلوكه وعندما يصل إلى المرحلة التي يستطيع فيها التكلم فإنه يكون قد أصبح المخلوق الصغير لتقافته، وبحلول الوقت الذي يصير فيه كبيراً وقادراً على المشاركة في أنشطتها فإن عاداتها تصبح عاداته ومعتقداتها تصبح معتقداته ومستحباتها مستحباته.

- دراسة "مارغريت ميد" (الترسيخ الثقافي)

إن ما يميز دراسة هذه الباحثة عن دراسات زملائها في هذه المدرسة هو تركيزها على الطريقة التي يتلقى بها الأفراد ثقافتهم، والآثار الناجمة عن ذلك في تكوين الشخصية فصيرورة النقل الثقافي وعملية التنشئة الاجتماعية للشخصية هما محور اهتمامها.

لقد كان الهدف المتوخى من هذا البحث هو الوصول إلى ظاهرة انطباع الثقافة في الفرد، وتفسير المظاهر السائدة في شخصيته والعائدة إلى صيرورة الانطباع هذه. وكانت آليتها في ذلك من خلال تحليلها لنماذج مختلفة من التربية لأفراد ينتمون إلى قبائل مختلفة وذلك عن ثلاث مجتمعات في غينيا الجديدة (أقيانوسيا) وهي: "الأرابيش Arapesh" و"الموندوغومور Mundugomour"، والشامبولي Chambuli".

إن الشيء الجديد الذي اكتشفته هذه الباحثة في دراستها هذه، هو غياب الفروق الجنسية الذكورية والأنثوية، التي يعتقد الكثير أنها كونية بحكم طبيعتها البيولوجية، حيث كشفت الباحثة أن بعض المجتمعات لها نسق ثقافي في التربية لا يفرق بين الذكر والأنثى وعلي هذا الأساس يخضع أطفال هذه المجتمعات إلى تنشئة اجتماعية واحدة ويلقنون قيم واحدة بغض النظر عن انتمائهم الجنسي ذكراً كان أو أنثى. ومن خلال هذا خرجت بالنتائج التالية:

- أنه لا يمكن تفسير الشخصية الفردية بخصايات بيولوجية كالجنس مثلاً، بل بـ "النموذج الثقافي" الخاص بمجتمع معين والذي يحدد تربية الطفل.

- يتشرب الفرد ولاسيما في مراحل الطفولة المبكرة النموذج الثقافي الخاص بمجتمعه ، وذلك عبر نسق كامل من المحفزات والنواهي ، صريحة وغير صريحة ، مما يجعله في المستقبل يتمثل هذه المبادئ الثقافية بطريقة غير واعية ، هذه الصيرورة التي تعرف عند علماء الأنتروبولوجيا "بالتريسيخ الثقافي".

- إن بنية الشخصية البالغة والناجئة من نقل الثقافة عن طريق التربية تتأقلم مبدئيا مع نموذج هذه الثقافة.

أوجه الاتفاق بين دراسات مفكري "مدرسة الثقافة والشخصية" وموضوع بحثنا

تتشرك هذه الدراسات مع موضوع بحثنا في المحور الذي يعالج مرجعية التنشئة الاجتماعية، وإن كانت دراستنا تركز على الدين كمرجعية لهذه العملية، في حين أن دراستهم تركز على الثقافة بصفة عامة بما في ذلك القيم الدينية.

فدراستنا حاولت اكتشاف المرجعية التي تعتمد عليها الأسر في تنشئة أطفالها هل هي إسلامية أم هي عبارة عن هجين من المرجعيات. إن هذه الدراسة وإن كانت لا تشترك معنا في الهدف إلا أنها تشترك معنا في تناول موضوع مرجعية التنشئة الاجتماعية ودوره في تشكيل شخصية الأفراد وفي التمايز بين الشعوب والمجتمعات، كما أنها تشترك معنا في المحور الذي يتناول أساليب التنشئة الاجتماعية، ويظهر هذا خصوصا في الدراسة التي أجرتها الباحثة "مارغريت ميد" كما هو مبين أعلاه.

2 - الدراسات العربية

إن موضوع الأسرة بصفة عامة والتنشئة الاجتماعية بصفة خاصة، لقي اهتماما بالغاً من طرف الباحثين والمفكرين العرب المنتمين إلى مجالات شتى ولاسيما مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية، وقد تطرق هؤلاء إلى هذا الموضوع من زوايا مختلفة، فهناك من الدراسات من تناولت هذا الموضوع بطريقة مباشرة وبطريقة ميدانية امبريقية، وهي كثيرة ومتنوعة ، وهناك دراسات أخرى تطرق أصحابها إلى هذا الموضوع بطريقة غير مباشرة

وبعيدا عن العمل الميداني المتعارف عليه، وإن كانت جل أفكارهم في هذا المضمون لم تتطرق من فراغ، وإنما انطلقت هي الأخرى من الواقع، هذا الواقع الذي ينتمي إليه جل الباحثين .

لقد نظر كبار المفكرين للمجتمع العربي، وللشخصية العربية، تنظيرا كشف عن حقيقة المجتمع العربي وعن خباياه المدسوسة في دهاليز الأسرار الأسرية، هذه الأسرار وإن كانت هي كذلك إلا أن كل عربي مشرقى كان، أو مغاربي يجد ذاته وأسرته وكل مجتمعه داخل هذه الدراسات، وهذا و إن دل على شيء فإنما يدل على اشتراك المجتمعات العربية في الكثير من الخصائص والقيم التي تجعلها أمة واحدة، حتى وإن كانت هذه الصفات والقيم سلبية.

فمفكر مثل عالم الاجتماع العراقي "علي الوردي"⁽¹⁾ حاول جاهدا دراسة شخصية الفرد العراقي من خلال دراسة مجتمعه والقيم السائدة فيه. لقد استطاع هذا الباحث وصف هذه الشخصية وصفا واقعا كاشفا خصائصها ومميزاتها، فكانت غايته من ذلك هي معرفة نشأة هذه الشخصية بهدف معرفة كيفية تسييسها أولا ، ثم كيفية السير بها قدما في مجالات الحياة الجديدة ثانيا. ولتحقيق هذا الهدف فقد قام الباحث بإرجاع هذه الشخصية إلى مراحل نشأتها الأولى، وإلى الإطار الذي تبلورت فيه، والمتمثل في الجماعة الأولية كما يسميها والتي تتألف حسب من أفراد العائلة والجيران ورفقاء الطفولة.

لقد توصل الباحث إلى نتيجة مفادها أن شخصية الفرد العراقي هي شخصية ازدواجية، هذه الصفة التي تتصف بها - حسب رأيه الكثير من الشخصيات الإنسانية في مختلف المجتمعات، إلا أنها في الفرد العراقي هي أكثر تغلغلا. وهي صفة ملازمة لأغلبية أفراد المجتمع إلا أن الكثير لا يشعر بها لأنها أصبحت مألوفة لديهم لكونهم نشأوا عليها.

¹ - علي الوردي، شخصية الفرد العراقي - بحث في نفسية الشعب العراقي على ضوء علم الاجتماع الحديث، بغداد: بيت الورق للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 2009، ص 44، 45، 46، 51، 62، 63 .

لقد عرض الباحث العديد من مظاهر هذه الازدواجية ومن بينها: أن العراقي من أكثر الناس هياما بالمثل العليا والدعوة إليها لكنه في المقابل أكثر الناس انحرافا عنها في واقع حياته. وأنه أقل الناس تدينا وفي نفس الوقت هو أكثرهم انغماسا بين المذاهب الدينية... الخ.

لقد ربط هذا المفكر هذه الازدواجية بازدواجية قيم الحضارة وقيم البداوة في العراق هذه القيم الضاربة بجذورها في التاريخ ، هذا ومن بين العوامل والمتغيرات التي فسر بها هذه الازدواجية أيضا: طبيعة التنشئة الاجتماعية التي تمارس على الأطفال في الجماعات الأولية ولاسيما في الأسرة، فهي تنشئة يتم بواسطتها إكساب الطفل قيمتين متناقضتين في غالب الأحيان وبدون وعي، فهي تعلمه مثلا كيف يكون مؤدبا أمام الكبار وتعاقبه على ذلك أشد العقاب، وفي المقابل تتغاضى عن نفس السلوك في المواقف الأخرى.

إن دراسة كهذه وإن أفردتها صاحبها للمجتمع العراقي ، إلا أن هذا - كما أشرنا أعلاه - لا يمنع من تعميم الكثير منه على باقي المجتمعات العربية، فهذه الازدواجية التي يرجعها إلى ازدواجية أسلوب التنشئة الاجتماعية الذي يمارس على الطفل، هي نفسها أثبتتها نتائج دراستنا الميدانية، وذلك من خلال ما لمسناه في أجوبة الكثير من المبحوثات وهو حرصهن على تأدب أولادهن أمام الضيوف وتساهلهن معهم في غيابهم. هذا بالإضافة إلى عدم تفاهم الوالدين أو أحد أفراد العائلة ولاسيما إذا كانت ممتدة، على نفس القيمة أو الأسلوب في عملية التنشئة الاجتماعية.

ومن بين الدراسات في هذا الاتجاه، نذكر أيضا الدراسة التي أجراها المفكر الفلسطيني " هشام شرابي" (1)، والتي ضمنها كتابيه: "مقدمات لدراسة المجتمع العربي" وكتاب: "النقد الحضاري للمجتمع العربي". و نظرا لأن هذه الدراسة فيها الكثير من النقد للمجتمعات العربية سواء على مستوى الفرد أو الجماعة، وفيها الكثير من الجرأة، المنبثقة حسبه من موقف صادق يرفض التمويه ويهدف إلى كشف الواقع على حقيقته، هذه الحقيقة

¹ -أنظر: هشام شرابي، مقدمات لدراسة المجتمع العربي، -سلوكنا الاجتماعي وبنية العائلة في المجتمع العربي، الاتكالية، العجز، التهريب ..-، بيروت، دار المتحدة للنشر، ط3، 1984 . ص 10 ، 21 ، 22، 23، 24، 25 ،

التي حالت دون حدوث ردة فعل سلبية من طرف القارئ العربي، كما توقعه الكاتب، بل العكس كانت ردود الأفعال ايجابية وبناءة جعلت من الكاتب يحكم على القارئ العربي بأن له القدرة على استيعاب الفكر وقبول النقد مهما كان عنيفا.

لقد كان السبب الرئيسي لدفع الباحث لتناول موضوع كهذا سببا سياسيا بالدرجة الأولى، فحماسه الزائد لتحرير بلاده من براثن الصهيونية، لم يلبث أن انطفأ وفقد نشوته وذلك عندما اصطدم بواقع مجتمعه الفلسطيني والعربي على حد سواء، هذا الواقع الذي جعل هذا المفكر يغور في خباياه طارحا على نفسه مجموعة من الأسئلة، حاول من خلالها البحث عن أجوبة لها في الواقع الاجتماعي. هذا الواقع الذي يعرفه الباحث معرفة جيدة خولت له صلاحية الحكم عليه بالفساد.

هذه الصفة التي دفعته للبحث عن أسباب هذا الفساد، محاولا بذلك وجود أجوبة عن سؤاله حول معرفة طبيعة التركيبة الاجتماعية للمجتمع العربي وطبيعة السلوك الاجتماعي فيه. لقد طرح الباحث على نفسه العديد من الأسئلة منها: لماذا يعجز الإنسان العربي عن العمل لتحقيق أهدافه الاجتماعية حتى وإن كانت ظروفه الاجتماعية مواتية؟، لماذا نحن فرديون وسليبيون في تصرفاتنا الاجتماعية إلى حد يمنعنا حتى من التعاون، في حين أن التعاون من مصلحتنا جميعا؟ لماذا نقبل في أعمالنا ما نرفضه في أقوالنا وتفكيرنا الخاص؟

لقد حاول هذا المفكر البحث عن الأسباب الاجتماعية الموضوعية والدوافع النفسية الذاتية التي تجعل الفرد العربي غائبا في تناقضاته عاجزا عن تغيير وضعه. وقد اتبع في دراسته هذه، منهاجا يجمع بين التحليل النفسي، والعرض الاجتماعي، وقد أخذ من السلوك الاجتماعي وعلاقته بالتربية العائلية والتنشئة الاجتماعية منطلقا أساسيا في هذا العمل، أما عن المصادر التي اعتمد عليها في جمع معطياته كانت الجرائد والقصص والكتب المدرسية وحتى ذكريات الطفولة. ثم قام بتركيب "النماذج" المستمدة من اختباره لأنماط السلوك والقيم

السائدة في مجتمعه، وكان يقارن كل هذه الاختبارات بالمعلومات والوقائع ويستخرج منها القيم والمثل والأهداف وأساليب التربية والتثقيف السائدة في العائلة والمدرسة.

وانطلاقاً من هذا اكتشف الباحث أن السلوك الاجتماعي وتركيبية المجتمع مرتبطان ترابطاً وثيقاً، وأن فهم هذا الارتباط وهذه العلاقة يتوقف على تحليل العائلة والعلاقات التي تقوم عليها، ولاسيما علاقة الوالدين بأطفالهم وأساليبهم التربوية في تنشئة أطفالهم وخصوصاً في مراحل حياتهم الأولى. وقد اكتشف الباحث أيضاً أن التربية والتثقيف في مجالي العائلة والمدرسة إنما يهدفان إلى قولبة الفرد على النحو الذي يريده المجتمع وتقرره الثقافة السائدة.

لقد توصل الباحث إلى نتيجة مفادها أن كل القيم والسلوكيات السائدة في المجتمع بكل مؤسساته إنما تدين بها للعائلة وللقيم التي رسختها لناشئتها في مراحل عمرهم المختلفة فصاحب السلطة والمركز سواء كان رئيساً أو ملكاً، أو عقيداً، ما هو إلا صورة مكبرة للأب في العائلة، بتصرفاته ونظراته لنفسه وعلاقاته بمن هم دونه.

إن ما توصل إليه الباحث "هشام شرابي"، من خلال تحليلاته لا يمكن إنكاره، وهي نفسها التي توصل إليها الكثير من الباحثين في هذا الصدد. وقد تشترك هذه الدراسة مع دراساتنا في منطلقاتها الرئيسية، فلما كان هو يبحث عن الأسباب التي جعلت السلوك الاجتماعي وتركيبية المجتمع بالصورة التي هي عليه، ذهبنا نحن إلى البحث عن الأسباب التي جعلت من الأسر محل الدراسة لا تعتمد في كثير من الأحيان على مرجعية إسلامية في تنشئتها لأطفالها، بالرغم من انتمائها إلى هذا الدين منذ قرون، وتشترك أيضاً في دراسة الأسرة كمؤسسة من مؤسسات التنشئة الاجتماعية من حيث أنها هي المسئول الأول على تكوين شخصية الفرد وذلك من خلال القيم والأساليب التي تعتمدها والأهداف التي تسطرها. ومن بين الدراسات العربية أيضاً نذكر تلك الدراسة التي قام بها "الباحث اللبناني المتخصص في علم النفس الاجتماعي، "علي زيعور" (1977) والتي تحمل عنوان: "التحليل النفسي للذات العربية: أنماطها السلوكية والأسطورية"، وهي دراسة نفسية اجتماعية

غابيتها كشف الطريقة التي تنتج بها الشخصية العربية في الوسط العائلي. وقد توصل الباحث إلى العديد من النتائج وهي: أن الأساليب التربوية التقليدية في الأسرة العربية تنمي في ناشئتها الالتواء والازدواجية والاعتماد على الكبير في العائلة (الإتكالية). وأن هدف التنشئة الاجتماعية العربية هو تكوين طفل مطيع متفوق على أقرانه، ولهذا نجده دائما محل مقارنة مع الغير والإلحاح على فشله مما يقتل فيه الطاقات والتفتح ويدفعه للسلبية وسوء تقييم الذات، بالإضافة إلى استخدام أساليب التسلط التقليدية والعقاب البدني وأساليب التساهل والإفراط في الحماية".⁽¹⁾

إن ما يلاحظ على الدراسات العربية السابقة هي تغييبها لعامل مهم في تجاوز الكثير من الظواهر الاجتماعية السلبية التي يعرفها الإنسان العربي بصفة خاصة والمجتمع بصفة عامة ، ألا وهي الدين، وأن التنشئة الاجتماعية في المؤسسات الأولية ولاسيما في مؤسسة الأسرة هي تنشئة تستند على العادات والتقاليد أكثر من استنادها على المرجعية الدينية، هذه المرجعية التي تصلح لأن تكون مرجعية للتنشئة الاجتماعية أكثر من غيرها، وذلك لخصائصها المتفردة ، أهمها مصدرها الإلهي وبالتالي فهي منزهة عن كل نقص أو عيب أو تناقض مقارنة بمثلتها بشرية المصدر، والأكثر من هذا أن هذه المرجعية أثبتت فعاليتها عبر مختلف العصور الإسلامية التي أخذ أصحابها من الإسلام مرجعية لهم في المجالات. وبالتحديد في مجال بناء الإنسان والمجتمعات.

إن هذا الذي أغفلته الدراسات الآنف الذكر، تحاول دراستنا تداركه والتركيز عليه وهي غياب المرجعية الدينية في المؤسسات الأولية ولاسيما الأسرة وإحلال محلها مرجعية تستند على العادات والتقاليد، هذه الأخيرة التي تعارض قيمها ومبادئها في كثير من الأحيان قيم ومبادئ الدين الحنيف.

¹- أنظر: حمودة سليمة، التغيرات الاجتماعية والاقتصادية وانعكاساتها على السلطة الوالدية كما يدرجها الأبناء في الأسرة الجزائرية- دراسة ميدانية على عينة من طلبة جامعة محمد خيضر -بسكرة-، تحت إشراف الأستاذ: جابر نصر الدين ، أطروحة دكتوراه علوم في علم النفس الاجتماعي ، ص 30

3 - الدراسات الجزائرية

هناك الكثير من الدراسات العلمية الجزائرية ، التي أنجزت في هذا المجال، مما يصعب عرضها وتناولها كلها، ولكن ورغم كثرتها إلا أنها لم تعالج مواضيع قريبة كثيرا من موضوع بحثنا، فكما بينا أعلاه ، أننا لا نستطيع معرفة كل ما أنجز حول هذا الموضوع مهما بلغت درجة اجتهادنا وبحثنا، إلا أننا وفي عجلة سوف نسلط الضوء فقط على تلك الدراسات التي تناولت موضوع الأسرة بصفة عامة، والتنشئة الاجتماعية بصفة خاصة ولاسيما الدراسات الرائدة والمشهورة في هذا المجال، مع التركيز على تلك التي تشترك مع موضوع بحثنا أو مع بعض أجزائه.

إن من الدراسات الجزائرية الرائدة في هذا المجال ، ولاسيما في مجال الأسرة، نجد الدراسة "التي قام بها "روبير ديكلوتر **Robert Descloitres**" و" دبزي العيد **Debzi Laid**" ، بعنوان: "نظام القرابة والبنيات الأسرية في الجزائر"، والتي أنجزت سنة 1963. هذه الدراسة أصبحت مرجعا أساسيا يرجع لها كل باحث في هذا المجال ومن بين الدراسات التي تناولت مثل هذه المواضيع ، ولاسيما موضوع التنشئة الاجتماعية ، الدراسة التي تحمل عنوان: "طفل الأمس: تربية الطفل في الوسط الجزائري التقليدي" ، للباحثة زردومي نفيسة" عام 1970".⁽¹⁾

¹ -أنظر: محمد حمداوي، البنيات الأسرية ومتطلباتها الوظيفية في منطقة بني سنوس في النصف الأول من القرن العشرين (قرى العزائل نموذجاً)، تحت إشراف الأستاذ: أحمد العلوي،- دراسة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة- جامعة وهران، 2005 ، ص 14 .وانظر أيضا: DESCLOITRES ,Robert et, DEBZI Laïd, Système de parenté et structure familiales en Algérie, in **Annuaire de l'Afrique du nord**, Paris, CNRS,1963 .

M. HAMDAOUI , Le changement familial dans l'Ouest algérien (Thèse de troisième cycle reproduite sur microfiche), Université René Descartes, Paris V, 1988 ;

Zerdoumi Nafissa, **Enfant d'hier et d'aujourd'hui : L'éducation de l'enfant en milieu traditionnel algérien**, Paris, Maspero, 1970.

هذا بالإضافة إلى الدراسة التي قام بها أستاذنا المرحوم: "مصطفى بوتفنوشت" عام 1982⁽¹⁾ ، والتي تحمل عنوان : "الأسرة الجزائرية: التطور والخصائص الجديدة" ، وهي دراسة ميدانية قام بها الباحث على مجموعة من العمال النازحين من القرى والأرياف إلى المدن الكبرى (الجزائر، عنابة، وهران)، وكان حجم العينة 121 عائلة.

إن الغاية والهدف المتوخى من هذه الدراسة حسب صاحبها هو التعرف على الجانب البنائي للعائلة الجزائرية باعتبارها مؤسسة اجتماعية، وكيف تأثرت هذه المؤسسة التي تمثل المجتمع الصغير بالتحويلات الكبرى التي عرفها المجتمع الكبير ولاسيما في المجال الاقتصادي هذا المجال الذي تمخض عليه تغير على مستويات عدة اجتماعية واقتصادية وحتى ثقافية. وبطريقة معاكسة كيف تؤثر أيضا بعض الظواهر السائدة في العائلة كالطلاق وارتفاع نسبة المواليد، وتعاطي الآباء للخمر وأثره على التربية... كل هذه الظواهر وغيرها كيف أثرت على المجتمع الكبير.

لقد أفادتنا هذه الدراسة في إعطاء صورة عن المجتمع الجزائري وعن التحويلات التي عرفها وانعكاس ذلك كله على الأسرة بالخصوص على القيم التي تنقلها لناشئتها من خلال عملية التنشئة الاجتماعية.

ومن بين الدراسات أيضا نذكر الدراسة التي أجراها أستاذنا "محمد حمدوي"⁽²⁾ تحت عنوان: "البنيات الأسرية ومتطلباتها الوظيفية في منطقة بني سنوس في النصف الأول من القرن العشرين (قرى العزايل نموذجا) سنة 2005 ، وهي دراسة أراد الباحث من خلالها " استكشاف واقع الأسرة السنوسية في النصف الأول من القرن العشرين، وذلك من خلال دراسة بنيتها وأشكالها ، ومن خلال اكتشاف العلاقات الزوجية والقربانية، ومن خلال أيضا

¹ -أنظر: مصطفى بوتفنوشت، ترجمة دمري أحمد، العائلة الجزائرية: التطور والخصائص الحديثة، الجزائر: ديوان المطبوعات الجزائرية، دط، 1984 ، ص 4 . وانظر أيضا : Mostefa BOUTEFNOUCHET, La famille algérienne : Evolution et caractéristiques récentes, Alger, SNED, 2eme ed., 1982.

² -أنظر: محمد حمدوي، البنيات الأسرية ومتطلباتها الوظيفية في منطقة بني سنوس في النصف الأول من القرن العشرين (قرى العزايل نموذجا)، نفس المرجع، ص 10 .

الوظائف التي تقوم بها ولاسيما الوظيفة التنشئية ، والاقتصادية والحمائية وحتى الثقافية والترفيهية".

ولما كانت التنشئة الاجتماعية من أهم الوظائف التي تقوم بها الأسرة على الإطلاق فإن الباحث أفرد لهذه الوظيفة فصلا كاملا، تناول هذه العملية بالتفصيل وبطريقة تحليلية مبتكرة تتم عن كفاءة الباحث العلمية ومعرفته التامة لمجتمع البحث، ولاسيما أنه ابن المنطقة وينتمي لأحد أسرها، والأكثر من هذا أنه خضع لنفس التنشئة الاجتماعية باعتباره ينتمي للجيل نفسه الذي تناولته هذه الدراسة.

ووفقا للقواعد السوسولوجية فإن الباحث ، قد فسّر هذه الظاهرة بظواهر اجتماعية أخرى تلازمها وتتبادل معها التأثير والتأثير ، فطبيعة التنشئة التي كانت تمارس في الأسر كما وصفها الباحث سواء في المجال الأسري، أو في المجال الخارجي ، كالكتاب مثلا تتصف بسيطرة الكبار على الصغار، وبهيمنة الذكور على الإناث، وبغياب الحوار، والعنف .. وغيرها.

"فالهيمنة الذكورية مثلا هي سلوك يتعلمه الذكور في أسرهم ويكون ذلك من خلال ملاحظتهم للطريقة التي تستقبل بها الأسر المولود الجديد واختلافها باختلاف جنسه، فإذا كان ذكرا تجد الأسر تبتهج وتحنقل وتتفاخر، حتى الجيران والأقارب يأتون يهنئون، والعكس هو الصحيح عندما يكون المولود بنتا فالحزن يخيم على الأسرة بكاملها، و بدل التهئة من طرف الأقارب والجيران يكون العزاء. هذه الظواهر وغيرها فسرها الباحث بظواهر اجتماعية أخرى كظاهرة تسلط الرجل وشعوره بالقوة وخضوع المرأة وشعورها بالضعف والدونية. وكذلك كظاهرة النظام الأبوي السائد وارتباطه بظاهرة الحماية المادية والمعنوية التي يتصدى لها الرجال دون النساء.

إن ما تطرق إليه صاحب هذه الدراسة في هذا الفصل يشترك مع موضوع بحثنا في الكثير من العناصر ، ولا سيّما العنصر الذي يكشف مكانة المرأة داخل الأسر والعنف

الممارس عليها من طرف الرجل نتيجة هيمنته وتسلطه . لقد أثبتت نتائج دراستنا ما ذهب إليه الباحث، وذلك عندما حاولنا أن نكتشف طبيعة التنشئة الاجتماعية التي مورست على الأمهات أي التنشئة الأولية لهن وكيف أثرت عليهن في ممارستهن لعملية التنشئة باعتبارهن أمهات.

ومن بين الدراسات الجزائرية الأخرى التي تناولت موضوع يشترك مع موضوع بحثنا في بعض الجوانب ، الدراسة التي قامت بها الباحثة "حزّات فتيحة" ، بعنوان : " صراع القيم الثقافية في التربية الأسرية " (1)، وهي دراسة انطلقت فيه الباحثة من سؤالين محوريين وهما : "ما هي القيم التي يفضل الأولياء والشباب الإبقاء عليها من الثقافة التقليدية؟ وما هي القيم التي يريدون العيش وفقها ضمن الثقافة العصرية؟، وهل وصلوا إلى مرحلة استقرار ثقافي باختيارهم أم لا زالوا في المرحلة الانتقالية نتيجة عفويتهم في العيش؟" (2)

إن الانطلاق من هذا السؤال مكن الباحثة من اكتشاف الصراع بين الأجيال، أي بين جيل الآباء والأبناء، والذي هو في الأساس صراع بين القيم، أي التقليدية التي يمثلها الآباء والعصرية التي يمثلها الأبناء، ولاسيما القيم العصرية المادية باعتبارها السمة السائدة في الثقافة العصرية، فالقيم المادية هي القيم التي أصبحت تسيطر على ثقافة الشباب، فحاولت الباحثة من خلال هذه الدراسة معرفة الكيفية التي يتعامل بها الآباء مع أبنائهم في ظل ثقافتين متناقضتين، وكذلك معرفة القيم الثقافية الأكثر تبنيًا من طرف الشباب والآباء على حد سواء (تقليدية أم عصرية) ، وكيف يتعامل الأبناء مع آبائهم في حالة ما إذا وقع هناك صراع بين بعض القيم العصرية التي يفضلها الأبناء، وفي المقابل يرفضها الآباء.

لقد أجريت هذه الدراسة على عيّنة بمجموع 325 مبحوث، 91 وليا، و 234 شاب وهم طلبة من جامعة الجزائر العاصمة ، وجامعة بجاية، مستخدمة في ذلك تقنية الاستمارة

¹ -أنظر: حزّات فتيحة، صراع القيم الثقافية في التربية الأسرية-دراسة سوسولوجية ميدانية لعلاقات الشباب بأولياهم في إطار الثقافتين التقليدية والعصرية، تحت إشراف الأستاذ: أحمد رمينة، دراسة لنيل شهادة دكتوراة علوم ، جامعة الجزائر 2 ، قسم علم الاجتماع، 2012/2011. ص 13-21

² - فتيحة حزّات، المشرف : أحمد رمينة ، القيم الأسرية بين الثقافة التقليدية والثقافة العصرية ، مجلة إنسانيات، عدد 95 ، 2013 ، ص 6 .

كأداة لجمع المعطيات، وقد توصلت الباحثة إلى نتيجة عامة مفادها " أن الأسرة في الجزائر في مرحلة انتقالية، وهذه المرحلة لازالت مستمرة منذ الاستقلال.

إن التأثير المتواصل والصريح للثقافة الغربية العصرية يجعلنا نتوقع الابتعاد التدريجي للأفراد عن القيم التقليدية، لكن من جهة أخرى كثرة الأزمات الاجتماعية وأهمها أزمة السكن والأزمات المادية، تجعل الأفراد يبحثون عن الحلول في الرجوع إلى القيم التقليدية والدينية فيمكن أن يكون هذا الوضع تعبيراً عن استقرار تأثير الثقافتين، أي أن الأسرة استقرت على الجمع ما بين القيم التقليدية والعصرية وبالتالي فقد وصلت إلى الاستقرار مع أنها تبدو في مرحلة انتقالية"⁽¹⁾.

هذا وتكشف نتائج دراسة المبحوثة على "غياب الوعي لدى الأسر بوضعية التناقض الذي تحمله الثقافتين في غالب الأحيان مما جعلهم يزهدون في البحث عن نموذج ثقافي يلائم طموحهم ويكون مشروع مجتمع"⁽²⁾.

إن موضوع القيم في الأسرة، والذي يعتبر محور الدراسة التي أجرتها الباحثة، يشترك مع موضوع بحثنا هو الآخر في الجزء الذي تناولنا فيه الأسرة كمجال تلقن فيه القيم للناشئة، ولكن الاختلاف بين الدراستين يكمن في كون أن دراستنا ركزت على مكانة القيم الإسلامية في التنشئة الاجتماعية التي تمارس في الأسر محل الدراسة، وعن الأسباب التي تحول دون الاعتماد على هذه المرجعية، في حين ركزت هذه الدراسة على الصراع بين القيم الثقافية بصفة عامة في التربية الأسرية.

دراسة⁽³⁾ أجريت من طرف الباحث: "أحمد تازي"، بعنوان: "التنشئة الاجتماعية القاعدية والوعي الديني عند المهاجرين الجزائريين بفرنسا" (2011-2012)، هذه الدراسة التي

¹ - فتيحة حراث، المشرف: أحمد رميتة، القيم الأسرية بين الثقافة التقليدية والثقافة العصرية، مرجع سابق، ص 6.

² - حراث فتيحة، صراع القيم الثقافية في التربية الأسرية، مرجع سابق، ص 603. وانظر أيضا:

³ - أحمد تازي، التنشئة الاجتماعية القاعدية والوعي الديني عند المهاجرين الجزائريين بفرنسا، -دراسة عينة من المهاجرين ب مطار الجزائر الدولي-، تحت إشراف الأستاذ: أحمد رميتة، جامعة غرداية، 2011-2012 ص 5، 166. وانظر أيضا: Ahsène Zehraoui, Les

أجراها صاحبها على مجموعة من المهاجرين الجزائريين المقيمين بفرنسا، وكانت منهجيته في جمع المعطيات من خلال إعداد استمارة مقابلة مضمنة مجموعة من الأسئلة حول الموضوع، وتوزيعها على عينة من المهاجرين بمطار الجزائر الدولي.

لقد أراد صاحب هذه الأطروحة معرفة ما إذا كان هؤلاء المهاجرين يمتلكون وعيا دينيا أم لا، هذا الوعي الذي تتجلى مظاهره من خلال الممارسات اليومية. وما هو دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية في اكتساب هذا المهاجر لوعيه الديني، ولاسيما الأسرة وجماعة الرفاق ووسائل الإعلام.

إن من النتائج الرئيسية التي توصل إليها الباحث هي: تقلص أدوار الأسرة ووظائفها التربوية، والأكثر من هذا تقلص مرجعيتها الدينية والاجتماعية في هذا المجال، فحسب رأيه أن الأسرة في حد ذاتها تحتاج لمن يلقيها هذه المبادئ، وقد نتج عن هذا ظاهرة جهل الكثير من الشباب بأحكام الدين، كأحكام الوضوء والطهارة، والصلاة وعدد ركعاتها... وغيرها.

أما عن مؤسسة جماعة الرفاق فإن الدراسة توصلت إلى نتيجة مفادها أن هذه الأخيرة لها دور فعال في اكتساب الشباب للوعي الديني من حيث التأثير والتأثر. هذا وتعتبر وسائل الإعلام الديني هي الأخرى أداة فعالة في تبليغ الرسالة الدينية.

إن محاور هذه الدراسة تتقاطع مع دراستنا في موضوع التنشئة الاجتماعية في الأسرة ولاسيما في المرجعية الدينية لهذه العملية، كما أن بعض نتائجها تؤكد هي الأخرى بعض نتائجنا، ويتعلق الأمر بظاهرة جهل الأسر لأحكام الدين الإسلامي، مما ترتب عنه في كثير من الأحيان غياب المرجعية الإسلامية في ممارسة التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة.

وفي الأخير، ارتأينا أن يكون ختامنا لهذا المبحث دعوة لكل الباحثين في علم الاجتماع بالرجوع إلى بعض المراجع والدراسات المهمة، هذه المراجع وإن كانت عناوينها لا

توحي بشيء له علاقة بموضوع التنشئة الاجتماعية إلا أن مضامينها ومحتوياتها تعتبر مادة خام في هذا المجال، ومن بين هذه المراجع نذكر: شخصية الفرد العراقي ، مهزلة العقل البشري لعالم الاجتماع العراقي علي الوردى، و أصنام المجتمع (بحث في التعصب والتحيز والنفاق الاجتماعي) لعبد الجليل الطاهر، هشام شرابي: مقدمات لدراسة المجتمع العربي النقد الحضاري للمجتمع العربي، مالك بن نبي: شروط النهضة، حلیم بركات: الخصائص البنيوية للعائلة العربية ، عبد الكريم بكار : العيش في الزمن الصعب، وكتاب مسار الأسرة ..وله العديد من الكتب والمقالات في هذا المضمار .

وبالرغم من أن أغلبية هؤلاء الباحثين لم يقوموا بدراسات ميدانية، إلا أن كل ما ورد في كتبهم يعكس في كثير من الأحيان ما هو موجود في الواقع ومطابقاً له ، ولا يخرج عنه إلا في حالات نادرة ، وهذا أمر لا يدعو إلى الاستغراب إذا عرفنا أن هؤلاء ينتمون إلى المجتمعات التي كتبوا عنها ، وهم حيث ما ولّوا وجوههم يلاحظون يومياً العديد من الظواهر الاجتماعية، في جميع المجالات، في الأسرة، و في الشارع ، في أماكن العمل .. وفي كل مكان ، بل و الأكثر من هذا فهناك الكثير من الظواهر قد يعيشها الفرد هو نفسه أو يعيشها أحد أقربائه أو أصدقائه، وبالتالي معرفته لها تكون أعمق وأشمل قد تصل به إلى اكتشاف نظرية علمية.

ومما لا شك فيه أن إطلاع الباحث على هذه المراجع والأخرى التي على شاكلتها سوف تُحيله وتتبعه إلى الكثير من الظواهر الاجتماعية التي تستحق الدراسة، فبالرغم من أن هناك من ينتقد النظرة الماركسية التي تطبع دراسات البعض منهم كدراسة "علي الوردى" و"هشام شرابي" ، و"حلیم بركات" ، وغيرهم ، إلا أن تشخيصهم للمجتمع العربي يجانب الكثير من الصواب وهذه حقيقة لا ينكرها إلا جاحد.

ثانيا: المقاربات النظرية المفسرة للظاهرة

1 - تعقيب على القول بالزامية الباحث بنظرية اجتماعية

يعتبر الكثير من المتخصصين في مجال العلوم الاجتماعية، أن تبني نظرية من النظريات الاجتماعية في البحث العلمي، هو شر لا بد منه. هذا الاعتقاد الذي ظل سائدا منذ ظهور العلوم الاجتماعية وإلى يومنا هذا، فالأغلبية الساحقة من المنتمين إلى هذا الحقل المعرفي ولاسيما علم الاجتماع، يؤكدون على ضرورة تبني الباحث لنظرية من النظريات بل ويذهبون إلى أبعد من ذلك حيث ينزعون صفة العلمية عن أي بحث لا ينطلق من أحد النظريات مهما كانت قيمته، في حين هناك القلة التي تتبنى الاتجاه المعاكس، حيث ترى هذه الفئة بأن تبني الباحث لنظرية ما لا يعتبر ضرورة علمية، بل بالعكس فإن ضررها أكثر من نفعها، ومنهم من يفتخر بأنه لم يتأثر في دراسته بأي اتجاه فكري، كما هو الحال عند المفكر الفرنسي "غوستاف لوبون" في كتابه المعنون بـ"روح الاجتماع"، حيث يقول في مقدمة كتابه⁽¹⁾: "وإني أحاول البحث في موضوع الجماعات على صعوبته، بالوسائل العلمية المحضة أعني أنني أريد أن أتبع فيه نسقا مؤسسا على قواعد العلم غير ملتفت إلى الآراء والنظريات والمذاهب الجارية مجرى الأمور المسلّم بها، لأنني أرى أن ذلك هو الوسيلة الوحيدة لاقتناص بعض شوارد الحقيقة...". ثم يضيف في تعليق له حول ملاحظة أباها له أحد كبار المفكرين، قائلا: ".قال عني أحد كبار المفكرين وهو موسيو (جوليه دالفيلا) في كتاب نشرناه حديثا، إنني كثيرا ما خالفت في نتائج أبحاثي ما اتفق عليه الباحثون من أرباب المذاهب العصرية، لأنني لست تابعا لواحد منهم، ثم يعلق قائلا: وإني لأرجو أن يكون حظ كتابي هذا من تلك الملاحظة حظ سابقه إذ الانضمام إلى مذهب يقتضي التحيز إليه والتزام ما فيه من الأوهام."

¹ - غوستاف لوبون، ترجمة، أحمد فتحي زغلول، روح الاجتماع، القاهرة: مؤسسة هنداوي للثقافة والتوزيع، د ط، 2013، ص 11. وانظر أيضا:

Gustave Le Bon, Psychologie de l'éducation, Paris, Déterra, 2009.

نعم، هكذا كانت طريقة وأسلوب هذا المفكر في تقصي الحقائق العلمية، وهي نفس الطريقة التي اتبعناها نحن في بحثنا هذا ، ليس من باب التأسى أو التقليد وإنما قناعة منا بأن هذه النظريات لا يمكن أن نجد في كثير من تفسيراتها ضاللتنا، وإن كان هذا لا ينفي احتواءها على بعض التفسيرات والأفكار ولاسيما تلك التي تخص الجوانب الإنسانية، أي تلك الظواهر التي تشترك فيها كل الإنسانية بغض النظر عن انتماءاتهم الثقافية والجغرافية والحضارية.

أما ما عدا ذلك فلا يمكن الاعتماد عليها بأي حال من الأحوال. بل يجب التعامل معها بكل حذر، وتكييفها مع ثقافتنا وخصوصيتنا كما ذهب إلى ذلك المفكر "مالك بن نبي" وليس كما يرى البعض أن نكيف ثقافتنا وواقعنا مع هذه النظريات.

إنه لمن الاستحالة معالجة ظواهر اجتماعية بنظريات اجتماعية ولدت في رحم مجتمعات تختلف عن مجتمعاتنا زمكانيا وحتى ثقافيا وعقائديا، تماما كاستحالة وصف الطبيب دواء واحد لعلاج كل الأمراض ولجميع المرضى. نعم قد تتشابه ظاهرة ما في مجتمعنا مع ظاهرة في مجتمع آخر، لكن قد تصلح نظرية ما لتفسير ظاهرتنا لكنها لا تصلح لتفسير ظاهرة مجتمع آخر، والعكس صحيح، والسبب في ذلك بكل بساطة أن الظروف والعوامل والظواهر الاجتماعية التي أوجدت ظاهرتنا هي ليست نفسها التي أوجدت الظاهرة الأخرى، ومن هنا عجز هذه النظريات في استيعاب نفس الظواهر في مجتمعات مختلفة.

لا ريب في أن كل المجتمعات، وبدون استثناء، هي مجتمعات متحركة وليست ساكنة، والتغير سنتها وقدرها، هذه الصفة التي تجعلها تنتج في كل مرة ظواهر اجتماعية جديدة قد يكون بينها وبين الظواهر التي سبقتها بونا شاسعا، فكيف نتعامل مع ظواهر مستجدة لم تتطرق إليها أي نظرية من هذه النظريات، وكيف نتعامل مع نظريات لا يمكن

تطبيقها على مجتمعاتنا. فهل أسرنا هي نفسها الأسر الغربية وهل طبيعة العلاقات الأسرية والزوجية والقيم الأخلاقية هي نفسها؟ طبعاً هناك اختلاف كبير بين المجتمعين.

إن تبني نظرية من النظريات -حسب رأينا- هو حجرة عثرة أمام كل إبداع، وهو اجترار لما قاله الآخرون، ناهيك على أن هذه النظريات سوف تضع بيننا وبين الميدان حجاب، وسوف تعيّننا عن الواقع، وتجعلنا نلوي عنقه لتكييفه مع النظرية المتبناة، وبهذا تكون قد أبعدتنا عن الحقيقة بعد السماء عن الأرض.

وانطلاقاً من هذا - وحسب رأينا - ليس من الضرورة بمكان ، كما يعتقد الكثير في هذا المجال اعتماد نظرية من النظريات لتأطير بحث من البحوث العلمية، ومن جهة أخرى فنحن لنا مرجعيتنا التي يمكن أن يعوّل عليها في مختلف البحوث العلمية وليس فقط في مجال علم الاجتماع. فإذا كانت النظرية الاجتماعية ، تعرف "على أنها مجموعة الأفكار والمعتقدات والآراء التي تجسد ماهية وطبيعة البنى والأنظمة والعمليات والعلاقات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات ..وذلك للاستفادة منها في فهم النظم والمجتمعات. وأن من شروطها الأساسية تكامل وترابط وتسلسل أفكارها ومفاهيمها ومبادئها مع وضوحها وبعدها عن التعقيد والتشويش فضلاً عن اشتقاقها من طبيعة الواقع الاجتماعي الذي توجد فيه." (1)

فإن المرجعية الإسلامية ، تتجاوز النظرية، بل " لا يمكن اعتبار الإسلام نظرية إنما هو منهج متكامل، أما النظرية فهي عمل بشري يخضع للتغيير والإضافة والحذف بينما يقوم المنهج الرباني على أساس الثبات في دعائه مع اتساع آفاقه وأطره لتطور المجتمعات وتغير البيئات" (2). إنه منهج صالح لكل زمان وكل مكان والأكثر من هذا صالح لكل البشر ، وكل نظرية تستمد منه تتصف بهذه الصفة، وهي الصفة التي تتوفر - حسب رأينا -

¹- إحسان محمد حسن، النظريات الاجتماعية المتقدمة-دراسة تحليلية في النظريات الاجتماعية المعاصرة- الأردن: دار وائل للنشر والتوزيع، ط2، 2005 ، ص12 .

²- أنور الجندي، مفاهيم العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق في ضوء الإسلام، (الرد على فرويد وماركس ودوركايم)، الجزائر: دار الكتب، ط، دت، ص 12 .

في نظرية الدولة عند العلامة "ابن خلدون"، وذلك لأن هذا الأخير في شرحه للأسباب والعلل التي تنشأ بها الدول والأخرى التي تجعلها تنهار، كانت مرجعيته في ذلك القرآن الكريم، وذلك من خلال اعتماده على القصص القرآني واستخلاص منه القوانين والسنن وإسقاط ذلك على الواقع الاجتماعي من خلال تتبع الظاهرة في ماضيها وحاضرها .

لقد جعلتنا دراستنا هذه نكتشف الكثير من الكنوز التي هي لا زالت تحت الأنقاض تحتاج إلى من يقب عنها ويخرجها للعيان للاستفادة منها. ففي مجال التنشئة الاجتماعية لا أرى أن هناك نظرية استطاعت أن تعالج هذا الموضوع من كل جوانبه، وأن تعطي تفسيرات لكل قضاياها ، كما عالجه الدين الإسلامي، بمرجعياته المختلفة: القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وبأقوال وآراء الصحابة والتابعين والمفكرين المسلمين.

لقد عالج الإسلام موضوع التربية من كل جوانبه، النفسية والاجتماعية والبيئية، وتتبع هذه العملية حتى قبل الزواج حيث وضع شروط ومعايير لاختيار الزوج والزوجة، وذلك بهدف تربية الأولاد تربية صالحة، ثم تتبع هذا المولود في كل مراحل حياته، بدءاً من حياته في رحم أمه وانتهاءً بخروجه إلى العالم الدنيوي، ثم وهو رضيع، ثم طفل ثم شاب ثم كهل وأعطى لكل مرحلة من مراحل عمره ما يناسبها من قيم ومعايير وأساليب ، حيث أمر القائمين على تربية النشء التعامل وفق منهج يتماشى ومراحل النمو، ولا أظن أن هناك نظرية تستطيع تلخيص أسلوب التنشئة الاجتماعية وفق مراحل نمو الطفل، كما لخصتها هذه القاعدة ذات المرجعية الإسلامية: " لاعبه سبعا، وأدبه سبعا ، وراقبه سبعا، ثم أترك حبله على الغارب"

إن المنظومة التربوية الإسلامية، منظومة شاملة ومتكاملة ومترابطة بحيث لا يمكن التضحية بأي عنصر من عناصرها، ولا القفز على قواعدها، ولا يمكن الالتزام بجزء والتضحية بالآخر وهي مبنية على الأخذ بالأسباب كأنها كل شيء ثم التوكل على الله كأنها

لا شيء ولا تترك الأمور للصدفة، فهي لكي تنشئ الفرد المسلم الصالح، تأخذ أولاً بأسباب هذا الهدف، ابتداءً باختيار الزوجة الصالحة، والزوج الصالح، وانتهاءً بتوفير الراحة والسكينة في البيت، من خلال جعل القاعدة في العلاقة الزوجية هي العشرة بالمعروف أي المودة والرحمة، وأن الشقاق هو الحالة الاستثنائية لأن كل هذا ينعكس على تربية الأولاد نفسياً وأخلاقياً. وباختصار فإن منهج التربية الإسلامية كما وصفه المفكر الإسلامي "محمد قطب" " هو منهج فريد في كل مناهج الأرض وإن التقى بعضها في التفصيلات والفروع"،⁽¹⁾

وأختم هذا المبحث بالقول أنه إذا أردنا أن نخدم مجتمعاتنا انطلاقاً من تخصصنا الذي هو علم الاجتماع توجب علينا كباحثين التعامل مع هذه النظريات الاجتماعية بفكر ناقد، وأن لا نأخذ منها في هذا المجال، إلا ما نراه يتناسب ومرجعيتنا العربية الإسلامية وخصوصيتنا الثقافية.

2 - النظريات الاجتماعية المفسرة لبعض جوانب الدراسة

تأكيداً لما قلناه أعلاه، فقد نزلنا إلى الميدان ونحن لا ننتهي أي نظرية من النظريات الاجتماعية التي تناولت موضوع بحثنا كله أو بعضه، ولكن عند تحليلنا لمعطيات الدراسة وتفسيرها، وجدنا البعض منها يجد له تفسيرات في بعض هذه النظريات ويمكن إيجازها في ما يلي:

ـ من بين هذه النظريات نذكر بداية نظرية الشخصية لأصحاب مدرسة الثقافة والشخصية حيث أفادتنا هذه الدراسة كما هي ممثلة في أعمال أصحابها (مارغريت ميد روث بنديكت، آبارام كاردينار، رالف لينتون..). في اكتشاف العلاقة بين عملية التنشئة الاجتماعية والثقافة، واعتبار هذه الأخيرة مرجعية من مرجعياتها، ودور أساليب التنشئة

¹ - محمد قطب، منهج التربية الإسلامية (في النظرية) ج 1، القاهرة: دار الشروق، ط 14، 1993، ص 9.

الاجتماعية في تكوين شخصية الأفراد والاختلافات الحاصلة بينهم، كما أكدت ذلك دراسة الباحثة "مارغريت ميد" (1).

-- وقد تجد دراستنا أيضا لها تفسيرات في نظرية التحليل النفسي، لصاحبها عالم النفس النمساوي "سيجموند فرويد" وخاصة في بعض أجزائها، ولاسيما الجزء الخاص الذي افترضنا فيه بأن التنشئة الاجتماعية تتأثر بالتنشئة الأولية للوالدين ولاسيما الأمهات، سواء بالسلب أو الإيجاب، بمعنى قد يتأثرن الأمهات بمرجعية التنشئة الاجتماعية التي مارسها عليهن آباؤهن، ففي بعض الأحيان يتبنين هذه المرجعية شعوريا وعن قناعة وبالتالي ينقلنها لأولادهن طبعاً مع بعض التغيير - حسب الظروف الزمكانية -، وإما يحدث العكس، وخاصة عند أولئك اللواتي غير راضيات على تنشئتهن الأولية وينتقدنها بشدة، وفي بعض الأحيان يحدث العكس بحيث يتبنين أسلوب تنشئتهن لا شعورياً. إنه، وبالرغم من سلبيات هذه النظرية إلا أنها قد تفيدنا في الجانب الخاص بتكوين الشخصية، هذه الأخيرة التي يرى بأنها تنظيم نفسي يشبه البناء، بحيث تتركز طبقاته العليا على طبقاته الدنيا بشكل كبير، وأن المرحلة الأكثر أهمية هي مرحلة الطفولة المبكرة." (2)

- وبما أن عملية التنشئة الاجتماعية، أو كما يسميها البعض "التطبيع الاجتماعي" هي عملية تقوم في الأساس على التعلم، وهو ما ذهب إليه أصحاب نظرية "التعلم الاجتماعي" "باندورا، وولترز"، في "أن اكتساب القيم يتم من خلال ملاحظة الطفل لنماذج اجتماعية ويتم عن طريق التقليد والمحاكاة، عن طريق تقليد الصغار للكبار أي بصورة غير مباشرة، وهو ما يعرف بالتعلم البديلي الذي يتم من خلال التعزيز الذاتي، هذا الأخير الذي يتم هو الآخر عن طريق - تعلم الطفل القائم على الملاحظة - من سلوك الآخرين

¹ - أنظر: دنيس كوش، ترجمة منير السعيداني، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، مرجع سابق، ص 61-69 .
²² - أنظر: عمر أحمد همشري، التنشئة الاجتماعية للطفل، عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، ط2، 2013، ص 62

(النماذج الاجتماعية) ومن النتائج المترتبة على هذا السلوك، وهو ما أسماه (باندورا) بـ"التعزيز بالإجابة"⁽¹⁾.

إن استفادتنا من هذه النظرية كان خصوصا في اكتشاف الدور الذي يلعبه أسلوب التقليد والمحاكاة في اكتساب القيم وتمثلها من طرف الناشئة، وهذه حقيقة أكدتها لنا الدراسة الإمبريقية، حيث اكتشفنا أن عملية التنشئة الاجتماعية في الأسر محل الدراسة تتم في أغلب الأحيان عن طريق المحاكاة والتقليد سواء بالنسبة للأطفال محل الدراسة أو لأمهاتهم اللاتي يقلدن ويحاكين في كثير من الأحيان أسلوب تنشئتهن الأولية بوعي أو بدون وعي.

— هذا ومن بين نظريات التنشئة الاجتماعية الأخرى، نذكر نظرية "الدور الاجتماعي"، (رالف لينتون) ، هذه النظرية التي تنطلق من فكرة مفادها أن الأفراد يتعلمون أدوارهم من خلال مجتمعاتهم، "وذلك لأن السلوك المتوقع للدور يرتبط بالتقاليد والأعراف والقيم والاتجاهات التي يملئها المجتمع على الفرد الذي يشغل مركزا معينا"⁽²⁾.

لقد أثبتت بعض نتائج دراستنا ما قالت به هذه النظرية في الاعتقاد بأن الدور الاجتماعي يكتسب من خلال ثقافة المجتمع، وهو ما لحظناه في الميدان فبالرغم من أن التربية في المرجعية الإسلامية هي مسؤولية الوالدين (الأم، والأب)، إلا في بعض الجوانب التي تنفرد بها الأم كالإرضاع والنظافة وغيرها، أما في ما يخص التربية بمفهومها الواسع من تأديب وترسيخ قيم وتوجيه فهي مسؤولية الاثنين.

إن ما أكدته دراستنا الإمبريقية يخالف تماما المرجعية الإسلامية ويأخذ مرجعيته في هذا الجانب من المجتمع وعاداته وتقاليده، هذه الأخيرة التي تجعل مهمة التربية في غالب الأحيان من مسؤولية النساء ، ولا تحمل الرجل أي مسؤولية في هذا الجانب.

¹ - أنظر: المرجع نفسه، ص 67 .

² - أنظر: عمر أحمد همشري، التنشئة الاجتماعية للطفل، مرجع سابق، ص 73 .

إن ما يمكن قوله في هذا العنصر، أن كل هذه النظريات التي ذكرناها آنفاً، والأخرى التي لم نذكرها (نظرية الصراع، التفاعلية الرمزية، نظرية سياسة عدم التدخل، نظرية التعاهد الاجتماعي المتبادل .. الخ) ، هي نظريات وإن أصابت في بعض جوانبها في تفسير عملية التنشئة الاجتماعية، إلا أنها تبقى عاجزة عن دراسة هذه العملية المعقدة التي تتفاعل فيها العديد من العوامل وتتدخل في ممارستها العديد من الأطراف، ناهيك على أنها عملية تتم في مجتمع ديناميكي، وتمارس على كائن حي ومن طرف كائن حي أيضاً ، يتميز هو الآخر بعدم الاستقرار على حال. ومن هنا يكون عجز هذه النظريات.

خلاصة الفصل

يتكون هذا الفصل من مبحثين، حيث يتناول المبحث الأول الدراسات السابقة ويتناول الثاني النظريات المفسرة للظاهرة. وقد قمنا بتقسيم المبحث الأول إلى ثلاث عناصر رئيسية.

هذا، ومهدنا لهذا الفصل بالحديث عن أهمية الدراسات السابقة في البحث العلمي وذلك لما قد تحتويه هذه الدراسات من معلومات ونتائج تخدم البحث، مبيّنين كذلك عجز أي باحث للاطلاع على كل الدراسات التي أنجزت حول موضوعه، كما أشرنا إلى أن الاهتمام بدراسة التنشئة الاجتماعية بدأ مع "روبرت بارك" في 1939 ، ثم بعد ذلك وضحنا كيف أن موضوع التنشئة الاجتماعية تناولته بعض الدراسات بطريقة غير مباشرة، أي أنه كان مضمّنًا داخلها ، وأن هذا النوع من الدراسات أفادنا أكثر من تلك الدراسات التي تناولت التنشئة الاجتماعية بصفة مباشرة .

هذا وقسمنا الدراسات إلى ثلاثة أقسام: أجنبية، وعربية، وجزائرية، حيث ركزنا في الأولى على دراستين عريقتين ، واحدة في مجال الانثروبولوجيا والأخرى في مجال علم الاجتماع الديني، أما الأولى فتتمثل في الدراسات التي أجريت من قبل بعض علماء الانثروبولوجيا الأمريكيان أصحاب مدرسة "الثقافة والشخصية"، والتي ركز فيها أصحابها على العلاقة بين ثلاث متغيرات وهي: الثقافة والشخصية والتنشئة الاجتماعية توصلوا من خلالها إلى نتيجة مفادها أن اختلاف الثقافات يقابله حتما اختلاف الشخصيات، هذه الأخيرة التي تبنى من خلال عملية التنشئة الاجتماعية ولاسيما في مراحل الطفولة الأولى.

أما الدراسة الثانية ، فهي دراسة لعالم الاجتماع الألماني "ماكس فيبر" حول : "الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية"، وهي دراسة للتنشئة الاجتماعية بطريقة مضمّنة بيّن عن طريقها كيف أن الدين ومن خلال عملية التنشئة الاجتماعية يلعب دورا هاما في

تكوين الأخلاق البروتستانتية التي أسست لظهور النظام الرأسمالي، وتتشرك هذه الدراسة مع دراستنا في كونها تطرقت إلى متغير الدين باعتباره مرجعية من مرجعيات التنشئة الاجتماعية.

أما الدراسات العربية ، فإننا قبل عرض أهم الدراسات وأشهرها ، قمنا بعرض آرائنا حول بعض الدراسات العربية معتقدين في ذلك، أن هناك الكثير من المفكرين العرب درسوا التنشئة الاجتماعية وتطرقوا إليها بطريقة غير مباشرة لكن كانت هي محور اهتمامهم وهي المتغير المتحكم في الظواهر التي تناولوها، ومثال ذلك ما توصل إليه "علي الوردى" في دراسته لشخصية الفرد العراقي، هذه الشخصية التي وصفها بالازدواجية، وأرجع هذه الصفة إلى طبيعة التنشئة الاجتماعية التي تتم في المؤسسات التربوية، ولاسيما الأسرة وجماعة الرفاق والجيران، وما يسود فيها من قيم متناقضة.

هذا ومن بين الدراسات أيضا دراسة "هشام شرابي" حول المجتمع العربي، هذا الأخير الذي عزا هو الآخر بعض خصائص الشخصية العربية مثل: عدم اتفاق العرب على قرارات مصيرية ، وعجزهم وسلبيتهم، وتناقضاتهم الفكرية والقولية، إلى طبيعة التركيبية الاجتماعية للمجتمع العربي وإلى طبيعة السلوك الاجتماعي الناتج عن هذه التركيبية وتوصل إلى نتيجة مفادها أن هذا السلوك هو ثمرة لما تغرسه العائلة من أفكار وقيم في نفوس أفرادها، وهو يرى أن كل القيم و السلوكيات السائدة في المجتمع ومؤسساته إنما تدين بها للعائلة وللقيم التي رسختها لناشئتها.

وبالإضافة إلى هذا، هناك دراسة أخرى كدراسة "حليم بركات"، و دراسة الباحث: "علي زيعور" وهي دراسة أيضا عن المجتمع اللبناني حاول فيها الباحث كشف الطريقة التي تنتج بها الشخصية العربية في الوسط العائلي من خلال أساليب التنشئة الاجتماعية وتوصل هذا الباحث إلى نتيجة مفادها أن الأسرة العربية تعتمد على الالتواء والازدواجية والاتكالية.

ثم تطرقنا بعد ذلك إلى الدراسات الجزائرية، وهي كثيرة جدا في هذا الموضوع يصعب الإطلاع عليها جميعا ولهذا تطرقنا إلى أشهرها ، كدراسة كل من: "روبير ديكلواتر" و "دبزي العيد" بعنوان: "نظام القرابة والبنيات الأسرية في الجزائر ، ودراسة: "نفيسة زردومي"، بعنوان: "تربية الطفل في الوسط الجزائري التقليدي" ودراسة الباحث: "مصطفى بوتفوشت" بعنوان: "الأسرة الجزائرية: التطور والخصائص الجديدة" هذه الدراسة التي حاول فيها الباحث اكتشاف التحولات الكبرى الناتجة عن التغير الاجتماعي وأثرها على الأسرة وعلى بنائها ووظائفها ، كوظيفة التنشئة الاجتماعية ، مثلا، وبطريقة عكسية ، كيف تؤثر بعض الظواهر السائدة في العائلة كالطلاق ، وتعاطي الخمر والمخدرات على المجتمع الكبير وعلى التربية.

هذا ونذكر أيضا الدراسة التي قام بها الباحث: "محمد حمداوي"، بعنوان: "البنيات الأسرية ومتطلباتها الوظيفية في منطقة بني سنوس في النصف الأول من القرن العشرين (قرى العزائل نموذجا) سنة 2005 ، وهي دراسة تشترك مع دراستنا في كونها تناولت مسألة التنشئة الاجتماعية وكيف تتم في هذه المنطقة وخصائص هذه التنشئة التي تظهر فيها الهيمنة الذكورية بقوة.

هذا وعرضنا دراسات أخرى قريبة من موضوع بحثنا ، كدراسة التي قامت بها الباحثة: "حراث فتيحة"، تحت عنوان: "صراع القيم الثقافية في التربية الأسرية"، ودراسة أيضا في علم الاجتماع الديني للباحث: "أحمد تازي" ، بعنوان: "التنشئة الاجتماعية القاعدية والوعي الديني عند المهاجرين الجزائريين بفرنسا" ، وهي دراسة تشترك مع دراستنا في الكثير من المتغيرات ، كالدين، والأسرة ، والتنشئة الاجتماعية.

هذا بالنسبة للمبحث الأول، أما فيما يخص المبحث الثاني الخاص بالنظريات المفسرة

للظاهرة، فإنه قبل الحديث عن هذه النظريات قمنا بتعقيب حول ما هو شائع في القول بالزامية تقييد الباحث بنظرية من النظريات الاجتماعية في بحثه، منتقدين هذا الاتجاه معارضين هذا الادعاء وذلك لعدة أسباب أهمها هو: اختلاف الظواهر الاجتماعية باختلاف المجتمعات التي المتواجدة فيها، ثقافيا، ودينيا واجتماعيا...، هذا كما نوهنا إلى القول بأننا نحن كمجتمعات إسلامية لدينا ما هو أفضل في ديننا الحنيف، هذا الدين الذي غطت أحكامه جميع مجالات الإنسان الدنيوية والأخرية.

ثم بعد ذلك تطرقنا للجزء الثاني من هذا المبحث، تناولنا فيه النظريات المفسرة للظاهرة ابتدأنا فيه الحديث عن القول بأننا لم نتبنى نظرية من النظريات بعينها، ولكن هناك بعض الأفكار في بعض النظريات وجدنا فيها تفسيرات لظاهرتنا هذه.

ومن هنا نظرية الثقافة والشخصية، هذه النظرية التي أثبت أصحابها دور أساليب التنشئة الاجتماعية في عملية الترسخ الثقافي، وهي دراسة وجدنا فيها ما يستطيع تفسير بعض الجوانب من دراستنا. هذا بالإضافة إلى نظرية التحليل النفسي لصاحبها " فرويد " هذه النظرية أفادتنا في فهم العلاقة بين التنشئة الأولية للمبحوثات وبين ممارستهن لعملية التنشئة الاجتماعية كأمهات، كذلك وجدنا بعض التفسيرات في نظرية التعلم الاجتماعي هذه الأخيرة أفادتنا هي الأخرى في فهم أحد الأساليب المعتمدة في عملية التنشئة الاجتماعية وهو أسلوب المحاكاة والتقليد وكيف يتعلم الطفل منه نماذج السلوك وقواعده. بالإضافة إلى نظرية الدور والمركز التي أفادتنا في تفسير ظاهرة تحمل الأمهات لوحدهن مسؤولية التربية وربطها بثقافة وعادات المجتمع التي هي وراء هذه العقيدة الاجتماعية.

هذا وختمنا هذا الفصل بالقول بأن هذه النظريات وإن قدمت بعض التفسيرات لظاهرة التنشئة الاجتماعية إلا أنها تبقى عاجزة على فهمها فهما شاملا.

الفصل الثالث: الأسرة في الفكر الغربي

تمهيد

أولاً: مفهوم الأسرة وأنماطها

ثانياً: الاتجاهات النظرية لدراسة الأسرة

ثالثاً: الزواج وبدائله في الفكر الغربي

رابعاً: الأسرة الغربية والتنشئة الدينية

- خلاصة الفصل

تمهيد

إن الغاية من خلق الإنسان هي استخلاف الله في الأرض، وتحقيق هذا الهدف يتوجب وجود كيان اجتماعي ينخرط فيه هذا المخلوق لكي يستطيع تحقيق استخلافه العمراني، وأولى هذه الكيانات هي الأسرة⁽¹⁾، هذا الكيان الاجتماعي الذي عرفته مختلف المجتمعات الإنسانية، وعبر مختلف الأزمنة والعصور، حيث أوكلت له مهام عدّة أهمها مهمة الحفاظ على النوع الإنساني، ومنه ضمان النسب ومشروعيته من جهة، والحفاظ على التراث الثقافي من جهة أخرى، نظرا لما يخول لهذه المؤسسة من مهام تربوية⁽²⁾

إن هذه الأهمية التي تكتسبها الأسرة داخل المجتمعات، جعلت منها محل تفكير وبحث في التراث الفلسفي والديني منذ القدم، منذ عصر الفراعنة والإغريق، غير أن هذه الدراسات لم تكن تخرج عن التخمين والتتظير حتى ظهور العلوم الاجتماعية في القرن 19 حيث كانت في البداية موضوع اهتمام الأنثروبولوجين، وعلماء الآثار وكان اهتمامهم ينصب حول دراسة الأسرة في المجتمعات القديمة والبدائية، ثم بعد ذلك اكتسبت مكانة مهمة في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، خاصة مع كل من "لويس مورغان"، و"هربرت سبنسر" وغيرهم، ممن ركزوا اهتمامهم على دراسة الأسرة ودراسة مراحل تطورها.

إن هذا الاهتمام المتزايد بموضوع الأسرة، ولاسيما في حقل علم الاجتماع نتج عنه نشوء فرع خاص بهذه المؤسسة الاجتماعية، وهو ما يعرف باسم: علم الاجتماع الأسري وذلك في منتصف القرن 19، مع المفكرين الاجتماعيين "فريدريك لوبلاي"، و"ريتشل"، هذا

¹ -أنظر: جميلة تلوت، الأسرة في التصور القرآني، الدار البيضاء،(المغرب): مركز الدراسات الأسرية والبحث في القيم والقانون، 2015، ط 1، ص 5.

² - أنظر: سماح خالد زهران، الأسرة المصرية- قراءات في سيكولوجية التكوين والاستمرار-، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 1، 2016، ص 7.

الأخير الذي يرى بأن القاعدة الأساسية للأسرة هي العادات والتقاليد، معتبرا أن الأسرة هي القناة الأساسية التي تربط بين المجتمع والدولة⁽¹⁾.

أولا : مفهوم الأسرة وأنماطها

إن تغير المجتمعات الإنسانية وتطورها صاحبه تغير في وظائف الأسرة وفي مهامها. وقد نتج عن هذا أن عرفت هذه المؤسسة مصطلحات عدة، حيث نُدت لها العديد من المفاهيم ولاسيما من طرف علماء الاجتماع، بحيث يتماشى كل مفهوم مع الوظائف والمهام والأدوار التي تقوم بها هذه المؤسسات الاجتماعية.

فالأسرة في المجتمعات التقليدية والبسيطة كانت تقوم بأدوار ووظائف عدة ، أقلها أنها كانت تشبع معظم حاجات أفرادها الاجتماعية والثقافية والدينية والصحية وحتى العسكرية وهي انطلاقا من هذه الوظائف ، كانت تتعت **بالمؤسسة الاجتماعية**، ومع تطور المجتمعات وتعقدتها استدعى هذا ظهور مؤسسات اجتماعية أخرى، كالمعبد، والمدرسة والمستشفى، والمصنع والجيش المنظم والحكومة المركزية والمدرسة سلبت منها العديد من هذه الوظائف، حيث لم يبق لها سوى الوظيفة البيولوجية من خلال تزويدها المجتمع بالأفراد ووظيفة تنشئتهم وتأنيسهم ،وتلقينهم الأدوار الاجتماعية، ولاسيما في مرحلة الطفولة. أما باقي الوظائف فتكفلت بها باقي الأنساق الاجتماعية الأخرى ، وقد أدى تقلص وظائفها ومهامها إلى تقلص مصطلحها ومفهومها من **مؤسسة اجتماعية**، تقوم بمعظم وظائف ومهام المجتمع إلى **خلية اجتماعية** أو **وحدة اجتماعية** تقوم بجزء يسير من هذه الوظائف⁽²⁾.

¹ - أنظر: عبد الرحيم عنبي، الأسرة القروية بالمغرب من الوحدة الإنتاجية إلى الإستهلاك، المغرب: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، أكادير، دط، 2014 ، ص 46،48،49 .

² - أنظر: معن خليل معن، علم الاجتماع الأسرة، الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1 ، 2000 . ص 10-11

1 - مفهوم الأسرة في الفكر الغربي

وانطلاقاً من هذه الظروف التي أثرت في وظائف الأسرة وفي بنيتها وحجمها، وضع الباحثون والمفكرون تعاريفهم الخاصة بالأسرة، وقد جاءت هذه التعاريف مختلفة باختلاف مشاربهم الفكرية، وانتماءاتهم المدرسية، واختلاف مجالاتهم العلمية. فلما كان علماء الاجتماع ينظرون إلى الأسرة باعتبارها نظاماً اجتماعياً، "كان البعض يركز على الجوانب البيولوجية باعتبارها أداة للحفاظ على النوع الإنساني، كما يظهر ذلك في تعريف هيربرت سبنسر الذي ينظر للأسرة على أنها وحدة بيولوجية واجتماعية.

ولما كان علماء القانون يهتمون بوضعها ومكانها في التشريعات المختلفة كان علماء النفس والتربية يُنوهون بدورها التربوي ولاسيما في ما يخص تنشئة الأطفال وما تساهم به من استقرار عاطفي واجتماعي واقتصادي (1).

والأسرة حسب **أوغست كونت** هي الوسط الطبيعي الاجتماعي الذي يتعرع فيه الفرد، وذلك باعتبارها الخلية الأولى في جسم المجتمع، وأنها النقطة الأولى التي بدأ منها التطور (2) هذا ويعرفها "لندبرج" بأنها النظام الإنساني الأول، ومن أهم وظائفها إنجاب الأطفال والمحافظة على النوع الإنساني. (3)

أما "ميردوك" **Murdock**، فهو ينظر إلى الأسرة على أنها جماعة اجتماعية تتميز بمكان إقامة مشترك، وتعاون اقتصادي، ووظيفة تكاثرية، ويوجد بين اثنين من أعضائها على الأقل علاقة جنسية يعترف بها المجتمع، وتتكون الأسرة على الأقل من ذكر وأنثى بالغين وطفل (سواء كان من نسلهما أو عن طريق التبني) (4).

1 - أنظر: هدى محمود الناشف، الأسرة وتربية الطفل، الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط3، 2013، ص 13.

2 - بهاء الدين خليل تركية، علم الاجتماع العائلي، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط1، 2015، ص 80.

3 - المرجع نفسه، ص 81. وانظر أيضاً: André Michel, Sociologie de la famille et du mariage, Paris, PUF, 1972.

4 - إبراهيم ناصر، التربية الأخلاقية، الأردن: دار وائل للنشر والتوزيع، ط1، 2006، ص 263-264.

لقد لقيت التعريفات الوظيفية للأسرة انتقادات من طرف بعض المفكرين، مثل ما ذهب إليه **يانيجا ساكو yanigasako** ، فحسب رأيه أنه لا توجد هناك وظائف أو وظيفة واحدة للأسرة متفق عليها عالميا، أي أنه ليس كل الأسر على مستوى العالم تقوم بنفس الوظيفة أو تشترك في العديد منها، ولذا اتجه الكثير من المفكرين ولاسيما الأنتروبولوجيين إلى وضع تعريفات بنائية للأسرة بدل من التعريفات الوظيفية ، ويظهر هذا في تعريف جود إنف Good nough ، "الأسرة النووية العالمية بأنها تلك الجماعة التي تتكون من امرأة وأطفالها الذين تقوم على تربيتهم وعندما تضم تلك الجماعة الأسرية فضلا عن ذلك الأب (زوج المرأة) ، يطلق عليها هذا المفكر اسم "الأسرة الزوجية الأولية" . هذا في حالة ما إذا كانت تضم هذه الأسرة إلى جانب ذلك أقارب دمويين للمرأة من غير أطفالها، فيطلق عليها اسم " الأسرة القرابية"⁽¹⁾

ومن المفكرين الذين عرّفوا الأسرة انطلاقا من بنيتها وتركيبها نجد تعريف **محمد عاطف غيث** الذي يرى بأنها جماعة اجتماعية بيولوجية نظامية تتكون من رجل وامرأة وأبنائهما (بينهما رابطة زواجية مقررة)⁽²⁾

ويندرج تعريف **أوجبرن** أيضا، في هذا الاتجاه ، حيث عرفها بأنها عبارة عن رابطة اجتماعية مكونة من زوج وزوجة وأطفالهما أو من زوج بمفرده مع أطفاله، أو زوجة بمفردها مع أطفالها⁽³⁾.

يتبين لنا من التعريفات المذكورة أعلاه، "أن الأسرة عبارة عن وحدة اجتماعية أولى تهدف إلى المحافظة على النوع الإنساني، وتقوم على المقتضيات التي يرتضيها العقل الجمعي والقواعد التي تقرها المجتمعات المختلفة. وتختلف النظم العائلية في جميع مظاهرها

¹ -أنظر: عصام منصور، يحي نبهان، علم الاجتماع المعاصر، عمان: دار وائل للنشر والتوزيع، ط1 ، 2014 ، ص 137

² - هدى محمود الناشف، الأسرة وتربية الطفل، مرجع سابق ، ص 13.

³ - المرجع نفسه، ص 13.

باختلاف الجماعات، كما تختلف ضيقا واتساعا باختلاف الجماعات المنتمية إليها، فأحيانا تتسع حتى تشمل جميع أفراد العشيرة، وأحيانا تشمل الزوج والزوجة وأولادهما الصغار فقط وأحيانا تتضمن الأقارب والأبناء المتزوجين⁽¹⁾

2 - أنماط الأسرة في الفكر الغربي

تنقسم الأسرة من حيث بنيتها وتركيبها إلى قسمين: أسرة ممتدة، وأسرة نووية، و ينفرد كل نوع بخصائص تميزه عن الآخر ، فالأسرة الممتدة تعتبر من الأنماط الشائعة في المجتمعات البدائية، وما يميز هذا النوع من الأسر تكون السلطة فيها لرئيس الأسرة أو الجد الأكبر، كما أنها تتميز بتضامن جماعتها وتتميز أيضا بالملكية العامة، وهي جماعة من الأسر المترابطة يضمهم مسكن واحد، سواء عاد النسب فيها إلى الرجل أو إلى المرأة ويكون انتمائهم لجد واحد⁽²⁾

أما الأسرة النواة فما يميزها عن الأسرة الممتدة، هو صغر حجمها، حيث تتكون من الزوج والزوجة وأبناؤهما غير المتزوجين، هذا وإذا كانت الأسرة الممتدة تتميز بتضامنها وسيادة الروح الجماعية بين أعضائها، فإن الأسرة النووية على النقيض من ذلك. فالفردانية هي السمة الغالبة على علاقتها الأسرية، فأفرادها يتمتعون بنوع من التحرر والاستقلالية مقارنة بمثيلاتها الممتدة. وينتشر هذا النوع من الأسر بصفة أكبر حسب علماء الاجتماع الحضري في المجتمعات الحضرية معتبرين أن التصنيع سبب وعامل في انهيار روابط الأسرة الممتدة⁽³⁾

ويبقى القول بأنه لا يمكن بأي حال من الأحوال تعميم هذه الخصائص التي وصفت بها الأسرة النووية على كل الأسر، ولاسيما في مجتمعنا، فأغلبية الأسر الجزائرية مازال يسود

¹ - إبراهيم ناصر، التربية الأخلاقية ، مرجع سابق، ص 264 .

² - أنظر : بهاء الدين خليل تركية، علم الاجتماع العائلي، مرجع سابق، ص 81-82 .

³ - أنظر : عصام منصور، يحي نبهان، علم الاجتماع المعاصر، مرجع سابق ، ص 137، 140.

فيها التضامن والتكافل الاجتماعيين، كما أن هذا النوع من الأسر لم يصبح يقتصر على المجتمع الحضري فقط، كما ذهب إلى ذلك علماء الاجتماع، بل حتى المجتمع الريفي والقروي انتشر فيه هذا النوع من الأسر، كما أن الأسر الممتدة لا تتواجد فقط في المجتمعات الغير متحضرة ، ففي مجتمعنا مازالت هناك الكثير من الأسر الممتدة تقطن المدن والأكثر من هذا تسكن في العمارات الضيقة والبيوت القصديرية ، وهذا أدى إلى ظهور الكثير من المشاكل والآفات الاجتماعية.

ثانيا: الاتجاهات النظرية لدراسة الأسرة

يتميز الواقع المدروس في كثير من الأحيان بالتشتت والغموض وبعض اللبس، وهنا يأتي دور المقاربة النظرية حيث تساعد الباحث على تنظيم هذا الواقع وترتيبه، وذلك لرفع اللبس عنه، وتوضيح ما هو غامض فيه، ويكون ذلك من خلال إسقاط مجموعة من المفاهيم المجردة عليه، هذه المفاهيم تساعد في تناسق الواقع المدروس وفي تنظيمه⁽¹⁾

وإذا كان علماء الحياة يقفون في تحليلهم عند حد "الخلية" ، فإن علماء الاجتماع يقفون عند حد "الأسرة" باعتبارها الوحدة الاجتماعية الأولى في التنظيم الاجتماعي انطلاقا من غريزة المجتمع الفطرية التي يعرف بها النوع الإنساني، هذه الغريزة التي تجعل من الأفراد سرعان ما يؤلفون جماعات محددة ومتنوعة تعكس ميلهم الفطري إلى رغبتهم في العيش في كنف الجماعة. وبهذا تكون الأسرة هي المجال الأول للتعاون ولكافة العمليات الاجتماعية الأخرى⁽²⁾.

وانطلاقا من هذا أصبح موضوع الأسرة يسترعي اهتمام الكثير من العلماء والباحثين، ليس فقط في مجال علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، ولكن في مختلف تخصصات

¹ - أنظر: عبد الرحيم عني، الأسرة القروية بالمغرب من الوحدة الإنتاجية إلى الاستهلاك، مرجع سابق، ص 49.

² - أنظر: محمد أبو حسان، المرأة والأسرة بين الإسلام والنظم الغربية، الأردن(عمان) : جمعية العفاف الخيرية، ط2 ، 1993 ، ص30،29.

العلوم الاجتماعية والإنسانية. وقد أدى هذا إلى تنوع مواضيعها وتشعبها وتعقدها في نفس الوقت.

فالأسرة لم تعد تدرس فقط من ناحية أنماطها وبنياتها ووظائفها بل أصبحت تدرس أيضا من زوايا مختلفة مثل تقسيم العمل ، وأنساق الملكية والقوة وصناعة القرار وغيرها.

إن كل هذا التغير الذي طرأ على الأسرة كموضوع قابل للدراسة والتحليل، جعل من الصعوبة بمكان تحديد مداخل نظرية لدراستها بحيث يكون كل اتجاه منفصل عن غيره من الاتجاهات الأخرى، فكل المداخل التي تناولت هذا الموضوع هي متداخلة في ما بينها ولا توجد حدود فاصلة واضحة المعالم بينها، وللتمييز بين هذه المداخل سوف نعتمد التصنيف الذي اعتمده الباحث أحمد زايد في كتاب "الأسرة والطفولة"، تحت إشراف الباحثة "علياء شكري"، وهو تصنيف يقسم هذه المداخل إلى مداخل نظرية كلاسيكية وأخرى معاصرة، ونحن سوف لن نستطرد في الحديث عن هذه التيارات وإنما سوف نعرج عليها فقط مع التركيز على أهم ما جاءت به هذه النظريات. ذلك أن هذا الموضوع لا يعتبر مسألة جوهرية بالنسبة لبحثنا.

1 - التيارات النظرية الكلاسيكية⁽¹⁾

أ - الاتجاه التطوري

لقد ذهب أصحاب هذا الاتجاه إلى القول بأن الأسرة وفي مختلف مراحلها التاريخية تطورت في اتجاه خطي واحد، وذلك سواء من حيث وظائفها وأشكالها أو حتى طريقة تطورها. فهي نفسها في كل المجتمعات بغض النظر عن السياق الاجتماعي الذي نشأت فيه، ويتفق أصحاب هذا الاتجاه حول القول بأن ما يميز نظام الأسرة هو التقدم حيث يتطور من الأشكال البدائية إلى الأشكال الحديثة ثم الأكثر تعقيدا.

¹ -أنظر: أحمد زايد، المداخل النظرية لدراسة الأسرة، في علياء شكري وآخرون، الأسرة والطفولة ، دراسات اجتماعية وأنتربولوجية، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ط1 ، دت ، ص 5-14

إن المرجعية التي استند عليها أصحاب هذه النظرية هي قراءة نصوص العهد القديم، وكتابة المؤرخين اليونانيين والرومان وتقارير الرحالة والمبشرين، مما جعلها عرضة للنقد من قبل الكثير من المفكرين كونها لم تستند على معطيات امبريقية إذا ما استثنينا البعض منهم أمثال "لويس مورجان" ، الذي توصل إلى نتيجة مفادها أن أول أشكال الأسرة هو النمط الأمومي الذي يقوم على الزواج الجماعي والذي تطور بدوره إلى نظام تعدد الزوجات ثم الزواج الأحادي، وهي نتائج لدراسة قام بها "مورجان" في قبائل الأوراكو. هذا ويؤكد "باخوفين" (1815-1887) على أن نمط الأسرة بدأ بالنظام الأمومي ثم تطور إلى أن وصل إلى النمط الأبوي في ما بعد. وقد تبني "فريدريك انجلز" هو الآخر هذه الأفكار في دراسته الشهيرة حول أصل الأسرة والملكية الخاصة والدولة.

ب - الاتجاه الأمبريقي

يعتبر هذا التيار نقطة تحول لطريقة تناول موضوع الأسرة، من الطابع النظري التخميني الذي عرفت به جلّ أعمال أصحاب التيار التطوري إلى الطابع المنهجي الذي يعتمد على الملاحظة والواقع كمادة للتظير، بل الأكثر من هذا فإن هذا التغيير مسّ حتى موضوعها فبعد أن كان موضوع الأسرة لا يخرج عن أنماطها وأشكالها وأصلها ومراحل تطورها، فإنه مع هذا التيار تجاوز موضوعها إلى أبعد من هذا حيث أصبح يمس مختلف الجوانب التي قد تؤثر على هذا النظام الاجتماعي، كالمحيط الاجتماعي، وقضايا الفقر والتشرد والبلغاء وعمالة الأطفال وغيرها.

إن من رموز هذا التيار، نجد الباحث الفرنسي فريدريك لوبلاي (1806-1882) الذي قام بدراسة لمجموعة من العمال الأوربيين ، والتي كانت فيها الأسرة وحدة أساسية في دراسته هذه ، وبشكل مبكر نحت هذه الدراسة منحى أمبريقي كونها اعتمدت على الملاحظة والمقابلات وتسجيل التواريخ والبيانات الإحصائية.

إن الفرضية التي انطلق منها "لوبلاي" في دراسته هذه هي : أن سمات أي مجتمع تتحدد بنمط الأسرة السائد فيه، وأيضا من خلال درجة استقرار أو تماسك الأسرة. وبهذا يكون هذا المفكر فتح نافذة جديدة لفهم المجتمع وتفسير بعض ظواهره الاجتماعية وهي نافذة الأسرة.

وبالرغم من أن "لوبلاي" تطرق إلى الجانب النظري من حيث أنماط الأسرة إلا أنه تطرق إليه بطريقة تختلف عن طريقة التطوريين فهو ميّز بين ثلاثة أنماط لأسر العمال بحيث يتميز كل نمط بظروف خاصة وهي : الأسرة الأبوية الممتدة، والأسرة غير المستقرة وأسرة النسب. وقد فسّر الاختلاف بين هذه الأنماط باختلاف طبيعة النظم المحيطة. وبهذا يكون "لوبلاي" قد أسس اتجاها جديدا في دراسة الأسرة سواء من الناحية المنهجية أو من الناحية النظرية، فمن الناحية المنهجية استطاع أن يجعل من المادة الواقعية هي الأساس الموضوعي بدلا من التخمين والظنية التي كانتا هما مصدر المعرفة، ومن الناحية النظرية وضع لأول مرة ترميز للأسر لا يخضع لمخطط تطوري بقدر ما يفهم من خلال السياق البنائي المحيط.

ج - الاتجاه الحضاري - الثقافي

يتمثل هذا التيار في إسهامات كل من "كارل زمرمان C.Zimmerman" و"وليام أوبرن W.Ogburn". وتدور افتراضات هذا التيار حول الأبنية الحضارية وأنماط الأسرة، بمعنى أن كل بناء حضاري يفرز نمطا معيناً من الأسر، وهو افتراض يقترب إلى حد من افتراضات "لوبلاي".

وحسب "زمرمان" فإن أنماط الأسر تتحد ضمن مجموعة من المعايير في مقدمتها قوة الأسرة، وكمية الضبط التي تمارسه، بالإضافة إلى عمق مجال فعلها. فحسب هذا

المفكر فان الأسرة ترتبط من حيث قوتها، وطبيعة العلاقات بين أفرادها بسياق حضاري معين.

لقد كان تركيز "زمرمان" على بناء الأسرة وطريقة تحوله، أما "أوجبرن"، ففقد اهتمامه بوظائف الأسرة وطرق تحولها. ويرى هذا المفكر أن الأسرة كنظام اجتماعي عرضة للتغيرات والتجديدات التي تطرأ على عناصر الثقافة، وعلى هذا توجب على هذا النظام أن يكيف من نفسه لكي يستطيع مواجهة هذه التغيرات.

وحسب رأيه، فإن الأسرة كانت في الماضي تقوم بعدة وظائف حددها في سبع وظائف وهي: الوظيفة الاقتصادية، والوظيفة التربوية والتعليمية، والدينية، ووظيفة الحماية ووظيفة تلقين التعاليم الدينية، ووظيفة الترويح، والوظيفة العاطفية، بالإضافة إلى وظيفة تحقيق الهيبة والمكانة. وحسب "أوجبرن" فإن معظم هذه الوظائف اختفت منها من اختفى بصفة كلية مثل الوظيفة الاقتصادية والوظيفة التعليمية، ومنها من اختفى بشكل جزئي مثل وظيفة الحماية والوظيفة الدينية. ويفسر هذا المفكر التغير الذي طرأ على الأسرة وعلى وظائفها بالتغيرات التكنولوجية، وما نتج عنها من ارتفاع في نسبة التعليم والمشاركة السياسية.

د - اتجاه أصحاب مدرسة شيكاغو

لقد أصبحت الدراسات الأسرية مع مدرسة "شيكاغو" بأمريكا أكثر واقعية، وذلك لأنها وجهت لأغراض إصلاحية وتخطيطية، ففي النصف الأول من القرن العشرين أنجزت داخل هذه المدرسة الكثير من البحوث الاجتماعية الأمبريقية عن الأسرة. ويعتبر الكتاب المشهور بعنوان: "الأسرة من النظام إلى الصداقة" لصاحبه "ايرنست برجس" أحد أعمدة مدرسة شيكاغو والذي نشره بالاشتراك مع "هارفي" عام 1940، خير دليل عن هذه القضايا النظرية.

إن أفكار هذا الكتاب تأسست عليه نظريتين أساسيتين في علم الاجتماع، وهما نظرية النسق، ونظرية التفاعل، وذلك من خلال التعريف الذي وضعه صاحبه للأسرة باعتبارها "وحدة تتكون من أشخاص متفاعلين"، فالأسرة حسب هذا التعريف عبارة عن نسق متكامل الأدوار، والتفاعل هو المعبر عن هذا التكامل، كما أنه معبر عن كل أنواع الصراع والتوتر داخل هذا النسق.

هذا وحسب هذا المؤلف فإن الأسرة تخضع لكل ما يحيط بها، بمعنى كل تغير يمس البناءات العامة يؤثر على نمطها وحتى على طبيعة التفاعل داخلها. والأكثر من هذا على وظيفتها، فقد ذهب "برجس" وزميله إلى القول بأن التغيرات التي عرفها المحيط الاجتماعي أدت إلى تحلل الأسرة كمؤسسة تؤدي العديد من الوظائف، حيث لم يبق لها سوى وظيفة تحقيق السعادة والتكامل الشخصي للأفراد، وبهذا تحولت، حسب رأيهما، من مؤسسة إلى رابطة صداقة.

وانطلاقاً مما تقدم يمكن القول أن أغلبية المداخل النظرية المعاصرة التي تناولت موضوع الأسرة هي امتداد لأفكار وجهود مدرسة "شيكاغو"، وهو ما سوف نكتشفه في العنصر الموالي مباشرة.

2 – الاتجاهات النظرية المعاصرة لدراسة الأسرة

لقد كان مجال اهتمام التطورية يتمحور حول مسألة أصل الأسرة، وذلك محاولة من باحثيها للبحث عن أصول الحضارة الأوربية، في حين جعلت التيارات النظرية المعاصرة هذا الموضوع هامشياً، وفتحت آفاق أخرى لموضوعات جديدة، كدراسة مشكلات الأسرة المعاصرة والتغيرات التي طرأت عليها نتيجة التغير الاجتماعي وأشكاله.

وبالرغم من أن هذه الاتجاهات كانت لبناتها الأولى من النظريات الكلاسيكية، ولاسيما تيارات ما بعد التطورية، إلا أنها استطاعت أن تبلور فكرتين جديدتين في هذا الموضوع،

حيث تتطلق الفكرة الأولى من فرضية مفادها: أن الأسرة كنسق تتفاعل مع المحيط المتواجدة فيه، ولهذا فهي تتغير بتغيره ، والفكرة الثانية تنظر إلى الأسرة على أنها وحدة تضم عناصر مختلفة تتفاعل في ما بينها من أجل تحقيق أهدافها، بما يحويه هذا التفاعل من إمكانية الصراع والتعارض وبما يحويه من عناصر عقلانية ولا عقلانية⁽¹⁾

إننا في بحثنا هذا سوف لا نستطرد في الحديث حول أي مدخل من هذه المداخل ولكن سوف نسلط الضوء فقط على العناصر والأفكار التي لها علاقة مباشرة بموضوع بحثنا، كما أننا سوف لن نتطرق إلى كل النظريات والمداخل المعاصرة التي تناولت موضوع الأسرة، وذلك تقاديا وتجنبنا للوقوع في فخ الحشو وتجميع المعلومات الخام ، ولهذا سوف نتطرق إلى المداخل الأكثر شهرة في مجال العلوم الاجتماعية، ومن هذه المداخل نذكر ما يلي:

أ - الاتجاه النسقي

لقي هذا المدخل اهتماما كبيرا في أوساط الباحثين والمفكرين في مجال العلوم الاجتماعية، وبالتحديد في موضوع الأسرة، وقد تأسس تصورهم للأسرة على أنها مؤسسة اجتماعية متكاملة الأدوار، كما أنها تتفاعل مع المحيط العام⁽²⁾. إن أفكار هذا المدخل ومبادئه مستمدة بالأساس من أعمال "تالكوت بارسونز"، هذه الأعمال التي كانت هي الأخرى تطورا للرؤية النسقية الكلية، التي تبلورت في أعمال رواد علم الاجتماع وعلى رأسهم عالم الاجتماع الفرنسي "إميل دوركايم" والآخر الألماني: "ماكس فيبر"⁽³⁾.

إن الأسرة وفقا لهذا المدخل، هي عبارة عن نسق ينتمي إلى محيط أوسع منه ويدخل في تكوينه العديد من الوحدات، تتفاعل في ما بينها. ولما كان لهذا نسق حسب هذه

¹ - أنظر: أحمد زايد، المداخل النظرية لدراسة الأسرة، في عطاء شكري وآخرون، الأسرة مرجع سابق، ص 19 ، 20

² - أنظر: عبد الرحيم عني، الأسرة القروية بالمغرب من الوحدة الإنتاجية إلى الاستهلاك، مرجع سابق، ص56.

³ - أنظر: أحمد زايد، المداخل النظرية لدراسة الأسرة، في عطاء شكري وآخرون، الأسرة والطفولة مرجع سابق، ص 20.21

الرؤية حدود فاصلة بين مكوناته الداخلية ومحيطه الخارجي، فان من أهم وظائفه هو الحفاظ على نمط وهوية وحدود هذا النسق، هذا بالإضافة إلى وظائف أخرى منها ما يتعلق بالمجتمع ومنها ما يتعلق بالأسرة في حد ذاتها، حيث أنها على مستوى أعضائها تقوم بوظيفة تنشئتهم وحمايتهم وتزويدهم بالعاطفة والدفء. وبهذا تكون أدت وظيفة للمجتمع بتزويده أفراد لهم قيم عامة تساعد على حفظ التوازن والالتزام الاجتماعيين⁽¹⁾.

ب - الاتجاه البنيوي - الوظيفي

يستقي هذا المدخل أفكاره النظرية من الوظيفية الانتروبولوجية وخصوصا من أعمال كل من "ماليونوفيسكي"، و "زادكليف براون"، ومن دراسات "تالكوت بارسونز" في ميدان الأنساق الاجتماعية، ويقوم هذا الاتجاه على محاولة تفسير وتحليل كل جزء في المجتمع، مع إبراز وتبيين الطريقة التي يترابط بها مع الأجزاء الأخرى بعضها مع بعض.

والأسرة حسب هذا التصور، ولاسيما حسب "تالكوت بارسونز"، ينظر إليها على أنها عبارة عن نظام يحتوي على نظم فرعية، هذه الأخيرة لا يتسنى لنا فهمها إلا إذا رجعنا إلى النظام الشامل. وبهذا فإن هذا الاتجاه تدور فكرته حول تكامل الأجزاء، بحيث أن كل جزء من أجزاء النسق يقوم بوظيفة مثل جسم الإنسان حيث يقوم كل عضو فيه بوظيفة.

وحسب "بارسونز"، فإن الأسرة هي الوحيدة التي تستطيع القيام بوظيفة التنشئة الاجتماعية، ويغرس القيم والمعتقدات لدى الصغار. وهو يرى أيضا أن استقرار الأسرة يتوقف على كلا الزوجين (الأم والأب)، فهو من مهامهما الأساسية⁽²⁾.

¹ - أنظر: عبد الرحيم عني، الأسرة القروية بالمغرب من الوحدة الإنتاجية إلى الاستهلاك، مرجع سابق، ص 56، 57، 58.

² - أنظر: بهاء الدين خليل تركية، علم الاجتماع العائلي، مرجع سابق، ص 150.

يرى هذا الاتجاه، أن الأسرة فقدت الكثير من وظائفها ولاسيما مع ظهور التصنيع ومن أهم هذه الوظائف، الوظيفة الاقتصادية حيث لم تبقى تعرف كوحدة للإنتاج الاقتصادي، وبقيت وظيفتها الرئيسية تتمحور حول إنجاب الأولاد وتنشئتهم ورعايتهم.

ويرى أصحاب هذا الاتجاه أيضا، أن الأسرة لها دور خطير وخرج في استقرار شخصية أبنائها البالغين وبالتحديد في المجتمعات الصناعية، ويرجع هذا إلى ظهور الأسرة النووية التي كانت نتيجة حتمية لهذا التصنيع، والتي نتج عنها تقطع أواصر العلاقات القرابية الأوسع، حيث أن النموذج الاعتيادي المتعارف عليه للعائلة يقوم أحد الوالدين البالغين بالعمل خارج المنزل بينما يتولى الآخر شؤون البيت والأطفال.⁽¹⁾

ج - اتجاه التبادل

في مطلع الستينات من هذا القرن نشأت هذه النظرية في علم الاجتماع من أفكار بعض السلوكيين، ولاسيما من أعمال كل من جورج "هامنز" Hommans و "بيتر بلاو" Blau ، ورغم اختلاف هذين المفكرين حول بعض الآراء، إلا أنهما يتفقان على أن التفاعل سواء كان تفاعلا ضيقا كالتفاعل الذي يتم بين الأفراد أو واسعا كالذي يتم على مستوى المؤسسات يقوم دائما على مبدأ تبادل شيء لشيء آخر.

ومن هذا المنطلق ، وحسب هذا الاتجاه فإن الحياة الاجتماعية عبارة عن مجموعة من الاختيارات التي تقوم في الأساس على مبدأ التكلفة والعائد، وعلى هذا الأساس يصبح التفاعل بين الأفراد يقوم على نوع من التبادل، هذا الأخير الذي قد يكون واضحا صريحا وقد يكون ضمنيا، كما هو الحال في علاقات الصداقة حيث يكون أقل صراحة مقارنة بالعلاقات المادية والتجارية. ويتم هذا التبادل حسب منظري هذا الاتجاه وفق المعايير والقيم

¹ - أنتوني غدنز، ترجمة فايز الصياغ، علم الاجتماع، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ط4 ، 2005، ص 258 ، 259 .

المقبولة اجتماعيا ، بحيث ينتج عليه ما أسماه "ليفى ستروس" التبادلية ذات المعنى الواحد، وتعني أن الفرد يحاول إرجاع ما أخذه من الآخرين إليهم⁽¹⁾.

أما في مجال الأسرة ، فإن هذا التبادل يتم بين مجموعة من الفاعلين الذين يعيشون حياة مشتركة بحيث يحاولون تحقيق أكبر قدر من الفائدة مع تجنب الخسارة ، إلا أن التبادل في العلاقات الأسرية يختلف في كثير من الأحيان عن التبادل في علاقات أخرى، فالتبادل هنا يكون ذا سمة معنوية أكثر منها مادية في نظرهم.

إن دراسة الأسرة وفق هذا المنظور تتم من خلال التركيز على التبادل الذي يتم بين أفرادها ولاسيما بين الزوجين وبين الآباء والأبناء. حيث ينحو التبادل بين الزوجين منحى التبادل بين الأصدقاء، إلا أنه يختلف عن التبادل المادي، كونه لا يخضع لمنطق المساومة لهذا فان التبادل بين الزوجين يكون عبارة عن إشباع في حد ذاته، كالحصول على قدر مشترك من السعادة والطمأنينة في الزواج.

أما في ما يخص التبادل بين الآباء والأبناء فان أصحاب هذا الاتجاه يرون أنه لا يتم بطريقة متكافئة كون أن ما يحصل عليه الأبناء من آباءهم أكثر مما يحصل عليه الآباء من أبنائهم، ويكون التبادل هنا يخضع لقيم المجتمع أكثر من خضوعه لمنطق المساومة.⁽²⁾

د - الاتجاه التفاعلي - الرمزي

تبلورت هذه النظرية في أمريكا، وذلك نتيجة لازدياد توافد المهاجرين إليها وما نجم عنه من مشكلات اجتماعية، كانتشار الجريمة والجنوح والطلاق وغيرها، ويحدث التفاعل حسب هذه النظرية بين ما يحمله هؤلاء المهاجرون من أفكار وبين البيئة الجديدة التي يعيشون فيها.

¹ - أنظر: أحمد زايد، المداخل النظرية لدراسة الأسرة، في علماء شكري وآخرون، الأسرة والطفولة مرجع سابق، ص 25،26،27 .

² - أنظر: عبد الرحيم عني، الأسرة القروية بالمغرب من الوحدة الإنتاجية إلى الاستهلاك، مرجع سابق، ص 60 .

فحسب جورج هيربرت ميد، فإن كل مجتمع ما هو إلا نتيجة لتفاعل العقل والنفس البشرية، وأن الوعي بالذات هو الآخر، إنما هو دليل على قدرة الإنسان على التواصل عن طريق الأصوات والإشارات الرمزية⁽¹⁾.

وانطلاقاً من هذا، يمكن القول أن التفاعل داخل الأسرة في أي مجتمع من المجتمعات، ما هو إلا انعكاس للبيئة الرمزية والثقافية والتي يستوعبها الأفراد في ذاتهم وذلك من خلال عملية التنشئة الاجتماعية، هذه العملية التي تلعب فيها الأسرة دوراً محورياً من خلال نقل البيئة الرمزية لأفرادها.

وحسب هذا الاتجاه، فإن التفاعل قد يكون متبايناً داخل الأسرة، ولاسيما بين الأزواج من جهة، وبين الآباء والأبناء من جهة أخرى، فالزوجان اللذان لا ينتميان إلى نفس البيئة الرمزية والثقافية قد يكون التفاعل بينهما بطيئاً، وقد يؤدي في بعض الأحيان إلى الصراع والتوتر.

إن تعدد المرجعيات والعقليات التي ينهل منها أفراد الأسرة عالمهم الرمزي قد يجعل من التفاعل محدوداً بينهم، فبالرغم من أن الآباء هم المسئولون عن تنشئة أبنائهم، إلا أنه ونتيجة للظروف الاجتماعية التي يعيشها كلا الطرفين الآباء والأبناء جعل هذا يؤثر على التفاعل بينهما، وذلك بسبب أن الأطفال أصبحوا يتفاعلون مع حقول إعلامية ومعرفية أخرى جعلتهم يستغنون في كثير من الحالات عن أسرهم⁽²⁾.

هـ - اتجاه النمو والارتقاء

يجمع هذا الاتجاه بين مجالين من مجالات العلوم الاجتماعية، حيث يأخذ بمفاهيم علم الاجتماع من جهة مثل: مفهوم الدور، والمستلزمات الوظيفية... وغيرها، ومن جهة أخرى يأخذ من مفاهيم علم النفس مثل: الارتقاء، النمو... وغيرها.

¹ - أنظر: بهاء الدين خليل تركية، علم الاجتماع العائلي، مرجع سابق، ص 158 .

² - أنظر: عبد الرحيم عنبي، الأسرة القروية بالمغرب من الوحدة الإنتاجية إلى الاستهلاك، مرجع سابق، ص 62-63.

وتعرف الأسرة وفق هذا الاتجاه ، على أنها نظام دينامي تتغير فيه التفاعلات داخل الأسرة بتغير مراحل نمو الأفراد داخلها هذا من ناحية ومن ناحية أخرى بالتغير في دورة حياة الأسرة. وحسب هذا الاتجاه، فإن الأسرة تعتبر المكان الذي يتعلم فيه الأفراد أدوارهم الاجتماعية، وذلك من خلال عملية **التنشئة الاجتماعية**، كما أنها مسئولة أيضا، ومن خلال هذه العملية على ارتقاء وتنمية شخصية أفرادها، وان هناك علاقة وطيدة حسب ما أثبتته بعض الدراسات بين تدعيم الأسرة وبين ارتفاع تأكيد الذات، والقدرة على الانجاز الدراسي والإبداع والتفوق المدرسي، وأن نجاح الأفراد وقدرتهم على انجاز المهام الارتقائية التي تواجههم يتوقف على نجاح عملية **التنشئة الاجتماعية** التي تمارسها الأسرة على أفرادها⁽¹⁾.

و – اتجاه الصراع الاجتماعي

في كتابه "أصل العائلة" ، يرى إنجلز: " أن الزواج يمثل نموذجا راقيا للعداوات التي ظهرت في التاريخ، حيث إن نمو وازدهار مجموعة معينة يتم على حساب مأساة واضطهاد مجموعة أخرى... إن العلاقة بين الزوج والزوجة هي مثال نموذجي لما يحصل لاحقا بين الطبقة الرأسمالية والطبقة العمالية"⁽²⁾

يفهم من قول "إنجلز"، أن ظاهرة اضطهاد الطبقة الرأسمالية للطبقة العمالية يرجع بجذوره الأولى إلى الأسرة، حيث تعتبر المؤسسة الاضطهادية الأولى التي يختبرها الفرد في حياته الاجتماعية، وهي تمثل سيطرة الرجل على المرأة في النظام العائلي.

إن نظرية الصراع الاجتماعي، هي نظرية تنطلق من واقع المجتمعات الأوربية والمجتمع الأمريكي الشمالي، ولاسيما في عصر الثورة الصناعية وظهور النظرية الرأسمالية

¹ - أنظر: أحمد زايد، المداخل النظرية لدراسة الأسرة، في عياد شكري وآخرون، الأسرة والطفولة مرجع سابق، ص 25، 26، 27 .

² - أنظر: بهاء الدين خليل تركية، علم الاجتماع العائلي، مرجع سابق ص 156 .

حيث وصلت حالة العنف بين الزوج والزوجة إلى درجة أصبحت فيها الأسرة من أكثر المؤسسات الاجتماعية التي يمارس فيها العنف والإجرام.

إن هذا الوضع الأسري في هذه المجتمعات قد رسخ في أذهان الكثير من المحدثين فكرة الصراع الاجتماعي التي بلورها "فريديريك انجلز" في فرضية مؤداها أن الاضطهاد الأسري يؤدي إلى الاضطهاد الاجتماعي⁽¹⁾

وقد برز هذا الاتجاه بشكل قوي في علم الاجتماع في الولايات المتحدة الأمريكية نتيجة تفاقم مشكلات وأحداث اجتماعية أدت إلى ظهور الحركات النسوية، التي تدافع عن حقوقها من خلال المطالبة بتغيير ميزان القوى داخل الأسرة الأمريكية⁽²⁾

ثالثاً: الزواج وبدائله في الفكر الغربي⁽³⁾

1 - مفهوم الزواج

"يُعرف الزواج على أنه اتحاد جنسي جرى التعارف والاتفاق عليه وإقراره اجتماعياً بين رجل وامرأة بالغين، ومن هنا تنشأ صلة القرابة بين الزوجين. وحتى زمن ليس بالبعيد كان ما الزواج الشائع في المجتمعات الغربية هو الزواج الأحادي، حيث يعتبر النمط السائد والمُعترف به قانوناً وشرعاً، هذا النمط الذي يحظر ويمنع منعاً باتاً على أحد الشريكين المتزوجين أن يتخذ زوجاً آخر، غير أن الدراسة التي أنجزها "ميردوك" Murdock عام 1949، وهي دراسة أجراها على مجتمعات في مناطق مختلفة من آسيا وأستراليا وأمريكا الجنوبية، هذه الدراسة غيرت الاعتقاد الذي كان سائداً وأثبتت عكس ما كان متعارفاً عليه في ما يخص ظاهرة الزواج وأنماطها، حيث أكدت أن أكثر من ثمانين بالمائة من المجتمعات محل الدراسة تسمح بتعدد الزوجات المتزامنة إما للأزواج أو للزوجات، فقوانينها

¹ - أنظر: نفس المرجع، ص 156-157

² - أنظر: معن خليل معن، علم الاجتماع الأسرة، مرجع سابق، ص 44.

³ - أنظر: أنتوني غدنز، ترجمة فايز الصباغ، علم الاجتماع، مرجع سابق، ص 254-255

وأعرافها الاجتماعية لا تعارض بأن يتخذ الرجل أكثر من زوجة في وقت واحد، وما هو مباح للرجل لا يحرم على المرأة كذلك.

لقد كان الزواج في المجتمعات الغربية يعتبر من الموائيق الغليظة، وعليه كانت الأسرة تعتبر من المؤسسات الاجتماعية الأساسية التي لا يمكن التضحية بها مهما كانت الظروف والأوضاع، إلا في حالات استثنائية ومبررة، ولما كانت الأسرة بهذه الحال، وكان الزواج بهذه الأهمية والقيمة الكبرى، كان هادم الأسر والذي هو الطلاق شبه محظور فالكثير من الجماعات الغربية كانت لا تؤمن بالطلاق إلا في حالات الشقاق التي تستحيل فيها العشرة الزوجية.

غير أن ما كان محظورا وشاذا بالأمس أصبح قاعدة وأكثر شيوعا اليوم، لقد أصبحت ظاهرة الطلاق تعرف تزايدا مطردا في المجتمعات الغربية، ويرجع هذا حسب بعض العلماء الاجتماعيين إلى عوامل عدة يعزى الكثير منها إلى عوامل التغيير الاجتماعي على جميع المستويات الاقتصادية منها والثقافية، هذا التغيير الذي صاحبه تغيرات كبرى على مستوى الواقع الاجتماعي. فالزواج لم يعد يمثل شراكة اقتصادية كما كان يمثلها في الماضي بسبب استقلال المرأة اقتصاديا، كذلك ثقافة المجتمع تغيرت ولم يصبح ينظر إلى المرأة المطلقة نظرة سلبية كما كانت في السابق.

هذا فإن كان بعض العلماء فسر ظاهرة انتشار الطلاق بعوامل في الغالب خارجية فإن المدرسة النسوية لها رأي آخر. فهي تفسر هذه الظاهرة بعوامل داخلية تتعلق بطبيعة العلاقة بين الأزواج داخل الأسر، وبانتشار ما أسموه القمع البطيريركي، هذا السلوك الذي أثر - حسب رأيهم - على التوزيع الغير عادل لمواقع القوة والسلطة داخل الأسرة، والذي تعتبر المرأة ضحيته في غالب الأحيان.

2 - بدائل الزواج في الغرب

لقد كان لانهييار مكانة الأسرة وتراجع قيمة الزواج في المجتمعات الغربية، نذير انتشار الكثير من الظواهر الاجتماعية التي عصفت بهذه المجتمعات وأنت على الأخضر واليابس. وكان من نتائجها الوخيمة انحلالها وتفسخها أخلاقيا واجتماعيا. هذا الواقع الاجتماعي الذي أصبح يبيح ويروج لما كان محرما وممنوعا في الماضي " ففي العقود الأخيرة القليلة الماضية انتشرت ظاهرة المعاشرة والتي يعيش فيها رجل وامرأة بالغان سويا ولمدة طويلة نسبيا، تحت سقف واحد حياة زوجية بكل المقاييس دون الارتباط رسميا برابطة الزواج، وبالرغم من أن هذه العلاقة تعتبر علاقة غير رسمية، إلا أن القانون أعطى لها نوعا من الشرعية في جوانب عديدة مثل حقوق التملك والإرث في العديد من المجتمعات الغربية".

"إن انتشار هذه الظاهرة الاجتماعية يعتبر سلوكا غير محبذ في مجتمعات مثل: إيرلندا وإيطاليا وبلجيكا، فحسب آخر المسوح الاجتماعية التي أجريت في دول الاتحاد الأوروبي أن هؤلاء يرفضون هذه الظاهرة ويعتبرونها أمرا سيئا، وفي المقابل فإن هذه الظاهرة لقيت تقبلا واستحسانا في كل من لوكسمبورج وألمانيا".

إن تدهور الواقع الأخلاقي والاجتماعي في الغرب نتيجة انحلال مؤسسة الأسرة لم يتوقف عند هذا الحد وعند هذا النمط من الزواج، بل الأمر ازداد سوءا. فإذا كانت ظاهرة المعاشرة خارج إطار الزوج خرجت عن ما هو شرعي وقانوني وعرفي، فإن ظاهرة الزواج المثلي خرجت عن ما هو طبيعي. وإذا كان السلوك الأول يهدد باختفاء الأسرة وزوالها فإن السلوك الثاني يهدد بانقطاع وانقراض النسل.

لقد لا حظنا في الآونة الأخيرة وعبر مختلف وسائل الإعلام العربية منها والأجنبية خروج مئات الشباب والشابات لمطالبة حكاهم للاعتراف بهذا النوع من الزواج، هذا النوع

الذي يبيح بإجراء علاقات جنسية مثلية ، وهو ما يعرف باللواط عند الرجال والسحاق عند النساء. وبالرغم من أن " الغالبية العظمى من المجتمعات غير الغربية تتخذ موقف الرفض والإدانة من هذه الممارسات ، فإن عددا قليلا جدا من البلدان الغربية قد أسبغت على المعاشرة المثلية الجنسية طابع القبول بل أدخلتها في عداد العلاقات الزوجية الرسمية في كثير من النواحي⁽¹⁾ .

إن ما يمكن قوله في هذا الصدد ، أن ممارسات كهذه هي مؤشرة بانتهاء المجتمعات الغربية ، ومؤذنة بالخراب على حد تعبير "ابن خلدون" ، لأن كل الظروف والشروط متوفرة لحدوثها ، وهي التفتن في المآكل والمشارب و المناكح، كما حددها هذا العلامة الكبير .

رابعا: الأسرة الغربية والتنشئة الدينية

1 - الدين في الفكر الغربي

إن المتطلع على كتب التاريخ والآثار، يلاحظ أن الإنسان لم يكن بلا دين يعتنقه في فترات مختلفة من حياته، فساكن الكهوف، كان ينقش صورا على جدرانها تعبيرا عن أفكاره ومفاهيمه الدينية⁽²⁾. هذه الأفكار والتصورات التي يرجعها "إدوارد تايلور". في حديثه عن نشأة الدين وتطوره عند الإنسان البدائي إلى فكرة وجود الأرواح والكائنات الروحانية.⁽³⁾

لقد ذهب الكثير من العلماء والمفكرين إلى القول بأن الدين فطرة إنسانية تتصف بها جميع الإنسانية، بل هناك من جعلها صفة ملازمة له تميزه عن الحيوان ، مثلما ذهب إلى ذلك "هيجل" ، الذي يرى أن الحيوان يفتقر للدين ، كافتقاره للقانون والأخلاق. وأن الإنسان هو الوحيد الذي يمكن أن يكون له دين، وأن التدين جزء أساسي في تكوين الإنسان مثله مثل العقل، وبهذا يكون الدين حسب هذا المفكر هو السمة الفارقة بين الإنسان والحيوان ، مخالفا

¹ -أنظر: أنتوني غننز، ترجمة فايز الصياغ، علم الاجتماع، مرجع سابق، ص 265،266 .

² -أنظر: آزاد علي إسماعيل، الدين الصحة النفسية، المعهد العالي للفكر الإسلامي، ط1 ، 2014 ، ص 11

³ -أنظر: صلاح الدين شروخ، علم الاجتماع الديني العام، عناية-الجزائر - دار العلوم للنشر والتوزيع، دط، دت ، ص 24 .وانظر أيضا :

Henri Bergson, Les deux sources de la morale et de la religion, Paris, Puf, 76 ème ed. 1954.

في ذلك ما ذهب إليه "أرسطو" ، في قوله بأن الكلام هو الصفة الفاصلة بين الإنسان والحيوان من خلال قوله " أن الإنسان حيوان ناطق "(1).

إن هذه الاختلافات في النظرة إلى الدين وفي علاقته بالإنسان سوف نكتشفها أكثر في تحديد هذا المفهوم لغويا واصطلاحيا. – ولأن هذا الفصل يتناول الأسرة في الفكر الغربي فإننا سوف نحدد مفهوم هذا المصطلح لغويا انطلاقا من لغتهم التي تعود بجذورها إلى اللغة اللاتينية، ونترك مفهوم الدين في اللغة العربية إلى الفصل اللاحق الذي يتحدث عن الأسرة في الفكر الإسلامي. – ثم نبين بعد ذلك مفهومه الاصطلاحي عند بعض المفكرين الغربيين الذين تناولوا هذا الموضوع.

أ – مفهوم الدين لغة

جاء في قاموس اللغة الفرنسي "Hachette" ، أن كلمة "religion" الفرنسية تعني "مجموعة العقائد والمذاهب والممارسات الثقافية التي تشكل علاقات الإنسان بالألوهية أو المقدس: كالديانة المسيحية، الديانة الإسلامية....."(2).

ب – مفهوم الدين في الاصطلاح

يمكن تصنيف التعريفات الاصطلاحية "لدين" ، بين نفسية واجتماعية وفلسفية ودينية، وتندرج ضمن التعريفات النفسية والاجتماعية ، تعريفات بنيوية وأخرى وظيفية وأخرى إجرائية ، وانطلاقا من طبيعة تخصصنا سوف نبدأ بعرض التعريفات التي وضعها علماء الاجتماع لهذا المفهوم مع توضيح ما اتفق عليه، وما اختلف فيه.

– الدين في نظر علماء الاجتماع

لقد اختلف مفكرو الغرب، ولاسيما علماء الاجتماع في تحديد مفهوم الدين ، وذلك باختلاف اعتقاداتهم ومشاربهم ومدارسهم الفكرية ، وبذلك وضعوا تصورات مقتضبة للدين

² – Dictionnaire Hachette, Paris,2008,p :1375

ويمكن التمييز بين ثلاث أنواع من التعريفات منها: تعاريف بنوية ، وأخرى وظيفية وثالثة إجرائية. وسوف نقوم في ما يلي بعرض مفهوم أو مفهومين على كل نوع من هذه الأنواع.

1 - التعريفات النبوية

ينطلق هذا الاتجاه في تحديده لمفهوم "الدين" ، من التركيز على بنيته وتركيبه، أي مكوناته ومحتوياته، وتطلق الدكتورة "سامية مصطفى الخشاب" على هذا النوع من التعريفات "بالتعريفات الجوهرية"، وترى أنها تعريفات تركز على الاعتقاد المحدد ، مثل الاعتقاد في الكائنات فوق الطبيعة (1) .

ومن بين التعريفات التي يمكن إدراجها تحت هذا النوع، التعريف الذي وضعه المفكر **Macher Schleir** شلايرماخر (2)، في كتابه "مقالات عن الديانة" " أن الدين هو الشعور بالحاجة والتبعية المطلقة. وعرفه الأب "chatel شاتل"، في كتابه "قانون الإنسانية" : بأنه مجموع واجبات المخلوق نحو الخالق ، ونحو الآخرين ، ونحو نفسه(3).

2 - التعريفات الوظيفية

تكاد تكون جل تعريفات علم الاجتماع الديني تنصب حول الوظيفة الاجتماعية التي يؤديها الدين داخل المجتمع(4). ويظهر هذا أكثر في أعمال عالم الاجتماع الفرنسي إميل دوركايم، هذا المفكر الذي رفض تعريف الدين على أنه الاعتقاد في الآلهة أو الأرواح وعلته في ذلك، أنه يتعذر تطبيقه على كل الديانات التي عرفتها البشرية(5). ولهذا كان مفهوم الدين الذي تضمنه كتابه "الصور الأولية للحياة الدينية بأنه:" نسق من المعتقدات

¹ -أنظر:بارنر جيفري ، المعتقدات الدينية لدى الشعوب ، ترجمة عبد الفتاح إمام ، مراجعة : عبد الغفار مكاي ، الكويت :عالم المعرفة ، عدد 173 ، ماي 1993 ص 7.

² - حسن علي مصطفى ، نشأة الدين بين التصور الإنساني والتصور الإسلامي، قسنطينة (الجزائر): مؤسسة إسرائ للنشر والتوزيع، ط1 ، 1991 ، ص 21-22

³ - نفس المرجع ، ص 21-22

⁴ - أنظر: آزاد علي اسماعيل، الدين الصحة النفسية، مرجع سابق ص 17

⁵-أنظر : عبد اللطيف الهرماسي، في الموروث الديني الإسلامي، لبنان: دار التنوير للطباعة والنشر، ط1 ، 2012 ، ص 25

والممارسات المتعلقة بأشياء مقدسة، أي مفصولة ومحترمة، كما عزّف المقدس بتعارضه مع الدنيوي والعادي⁽¹⁾.

"وقد ذهب كل من "مالينوفيسكي"، و"رادكليف براون"، إلى القول بأن الدين له دور أساسي في ضبط سلوك الأفراد، وأنه يعمل في المجتمعات البسيطة على تحقيق وحفظ التماسك الاجتماعي².

ويعرف "كليفورد غيرتز" الدين على "أنه نسق من الرموز وظيفته إعطاء معنى للوجود وإدراج التجارب والأحداث ضمن نظام معين للعالم. ومن جهة أخرى يرى كل من "تالكوت بارسونز، بيتر برجر"، "بأن الدين عبارة عن نسق من المعتقدات والممارسات يجيب عن التساؤلات ذات الصلة بالغايات أو الدلالات، كمعنى الوجود والألم والموت". ويرى "جيمس فريزر" في الدين أنه استرضاء واستعطاف القوى المتفوقة على الإنسان، لتسيير وضبط مجرى الطبيعة والحياة البشرية³.

مما سبق يمكن القول بأن مثل هذه التعريفات، هي تعبيراً عن مختلف أنواع التركيبات الفكرية و الأديولوجية وهي لا تعبر بأي حال من الأحوال عن الدين بمختلف أشكاله التاريخية⁽⁴⁾

– المفهوم الفلسفي للدين

يتعدد التعريف الفلسفي للدين بتعدد الفلاسفة، إذ لا يوجد اتفاق بين الفلاسفة على ماهية الدين، حيث ينظر كل فيلسوف إليه من وجهة نظر خاصة، وهذه هي طبيعة الفلسفة⁽⁵⁾، ومن أهم التعريفات التي قدمها الفلاسفة للدين نذكر ما يلي:

¹ - نفس المرجع ، ص 25

² -أنظر: زيدان عبد الباقي، علم الاجتماع الديني، القاهرة: دار غريب للطباعة ، دط، 1981 ،ص 32

³ - صلاح الدين شروخ، علم الاجتماع الديني العام، مرجع سابق ، ص 24

⁴ -المرجع نفسه ، ص 26 .

⁵ - محمد عثمان الخشت، مدخل إلى فلسفة الدين، القاهرة: دار قباء للطباعة و النشر والتوزيع، دط، 2001 ، ص18.

يعرف "كانط" ، الدين على أنه "معرفة للواجبات كلها باعتبارها أوامر إلهية(1)". ومن خلال هذا التعريف نفهم أن "كانط" ينسب الدين إلى الله وليس إلى البشر مخالفاً في ذلك نظريات الكثير من المفكرين الذين يعتقدون أن الدين من صنع البشر، وعلى رأس هؤلاء "إميل دوركايم" ، "هذا الأخير الذي ينظر إلى الدين على أنه نتاج العقل الجمعي، بل هو نتاج المجتمع، ووظيفته الاجتماعية هي الحفاظ على علائق الأفراد وتعزيز أواصر التضامن الجمعي(2)".

أما "هيجل"، فيرى أن الدين هو ارتفاع الروح من المتناهي إلى اللامتناهي، بمعنى أن مفهوم الدين عند "هيجل" ، يتحدد باختصار، على أنه بحث المتناهي على اللامتناهي ، يعني بحث الإنسان عن المطلق(3).

– مفهوم الدين في نظر علماء النفس

يعترف جلّ علماء النفس الديني ، بأنهم عاجزون على وضع تعريف للدين تعريفاً جامعاً مانعاً، وهم يقتدون في ذلك بكبيرهم من الباحثين القدماء في هذا المجال وهو: "جورج كور"، الذي تجنب عن قصد إعطاء تعريف رسمي للدين ، والسبب في ذلك – حسب رأيه – هو أن هذه التعريفات تحمل القليل من المعلومات مقارنة بالحقائق.

ومن الذين تبناوا هذا الموقف نجد المفكر "دريسر"، الذي يرى "أن الدين لا يمكن تعريفه ، ولكن يمكن إعطاء بعض العلامات المميزة له" ، ويقتدي كل من "هود" ورفاقه بنصيحة "دريسر"، ويعزفون هم الآخرون عن وضع تعريف للدين، مبررين رأيهم هذا بقولهم أنه توجد هناك الكثير من التعريفات في الأدبيات لهذا المصطلح ، لكن تبقى كلها مبهمة

1 – أنظر: نفس المرجع ، ص 18

2 – أنظر: عبد الجبار الرفاعي، إنقاذ النزعة الإنسانية في الدين، بغداد: مركز دراسات فلسفة الدين، ط2 ، 2013 ص 20.

3 – أنظر: نفس المرجع ، ص 18

ومجردة ، مما يقلل فائدتها ، سواء تعلق الأمر بتوضيح مفهوم الدين أو القيام ببحوث ميدانية حوله.(1)

إن هذه الآراء وإن كانت صادرة عن أكبر الباحثين في علم النفس الديني، إلا أنها لا تعبر بالضرورة عن آراء كل المختصين في هذا المجال، فتحديد المفاهيم أمر حتمي لا يمكن تجاوزه في أي بحث علمي خصوصا في مجال العلوم النفسية والاجتماعية، وهو ما عبّر عنه الباحث الدكتور "آزاد علي اسماعيل" ، في كتابه "الدين والصحة النفسية"، والذي عرض فيه نموذجين للتعريفات في علم النفس الديني ، وهي التعريفات الوظيفية والتعريفات والنبوية، بحيث يمثل الاتجاه الأول كل من : "باتسون"، و"شوندريد" و"فينتس" Batson, Schoendrade, Ventis، فهم يعرفون الدين على أنه "كل ما نفعله بوصفنا أفرادا من أجل التعامل الشخصي مع الأسئلة التي تواجهنا، وبسبب كوننا واعيين بأننا وغيرنا أحياء وأننا سنموت(2).

أما التعريفات النبوية ، فيمثلها تعريف "يوجين كيلي" Kelly ، فهو يعرف الدين على أنه منظومة متكاملة من المعتقدات، ونمط للحياة ونشاطات طقوسية، ومؤسسات يستطيع الأفراد من خلالها إسباغ المعنى على حياتهم أو إيجاد معنى لها، وذلك بواسطة توجيههم نحو ما يمكن أن يعدّ مقدسا أو ذا قيمة عليا.(3)

ج - التعريفات الإجرائية

يختلف التعريف العام للمفهوم عن التعريف الإجرائي، فالأول هو تصور ذهني مجرد عن ظاهرة ما ، في حين أن الثاني - أي التعريف الإجرائي - هو إجراء عملي يقوم فيه الباحث بإعطاء صفات ملموسة للمفهوم المجرد يمكن ملاحظتها(4) .

1 - أنظر: أزاد علي إسماعيل، الدين والصحة النفسية، مرجع سابق ص 18 .

2 - أنظر: نفس المرجع ، ص 19 .

3 - أنظر: نفس المرجع ، ص 19

4 - سعيد سبعون ، الدليل المنهجي في إعداد المذكرات والرسائل الجامعية في علم الاجتماع، الجزائر، دار القصة للنشر، دط، 2012 ، ص

ومن التعريفات الإجرائية للدين نأخذ على سبيل المثال تعريف "هارلان هاركروفر Hargrover" ، الذي يقول "أن الدين ظاهرة إنسانية تعمل على توحيد النظم الثقافية، والاجتماعية ، والشخصية في كل ذي معنى ، وتتكون عناصره من : جماعة من المؤمنين ، يشتركون في الاعتقاد في أسطورة تفسر تجريدات القيم الثقافية في سياق تاريخي واقعي، وذلك من خلال سلوك طقسي يسمح بالمشاركة الشخصية، هذا الطقس يضم شيئاً غير مألوف في الواقع اليومي، أي شيئاً مقدساً(1).

وحسب رأينا، فإنه لا يمكن الاعتماد على هذه التعريفات الإجرائية للدين، ويجب التعامل معها بحذر ذلك لأنها في كثير من الأحيان تكون مضللة، فممارسة الناس لطقوسهم الدينية في كثير من الأحيان لا تعكس حقيقة أديانهم فتجدها خليطاً من الدين والسحر والأساطير والعادات والتقاليد وغيرها، وهو ما نجده في سلوك المسلمين، هذا السلوك الذي أعطى فرصة لكل حاقد على هذا الدين بانتقاده وتجريمه.

2 – الأسرة ودورها في التنشئة الدينية في الفكر الغربي

يكاد يجمع معظم الباحثين في مجال العلوم الاجتماعية على القول بأن الأسرة هي أهم مؤسسة اجتماعية في ما يخص القيام بوظيفة التنشئة الاجتماعية، وذلك مقارنة بمؤسسات التنشئة الاجتماعية الأخرى، وتكمن أهميتها في دورها الكبير في ما يخص بناء شخصية الطفل ولاسيما في مراحل عمره الأولى، هذه المرحلة التي يكون فيها الطفل أكثر التصاقاً بأسرته وبالخصوص بأمه . ويشير "بلوم" في هذا الصدد بأن الطفل يكتسب نسبة 33% من معلوماته ومهارته في السادسة من عمره ، ويحقق نسبة 75 % في الثالثة عشرة.

هذا ويربط " فرويد " ، جميع المخاوف والأمراض النفسية بالخبرات النفسية القاسية

التي يتلقاها الطفل في أسرته(2).

¹ - أنظر: آزاد علي اسماعيل، الدين الصحة النفسية، مرجع سابق ص 17 .

² - أنظر : بهاء الدين خليل تركية، علم الاجتماع العائلي، مرجع سابق، ص 101، 102 .

وإذا كانت الأسرة هي المسئولة عن تكوين شخصية الفرد في جميع مستوياتها النفسية والانفعالية والجسدية وغيرها، فهي المسئولة أيضا على إكساب الطفل المعتقدات الدينية وإليها يرجع اعتناق الأفراد لديانة دون غيرها، وهو ما أقره صاحب كتاب **الانتخاب الثقافي** "أنجر فوج" حينما تساءل قائلا: "هل نحن عبيد الثقافة؟"

ويجيب على هذا السؤال قائلا: "إن البشر مهيتون تماما لتلقي المعارف ولديهم قدرة واضحة على استدخال عقيدة دينية أو إيديولوجيا دون وعي بالاختيارات التي يجرونها أو بالنتائج المترتبة عليها بعد ذلك. إنك إذا سألت شخصا متدينا عميق الإيمان بدينه لماذا يؤمن بالعقيدة الدينية (أ) دون العقيدة (ب) يقول لأن أبويه علماه أو لقناه تلك العقيدة وليس من المحتمل أبدا أن تأتيك إجابة تقول إن (أ) هي الدين الأفضل تكيفا مع الظروف المحيطة التي يعيش فيها. ومن ثم فإن انتخاب العقيدة الدينية نادرا ما ينبني على تقييم واع بالنتائج المترتبة على هذا الانتخاب بالنسبة للفرد أو المجتمع ككل"⁽¹⁾، هذا الاعتقاد يطابق تماما ما قاله النبي محمد عليه الصلاة والسلام، وذلك قبل أربعة عشر ألف قرن، في الحديث القائل: "ما من مولود إلا ويولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"

هذا، ويرى "أوغست كونت" من جهته - مروجاً لدينه الجديد - بأن من أهم الوظائف التربوية التي تقوم بها الأسرة هي الوظيفة الدينية، من خلال تربية الأولاد على النزعة الدينية وخرسها في نفوسهم، هذه الوظيفة - حسبه -، هي التي تشرف وتوجه ما أسماه "بالعبادة الأسرية"، وهو يرى أن تحقيق هذه الوظيفة مرهون باتجاه الأسرة إلى الكمال الأخلاقي، وأن الأم هي من يقوم بهذه الوظيفة لأنها الرباط الحي الذي يربط الفرد بالمجتمع وهي مركز العواطف ولذلك فهي الأمانة على تلقين الطفل مبادئ الدين الوضعي الجديد⁽²⁾.

¹ - أنجر فوج، ترجمة شوقي جلال، الانتخاب الثقافي، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2005 ص 310 .

² -أنظر: بهاء الدين خليل تركيبة، علم الاجتماع العائلي، مرجع سابق، ص 60 ؛ وانظر أيضا: Joseph Chelhod, Les structures du sacré chez les arabes, Paris, Maisonneuve et Larose, 1964.

إن دور الأم في عملية التنشئة الاجتماعية في الفكر الغربي، لم يشد به "أوغست كونت" فقط، بل هناك العديد من المربين الذين أشادوا بدورها وأهميتها في التنشئة الاجتماعية ولاسيما في الجانب العاطفي، فهذا المربي، واللغوي القسيس التشيكوسلوفاكي "أمينوس كومينوس (1592-1670)"، في تقسيمه للمراحل العمرية للطفل يرى أن أفضل مرب للطفل في المرحلة الأولى والتي تمتد من الميلاد إلى السادسة، هو "ركبة الأم".⁽¹⁾

هذا ويذهب "جون جاك روسو" في هذا الصدد إلى قوله: "إن التربية الأولى هي أخطر مراحل التربية شأنًا. وهذه التربية الأولى موكولة إلى النساء بغير منازع. فلو أن فاطر الفطرة شاءها موكولة للرجال لآتاهم لبنا يرضعون منه البنين. فالأجدر في مؤلفات التربية أن توجه الخطاب إلى النساء، فهن أقرب مساسا بها من الرجال"⁽²⁾.

من خلال ما تقدم نفهم أن معظم المفكرين والعلماء في مجال العلوم الاجتماعية يكاد يتفق جميعهم على دور الأسرة في تلقين القيم الدينية للناشئة، وبالتحديد على أهمية الأم في تحقيق هذا الهدف، ولكن واقع الأغلبية الساحقة من الأسر الغربية اليوم هو ليس كذلك فالدين أصبح حبر على ورق على مستوى أفكارهم ناهيك عن سلوكهم. لقد مهد لهذه الظاهرة، الصراع الذي كان قائما بين رجال الكنيسة وفلاسفة التنوير والذي نتج عنه علمنة الحياة سياسيا وفكريا وحتى اجتماعيا.

وإن أردنا الذهاب إلى أبعد من ذلك والبحث في العلل البعيدة، يمكن القول أن هذا الوضع بدأ يوم تجرأ هؤلاء على تحريف الدين المسيحي الحقيقي وتفصيله على مقاس القلة القليلة من رجال الدين والكهنة، فبعد أن كان منهجا ربانيا لكل البشر صيرر صنعا بشريا

¹ - سعد إبراهيم طابيل الديهي، موقف الإسلام من تنشئة الطفل، بيروت: دار الجيل، ص 416 .

² - جون جاك روسو، ترجمة نظمي لوقا، إميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد، القاهرة: الشركة العربية للطباعة والنشر، دط، دت، ص 25 ؛ وانظر أيضا: Pierre Bourdieu, Genèse et structures du champ religieux, *Revue française de sociologie*, n° 122, 1972.

لتحقيق أهداف ومصالح ضيقة، ترتب عنها العديد من المظالم والتي نتج عنها بعد زمن طويل تدمير الكثير من الناس وعلى رأسهم المثقفين والعلماء، فكانت ردة فعلهم قوية ومتطرفة بحجم الظلم والتطرف الذي مورس عليهم، فكانت النتيجة أن كان عداؤهم للدين أكثر تطرفاً. ولكن وإن كان هذا العداوة هو نتيجة لهذه الأسباب، إلا أن هناك أسباباً أخرى لا يمكننا التطرق إليها كلها في موضع كهذا، حتى وإن كانت الفكرة الدينية لا تزال موجودة في المجتمعات الغربية كما ذهب إلى ذلك المفكر "عبد الجبار الرفاعي"، في كتابه: "إنقاذ النزعة الإنسانية في الدين"، قائلاً: "صحيح أن الدين لا يتجلى بوضوح في الحياة الاجتماعية الغربية أو المدنية، ولا ينعكس على الإدارة والعلاقات والشأن العام بشكل مباشر لكنه ما زال قاراً في لا وعيهم وفي وعيهم.⁽¹⁾

لقد استدل صاحب هذا الكتاب على قوله هذا بالعديد من القرائن التي لاحظها شخصياً في المجتمعات الغربية، "والتي تؤكد حسب رأيه أن الدين مازال حاضراً في هذه المجتمعات ومرتسباً في البنية العميقة للمجتمع، لكن طبيعة حضوره تختلف عنها في مجتمعات أخرى. لقد لفت انتباه هذا المفكر عند سفره إلى مدينة أثينا أن معظم الناس الذي شاهدتهم في وسائل النقل العام كانوا يضعون الصلبان، وتظهر على ملابسهم رموز دينية سواء كانوا رجالاً أم نساء، شيوخاً أم شباباً.

ويضيف قائلاً: ".. حينما تزور أي مدينة غربية، وتدخل إلى المتاحف أو الكنائس أو الكاتدرائيات... تشاهد الكثير من الرسوم والصور واللوحات الفنية والتماثيل، من مختلف عصور التاريخ الأوربي، كما في ذلك العصور الحديثة، تجد أن معظم الآثار الفنية ترتسم فيها الأيقونات والأثيمات والإشارات والإيماءات الدينية، ومن يجهل اللاهوت والميراث الديني المسيحي والكتاب المقدس يتعذر عليه فهم عدد كبير من هذه الآثار"⁽²⁾.

¹ - عبد الجبار الرفاعي، مرجع سابق، ص 18 .

² - عبد الجبار الرفاعي، إنقاذ النزعة الإنسانية في الدين، مرجع سابق، ص 18 ؛ وانظر أيضاً: Roger Caillois, L'homme et le sacré, Paris, Gallimard, 1950

نعم، هذا هو الواقع الذي آل إليه الدين في المجتمعات الغربية، فالدين أصبح يختزل في رموز على قماش يلبس وحلي يزين به، ولوحات فنية تعلق على الجدران.

إن ما هو سائد في المجتمع الغربي كما وصفه الكاتب هو انعكاس لعملية التنشئة الاجتماعية ولمرجعياتها وللمؤسسات التي تتولى القيام بهذه العملية، ولاسيما الأسرة، فالأسرة الحديثة لم تعد تركز على تنمية الجانب الروحي والعائدي في نفوس ناشئتها، بل أصبحت تركز على جانب واحد وهو الجانب المادي، وإن كانت تركز على جوانب أخرى كالجانب المعرفي والعلمي وغيرها.. إلا أن هذه الجوانب كلها في الحقيقة تصب في تحقيق الهدف المادي بكل أشكاله ومظاهره.

لقد أصبحت الأسرة الغربية تتخذ من الدين الجديد كما أسماه "أوغست كونت" مرجعية لها، وهو الدين الوضعي، فأصبحت تستلهم كل قيمها ومبادئها منه وحتى أساليبها وأهدافها هذا الدين الذي يؤمن بكل ما هو مادي وما هو محسوس وملمس، وما دون ذلك فهو غير موجود، وهذا نتج عنه أن ضحت الأسرة الغربية بكل القيم والمبادئ الأخلاقية التي كانت تتادي بها الكنيسة عن طريق رجال الدين، وأصبحت بالنسبة لها قيم تقليدية تجاوزها الزمن.

لقد أصبح الغرب غير قادرا عن "استيعاب فكرة دين تغطي أحكامه حياة البشر في كل جوانبها وعلى جميع المستويات، هذا المنطق الضيق لمفهوم الدين جعله ينحصر على المستوى الفردي، فهو أمر شخصي يخص الفرد في علاقته مع ربه. لقد نتج عن هذا الصراع أن أجلت العلمانية الكنيسة عن كل مواقعها وصيرتها مؤسسة لا تخرج وظيفتها عن الخدمات الاجتماعية، بل الأكثر من هذا أصبحت الكنيسة تضيء المشروعية على بعض السلوكيات والأعمال التي لا يمكن لأي دين سماوي أن يقر بها، لقد أدخلت الكنيسة

الأمريكية في أروقتها الرقص والموسيقى والغناء، وأجازت مثلتها في بريطانيا عقد القرن بين الرجال!⁽¹⁾.

نعم هذا هو المجتمع العلماني اللائكي الحديث، وهذه هي قيمه وأخلاقه، وهذه هي نتائج عصرنة القيم وتحديثها، وما خفي أعظم، والمنتظر أسوأ.

¹ -أنظر: عبد الكريم بكار، العيش في الزمان الصعب، دمشق: دار القلم، ط7، 2015، ص 16

خلاصة الفصل

لقد تناولنا في هذا الفصل العديد من المواضيع والتي لها علاقة مباشرة بعنوانه، الذي هو "الأسرة في الفكر الغربي"، حيث مهدنا لهذا الموضوع بالحديث عن الأسرة وأهميتها في كل المجتمعات التي عرفتها البشرية، بدليل أنها كانت محل اهتمام في التراث الفلسفي التخميني، وذلك قبل ظهور العلوم الاجتماعية في القرن 19، حيث أصبحت تدرس بطريقة علمية من طرف الأنثروبولوجيين (مورغان، هيرت سبنسر)، وعلماء الآثار أولاً، ثم علماء الاجتماع (لوبلاي، وريتشرل) ثانياً.

بعد ذلك تطرقنا إلى المفاهيم والمصطلحات التي أطلقت على مفهوم الأسرة، وتغيرها بتغير الوظائف التي تمارسها، من مصطلح "مؤسسة اجتماعية" إلى مصطلح: "وحدة اجتماعية"، أو "خلية اجتماعية". ثم عرضنا التعاريف التي وضعت لهذه المؤسسة من قبل المتخصصين في مجال العلوم الاجتماعية، مثل علم الاجتماع والانتروبولوجيا وعلم النفس، ثم بيننا كيف أن هذه التعاريف جاءت مختلفة باختلاف تخصصات أصحابها واختلاف أفكارهم ومشاربهم، ولكن بالرغم من اختلافهم هذا، فهم ينطلقون جميعهم في تعريفهم للأسرة من منطلق وظيفي، مما جعلهم عرضة للانتقادات من طرف المفكرين البنائين الذين ركزوا في تعريفهم للأسرة على بنياتها والعلاقات التي تربط عناصرها ببعضهم ببعض.

هذا وتطرق هذا الفصل أيضاً إلى أنماط الأسرة وأنواعها كما حددها العلماء، وهي لا تخرج في عمومها عن نمطين اثنين: ممتدة، وبنوية، ويختلف النمطان عن بعضهما اختلافاً – حسب هؤلاء – بنائياً ووظيفياً وجغرافياً. ولفهم موضوع الأسرة أكثر كما هو في الفكر الغربي توجب علينا معرفة النظريات الاجتماعية التي تعتبر الإطار المرجعي الذي تأسس عليه هذا الفكر، حيث سلطنا الضوء على ما له علاقة بموضوع بحثنا فقط. وتنقسم هذه

الدراسات إلى نوعين : دراسات كلاسيكية، وأخرى معاصرة، حيث يندرج ضمن الدراسات الكلاسيكية كل من : الاتجاه التطوري والامبريقي ، والحضاري الثقافي ، ومدرسة شيكاغو . أما الاتجاه التطوري فيرى أن الأسرة تطورت في اتجاه خطي مسّ أشكالها ووظائفها . وما يميز الاتجاه الامبريقي، هو قفزه النوعية منهجيا ونظريا وكان ذلك بفضل "فريديريك لوبلاي" من خلال دراسته لوضعية العمال في فرنسا دراسة إمبيريقية، جعلته يضع أنماط جديدة للأسرة حسب المحيط الذي تنتمي إليه. هذا و جاءت دراسات كل من "كارل زمرمان" و"وليام أوجبرن" اللذان يمثلان الاتجاه الحضاري الثقافي، تركز على الأبنية الحضارية وأنماط الأسرة . فحسب رأيهم، يفرز كل بناء حضاري نمطا معيناً من الأسر، وأن الأسرة هي عرضة لكل تغير يحدث في المجتمع وعليه توجب عليها التكيف لمواجهة هذا التغير. هذا، وقد أصبحت الدراسات حول الأسرة أكثر واقعية مع "مدرسة شيكاغو"، وكانت هذه الدراسات غرضها التخطيط والإصلاح.

أما بالنسبة للاتجاهات المعاصرة، فقد فتحت آفاقا كبيرة لدراسة الأسرة كدراسة التغير والمشكلات المعاصرة وأثرها على الأسرة وغيرها. وقد كانت دراسات هذه المدرسة تأسيسا لظهور نظريتين أساسيتين في علم الاجتماع وهي نظرية النسق، ونظرية التفاعل. ومن بين الاتجاهات المعاصرة نذكر: الاتجاه البنيوي الوظيفي، والذي يمثله تالكوت بارسونز ومالينوفيسكي، هذا الاتجاه الذي يركز على دراسة الأنساق الاجتماعية، بهدف اكتشاف الطريقة التي يترابط بها كل جزء مع الآخر.

أما اتجاه التبادل فهو اتجاه ينطلق من فكرة مؤداها أن التفاعل سواء كان على مستوى الأفراد أو مستوى المؤسسات يقوم على مبدأ التبادل شيء بشيء، أي مبدأ التكلفة والعائد، وأن كل العلاقات الاجتماعية تقوم على هذا المبدأ ومن بينها العلاقات الأسرية والتي

يكون التبادل فيها ضمنياً، مثل علاقات الصداقة، وليس مصرح به مثل العلاقات المادية ويعتبر "ليفي ستروس" من أشهر مفكري هذا الاتجاه.

هذا ويقوم "الاتجاه التفاعلي الرمزي"، والذي يمثله "جورج هيرت ميد"، على فكرة مفادها أن التفاعل داخل الأسرة ما هو إلا انعكاس للبيئة الرمزية والثقافية التي يستوعبها الأفراد في ذواتهم، وذلك عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية هذه العملية التي تعتبر الأسرة هي المسؤولة عنها في نقل الرموز الثقافية لأفرادها. أما اتجاه النمو والارتقاء، فقد نوه هذا الاتجاه بدور الأسرة في تعليم الأفراد الأدوار الاجتماعية عن طريقة التنشئة الاجتماعية، كما ربط نجاح هؤلاء في اكتساب المهارات والتحصيل الدراسي إلى نجاح هذه العملية.

وينطلق "اتجاه الصراع الاجتماعي"، من فكرة مؤداها أن الصراع داخل الأسرة ولاسيما بين الأزواج مدين بالصراع الذي بين الطبقة العاملة والطبقة الرأسمالية. وقد كانت فكرة الصراع الاجتماعي التي بلورها "فريديريك انجلز"، التي تقول أن الاضطهاد الأسري يؤدي إلى الاضطهاد لاجتماعي.

وبما أن الزواج هو الأساس الذي تبنى عليه الأسرة فإننا تطرقنا إلى هذا العنصر مبرزين مفهومه وأنماطه، فالزواج يعرف بأنه اتحاد جنسي بين رجل وامرأة بالغين، وهو ارتباط يكون معترف به اجتماعياً وقانونياً. إلا أن الزواج في المجتمعات الغربية لم يتبق له هذه القداسة ومؤشر ذلك نسب الطلاق التي هي في تزايد مطرد. هذه الظاهرة التي أدت إلى انهيار الأسرة وظهرت بدائل أخرى للزواج، مثل المعاشرة بين الجنسين بطريقة غير شرعية وكذلك الزواج المثلي، أي ربط علاقة زوجية - إن صحت تسميتها - بين رجل ورجل وبين امرأة وامرأة، وأصبح هذا النوع من الزواج معترفاً به في بعض الدول الأوروبية.

وفي آخر هذا الفصل تطرقنا إلى عنصر تناول الأسرة في علاقتها بالتنشئة الاجتماعية الدينية، وقبل الحديث عن هذا الموضوع قمنا بعرض بعض التعريفات

الاصطلاحية للدين عند بعض العلماء ، في علم النفس والاجتماع والأنثروبولوجيا ، فبالرغم من اتفاق هؤلاء على فكرة أن الدين فطرة إنسانية تتصف بها جميع الكائنات البشرية، إلا أنهم اختلفوا في تعريفاتهم لهذه الظاهرة، فانقسمت تعريفاتهم إلى بنائية ووظيفية، كما هو الحال عند "إميل دوركايم" الذي يرى أن من وظائف الدين هو تقوية أواصر العلاقات الاجتماعية والتضامن الاجتماعي.

هذا ويكاد يجمع مفكرو الغرب على القول بأن الأسرة هي المسؤولة على تلقين الناشئة القيم الدينية ، مشيدين بدور الأم في ذلك كما ذهب في ذلك "أوغست كونت"، و"جون جاك روسو"، وأن الأفراد لا يختارون دياناتهم وإنما يكتسبونها من أسرهم ووالديهم عن طريق التنشئة الاجتماعية، كما أقر ذلك "انجر فوج".

وفي الأخير بيّنا كيف أن الأسرة في المجتمعات الغربية المعاصرة، لم تعد تستلهم قيمها ومبادئها من مبادئ المسيحية كما كانت في عصورها السابقة، وإنما تبنت قيم الحداثة والعصرنة، هذه القيم التي نتج عنها انهيار الأسرة وتفسخ المجتمعات الغربية وانحلالها.

الفصل الرابع: الأسرة في الفكر الإسلامي

تمهيد

أولاً: مفهوم الأسرة ومكانتها في الإسلام

ثانياً: الزواج في الشريعة الإسلامية

ثالثاً: معايير اختيار الزوجة والزوج في الإسلام

رابعاً: العلاقات الأسرية في التصور الإسلامي

خامساً: الأسرة الإسلامية والتنشئة الدينية

- خلاصة الفصل

تمهيد

لقد أرادت قدرة الخالق عز وجل وحكمته أن تقوم كل المعادلات في هذا الكون على نظام الأزواج، عند الكائنات الحية منها والجمادة، من الغيوم إلى الكهرباء إلى الزهر، وصولاً إلى الإنسان (1)، الذي هو أرقى الكائنات الحية على الإطلاق. يقول الله تعالى في سورة "الذاريات" (49): "ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون" وقوله في سورة يس (36): "سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون". ويقول جلّ من قائل فيما يخص الجنس البشري، في سورة الروم (20): "ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون".

لقد جاء اللفظ القرآني في هذه الآية صريحا واضحا يؤكد فيه خلق الزوج من زوجه، لقطع الشك باليقين، ويجنبنا الإشكالات الوهمية التي تثار في هذا الصدد حول مسألة وضع أحد الزوجين بالنسبة إلى الآخر. وانطلاقاً من هذا يبدأ تشكل الأسرة كنواة من ذكر وأنثى (2)، إنها فطرة في الطبيعة الإنسانية وسنة من سنن الكون ارتضاها الله لعباده منذ فجر الخليقة تفضيلاً وتبجيلاً على غيرهم من الكائنات الحية، واتخذ من الأنبياء والرسل مثلاً. فقال سبحانه: "ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية" (الرعد 38). ودعا الناس وحثهم على تكوين الأسرة باعتبارها الصورة الطبيعية للحياة المستقيمة لكل من أراد العيش في ضلالها (3).

وقبل ذلك وضع لها دستوراً وأحاطها برعاية خاصة لحمايتها وتطهيرها من فوضى الجاهلية، وجعل لها نظاماً طبيعياً منبثقاً من الفطرة الإنسانية، ووضع لها مهاماً ووظائف

1 - أسعد السحمراني، الأسرة العربية والتحديات الفكرية، في كتاب الأسرة العربية في وجه التحديات والمتغيرات المعاصرة، مؤتمر الأسرة الأول، بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2003، ص 33

2 - أنظر: جميلة تلوت، الأسرة في التصور القرآني، مرجع سابق، ص 5

3 - سعاد الصالح، الأسرة المسلمة بين النصوص والواقع، في كتاب الأسرة العربية في وجه التحديات والمتغيرات المعاصرة، مؤتمر الأسرة الأول، بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2003، ص 59.

وسطر لها أهدافا، بحيث اعتبرها الحضن الطبيعي للناشئة ، القائم على رعايتها وحمايتها وتتميتها جسديا وعقليا وروحيا "(1).

لقد خول الإسلام لهذه المؤسسة الاجتماعية هذه الوظيفة المهمة الخطيرة، "لأن الأسرة في المنهج الإسلامي لا تتفصل عن المجتمع ، ونجاحها مؤشر قوي على نجاح هذا الأخير. فهي في النهاية جزء المجتمع المعبر عن الكل، ونموذجه المصغر الذي يعبر عن إطاره الكلي، ويعكس روحه وقيمه وأهدافه في الحياة، وما بعد الحياة (2) . ولهذا فإن تحللها يعني تحلل المجتمع كله، وإذا زالت عن الأسرة المسلمة مميزات التي استحدثها الله من كتابه وسنة رسوله، زالت عن المجتمع المسلم جميع مميزات"(3).

أولا : مفهوم الأسرة ومكانتها في الإسلام

1 – مفهومها الاصطلاحي والإجرائي

تعتبر كلمة "أسرة" من الكلمات المستحدثة والتي لم تذكر لا في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية الشريفة، فهي مفهوم مستحدث، وحتى فقهاء المسلمين لم يستخدمونها في كتاباتهم، وإن كانت موجودة في الواقع العملي باعتبارها نسقا من الأنساق المجتمعية ذات الأهمية والتأثير في التفاعلات المجتمعية من خلال ما يرتبط بها من حقوق وواجبات بين عناصرها بعضهم مع بعض، وبين الأسر في ما بينها على صعيد المجتمع، لكون الأسرة هي الخلية الأساسية في المجتمع.

إن غياب هذه الكلمة في القرآن والسنة لا يعني غياب مضمونها ودلالاتها وكذلك عدم ورود الكلمة في استعمالات الفقهاء لا يعني عدم وجود واقعها وأحكامها.

1 - أحمد الفانز، دستور الأسرة في ظلال القرآن، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط6، 1996 ص 53-54

2 - محمد عبد العليم مرسى، في الأصول الإسلامية للتربية، القاهرة: المكتبة الجامعية، ج1، دط، 2000، ص 177

3- أحمد الفانز، دستور الأسرة في ضلال القرآن، مرجع سابق، ص 81 .

إن المتعارف عليه هو إطلاق لفظ "الأسرة" على الرجل ومن يعولهم من زوجته وأصوله وفروعه. وهذا المعنى يعبر عنه الفقهاء قديماً بألفاظ منها: الآل، والأهل والعيال. وقد فصل الفقهاء أحكام الأسرة وكل ما يتعلق بها في أبواب النكاح والمهر والنفقات والقسم والطلاق والخلع والعدد والظهار... وغيرها (1)

ومصطلح الأسرة مشتق من كلمة "الأسر"، وتعني كما جاء في القاموس المحيط: الشّد، والعصب، وشدة الخلق والخلق، وبالضم احتباس البول، والأسرة بالضم، الدرع الحصينة، ومن الرجل: الرهط الأدنون (2).

ويقصد "بالأسرة" في دراستنا هذه هي تلك الأسر التي لديها أطفال هم في مرحلة التربية (مرحلة الطفولة المبكرة، الوسطى، المراهقة)، سواء أطفال شرعيين أو أطفال متبنين.

2 - مكانة الأسرة في الإسلام

نظراً لأن الأسرة هي أساس المجتمع وهي المزرعة التي تزرع فيها الأخلاق والعادات التي يشب عليها النشء، فإن الإسلام أعطى لهذه المؤسسة مكانة هامة واعتنى بها عناية كبرى بداية عند اختيار كل من الزوجين للآخر والى أن تنمو وتزدهر وتكبر، لقد وجهت التعاليم الإسلامية الأسرة لما فيه سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، بداية بإصلاح حال المرأة ومكانتها بإعطائها حقوقها التي سلبتها منها الجاهلية وبعض القبائل التي ظلمت هذا المخلوق أيّما ظلم (3).

¹ - أنظر: رولا محمود الحيت، المفردات القرآنية في موضوع الأسرة دلالاتها الفقهية وامتدادها الاجتماعي، في كتاب الأسرة المسلمة في ظل

التغيرات المعاصرة، عمان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط 1، 2015، ص 26-27

² - أنظر: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مراجعة أنس محمد الشامي، زكرياء جابر أحمد، القاموس المحيط، القاهرة: دار الحديث،

دط، 2008. وانظر كذلك: Sabine Dirk, La famille musulmane son Evolution au XXeme siècle, Paris, Mouton, 1969 ;

Jacques Berque, Le système de Parenté dans les société musulmanes, Paris, EPHE, 1968.

³ - أنظر: أحمد عمر هاشم، الأسرة في الإسلام، القاهرة: دار قباء للطباعة و النشر والتوزيع، دط، 1998، ص 9 .

ولما كانت أحكام الأسرة لدى كل أمة من الأمم تتبع من تقاليدھا وعاداتھا ومفاهيمھا ونظرتها للحياة والوجود، لأنه متصل اتصالا مباشرا بحياة الفرد والمجتمع، فإن هذه الأحكام تكون وثيقة الصلة بالعقيدة، عقيدة الأمة التي تعيش وتحي من أجلها⁽¹⁾. وعلى أساس هذا المبدأ وضعت الشريعة الإسلامية أحكام الأسرة المسلمة، "هذه النصوص جعلت لهذه المؤسسة الاجتماعية نظامين، أحدهما داخليا والآخر خارجيا. فوضعت للنظام الداخلي آدابا تراعى وقواعد ومبادئ تحترم، تحصينا لها من كل ما قد يعترضها من تمزق وتفكك وانحراف. أما في ما يخص النظام الخارجي، فإن الإسلام وضع لها تعاليم و توجيهات تنظم علاقتها مع المجتمع، وذلك حفاظا له ولها من الأخطار التي تعصف بكلاهما - لأن انهيار الأسرة يؤدي إلى انهيار المجتمع لا محالة، والعكس هو الصحيح -، حيث أمر الأسر بتربية أبنائهم وتنشئتهم على القيم الإسلامية في صغرهم، وتحفيزهم على الزواج في سن مبكرة عند كبرهم⁽²⁾.

إن المتأمل في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة يكتشف الأهمية الكبيرة التي أعطيت لهذه الخلية، لقد خصها الله سبحانه وتعالى بأحكام مفصلة من زواج وطلاق وميراث، وحضانة ووصية ورضاع ونفقة، وولاية على النفس وعلى المال، تفصيلا يبين دور الأسرة في بناء الأفراد والجماعات⁽³⁾.

وسوف نكتشف أهمية الأسرة أكثر، من خلال التعرف على أهمية الزواج في الإسلام وعلى شروطه ومعاييرہ، في العنصر الموالي.

ثانيا: الزواج في الشريعة الإسلامية

إذا كانت النظريات الغربية للزواج كظاهرة اجتماعية، قد ركز أصحابها على البحث حول نشوئه وطرقه، فإنه في الإسلام يعتبر ظاهرة هي أصل كل الظواهر الاجتماعية

¹ - محمد أبو حسان، المرأة والأسرة بين الإسلام والنظم الغربية، الأردن(عمان) : جمعية العفاف الخيرية، ط2، 1993 ص 29 .

² - حسن أيوب، فقه الأسرة المسلمة، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط2، 2003 ص 8.

³ - محمد أبو حسان، المرأة والأسرة بين الإسلام والنظم الغربية، مرجع سابق، ص 34 .

الأخرى، وعلة وجودها. فإذا كانت الظواهر الاجتماعية هي ظواهر مرتبطة بالإنسان، ولا وجود لها من دونه، فإن هذا الكائن البشري لا وجود له من دون ظاهرة الزواج، وهو ما عبر عنه المفكر "عمر فروخ" بقوله: "أن الأسرة أساس المجتمع والزواج أساس الأسرة.. بل هو أساس الحياة الاجتماعية كلها. إنه المؤسسة الاجتماعية الكبرى⁽¹⁾."

ونظراً لأن الزواج كما أشرنا أعلاه، هو أصل وسبب وجود الإنسان هذا الأخير الذي يعتبر خليفة الله في الأرض، فقد دعا الإسلام إليه، وشجّع وحبّب الأفراد فيه، فأيات القرآن لا تخلو من الإشارة إلى موضوع النكاح، كما أن السنة النبوية المطهرة لا تخلو هي الأخرى من التحبيب في هذا السلوك، والتحذير من العزوف عنه وهو ما سوف نكتشفه في موضوع الزواج في كل من القرآن والسنة النبوية المطهرة.

1 - الزواج في القرآن الكريم

هناك بون شاسع بين الإنسان والحيوان في عملية الاتصال بالأنثى. فالحيوان يتصل بأنثاه بلا شرع وبلا قانون، أما الإنسان فقد حدّد له ربه في ذلك قوانين وسنّ له التشريعات وكرّمه في قوله جلّ في علاه: "ولقد كرّمنا بني آدم" {الإسراء: 70}، ليصبح نسب الولد معروفاً ومحسوساً لأبويه. لذلك حارب الإسلام البغاء، وشدّد قبضته على الفساد والمجرمين من منتهكي الحرمات، وحاربهم بقتلهم رجماً بالحجارة للمتزوج منهم، وجلد غير المتزوج منهم ليتنبه ويعود إلى رشده، حتى لا تختلط الأنساب وتضيع حرمات الله في مملكته. فالإرادة الإلهية شاءت أن يكون اتصال الإنسان بأنثاه بشريعة، لتكريمه وتفضيله على سائر خلقه وتثبيته في الأرض وحمله الأمانة التي خلق من أجلها⁽²⁾.

¹ - أنظر: عمر فروخ، الأسرة في الشرع الإسلامي، بيروت: نشر ونوزيع المكتبة العلمية والمكتبة المصرية، ط1، 1951، ص 77،78

² - سعد إبراهيم طایل الديهي، موقف الإسلام من تنشئة الطفل، نفسياً، اجتماعياً، تربوياً مقارنة عميقة بين النظريات الغربية والإسلامية، بيروت: دار الجيل للنشر والتوزيع، ط2003، 1

يقول الله تعالى: "ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها، وجعل بينكم مودة ورحمة، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون" (الروم 21)، إنها حكمة الخالق في خلق كلا الجنسين على نحو يجعله موافقا للآخر، ملبيا لحاجته الفطرية: نفسية وعقلية وجسدية. بحيث يجد عنده الراحة والطمأنينة والاستقرار، ويجدان في اجتماعهما السكن والاكتماء، والمودة والرحمة لأن تركيبتهما النفسية والعصبية والعضوية ملحوظ فيها تلبية رغبات كل منهما في الآخر، وائتلافهما وامتزاجهما في النهاية لإنشاء حياة تتمثل في جيل جديد، فالمرأة من نفس الرجل "جعل لكم من أنفسكم أزواجا"، فهن من أنفسكم، شطر منكم، لا جنس أخط... فهي نفس واحدة في طبيعة تكوينها، وإن اختلفت وظيفتها بين الذكر والأنثى.

وإنما هذا الاختلاف ليسكن الزوج إلى زوجه ويستريح إليها... وهذه هي نظرة الإسلام لحقيقة الإنسان ووظيفة الزوجية في تكوينه. وهي نظرة كاملة وصادقة جاء بها هذا الدين منذ 14 قرن، يوم أن كانت الديانات المحرفة تعد المرأة أصل البلاء الإنساني، وتعتبرها لعنة وفخا للغواية تحذر منه تحذيرا شديدا، ويوم أن كانت الوثنيات - ولا تزال - تعدها من سقط المتاع أو على الأكثر خادما أدنى مرتبة من الرجل ولا حساب له في ذاته على الإطلاق⁽¹⁾.

لقد حدد الإسلام الطريقة التي يحب الله أن يجتمع عليها الرجال والنساء في مؤسسة الأسرة النظيفة، ويكشف عما في هذه الطريقة من تيسير على الناس وتخفيف، إلى جانب نظافتها وطهارتها. ويقرر القواعد التنظيمية التي تقوم عليها المؤسسة الأساسية، والحقوق والواجبات الملقاة على عاتق الطرفين المتعاقدين. وجعل الالتزام بهذه الضوابط عبادة يؤجر عليها كلا الطرفين إذا التزما بأحكامها وقواعدها، ويعاقب عليها أيضا كلا الطرفين إذا أخل بهذه الضوابط. (2)

¹ - أحمد الفانز، دستور الأسرة في ظلال القرآن، مرجع سابق، ص 57-58.

² - أحمد فرج، الأسرة في ضوء الكتاب والسنة، المنصورة (مصر): دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط 2، 1989، ص 59-60.

لقد جعل الله للرجل وللمرأة على حد سواء، غريزة جنسية هي أساس الانجذاب الذي يحدث بينهما، لا لغاية في حد ذاتها، ولكن لحكمة تتجاوز هذه الغريزة الحيوانية وتتعداها وهي خلافة الله في الأرض، هذه الخلافة التي تستدعي عبادته، وهي الغاية الكبرى من كل هذا.

"يقول الإمام الغزالي رحمه الله: "ومن بدائع أطافه أن خلق من الماء بشرا، فجعله نسبا وصهرا، وسلط على الخلق شهوة اضطرهم بها إلى الحراثة جبرا، واستبقى بها نسلهم اقهارا وقسرا... وندب إلى النكاح وحث عليه استحبابا وأمرا... فان النكاح معين على الدين ومهين للشياطين، وحصن دون عدو الله حصين، وسبب للتكثير الذي به مباحة سيد المرسلين لسائر النبيين.

والزواج أغلظ المواثيق وأكرمها على الله، لأنه عقد متعلق بذات الإنسان ونسبه وشرط هذا العقد رضا المتعاقدين ككل العقود الصحيحة، ولكنه يسمو عليها جميعا بما أفرغه الله عليه من صبغة "الميثاق الغليظ" كما ورد في الآية 29 من سورة النساء، فالله سماه بنفسه "الميثاق الغليظ"، ولهذا التعبير قيمته في الإيحاء بموجبات: الحفظ والمودة والرحمة، ولو رشدنا إلى ما أحاطه به القرآن الكريم بدءا من الخطبة ثم المشاركة، ثم انتهاء هذا العقد سواء بالموت أو الانفصال، لتبين أهمية هذا العقد عند الله، وكرامته عليه، فهو نعمة منّ بها الله على عباده.

والدليل على أن الله تعالى جلّ شأنه كرم هذا العقد، أن كلمة ميثاق لم ترد في القرآن الكريم إلا تعبيرا عن المعاهدة بين الله وعباده. يقول الله تعالى: "واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به" (سورة المائدة 8)، في موجبات التوحيد، وهذا يبين لنا مقدار سمو هذا العقد. فإذا علمنا أن وصف الميثاق بالغليظ لم يرد في موضع من مواضعه إلا في عقد الزواج، وفي ما أخذه الله على أنبيائه من مواثيق من قوله تعالى: "وإذ أخذنا من النبيين

ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا" (سورة الأحزاب 8) لتضاعف لدينا سمو هذه المكانة التي رفع القرآن إليها هذه الرابطة السامية" (1)

وقد رغب الله في النكاح وأمر به فقال "وانكحوا الأيامى منكم" ، وهذا أمر، وفي موضع آخر، يقول: "ولا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن" وهذا منع من العضل ونهى عنه. وقال تعالى في وصف الرسل ومدحهم: "ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية". ومدح أوليائه بسؤال ذلك في الدعاء فقال: "والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قررة أعين لنا" (2).

ولما كانت هذه هي قيمة الزواج ومكانته في القرآن الكريم، فإن أهميته في السنة النبوية الشريفة لا تقل عن مكانته في القرآن الكريم، باعتبار أن السنة النبوية هي تفصيل للنصوص القرآنية وشرح لها، والأكثر من هذا تطبيقا لأحكامها، وهو ما سوف نتعرف عليه.

2 - الزواج في السنة النبوية الشريفة وعند الصحابة الكرام

قبل التطرق إلى الأحاديث النبوية التي تناولت موضوع الزواج ، ارتأينا أن نستهل هذا العنصر بالشهادة التي شهدتها المستشرقة الألمانية " زيغريدهونكه"، هذه المرأة التي لم تستطع إخفاء إعجابها برسول الإسلام، الذي استطاع أن يعطي للمجتمع ، صورة جديدة برسالاته التي تجلت أحد مظاهرها في النظام الأسري، فنقول: "لقد استطاع محمد أن يجعل الأسرة الإسلامية ، هي الشكل الحقيقي لتكوين مجتمع مثالي . اهتم رسول الإسلام ، بتكوين هذه الأسرة ، وطلب من الزوجين أن يكونا على بينة من تكوين أسرة صالحة فطلب من الرجل أن يتزوج صاحبة العقيدة ، المؤمنة بتعاليم الإسلام ، أي المتدينة ، حتى تأمن الأسرة

1 - أحمد فرج، الأسرة في ضوء الكتاب والسنة ، مرجع سابق ، ص 59-60 .

2 - أحمد الفائز، دستور الأسرة في ضلال القرآن، مرجع سابق، ص 59-60 .

على أبنائها ، فالأم هي عماد الأسرة ، كما ذكرها الرسول صلى الله عليه وسلم في تكريمه للأم والأب".⁽¹⁾.

نعم إنها شهادة تبرز ثمرة جهد نبي الإسلام في بناء صرح هذه الأمة، وذلك انطلاقاً من بناء أصغر وحدة اجتماعية وأهمها على الإطلاق، فقد جاءت جلّ أحاديثه عليه الصلاة والسلام تخدم هذا الهدف، كالحديث المروى في صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم شباباً لا نجد شيئاً. فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج". وفي حديث آخر: "من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء"

وكما رغب عليه الصلاة والسلام في الزواج وحبّب الشباب فيه، ونهى صلى الله عليه وسلم عن التبتل، وترك النكاح انقطاعاً للعبادة، وترك لذّات الدنيا وشهواتها، لأن الله سبحانه قد أوجد في الناس غريزة حب التمتع، ولم يخلقها عبثاً، ولكن لحكمة اقتضتها فيهم فصار قطعها انحرفاً عن سنة الله في خلقه.

وقد كان عليه الصلاة والسلام يحرص كل الحرص على أن يكون كل أصحابه من المتزوجين، وكان يسأل الرجل إذا كان متزوجاً، فإذا لم يكن متزوجاً حرّضه عليه. وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يقال له عكاف بن بشر التميمي، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : يا عكاف هل لك زوجة قال: لا . قال: وأنت موسر بخير قال: وأنا موسر بخير. قال: أنت إذن من إخوان الشياطين، لو كنت في

¹ - أنظر: حمد حامد ، الإسلام ورسوله في فكر هؤلاء، القاهرة : دار الشعب ، د ط ، دت ، ص 109. وانظر أيضا: Louis Gardet, L'Islam, religion et communauté, Paris, Foi vivante, 1970 ; Joseph Schasht, Introduction au droit musulman, Paris, Maisonneuve et Lacrosse, 1999.

النصارى كنت من رهبانهم. إن سنتنا النكاح، شراركم عزابكم، وأراذل موتاكم عزابكم بأبالشيطان تمرسون، ما للشيطان من سلاح أبلغ في الصالحين من النساء إلا المتزوجون أولئك المطهرون المبرعون من الخنا، ويحك يا عكاف إنهن صواحب أيوب وداود ويوسف ..ويحك يا عكاف تزوج وإلا فأنت من المذبذبين. قال: زوجني يا رسول الله قال: قد زوجتك كريمة بنت كلثوم الحميري"⁽¹⁾

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "ما بني بناء في الإسلام أحب إلى الله عز وجل من التزويج"⁽²⁾ إن دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم للزواج لم تتوقف عند الحث والتحبيب، بل تجاوزتها للتبرؤ من كل عازف عن الزواج، مخالف للسنة النبوية الشريفة وهو ما يثبته قوله عليه الصلاة والسلام: "النكاح سنتي فمن رغب عن سنتي فقد رغب عني"⁽³⁾. ولما كان هذا موقف سيد الخلق من الزواج فإن أصحابه البررة لا يخرجون عن هذا المبدأ فقد سارع الإمام علي - كرم الله وجهه - إلى الزواج بعد وفاة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، مبررا سلوكه هذا، بقوله: "لقد خشيت أن ألقى الله وأنا أعزب"، وبهذا يكون الزواج بالنسبة للمؤمن عبادة من العبادات التي تقربه إلى ربه⁽⁴⁾.

وقال عمر رضي الله عنه: "لا يمنع من النكاح إلا عجز أو فجور" فبيّن أن الدين غير مانع منه، وحصر المانع في أمرين مذمومين هما العجز والفجور. وقال ابن عباس رضي الله عنه: "لا يتم نسك الناسك حتى يتزوج .

وفي الأخير يمكن القول أن الزواج في الشريعة الإسلامية يعتبر واجبا دينيا ، وهو فرض عين وليس فرض كفاية، إذا قام به أحد أو جماعة سقط عن الآخرين، "فالنكاح سنة

1 -أنظر: أحمد فرح، الأسرة في ضوء الكتاب والسنة، مرجع سابق، ص 54، 58 .

2 - الأستاذ مطاهري، الأخلاق البيئية، بيروت: دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع ، ط2، 1997، ص 164

3 - أحمد الفانز، دستور الأسرة في ضلال القرآن، مرجع سابق، ص 60

4 -أنظر: رولا محمود الحيت، المفردات القرآنية في موضوع الأسرة دلالاتها الفقهية وامتدادها الاجتماعي، في كتاب الأسرة المسلمة في ظل التغيرات المعاصرة، مرجع سابق، ص 44

ماضية وخلق من أخلاق الأنبياء. ويحدد العلماء خمسة فوائد للنكاح وهي: الولد، وكسر الشهوة، وتدبير المنزل، وكثرة العشيرة، ومجاهدة النفس بالقيام بهن⁽¹⁾.

ثالثاً: معايير اختيار الزوجة والزوج في الإسلام

يتوقف نجاح الحياة الزوجية إلى حد كبير على عملية الاختيار، التي تسبق الزواج وإذا تم هذا الاختيار على الوجه الصحيح كما دعا إليه الإسلام، فإن هذا سيكون مؤشراً على نجاح الحياة الزوجية والأكثر من هذا نجاح العملية التربوية للبنات والبنين.

إن مسألة الاختيار في الإسلام هي حق مكفول لكل من المرأة والرجل على حد سواء، عكس ما هو شائع في العادات والتقاليد والتي تميز بين الرجل والمرأة في هذه المسألة.

غير أنه وإن كان هذا الحق مشروعاً، فإنه يبقى مقيداً بشروط وهي اختيار الشخص - رجلاً كان أو امرأة - صاحب الدين والأخلاق الإسلامية كالعفة والمنعة.. وغيرها، ذلك لأن حسن الاختيار يعتبر الدعامة الأساسية لتكوين أسرة مستقرة قادرة على تربية الأبناء تربية سليمة، نفسياً وجسدياً وروحياً واجتماعياً⁽²⁾.

1 - معايير الاختيار في النصوص الشرعية

لقد حدد الإسلام عدّة معايير لهذا الاختيار وعلى رأسها: الدين، وفي هذا يقول الله تعالى في سورة البقرة (221): "ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمننّ ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون". و قد جاءت أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا المجال تصدق

¹ - أنظر: أحمد الفانز، دستور الأسرة في ضلال القرآن، مرجع سابق، ص 60-61.

²² - أنظر: عبد السلام عطوة الفندي، تربية الطفل في الإسلام، الأردن: دار المسيرة، للنشر والتوزيع والطباعة، ط2، 2015، ص 39، 40.

الآية الكريمة، ويظهر ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: "تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك".

ويعتبر هذا الحديث تلخيصاً لكل المعايير المتعارف عليها عند الناس في عملية اختيار الأزواج، ثم يأمر باعتماد معيار واحد وهو "الدين". فقد يكون المال معياراً أساسياً في عملية الاختيار، وقد يكون الحسب كذلك، وقد يكون الجمال أيضاً. ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام يأمر بأن يكون الدين هو المعيار الأول والأساس في عملية الاختيار هذه ثم تأتي المعايير الأخرى كالمال والجمال وغيرها، فغياب معيار الدين يقضي على فعالية المعايير الأخرى.

وروى ابن ماجة عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول: "ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله، خيراً له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته وإن نظر إليها أسرتته وإن أقسم عليها أبرته وإن غاب عنها نصحته في نفسه وماله" وفي حديث آخر: "الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة"، وقال عليه الصلاة والسلام: "أربع من أعطيهن فقد أعطي خير الدنيا والآخرة: قلباً شاكراً ولساناً ذاكراً وبدناً على البلاء صابراً، وزوجة لا تبغيه حوباً في نفسها وماله". وروى الإمام أحمد بإسناد صحيح والطبراني والبخاري، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من سعادة ابن آدم ثلاثة ومن شقوة ابن آدم ثلاثة، ثلاثة من سعادة ابن آدم المرأة الصالحة والمسكن الصالح والمركب الصالح، ومن شقوة ابن آدم المرأة السوء والمسكن السوء والمركب السوء"⁽¹⁾

ومن معايير الاختيار في الإسلام أيضاً، اختيار امرأة من أسرة صالحة ومنبت حسن فالمعيار هنا هو الأصل والشرف ذلك لأن الناس معادن و العرق دساس، كما جاء في الحديث النبوي. وتحقق هذا الأمر يستدعي السؤال عن أهل المرأة قبل خطبتها، ومعرفة

¹ - أنظر: أحمد الفانز، دستور الأسرة في ضلال القرآن، مرجع سابق، ص 117

مدى التزامهم بأحكام الدين وواجباته، ذلك لأن ملكة التقوى وصلاح الذرية غالبا ما يكون تبعا للوالدين والأقربين، كالعم أو الخال، ومن هنا نجد دعوة سيد الخلق الرسول صلى الله عليه وسلم في التخير للنطف، ومن ذلك قوله: "تخيروا لنطفكم، وانكحوا الأكفاء وانكحوا إليهم"، وفي حديث آخر: "الناس معادن في الخير والشر.." (1) .

ومن الأحاديث النبوية التي تنهي عن الزواج من المرأة التي تكون من عائلة متقلبة لا وازع أخلاقي ولا ديني لها، حتى وإن كانت هذه المرأة صاحبة حسن وجمال ، ما رواه "الدارقطني"، والعسكري وابن عدي عن أبي سعيد الخدري، قول الرسول عليه الصلاة والسلام "إياكم وخضراء الدمن ، قالوا: وما خضراء الدمن يا رسول الله؟ قال: " المرأة الحسناء في المنبت السوء" (2).

ومن المعايير أيضا التي حث عليها الإسلام في اختيار الزوجة، معيار القدرة على الإنجاب، أي أن لا تكون عاقرا فعن معقل بن يسار ، في ما روى أبو داود والنسائي والحاكم ، أنه جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : " فقال يا رسول الله إني أصبت امرأة ذات حسب ومنصب ومال، إلا أنها لا تلد أفأتزوجها فنهاه، ثم أتاه الثانية فقال له مثل ذلك ثم أتاه الثالثة فقال له: تزوجوا الودود الودود فإني مكاثر بكم الأمم".

وكما أن الإسلام حث على اختيار الزوجة الصالحة، فإنه حث أهل المخطوبة ووليها أن يبحثوا أيضا عن الخاطب ذي الدين والخلق، ليقوم بالواجب الأكمل في رعاية الأسرة ويؤدي حق زوجته الذي شرعه الإسلام لها ، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : "إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، ألا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير" (3).

1 - أنظر: عبد السلام عطوة الفندي، تربية الطفل في الإسلام، مرجع سابق، ص 41

2 -- أنظر: أحمد الفانز، دستور الأسرة في ضلال القرآن، مرجع سابق، ص 118 .

3- أنظر: أحمد الفانز، دستور الأسرة في ضلال القرآن، مرجع سابق، ص 115 .

إن توفر صفة التدين في الرجل تجعله يصون المرأة، ويحفظها ، وتكون عشرته لها قائمة على المعروف فتجده بذلك صبورا معها ، فإن أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها وهي إن كرهت العيش معه، وفضلت مفارقتة فانه لا يمسكها ضرارا بل يسرحها سراحا جميلا امتثالا لأمر الله تعالى وبركاته في محكم تنزيله.

وهناك صفة أخرى وجب توفرها في الرجل حتى يكون الزوج المناسب للفتاة المسلمة وهو: القدرة على الكسب الحلال، وتحمل المسؤولية، لقوله صلى الله عليه وسلم مخاطبا الشباب: " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج... " والباءة هي القدرة البدنية والمالية التي تجعله قادرا على تحمل أعباء الحياة الزوجية وغياب هذه الصفة يجعله عاجزا عن مواجهة متاعب الحياة ومطالبها التي لا تنتهي. ومن هنا ضرورة أن لا يكون الزوج بطالا عاطلا عن العمل، فيضيع وتضيع أسرته معه بتقصيره في حق زوجة أو ولده، وفي الحديث الشريف: " كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت " (1).

إن الإسلام وإن حرص على وضع معايير وصفات يجب أن تتوفر في كلا الزوجين إلا أنه لم ينسى الجانب الوراثي ، فهو يرى أن الأولاد يرثون بعض الصفات عن آبائهم وأجدادهم ، ولهذا حبيب الرسول (ص) الزواج من الغريبات ، لأن الزواج من القريبات يعزز الصفات الذميمة ، فمثلا إذا كانت عائلة تعرف بصفة البخل وكان الزواج داخلها فإن هذا يعزز هذه الصفة لدى الأولاد ، هذا من ناحية الوراثة ، أما من ناحية التربية والاكتساب فإن المرأة والرجل اللذين يتحليان بالصفات الحميدة سوف ينقلون هذه الصفات لأولادهم. إذن فالأولاد يكتسبون السلوك والقيم إما عن طريق الوراثة أو عن طريق التربية. وفي هذا الاتجاه يقول أحد الرجال: " الأبناء ثمار غرس أبويهم يرثون منهم ما اتصل بالأعراق ويكتسبون منهم ما اتصل بالأخلاق والعلم والسلوك ونحوه " (2).

1 - أنظر: عيد السلام عطوة الفندي، تربية الطفل في الإسلام، مرجع سابق، ص 45، 46 .

2 - أحمد فرج، الأسرة في ضوء الكتاب والسنة ، مرجع سابق ، ص 134 .

إن صفات الوالدين تتحدر إلى الأولاد وكثيرا ما تظهر ملكة التقوى في الولد تبعا لأبويه أو لأحدهما أو للعم أو للخال. وقد ورد الإرشاد النبوي منبها إلى هذا فيما رواه ابن عدي وابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **تخيروا لنطفكم فإن النساء يلدن أشباه إخوانهن وأخواتهن** ⁽¹⁾

إن ما يمكن استخلاصه مما سبق، في ما يخص المعايير التي وضعها الإسلام في اختيار الأزواج، أن هذه المعايير ليست غاية في حد ذاتها، وإنما هي وسيلة لتحقيق هدف وغايات أخرى، أهمها تربية النشء تربية إسلامية تعكس صورة المجتمع الإسلامي وخصائصه.

2 - أهمية الزوجة الصالحة في الفكر الإسلامي

يقول الإمام محمد الغزالي رحمه الله: "إن المرأة المطروحة وراء سجن من الجهل والعمى، يموت معها نصف الأمة، ويمرض النصف الآخر، والمرأة المتروكة للغى والهوى تضطرب معها الأمة كلها، ويلعب بزمامها شيطان.."⁽²⁾

وفي نفس الاتجاه يقول العلامة "عبد الحميد بن باديس"، في قضية تعليم المرأة هذه القضية التي كانت في عصره تعتبر التعليم حقا للرجل فقط، كمسلمة أساسية لا تقبل النقاش، يقول في ما معناه: إن تطور المجتمع لا يتوقف على تعليم الرجل وحده وإنما يتوقف أيضا على تعليم المرأة وتنميتها، مشبها في ذلك المجتمع بالطائر الذي لا يستطيع أن يطير إلا بجناحين، كذلك المجتمع لا يستطيع التقدم إلا بكلا الجنسين، الرجل والمرأة.

وفي نفس السياق يقول عالم الاجتماع العراقي "علي الوردي"، في كتابه "مهزلة العقل البشري": "المرأة في الواقع المدرسة الأولى التي تتكون فيها شخصية الإنسان. والمجتمع

¹ أحمد الفانز، دستور الأسرة في ضلال القرآن، مرجع سابق، ص 117
² - محمد الغزالي، ليس من الإسلام، القاهرة: دار الشروق، ط1، 1998، ص200

الذي يترك أطفاله في أحضان امرأة جاهلة لا يمكنه أن ينتظر من أفراده خدمة صحيحة أو نظرا صحيحا"⁽¹⁾.

نفهم من قول هؤلاء رحمهم الله، أن تطور الأمة وازدهارها مرهون بمدى تعلم ووعي نسائها، وأن الاهتمام بالمرأة التي هي أم المستقبل، وتعليمها أمور دينها ودنياها أمر ضروري لكل أمة لا ترضى لنفسها الانحطاط والتخلف، ويتفق مع هؤلاء الشاعر المصري "حافظ إبراهيم" بقوله: **الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق**

إن ما قاله هؤلاء العلماء رحمهم الله عن المرأة هو انعكاس لثقافتهم ومرجعيتهم الإسلامية، هذه المرجعية التي أعطت للمرأة مكانة لم تعطها إياها كل الشرائع والقوانين قبلها، سواء كانت أم، أم بنت أم أخت، وكما هو معروف في علم الاجتماع أن المكانة تكتسب انطلاقا من الدور الذي يضطلع به صاحب هذه المكانة، فإن المرأة لم تحتل هذه المكانة والمنزلة في الإسلام إلا لأنها وكلت لها أدوار ووظائف مهمة في المجتمع، ومن أكبر الوظائف التي تقوم بها المرأة هي وظيفة الإنجاب وتربية النشء، وهذان وظيفتان مهمتان وضروريتان لكل مجتمع، حيث تكمن أهمية الوظيفة الأولى في الحفاظ على النسل، والثانية تكمن أهميتها في الحفاظ على استمرار المجتمعات واستمرار خصوصيات كل مجتمع، فكل مجتمع يضمن بقاءه إذا ضمن استمرار خصوصياته الثقافية والدينية، وهذا لا يكون إلا من خلال عملية التربية، وبما أن الطفل أكثر التصاقا بأمه ولاسيما في مراحل عمره الأولى، فإن مسؤولية التربية تقع على عاتقها أكثر من الأب."

فالأم هي التي تشكل الصور الذهنية الأساسية في نفس وليدها، وهي التي تقوم بتعريفه على ذاته، وإذا علمنا أن نسبة (80 %) من القيم والأخلاق يتم تشكلها لدى الأطفال في السنوات الخمس الأولى من أعمارهم، علمنا أي دور عظيم تقوم به الأمهات، ومن هنا كانت أهمية اختيار الزوجة الصالحة الكريمة. وقد أثبتت بعض الدراسات أن (85 %) من

¹ - علي الوردي، مهزلة العقل البشري، بغداد: الوراق للنشر والتوزيع المحدودة، ط6، 2016، ص 17

سلوك الطفل نابع من علاقته مع أمه، كما أثبتت أن الطفل المتزن والمنسجم الشخصية لا يكون إلا في أسرة متحابه متفاهمة، وهذا يلقي على الأبوين - ولا سيما الأم - مسؤولية خاصة⁽¹⁾.

رابعا : العلاقات الأسرية في التصور الإسلامي

تلعب بيئة الطفل الأسرية دورا أساسيا في تكوين وبناء شخصيته ولاسيما في مرحلة الطفولة المبكرة، هذه المرحلة التي تكاد تكون فيها الأسرة هي البيئة الوحيدة التي يحتك بها الطفل ويتفاعل معها، ولهذا فإن نمط شخصيته، واتجاهاته نحو الآخرين ونحو الحياة بصفة عامة يتحدد بنوع علاقاته بأسرته: بوالديه، وإخوته وأخواته، وأجداده وأقربائه⁽²⁾.

ونظرا للدور الكبير الذي تلعبه العلاقات الأسرية في استقرار الأسرة وطمانيتها ومن ثم توفير الجو المناسب لتربية النشء تربية سليمة، فإن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وضعت قوانين ومبادئ وأحكام لتنظيم هذه العلاقات تنظيما يحدد لكل فرد ما له من حقوق وما عليه من واجبات.

وعلى هذا الأساس حاولنا تسليط الضوء على القواعد والأحكام الشرعية التي تنظم هذه العلاقات، وذلك في المرجعية الإسلامية، أي في القرآن الكريم، والسنة النبوية، ولاسيما في ما يخص العلاقة بين الزوجين، وبين الآباء والأبناء، وذلك لأن هذه العلاقة لها عظيم الأثر على هذه العملية الاجتماعية. وبما أن العلاقة الزوجية هي أول علة وجود كل أسرة فسوف نتطرق إلى هذه العلاقة أولا ثم العلاقات الأخرى.

1 - العلاقة الزوجية

¹ - عبد الكريم بكار، الحياة الأسرية، مقالات قصيرة في العلاقة بين الزوجين. وتربية الأبناء، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط1، 2011، ص 43، 50.

² - عبد المجيد سيد منصور، زكرياء أحمد الشرييني، الأسرة على مشارف القرن 21، -الأدوار، المرض النفسي، المسؤوليات-، القاهرة: دار الفكر العربي، ط1، 2000، ص 59.

لقد كانت المرأة في الجاهلية، في الجزيرة العربية وفي البلاد المجاورة، مهضومة الحقوق، لا تتمتع لا بحقها في الكرامة الإنسانية، ولا بحقوقها الزوجية، ولا بمعاملات اجتماعية منصفة، فوجدت في الإسلام ما ترفع به مكانتها، وما يمكنها من التمتع بحقوقها. حيث جعل القاعدة في الحياة الزوجية قائمة على الحقوق المتبادلة، كما يفهم في الآية 228 من سورة البقرة { ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم }.

يقول الإمام "ابن عاشور" في تفسير هذه الآية : "وكان الاعتناء بذكر ما للنساء من الحقوق على الرجال وتشبيهه بما للرجال على النساء، لأن حقوق الرجال على النساء مشهورة مسلمة من أقدم عصور البشر، فأما حقوق النساء فلم تكن مما يلتفت إليه أو كانت متهاونا به، وموكولة إلى مقدار حظوظ المرأة عند زوجها، حتى جاء الإسلام فأقامها" (1) إن المماثلة التي تتحدث عنها هذه الآية، ليست بين الذكر والأنثى، ذلك أن الفطرة الإلهية قد ميزت بينهما { وليس الذكر كالأنثى } (آل عمران 36)، وإنما هي المماثلة في الحقوق والواجبات بين الزوجين في دائرة الاجتماع الأسري، على النحو الذي يجعل هذه الحقوق والواجبات - بالاشتراك - كلا واحدا، ومن هنا كان قول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، في تفسير هذه المماثلة لهذه الآية: "إني أحب أن أتزين لامرأتي كما أحب أن تتزين لي". فالاشتراك والمشاركة في كل ميادين الحياة الأسرية، التي تجعل الرجل لباسا لزوجته والزوجة لباسا لزوجها، ولذلك كان الأولى والأوجه في تفسير "الدرجة" التي للرجال على النساء في المشاركات الأسرية هي: درجة الإنفاق، التي هي مع الطبيعة المميزة للرجولة.. فإن هذه "الدرجة" التي هي المسؤولية الأكثر والتكليف الأزيد، أي - القوامة -

¹ - عبد الرزاق عمار، علاقة المسلم بالله وبالآخرين - قدرة المسلم على الكينونة في ضوء العلوم الإنسانية - بيروت: دار الجيل للطباعة والتوزيع، ص 281.

بمعنى دوام القيام بالمزيد والأثقل من الأعباء { الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم } (النساء 34) (1).

وكما أن هناك آيات كثيرة تناولت موضوع العلاقة الزوجية وأحكامها وشروطها، هناك أيضا الكثير من الأحاديث النبوية التي تناولت هذا الموضوع، واطاعة له هي الأخرى أحكاما وشروطا مفصلة عن القرآن الكريم. لقد جاءت أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم أمرة الزوج بأن يجعل هذه العلاقة تقوم على "حسن المعاشرة، ودليل ذلك ما جاء في قوله عليه الصلاة وأفضل التسليم: "اتقوا الله في النساء"، وقوله أيضا: "خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي"، كما اعتبرت السنة الشريفة النفقة على الزوجة وتعليمها أمور دينها واجبا من واجبات الزوج اتجاهها" (2).

وفي المقابل جاءت الكثير من الأحاديث النبوية التي تحدد حقوق الزوج على زوجته، "كطاعته في غير معصية، ومن هذا الحديث الذي رواه "أم سلمة"، عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أيماء امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة". ومن واجبات الزوجة أيضا اتجاه زوجها الحفاظ على ماله، بحيث لا ترهقه بالطلبات حتى تدفعه للقرض، ولا يجوز لها التصرف في ماله إلا بإذنه، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: "لا يجوز لامرأة عطية إلا أن يأذن زوجها". (3)

إن ما قدمناه عن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي عالجت موضوع العلاقة الزوجية ما هو إلا قطرة في بحر، ذلك لأنه لا يمكننا التطرق إلى كل النصوص الشرعية التي تناولت هذا الموضوع، فهذا يستحق لوحده أطروحة كاملة.

¹ - محمد عمارة، في التحرير الإسلامي للمرأة، الجيزة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، 2008، ص 6، 7.

² - أنظر: خالد عبد الرحمن العك، بناء الأسرة المسلمة في ضوء القرآن والسنة، بيروت: دار المعرفة، ط5، 2003، ص 95، 96.

³ - أنظر: نبيل السمالوطي، بناء المجتمع الإسلامي ونظمه، دراسة في علم الاجتماعي الإسلامي، جدة: دار الشروق، ط3، 1998، ص 89.

وفي الأخير يمكن القول، لو كل الأزواج تلتزم بهذه الأحكام الربانية لساد السلام في كل أسرة، وفي كل مجتمع، ولقامت كل أسرة بوظيفتها التنشئية على أحسن وجه، ذلك لأن طبيعة العلاقة الزوجية تؤثر بطريقة أو بأخرى على هذه العملية وعلى أساليبها، فإذا كانت هذه العلاقة يسودها الاحترام والتفاهم والمودة والرحمة، والانسجام الفكري والعاطفي، فإن هذا سوف ينعكس على هذه العملية بالإيجاب، حيث يوفر هذا الجو للأطفال بيئة سليمة يتم فيها نموهم بشكل طبيعي وجيد، أما إذا كانت هذه البيئة الأسرية ولاسيما العلاقة الزوجية يسودها التوتر والصراع بين الزوجين وعدم الاتفاق، لاسيما على الكيفية والمنهجية التي تتم بها تنشئة أطفالهم، فإن هذا سوف يؤثر لا محالة على هذه العملية بطريقة سلبية⁽¹⁾.

2 - العلاقات بين الآباء والأبناء

أ - مكانة الطفل في الإسلام وواجبات الآباء نحو أبنائهم

في المجتمع العربي المسلم، يقوم الدين الإسلامي الحنيف بدور محدد في تأطير رعاية الإنسان عموماً، والطفل على وجه الخصوص، باعتباره يمثل إطاراً مرجعياً يفتح بموجبه المجال واسعاً لصقل وتوظيف الأبعاد الاجتماعية والجهود التربوية والعلمية في تطوير أساليب وتحديد مسارات الطفل ورعايته. وتختلف الجوانب التطبيقية بين هذه الأبعاد إذ أن البعد الديني يعتبر من الأبعاد الأكثر ترسخاً في طريقة المجتمع الإسلامي وأسلوبه في رعاية أبنائه، بدءاً من اختيار الزوجة التي ستصبح والدته، إلى اختيار الاسم الحسن المقبول إلى الختان، إلى أنماط تغذيته ورعايته صحياً، وتعليمه وتثقيفه وإعداده للحياة، وتأديب الصبي هو أسوة بالرسول صلى الله عليه وسلم الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه.

¹ - أنظر: منى محمد علي جاد، طرق وأساليب تربية الطفل، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط1، 2010 . ص 119، 120 .

لقد خص القرآن الكريم الطفل في نشأته ونموه ورعايته وتربيته وأعطى الطفل المحروم حقوقاً وضمانات سبقت وفاقته في جوهرها المبادئ والضمانات التي حددها إعلان حقوق الطفل العالمي، الذي صدر بعد مئات السنين من ظهور الدين الإسلامي الحنيف⁽¹⁾. فالأبناء أمانة وضعها الله بين أيدي الآباء، وهم مسئولون عنها، فإن أحسنوا إليهم بحسن التربية كانت لهم المثوبة، وإن أساءوا تربيتهم استوجبوا العقوبة. عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته. والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها. والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته. وكلكم راع ومسئول عن رعيته".

فالأبناء يخلقون مزودين بقوى فطرية تصلح لأن توجه للخير، كما تصلح لأن توجه للشر. وعلى الآباء أن يستغلوا هذه القوى ويوجهوها وجهة الخير ويعودوهم العادات الحسنة حتى ينشأ الطفل نشأة خيرة ينفع نفسه وينفع أمته، قال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا" (سورة التحريم، الآية 6)، ويقول سيدنا علي رضي الله عنه في هذه الآية: "أي أدبهم وعلمهم"، وقال ابن عباس رضي الله عنه في تفسير هذه الآية: "اعملوا بطاعة الله واتقوا معاصي الله وأمروا أهليكم بالذكر ينجيكم الله من النار"⁽²⁾.

إن أول ما يطالب به الآباء هو تلبية حاجات الطفل وخاصة النفسية منها، ف فيما يتعلق بالحاجات النفسية، نذكر هذه الوصية النبوية: "أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم" (عن أنس، ابن ماجه، 3671)، كما أن الإسلام جعل من حقوق الأولاد على والديهم تربيتهم بدنيا وهو ما جاء في الحديث النبوي قوله عليه الصلاة والسلام: "حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرماية، وأن لا يرزقه إلا طيباً" وقال أيضا عن ابن عمر: "علموا أبناءكم السباحة والرمي والمرأة المغزل".

¹ - عبد السلام الدويبي، الإسلام والطفل - ملامح رعاية وتربية الطفل في الإسلام، قبرص: دار الملتقى للباعة و النشر، ط1، 1993، ص 19، 20.

² - سعد إبراهيم صالح، في الشريعة الإسلامية - دراسة فقهية مقارنة، القاهرة: مؤسسة دار التعاون للطباعة والنشر، ط3، 1980، ص 45.

وأوصى عليه الصلاة والسلام بحب الصبيّان في قوله: " أحبّوا الصبيان وارحموهم وإذا وعدتموهم ففوا لهم فإنهم لا يرون إلا أنكم ترزقونهم" .

إن الدين الإسلامي كله رحمة ورأفة بالعباد، وخصوصا بالضعاف منهم كالأطفال لدرجة أن الصلاة لا يطول فيها لأجلهم، وهو ما جاء في صحيح البخاري قوله صلى الله عليه وسلم: " إنني لأقوم للصلاة وأنا أريد أطول فيها، فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه" (1).

ب - علاقة الأبناء بالآباء (واجب الأبناء نحو آبائهم في الشريعة الإسلامية)

للوالدين منزلة كبيرة في الشريعة الإسلامية، ولهذا تجد القرآن الكريم ركزت آياته على واجبات الأولاد نحو آبائهم أكثر من حرصها على واجبات الآباء نحو أبنائهم، ويفسر بعض العلماء هذا بكون الوالدين مفطورين على حب أبنائهم ، هذه الفطرة تجعلهم يعتنون ويهتمون بهم بطريقة تلقائية ، فهم مزودون بعاطفة طبيعية يشترك فيها كل من الإنسان والحيوان على حد سواء، فالأبناء يتعلقون بآبائهم في مراحل عمرهم الأولى، إلا أنه وبعد كبرهم سوف يبدؤون في الانفصال عنهم شيئاً فشيئاً خصوصاً عندما يشكلون أسر ويصبحون هم أيضاً آباء وأمّهات، فتزداد مسؤولياتهم وتتوزع عاطفتهم مما قد يجعل البعض منهم ينسى مسؤولياته اتجاه والديه.

إن برّ الوالدين عند الله قرين التوحيد، فالله أمر عباده ببرهما مثل ما أمرهم بتوحيده، ودليل ذلك ما جاء في قوله تعالى، في سورة النساء (36): "واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً". ويفسر "النيسابوري"، جعل الله الإحسان للوالدين تالياً لعبادته لوجوه عدّة، منها:

- أنهما سبب وجود الولد، كما أنهما سبب التربية، فلا إنعام بعد إنعام الله أعظم من إنعام الوالدين.

¹- عبد الرزاق عمّار، علاقة المسلم بالله وبالأخرين - قدرة المسلم على الكينونة في ضوء العلوم الإنسانية، مرجع سابق، ص 247 - 252

- أن إنعامهما يشبه إنعام الله، من حيث أنهما لا يطلبان بذلك ثناء ولا ثوابا.
 - أنه تعالى لا يمل من إنعامه على العبد وإن أتى بأعظم الجرائم، فكذا الوالدان لا يقطعان عنه مواد كرمهما وإن كان غير بار بهما.
 - أنه لا كمال للولد إلا ويطلبه لأجله ويزيد عليه. كما أنه تعالى لا خير يمكن للعبد إلا وهو يريد له⁽¹⁾.

وعلى هذا الأساس كانت طاعة الوالدين من طاعة الله والعكس صحيح معصيتهما من معصيته، إلا إذا كان في طاعتها معصية أو خروج عن أحكام الشرع، فلا تجب طاعتها، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق كما تقول القاعدة الفقهية.
 ومن الآيات التي قرنت فيها طاعة الوالدين مع التوحيد قوله تعالى في سورة لقمان الآية (14)، حيث يقول عزّ وجل: "ووصينا الإنسان بوالديه، حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين، أن أشكر لي ولوالديك، إلي المصير".

ويفسر صاحب كتاب "ظلال القرآن" هذه الآية بقوله: "... وفي ظلال تلك الصورة الحانية يوجه إلى شكر الله المنعم الأول، وشكر الوالدين المنعمين التاليين، ويرتب الواجبات فيجيء شكر الله أولا ويتلوه شكر الوالدين.. "أن أشكر لي ولوالديك" .. ويربط هذه الحقيقة حقيقة الآخرة: "إلي المصير"، حيث ينفع رصيد الشكر المذخور... ويضيف قائلا: " لكن رابطة الوالدين بالولد، على كل هذا الانعطاف وكل هذه الكرامة، إنما تأتي في ترتيبها بعد وشيجة العقيدة. فبقية الوصية للإنسان في علاقته بوالديه: "وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس به علم فلا تطعهما" ..فإلى هنا يسقط واجب الطاعة، وتعلو وشيجة العقيدة على كل وشيجة...وحسبه أن الاختلاف في العقيدة، والأمر بعدم الطاعة في خلافها، لا يسقط حق الوالدين في المعاملة الطيبة والصحبة الكريمة: "وصاحبهما في الدنيا معروفا"⁽²⁾

¹ -صلاح عبد الغني محمد، تربية الأولاد وبرا الوالدين وصلة الرحم، القاهرة: مكتبة الدار العربية للكتاب، ط1، ج6، 1996، ص 130 .

² -السيد قطب، في ظلال القرآن، القاهرة: دار الشروق، ط40، 2013، ص 2788، 2789 .

وفي آية أخرى من سور القرآن الكريم، يربط الله عقيدة التوحيد بطاعة الوالدين، وذلك في سورة الإسراء (23 ، 24) : "وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما(23) واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربّ ارحمهما كما ربياني صغيرا"(24).

وفي هذه الآية طاعة خاصة مربوطة بحالة زمانية ، وهي عندما يصل أحدهما إلى سن الشيخوخة وتتفقر جميع قواه الجسدية والعقلية وحتى النفسية، ويكون تحت كفالتك فيجب عليك أيها الابن أن تتحلى بالصبر والحكمة وأن لا يصدر منك أي سلوك أو قول أو حتى إشارة تجرح مشاعرهما وعواطفهما.

وكما أن القرآن الكريم أعطى أهمية كبيرة للوالدين وربط التوحيد بطاعتها وبرهما فإن السنة النبوية الطاهرة لا تخرج عن هذا المبدأ، لأن صاحبها، عليه أفضل الصلاة والسلام، هو مبلغ هذا القرآن والداعي له بأمر من ربه. ومن ثم جاءت أحاديث كثيرة تعزز قيمة بر الوالدين، "في حديث لعائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "برّوا آباءكم تبركم أبناؤكم وعفّوا تعف نساؤكم" ، والمراد من هذا الحديث أن الأبناء يتعلمون البرّ بتقليد محاكاة والديهم لأبائهم، إنه التعلّم الاجتماعي في السن المبكرة. وفي حديث آخر أوصى عليه الصلاة والسلام بإرضائهما وحدّر من إغضابهما في قوله : "من أرضى والديه فقد أرضى الله، ومن أسخط والديه فقد أسخط الله، وقال أيضا : " ومن أحزن والديه فقد عقّهما" .

هذا وبعد العقوق من الكبائر، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: "قال النبي صلى الله عليه وسلم: الكبائر هي: الإشراف بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس" (1)

خامسا: الأسرة الإسلامية والتنشئة الدينية

1 - الدين في التصور الإسلامي

أ - مفهوم الدين في اللغة العربية

إذا رجعنا إلى الجذور اللغوية لكلمة "دين" فإننا نجد لهذه الكلمة - كغيرها من الكلمات العربية - لها عدة اشتقاقات، وتختلف معانيها باختلاف هذه الاشتقاقات. فإذا قلنا "دانه ديناً"، فإن ذلك يعني، أنه ملكه، وحكمه، وقهره، وحاسبه، وجازاه، ... الخ. فالدين في هذا الاستعمال يعني الملك والتصرف بما هو شأن الملوك، من السياسة والحكم والمحاسبة والقهر، وغير ذلك، ومنه قوله تعالى في سورة الفاتحة: {مالك يوم الدين}، أي يوم المحاسبة والجزاء. أما إذا قلنا "دان له"، فيقصد بها هنا أنه أطاعه وخضع له. فالدين بهذا المعنى هو: الخضوع والطاعة والعبادة الخ. وإذا قلنا "دان بالشيء"، فإننا نقصد أنه اتخذ ديناً ومذهباً. أي اعتقده، أو اعتاده، أو تخلق به. فالدين على هذا النحو هو المذهب والطريقة التي يسير عليها المرء نظرياً وعملياً (2).

ويلخص "محمد عبد الله دراز"، المعاني اللغوية لكلمة "دين" بقوله: "إن كلمة الدين عند العرب تشير إلى علاقة بين طرفين يعظم أحدهما الآخر ويخضع له. فإذا وصف بها الأول كانت خضوعاً وانقياداً، وإذا وصف بها الثاني كانت أمراً وسلطاناً، وحكماً وإلزاماً، وإذا

1 - عبد الرزاق عمار، علاقة المسلم بالله وبالأخرين - قدرة المسلم على الكينونة في ضوء العلوم الإنسانية - مرجع سابق، ص 265

2 - حسن علي مصطفى، نشأة الدين بين التصور الإنساني والتصور الإسلامي، دراسة في علم الاجتماع الديني، مرجع سابق، ص 8

نظر بها الرباط الجامع بين الطرفين كانت هي الدستور المنظم لتلك العلاقة، أو المظهر الذي يعبر عليها"⁽¹⁾.

ب – مفهوم الدين في القرآن الكريم

"لقد ورد لفظ "الدين"، في القرآن الكريم في العديد من السور، وبمعاني مختلفة. فمثلا نجده في فاتحة الكتاب من خلال قوله تعالى: "...مالك يوم الدين..". وكذلك في قوله: "وكننا نكذب بيوم الدين" (المدثر 46). فالمقصود بالدين هنا هو الجزاء والحساب، أي كنا نكذب بوجود هذا اليوم.

وفي مواضع أخرى من القرآن الكريم نجد آيات أخرى، يكون للدين فيها مفهوم واسع وعمام سواء كان الدين حقا أو باطلا، كقوله تعالى في سورة الكافرون: "لكم دينكم ولي دين" (آية 6)، أي لكم شريعتكم ومنهاجكم وأسلوبكم في الحياة. ولنا شريعتنا ومنهاجنا وأسلوبنا في الحياة.

ومن الآيات القرآنية التي تدل على استيعاب مفهوم "الدين" – ولاسيما دين الإسلام – لجميع مجالات الحياة، باعتباره قانونا يحكم علاقات الناس مع أنفسهم ومع غيرهم ومع الكون، هو ما جاء في قوله تعالى: "لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا" (المائدة 48)، وفي قوله أيضا: "قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لآت الحليم الرشيد" (هود 87)، لقد جاء سياق الآية يؤكد على أن الدين الذي كان يدعو إليه شعيب، هو دين يمس ويغطي جميع مناحي الحياة من اعتقاد واقتصاد وغيرها.

وهناك آيات أخرى، قصر لفظ الدين فيها على الإسلام، كقوله تعالى "إن الدين عند الله الإسلام" (آل عمران 19)، أو كقوله: "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً" (المائدة 3).

¹ - محمد عبد الله دراز، الدين (بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، الكويت: دار القلم، دط، 1982 ص 31 .

نستنتج مما تقدم، أن القرآن يصنف الأديان وفق معايير الحق والباطل، والإسلام وحده هو الذي استطاع أن يحافظ على سلامة هذه المعايير، وهذا متأ من كون الإسلام هو دين الحق وما عداه من أديان فهي باطلة. يقول الله تعالى: "ومن يبتغي غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه" (1).

ج - مفهوم الدين عند العلماء المسلمين

يرى المتصوفة من المسلمين أمثال: "الجنيد" و"ابن عطاء الاسكندري" أن الدين أو الإيمان شيء فطري في النفس البشرية، والتي كانت سابقة على البدن هذا الأخير الذي حجب الإيمان ومنعه من الظهور (2).

ومن أشهر تعاريف المسلمين " للدين " ، التعريف القائل: "بأن الدين وضع إلهي سائغ لذوي العقول السليمة باختيارهم إلى الصلاح في الحال، والفلاح في المآل" (3)

هذا ويستخلص " محمد عبد الله دراز" تعريفا للدين بعد عرض الكثير من التعريفات الغربية منها وغير الغربية ونقدها وتحليلها ليصل إلى تعريفه الخاص بالدين، فيقول: "الدين هو "الاعتقاد بوجود ذات أو ذوات غيبية، علوية، لها شعور واختيار ولها تصرف وتدبير للشؤون التي تعني الإنسان، اعتقاد من شأنه أن يبعث على مناجاة تلك الذات السامية في رغبة ورهبة، وفي خضوع وتمجيد، وبعبارة موجزة هو "الإيمان بذات إلهية ، جديرة بالطاعة والعبادة" ، هذا إذا نظرنا إلى الدين من حيث هو حالة نفسية état subjectif بمعنى التدين. أما إذا نظرنا إليه من حيث هو حقيقة خارجية fait Objectif فنقول: "هو جملة النواميس العملية التي ترسم طريق عبادتها" (4).

1 - حسن علي مصطفى ، نشأة الدين بين التصور الإنساني والتصور الإسلامي، دراسة في علم الاجتماع الديني مرجع سابق، ص 28-31
 2 - بارنر جيفري ، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة عبد الفتاح إمام ، مراجعة : عبد الغفار مكاوي ، الكويت :عالم المعرفة ، عدد 173 ، ماي 1993 ص 7
 3 - محمد عبد الله دراز ، الدين (بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان)، مرجع سابق، ص 33 .
 4 - نفس المرجع ، ص 52

ويعرف "عبد المجيد النجار" الدين على أنه "التعاليم الإلهية التي خوطب بها الإنسان على وجه التكليف".⁽¹⁾ هذا ويربط "مالك بن نبي" في حديثه عن الروح الخلقية التي تنزل مع الأديان من السماء إلى الأرض والتي تتحدد وظيفتها ومهمتها في المجتمع بربط الأفراد بعضهم مع بعض. يربط بينها، وبين المصطلح اللاتيني **Religion**، وبين الآية القرآنية التي تقول: "وألف بين قلوبهم، لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم، ولكن الله ألف بينهم، إنه عزيز حكيم" (الأنفال 63) متعجبا قائلا: "ومن العجب أن نجد اتفاقا له مغزاه ودلالته بين ما توحى به الآية وبين معنى كلمة دين **Religion**، في أصلها اللاتيني فهي تعني هناك "الربط والجمع"⁽²⁾.

2 - الأسرة والتنشئة الدينية (رؤية إسلامية)

إن المتأمل في القرآن الكريم، يستطيع أن يستنبط ويستنتج فكرة مفادها أن اعتناق دين أو عقيدة ما، هو مسألة مكتسبة، يكتسبها الأولاد عن الآباء والأجداد، وهذا يعني أن الأسرة كمؤسسة من مؤسسات التنشئة الاجتماعية هي المسؤولة عن هذه العملية، وأن الآباء بالدرجة الأولى هم من يرسخون وينقلون لأبنائهم أمور العقيدة والدين، مما يجعل تغييرها في المراحل العمرية اللاحقة أمر صعب، بل الأكثر من هذا، يصل الأمر بالكثير منهم إلى درجة التعصب لهذه العقيدة، هذا التعصب الذي يحول عند الكثير منهم وبين الحق، وهي الصعوبات التي واجهت كل رسول ونبي داعي إلى الحق، وهو ما أخبر به الله تعالى رسوله محمد عليه الصلاة والسلام، من خلال سرده قصص من سبقه من الأنبياء والرسول وما واجهوه من صد ورفض من قبل أقوامهم نتيجة التعصب لدين الآباء والأجداد.

¹ - آزاد علي إسماعيل، الدين والصحة النفسية، نفس المرجع، ص 22

² - مالك بن نبي، ترجمة عبد الصبور شاهين، عمر كامل مسقاوي، شروط النهضة، دمشق: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، 1986،

فهذا نبي الله صالح يدعو قومه ثمود إلى عبادة الله وتوحيده، فيرفضون ويجادلونه بقولهم حسب ما جاء في الآية (62) من سورة هود: " قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أنتهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب"، فهم يستعجبون لطلب نبي الله صالح، المتمثل في امتناعهم عن عبادة الأوثان معاتبين إياه بقولهم: لقد كنا نرجو أن تكون سيِّداً فينا...أتمنعنا من عبادة الأوثان التي عبدها آباؤنا وأجدادنا مئات السنين⁽¹⁾.

وفي سورة لقمان (آية 21) يقول الله سبحانه وتعالى: " وإذا قيل لهم أتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا ولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير" وقال أيضاً في سورة الصافات (69- 70) : "إنهم ألفوا آباءهم ضالين(69) فهم على آثارهم يهرعون"(70)، وفي مقام آخر قوله جلّ جلاله: " وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله، قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا، أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون"(البقرة 170)... وهناك الكثير من آيات القرآن الكريم التي تؤكد هذه الفرضية والتي لا يتسع المقام لذكرها.

هذا وتؤكد السنة النبوية التي تعتبر المصدر الثاني بعد القرآن الكريم في الشريعة الإسلامية هذه الفرضية، وذلك من خلال الحديث النبوي القائل: "ما من مولود إلا ويولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه". ويفسر العلماء قوله يولد على الفطرة، أي أن المولود يولد خالي من كل اعتقاد وإنما يولد باستعدادات لاكتساب ما يلحق له في طفولته، فحسب الحديث النبوي أنه إذا كان الوالدان أصحاب عقيدة يهودية فسوف يربون أبناءهم على هذه العقيدة، وإن كانوا نصارى فسوف يكون أولادهم كذلك، وإن كانوا مجوساً فسوف يكون أبناءهم على شاكلتهم.

إن ما نفهمه من هذا الحديث هو حجم مسؤولية الأسرة بصفة عامة، والوالدين بصفة خاصة، في تلقين الدين والعقيدة الصحيحة للناشئة، "فأركان الإسلام من صلاة وصيام وزكاة

¹ محمد علي الصابوني، التفسير الواضح الميسر، صيدا- بيروت-: المكتبة العصرية، ط14، 2014.

وحج، عند العمل على نمائها وثبوتها في نفوس الصغار، تحقق نماءهم العقدي منذ نعومة أظافرهم، وهذا يتطلب تعويدهم وإكسابهم العادات الإيمانية ليكون سلوكهم قائما على ملء نفوسهم بالتقوى، حيث يكون التعامل معهم قائما على تعليمهم صدق الحديث، وأداء الأمانة وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإحسان إلى ذوي القربى والجيران واليتامى والمساكين وأبناء السبيل، والرحمة بالضعفاء والرفق بالحيوان.

كما تنمي الأسرة في نفوسهم أيضا حب الله ورسوله وخشية الله والإنابة إليه والإخلاص للدين. ومن الواجب أيضا نحو الصغار تنمية أخلاقهم على أساس التمسك بالفضائل الأخلاقية واجتناب الرذائل، ومن ثم يكون تمسكهم بعقيدتهم قائما على أسس قوية لا تنفصم عند تقدمهم في العمر.

ولأن الطفل يميل إلى تقليد الكبار، فإنه وفقا لهذا السلوك، يمكن تعليمه العبادات حيث يمكنه تعلم الوضوء، بالقدوة الحسنة، والتلقين، والتدريب، حيث يدرّب على فروض الوضوء، وهو ابن الرابعة من العمر، ويلقن أذكار الوضوء باختصار، ونؤكد له ما يجب أن يعلمه من أن الله تعالى يحب المتطهرين. كما يمكنه تعلم الصلاة عندما يصلي الأب والأم أمام أطفالهم الصغار، ويجب أن يعرف الآباء والأمهات صورتهم في الصلاة وصوت تلاوتهم للقرآن، تنمي لدى الطفل الصغير رغبة في الصلاة، حتى يصل إلى السابعة من العمر. فعندئذ يؤمر بها، ثم يضرب من أجلها وهو ابن العاشرة.

إن القدوة والتلقين والتدريب والمتابعة المستمرة، من شأنه أن يرسخ الصلاة في قلب الطفل، ويعتاد عليها، حتى إذا أمر بها وهو في سن السابعة، كانت محبة إليه، وصار يقوم بأدائها بشكل صحيح ثم بقلب خاشع عندما يكبر، ويواظب على أدائها في أوقاتها، ويعتاد

أدائها في المساجد، ولا يتوانى عن أداء صلاة الجمعة ويسابق إلى دخول المسجد قبل صعود الخطيب على المنبر.

ومن حيث كان الصوم أكثر العبادات صلة بين العبد وربه، حيث يترك الصائم طعامه وشرابه طاعة لله، مصداقا للحديث القدسي: "كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنه لي وأن أجرى به"، وهو تطبيق عملي للإحسان الذي هو: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك". لذلك يجب أن يلحق الصغار بأن الصيام طاعة لله عز وجل، ليدخلوا الجنة التي وعد الله تعالى بها عباده المتقين، ويؤكد على الصغار أن الله يراقب صومهم. ولذلك يجب أن يدرّب هؤلاء الصغار على الصوم في السابعة، وإذا وصلوا الحلم كان الصوم سهلا ومحبا إليهم.

ويدرب الطفل على دفع الصدقات للفقراء والمساكين والمحتاجين، ويوجه إلى أن الصدقات التي هي دفع المال للآخرين، تعد بمثابة طاعة لله حيث أمرنا بذلك، وهي رغبة في ثواب الله عز وجل. وفي هذا يوثق بين الصغير وربه، وننمى لديه حب الله وطاعته وطاعة رسوله... وينسحب هذا على الفرائض والنوافل الأخرى كالحج والعمرة وغيرها من خلال ما تقدم نستنتج أن التربية في ديننا الحنيف تعتبر أولوية الأولويات، وهي عبادة تعتبر أصل العبادات، حيث يتوقف عليها استمرار العقيدة الإسلامية أو مسخها واندثارها. "وقد جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم، أفضل من الصدقة في حديثه القائل: "لأن يؤدّب الرجل ولده خير أن يتصدق بصاع"⁽¹⁾

3 - الأسرة الجزائرية خصائصها و تطورها

لا تختلف الأسرة الجزائرية عن مثيلاتها من الأسر العربية الإسلامية، فهي تشترك معهم في البنية التقليدية، هذه البنية التي تجمع بين العادات والتقاليد وبين القيم الإسلامية

¹- عبد المجيد سيد منصور، زكرياء أحمد الشربيني، الأسرة على مشارف القرن 21، -الأدوار، المرض النفسي، المسؤوليات، مرجع سابق، ص 68، 69.

والقيم المكتسبة عن طريق التثاقف. وهذا ما تؤكدته الدراسات العربية التي تناولت موضوع الأسرة أو المجتمعات العربية.

إن القارئ الجزائري الذي يقرأ مثلا أعمالا لكل من : "علي الوردي" ، و"هشام شرابي" و "حليم بركات" ، و"علي زيعور" .. وغيرهم ممن كتبوا في هذه المواضيع، يصاب بالدهشة لشدة التشابه بين هذه المجتمعات وبين المجتمع الجزائري، بل لشدة التشابه بين الشخصية العربية في أماكنها المختلفة كالعراق وفلسطين ولبنان ، وبين الشخصية الجزائرية.

إن ما هو مشترك بين هذه البلدان يكتشفه القارئ العادي، ويكتشفه القارئ الباحث المتخصص على السواء، فالأول يكتشفها لأنه يرى نفسه ومجتمعه فيها، والثاني يكتشفها لأنه بالإضافة إلى ذلك، يرى أيضا اشتراكها مع الأبحاث والدراسات التي أنجزت حول المجتمع الجزائري، وبالتحديد حول الأسرة أو العائلة الجزائرية، كدراسة "مصطفى بوتفنوشت" ودراسة "دبزي العيد" ، ودراسة "نفيسة زردومي" ودراسة "محمد حمداوي"، هذا بالإضافة إلى أفكار وتحليلات "مالك بن نبي" المضمنة في كتبه حول مشروعه النهضوي.

"إن خصائص العائلة الجزائرية تعود بجذورها إلى الأشكال الأولى للعائلة المغاربية الأمازيغية وذلك في مختلف مراحل تطورها، كما أنها ترجع أيضا إلى الحضارات التي تعاقبت على المجتمع الجزائري كالحضارة العربية الإسلامية، هذا بالإضافة إلى الثقافة التركية وتأثيرات المجتمع الفرنسي المتمثلة في تحطيم وتشويه بنى القرابة للمجتمع الجزائري"⁽¹⁾.

هذا المجتمع الذي كان قبل الاحتلال الفرنسي مشكل من "وحدات اجتماعية تمثلت في القبائل والعشائر والأسر الأبوية الممتدة، حيث كانت هذه الوحدات بمثابة وحدات

¹ - أنظر: ناصر قاسيمي، سوسيولوجيا العائلة، والتغير الاجتماعي، القاهرة: دار الكتاب الحديث، دط، ، 2013 ص 5 ؛ وانظر أيضا: Jean- Paul Charnay , La vie musulmane en Algérie d'après la jurisprudence de la première moitié du XXeme siècle, Paris, PUF, 1965.

اجتماعية قاعدية لهيكل المجتمع الجزائري التقليدي في هذه المرحلة، وكان القانون الإسلامي المالكي، بالإضافة إلى العادات والتقاليد والأعراف، المرجعية الأساسية التي يعتمد عليها في تنظيم العلاقات الاجتماعية بين الأفراد وبين الفئات الاجتماعية الأخرى⁽¹⁾. وقد كان على رأس كل قبيلة أو عشيرة شيخ يمثل الأب الروحي لها، ويتولى تسيير شؤونها ماديا وروحيا⁽²⁾.

إن ما كان يميّز الأسرة التقليدية الممتدة في هذه الفترة، هو كونها عبارة عن وحدة اجتماعية - اقتصادية غير منقسمة، تتميز بنيتها بتماسك أفرادها وتكافلهم، كما كانت القيم الروحية والأخلاقية محل اهتمام هذه الأسرة، مقارنة بالقيم المادية فهي مطالبة من خلال عملية التنشئة الاجتماعية بالحفاظ على هذه القيم وعلى تنمية روح الضمير الخلقى في أفرادها وتزكية سلوكهم لما تقتضيه العادات والتقاليد أكثر مما يقتضيه الدين أحيانا، ومؤشر ذلك ثقافة الهيمنة الذكورية التي تتخذ من الأعراف والتقاليد مرجعية لها أكثر من المرجعية الدينية⁽³⁾.

وبالإضافة إلى هذه الخصائص هناك خصائص أخرى لا يتسع المقام لذكرها، والتي ميّزت المجتمع الجزائري قبل دخول الاستعمار الفرنسي، وهي خصائص تنم عن وجود أمة بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى، ولكن بعد دخول هذا العدو وبسط نفوذه على هذا المجتمع، " قام بتطبيق مشروعه الاستعماري المتمثل في نظام شامل على جميع المستويات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية وحتى الدينية، فالاحتلال الفرنسي لم يكن عسكريا فقط وإنما كان احتلالا يشمل كل جوانب الحياة الاجتماعية.

¹ -أنظر: عتيقة حريرية، نعيمة طبال، مراحل وخصائص تطور الأسرة الجزائرية من أجل فهم وتفسير التحولات الحاصلة، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله: مجلة هيرودوت للعلوم الاجتماعية والإنسانية، عدد 6، 2018، 14 .

² -أنظر: أ.اليمين شعبان/أ.د. عوفي مصطفى، الأسرة الجزائرية عبر التاريخ، الثابت والمتغير، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، العدد 52، جوان 2017، ص 51 .

³ - أنظر: أنظر: عتيقة حريرية، نعيمة طبال، مراحل وخصائص تطور الأسرة الجزائرية من أجل فهم وتفسير التحولات الحاصلة، مرجع سابق. ص 16، 17

لقد عمل الاستعمار الفرنسي على إحداث تغييرات سوسيو - ثقافية وسياسية مست النسق الاجتماعي العام، ونجم عن هذا أن تأثرت الأنساق الفرعية الأخرى وعلى رأسها نسق الأسرة. ولقد وضع الاستعمار إستراتيجية تهدف إلى خلخلة البناء الاجتماعي وزعزعة ، هذا البناء الذي تشكل العائلة أحد ركائزه، ومن بين الطرق التي استخدمتها في هذا السياق هو محاربة هذا المجتمع في سياقه التضامني وفي قدرته على المقاومة والصمود ، فينبغي أولاً السيطرة على المرأة من وراء حجابها أين تخفي ويخفيها الرجل في المنزل⁽¹⁾. ولكن وبالرغم من هذا كله إلا أن الجزائر استطاعت أن تقاوم كل هذا وتحافظ على لغتها العربية وعلى مقوماتها الدينية.

أما في ما يخص مرحلة الاستقلال، فإن المجتمع الجزائري عرف أيضا عدّة تحولات في هذه المرحلة، منها ما هو نتيجة للفترة الاستعمارية ومنها ما هو متعلق بعوامل التحضر والتصنيع والتحديث، هذه العمليات الاجتماعية الكبرى الثلاث التي مست في الحقيقة مختلف دول العالم، والجزائر لا تشذ عن القاعدة، حيث كانت هذه العوامل لها عظيم الأثر على الأسرة الجزائرية وعلى بنيتها وأشكالها ووظائفها.⁽²⁾

لقد تغيرت الكثير من القيم والمفاهيم مع الأسرة العصرية، فبعد أن كان الزواج المبكر مثلاً وإنجاب عدد كبير من الأولاد شائعاً ومحبباً في النظام الأسري التقليدي، فإن العكس هو الصحيح مع المجتمع العصري، فالوالدان أصبحوا لا يملكون هذه الرغبة ولا يحبذونها، وفي العائلة التقليدية الممتدة أيضاً كانت التربية عملية يتدخل فيها جميع أفراد العائلة (الجد، الجدة، الأعمام.. الخ) ، فالجميع له صلاحية التوجيه والنصح والإرشاد، كما كان هؤلاء يمثلون القدوة في سلوكهم اليومي، أما في العصر الحديث فالأمر أصبح يختلف

¹ - أنظر: أ.اليمين شعبان/أ.د عوفي مصطفى، الأسرة الجزائرية عبر التاريخ، الثابت والمتغير، مرجع سابق، ص 51، 52، 53 .

² - أنظر: عتيقة حريرية، نعيمة طبال، مراحل وخصائص تطور الأسرة الجزائرية من أجل فهم وتفسير التحولات الحاصلة، مرجع سابق. ص

21 ؛ وانظر أيضا: Marcel Morand, La famille musulmane, Alger Jourdan, 1903

فلم يعد بإمكان أحد الجرأة على التدخل في تربية أبناء أحد، كما أن هناك غيابا للقدوة حتى من طرف الوالدين"⁽¹⁾

وفي الأخير نختم الحديث عن الأسرة في الإسلام بقول الإمام "محمد الغزالي" رحمه الله، الذي من خلاله ميّز بين الأسرة كما أرادها الإسلام وبين الأسر كما هي عليه اليوم عند البعض من المسلمين ومن الأمم يقول: "إن الأسرة في الإسلام هي امتداد للحياة والفضيلة معا، امتداد للإيمان والعمران على سواء. ليست الغاية إيجاد أجيال تحسن الأكل والشرب والمتاع، إنما الغاية إيجاد أجيال تحقق رسالة الوجود، ويتعاون الأبوان فيها على تربية ذرية سليمة الفكر والقلب شريفة السلوك والغاية. وتدبر موقف أبي الأنبياء إبراهيم بعد ما أنعم الله عليه بالأولاد، إنه يقول: "الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع الدعاء. رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي، ربنا وتقبل دعاء"، إنه يريد أولادا يركعون لله ويسجدون ! ما أقبح أن ينسل رجل فساقا وملاحدة، وفي الأرض الآن أمم لا تبالى ما تلد أحياء أولادها كفارا أم يحيون مؤمنين المهم رفع مستوى المعيشة وليكونوا بعد حطبا للنار ! ونحن المسلمين نأبى هذا التفكير، ونعد أصحابه دواب مهما كانت سماتهم الظاهرة...ومن دعاء عباد الرحمن عندما يختارون أزواجهم ويؤسسون بيوتهم: "ربنا هب لنا من أزواجنا قررة أعين واجعلنا للمتقين إماما"⁽²⁾.

¹ - أنظر: أنظر:ناصر قاسمي، سوسيولوجيا العائلة، والتغير الاجتماعي، مرجع سابق، ص 105، 106، 107 .

² -محمد الغزالي، المرأة بين التقاليد الرائدة والوافدة، مصر: دار الشروق، دط، دت، ص 102،103 .

خلاصة الفصل

إن هذا الفصل تناول موضوع الأسرة من منظور إسلامي، هذا المنظور الذي يختلف عن المنظور الغربي اختلافاً كلياً تقريباً. ولتغطية هذا الموضوع قمنا بتقسيمه إلى ستة مباحث، حيث يضم كل مبحث مجموعة من العناصر التي تغطيه. وقد مهدنا لهذه المباحث بالحديث عن سنة من سنن الكون وهي سنة التزاوج، الذي جعلها الله في هذا الكون آية من آيات خلقه، هذا التزاوج الذي تقوم عليه كل الكائنات الجامدة منها والحية. مبيّنين في ذلك الاختلاف بين التزاوج عند الإنسان، وبين غيره من الكائنات الحية ولاسيما الحيوان، هذا الاختلاف الذي يظهر في الخصائص الطبيعية الإنسانية التي تجعله ينفرد بقدرته على البناء الأسري، وبذلك يكون التزاوج أول مرحلة لهذا البناء.

هذا، وقد تحدثنا في المبحث الأول، عن الزواج من رؤية إسلامية من خلال عرضنا لبعض الآيات القرآنية التي تثبت ما ذهبنا إليه في التمهيد ، ثم بيّنا أهمية الزواج كما جاءت في القرآن الكريم من خلال وصفه بالميثاق الغليظ، هذا الوصف لم يرد في القرآن الكريم إلا تعبيراً على المعاهدة بين الله وعباده.

هذا وعرضنا بعض الاستدلالات الواقعية التي تؤكد أن ظاهرة التزاوج ظاهرة عرفتتها كل البشرية بما في ذلك الأنبياء والرسل وجعلتها سنة يجب إتباعها، كما أثبتته الكثير من الأحاديث النبوية، كالحديث القائل: "النكاح سنتي فمن رغب عن سنتي فهدى الله ربه عنى".

هذا وتناول المبحث الثاني ، مفهوم الأسرة ومكانتها في الإسلام، مبينين من خلاله بأن مصطلح "الأسرة" في اللغة العربية، هو مصطلح مستحدث لا يوجد في قواميس اللغة ولم يستخدمه حتى الفقهاء، لكن دلالاته موجودة في القرآن الكريم وفي أحكام الفقهاء مستدلين ببعض الآيات القرآنية التي تؤكد تواجد دلالة هذا المصطلح.

بعد ذلك قمنا بعرض المفهوم الإجرائي للأسرة، والتي قمنا بتعريفها انطلاقاً من هذه الدراسة بقولنا : هي تلك الأسر التي لديها أطفال هم في مرحلة التربية، سواء كانوا أطفالاً شرعيين أم أطفال بالتبني.

بعد ذلك تطرقنا إلى الحديث عن مكانة الأسرة في الإسلام ، مستنبطين مكانتها من الآيات القرآنية تارة ومن الأحاديث النبوية تارة أخرى، مستنتجين مكانتها من عدة مظاهر أهمها : أن بناء هذه الأسرة يبدأ قبل الزواج من خلال الشروط والمعايير الشرعية التي يجب أن تتوفر في كلا الزوجين . ومن مظاهره أيضاً وضع أحكام لها وقوانين في القرآن الكريم والسنة النبوية تضبط سلوك أفرادها وتنظم علاقاتهم. وأخيراً ربطنا هذه الأهمية والمكانة بأهمية الوظيفة التربوية التي تقوم بها.

أما المبحث الثالث فقد خُصص للحديث عن معايير اختيار الزوج والزوجة في الإسلام، مستتبطين هذه المعايير من بعض النصوص الشرعية ومن أقوال بعض المفكرين المسلمين. ثم تطرقنا إلى معايير الاختيار في الزواج ، وكيف أنها مؤشر على نجاح الأسرة. وبعد ذلك وضحنا كيف لخص الحديث النبوي القائل: **تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك** ، المعايير الشائعة في الاختيار وهي المال والجمال والحسب، والدين. ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام أمر بضرورة الأخذ بالمعيار الأخير وهو الدين. كما أمر أيضا بضرورة الارتباط بامرأة تكون من أسرة تقية متدينة، لأن العرق دساس. أما بالنسبة للرجل فمن معايير اختيار المرأة له بالإضافة لمعيار الدين هو قدرته على تحمل المسؤولية ماديا ومعنويا لكي لا يضيع من يقوت.

هذا وقد خصص المبحث الرابع للحديث عن العلاقات الأسرية في التصور الإسلامي، مركزين في ذلك على العلاقة بين الأزواج والعلاقة بين الأولاد والآباء، من خلال استخراج الأحكام والقوانين التي تنظم هذه العلاقات من بعض الآيات القرآنية، ومن الأحاديث النبوية.

ففي ما يخص العلاقة الزوجية فإن القرآن أعطى لها مساحة لا بأس بها في آياته حيث تناول هذه العلاقة في جميع حالاتها : في الزواج ، وفي الطلاق، وفي العدة وفي الظهار .. وغيرها، ووضع أحكام وقواعد يجب الاحتكام إليها في أي موقف من هذه المواقف. هذه القواعد التي تبين حقوق وواجبات كل طرف، بدون تمييز بين الرجل والمرأة وهو الأمر الذي كان مغيبا في الواقع الاجتماعي عند العرب ومعظم المجتمعات الأخرى.

بعد ذلك تكلمنا عن العلاقة بين الآباء والأبناء ، من خلال عرض مكانة الآباء في القرآن الكريم، هذه المكانة التي جعلت توحيد الله مقرونا بطاعتهم، وبيّنا كيف أن آيات القرآن جاءت في معظمها وصية لبر الأولاد لوالدهم، ولم توص أكثر الآباء على أبنائهم، ذلك لأن

حب الآباء للأولاد فطرة إنسانية. ثم بعد ذلك تحدثنا عن الطفل في الإسلام وعن حقوقه على والديه.

أما المبحث الرابع، فكان مخصصا لمعالجة موضوع "الأسرة والتنشئة الدينية"، حيث خصصنا الشطر الأول من المبحث للحديث عن "الدين" من خلال عرض مفهومه في اللغة وفي اصطلاح العلماء والمفكرين المسلمين، وركزنا على التعريفات الأكثر شهرة مثل التعريف القائل: "بأن الدين يعني التعاليم الإلهية التي خوطب بها الإنسان على وجه التكليف".

أما الشطر الثاني فتطرقنا فيه إلى دور الأسرة ووظيفتها في ترسيخ القيم الإسلامية في نفوس ناشئتها، كالقيم المرتبطة بالعبادات من صلاة وصيام وصدقة.. وغيرها، والقيم المرتبطة بالمعاملات من آداب واحترام وتواضع، هذا وركزنا في هذا الشطر على دور الأم في أداء هذه الوظيفة الاجتماعية، مستدلين ببعض النصوص القرآنية وأقوال بعض العلماء المسلمين عن المرأة بصفة عامة والأم بصفة خاصة.

هذا، وكان المبحث السادس، الذي تناول موضوع "الأسرة الجزائرية"، هو آخر عنصر في هذا الفصل، حيث تطرقنا فيه إلى عرض موجز عن الأسرة الجزائرية وعن خصائصها البنيوية والوظيفية، من خلال تتبع مراحل تطورها، والتغيرات التي أصابها من حيث بنيتها كتحولها من نمط العشيرة أو القبيلة إلى نمط العائلة الممتدة، ثم إلى نمط الأسرة النووية، ومن حيث وظائفها وقيمها، كتحولها من وحدة اجتماعية اقتصادية إلى وحدة اجتماعية تكاد تنحصر وظيفتها في عملية الإنجاب والتنشئة الاجتماعية، وتحول العديد من قيمها التقليدية كعزوفها عن رغبتها في إنجاب عدد كبير من الأولاد وغيرها.

الفصل الخامس: التنشئة الاجتماعية في الفكر الغربي

تمهيد

أولاً: مفهوم التنشئة الاجتماعية ونقدها

ثانياً: أهداف التنشئة الاجتماعية وأساليبها في الفكر الغربي

ثالثاً: القيم في الفكر الغربي

رابعاً: نظريات التنشئة الاجتماعية في الفكر الغربي

-خلاصة الفصل

تمهيد

قبل التطرق إلى مفهوم التنشئة الاجتماعية، أردنا توضيح بعض الأمور: الأمر الأول يتعلق بالخلط بين مفهوم التنشئة الاجتماعية ومفهوم التربية ، ففي كثير من الأحيان نجد في بعض المراجع يتكلمون عن التربية بمعنى التنشئة الاجتماعية ، والعكس صحيح ، أي التنشئة الاجتماعية بمعنى التربية، ومنهم من يرى أن التربية شيء والتنشئة الاجتماعية شيء آخر ولكل فريق حججه وبراهينه.

فمن الذين مثلاً يرون أن التنشئة الاجتماعية والتربية شيء واحد، نجد الدكتورة " منى محمد علي جاد" ، التي ترى أن التنشئة الاجتماعية تشمل التربية الجسدية والعقلية والاجتماعية والأخلاقية بما في ذلك العقائد والمثل العليا والتربية الروحية⁽¹⁾

وفي نفس الاتجاه نجد الدكتور: "أحمد علي الحاج محمد"، في كتابه: "علم الاجتماع التربوي المعاصر" يقول: "ثمة ما تجدر الإشارة إليه وهو أن التنشئة الاجتماعية والتربية وجهان لظاهرة أو عملية اجتماعية واحدة، وذلك بالنظر إلى غايتها النهائية، كونهما تحدثان في سياق اجتماعي متصل بوصف كل منهما سندا يدعم الآخر تبعا لخاصية عمل كل منهما، لدرجة تتماهى التفرقة بينهما. بيد أن ما يميّز بين التنشئة الاجتماعية والتربية أن الأولى تتم عن طريق تفاعل الإنسان في مواقف الحياة مباشرة، وما يمر به من مواقف شخصية ينفعل بها ويتفاعل معها بصورة تؤدي إلى نموه عقليا وجسميا ونفسيا، وتشكيل شخصيته الدالة عليه، وبالتالي فغاية التربية والتنشئة الاجتماعية واحدة وهي نمو الإنسان سواء أكان صغيرا أو كبيرا وتغييره وتكيفه من جميع جوانبه العقلية والروحية والجسمية والنفسية والخلقية من مختلف أنشطة المجتمع وأبعاد حياته".⁽²⁾

¹ - منى محمد علي جاد، طرق وأساليب تربية الطفل، مرجع سابق، ص 21

² - أحمد علي الحاج محمد، علم الاجتماع التربوي، الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط1 ، 2012 ، ص 105

أما نحن، فموقفنا مع هذا الاتجاه ولنا في ذلك أدلة أخرى بالإضافة إلى الأدلة المذكورة أعلاه ، فحسب رأينا أن التربية والتنشئة الاجتماعية هما وجهان لعملة واحدة ، فلا يوجد فرق بين التربية والتنشئة الاجتماعية، إلا في بعض الجوانب، لأن التنشئة في اللغة العربية مأخوذة من الفعل نشأ، وفي القرآن الكريم نجد في سورة المؤمنون، الآية 14 ، "ثم أشنأه خلقا آخر"، ويفسر ابن عباس رضي الله عنه هذه الآية بقوله: يعني تنقله من حال إلى حال إلى أن خرج طفلا ثم نشأ صغيرا شابا، ثم كهلا، ثم شيخا هرما⁽¹⁾.

ومما لا شك فيه أن هذا الانتقال قد يصاحبه عدّة تغيرات على مختلف المستويات العقلية منها والجسمية والنفسية... وغيرها. ومفهوم التربية لا يخرج عن هذا الإطار، فهي تعني تربية الفرد في جميع جوانبه العقلية والروحية والنفسية، والجسدية،... الخ ، .

إن حسب تفسير "ابن عباس" ، فإن التربية تعني التنشئة الاجتماعية لأنها تشترك في نفس العمليات، فقط التنشئة تضاف إليها صفة الاجتماعية ليس لأنها تهتم وتنمي الجانب الاجتماعي للفرد كما يرى البعض، وإنما -حسب رأينا- ألصقت بها صفة الاجتماعي لأنها تمارس في المجتمع وفي مؤسساته المختلفة، وتستقي مرجعيتها منه، من حيث القيم والأساليب والأهداف وغيرها. أي أنها تمارس وفق طبيعة و ثقافة كل مجتمع. كما أن الفرق بينهما أيضا يكمن في كون أن التنشئة الاجتماعية عملية مستمرة من الميلاد إلى الوفاة في حين التربية عملية تتوقف في سن معينة.

أما الأمر الثاني فهو ما يتعلق بمفهوم التنشئة الاجتماعية في حد ذاته ، فبعض علماء الاجتماع يرون أن هذه العملية تخص جانب معين وهو الجانب الاجتماعي فقط ، أي أن الذي يهم في هذه العملية هو تلقين الناشئة القيم الاجتماعية فقط ، أي تلك القيم التي تحدد علاقات الفرد مع الآخرين ، سواء كانوا أفرادا أو جماعات أو مؤسسات، و كيف تجعل

¹ - عماد الدين بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، راجعه وخرّج أحاديثه: أنس محمد الشامي، محمد سعيد محمد، الكويت: دار البيان العربي ص 315

هذا الفرد متكيفا مع محيطه الاجتماعي من خلال تشرب ثقافة وقيم ومعايير مجتمعه. في حين تهمل القيم الأخرى، أي القيم التي لها علاقة بالذات ، أو تلك القيم الروحية التي لها علاقة بالله ، أو تلك التي تنظم علاقة الفرد بالبيئة وبكل ما هو موجود فيها من نبات وحيوان وجماد . فنحن في هذا البحث لم نتبن هذه النظرة الضيقة للتنشئة الاجتماعية وذلك لسببين:

السبب الأول: يتمثل في قناعتنا بأن مصطلح اجتماعي يستوعب الكثير من المجالات والجوانب، السياسية، والثقافية، والدينية، النفسية والروحية... الخ . فالفرد وهو يتشرب هذه الثقافة يتشربها بنفسية ومزاج خاص، كما أن الجانب الروحي له دور كبير في تكوين شخصية الفرد الاجتماعية من حيث علاقاته الاجتماعية، وبالتالي فهو بالإضافة إلى تشكل شخصيته الاجتماعية، فان نفسيته ومزاجه، وطرق تفكيره، وانفعالاته، وطريقة فرجه وحزنه... الخ، كل هذا يتشكل خلال عملية التشرب هذه.

وعلى هذا الأساس لا يمكن الفصل بين ما هو اجتماعي وما هو نفسي وما هو روحي، فكل عنصر من هذه العناصر يؤثر في الآخر ويتأثر به، فالإنسان الذي هو محور التنشئة الاجتماعية لا يمكن تجزيئه ، فكثير من الظواهر الاجتماعية كان وراء حدوثها أمراض نفسية (الإجرام ، الاغتصاب الخ)، والعكس صحيح، الكثير من الأمراض النفسية كانت عللها اجتماعية بالدرجة الأولى ، وفي حالات أخرى يلعب العامل الروحي دورا كبيرا في الظاهرة النفسية والاجتماعية على حد سواء، ولنا الكثير من الأدلة على هذا الاعتقاد ، أهمها الدراسة التي أجراها عالم الاجتماع الألماني " ماكس فيبر" المعنونة بـ"الرأسمالية وروح البروتستانتية" ، وهي دراسة أثبتت نتائجها، الدور الفعال الذي لعبه المذهب الديني المسيحي وعلى وجه الخصوص المذهب البروتستنتي في انتعاش الاقتصاد وظهور الرأسمالية، هذا النظام الذي أصبح ولا زال يتحكم في العالم بأسره، فهذا المذهب كانت مبادئه الدينية والروحية تشجع على العمل وتحفز على اكتساب وجمع الثروة ، وتعتبر

كل من يمتثل لهذه المبادئ سوف يكون ثوابه الجنة في الآخرة والنجاح في الدنيا ، ولاسيما النجاح المادي.

إذن نفهم من هذا، أن هذا الاعتقاد ترجم إلى سلوك، فالفرد البروتستانتي تشبع روحياً بمبادئ البروتستانتية، ثم ترجم هذا الاعتقاد إلى سلوك اجتماعي يمكن ملاحظته، وأن هذا السلوك كان له الكثير من النتائج على الفرد والمجتمع، وغير سياسات وفلسفات مجتمعات عدة. وهناك أمثلة كثيرة تثبت هذا الاعتقاد والتي لا يتسع المقام لذكرها بكاملها.

وانطلاقاً من هذا فنحن نؤمن بأن التنشئة الاجتماعية هي عملية شاملة، وسوف نتعامل في بحثنا هذا مع هذه العملية من هذا المنطلق.

أما السبب الثاني: -وهو العامل الأساسي -، الذي جعلنا ننتبى هذه النظرة هو طبيعة موضوع بحثنا الذي هو "المرجعية الإسلامية للتنشئة الاجتماعية". وكما نعلم أن الإسلام ينظر إلى الإنسان والكون نظرة شمولية ، وبالتالي فهو ينظر إلى التنشئة الاجتماعية نظرة شمولية أيضاً، فهو لا يجزيء الإنسان وإنما ينظر له في تكوينه وتنشئته نظرة كلية في جميع جوانبه، "فالإسلام ليس عقيدة فحسب، ولا هو مجموعة طقوس ، بل هو برنامج تفصيلي لحياة الإنسان الكاملة، ليست العقائد والعبادات ومبادئ الحياة العملية وضوابطها فيه أشياء منفصلة بعضها عن بعض، بل تتلاحم هذه كلها فيه، وتؤلف مجموعة لا تقبل التجزئة ويكون بين أجزائها كمثل الارتباط الذي يكون بين أعضاء الجسم الحي".⁽¹⁾

فالدين الإسلامي هو منهج حياة ، وهذا المنهج يستدعي أو يتطلب الالتزام به وتطبيقه في جميع مناحي الحياة وليس فقط في الجانب الاجتماعي أو جانب العلاقات الاجتماعية، فلا يعقل أن نعلم الأطفال كيف يتعاملون مع الآخرين في ظل المبادئ الإسلامية، وعندما

¹ -محمد بن أحمد الصالح، الطفل في الشريعة الإسلامية (نشأته-حياته، حقوقه التي كفلها الإسلام)، السعودية: مطابع الفرزدق التجارية، 1981. ص. هـ.

يتعلق الأمر بمناحي الحياة الأخرى نرمي هذه المبادئ بعرض الحائط ونتبنى منهج آخر وهذا القول لا يعني أننا نرفض بعض القيم التي لا تتبثق من المرجعية الإسلامية وإنما نقصد تلك القيم التي قد تتعارض و المرجعية الإسلامية.

أولا : مفهوم التنشئة الاجتماعية ونقدها

بما أن موضوع التنشئة الاجتماعية هو موضوع العلوم الاجتماعية والإنسانية فإننا سوف نقوم بعرض هذا المفهوم، و أهداف هذه العملية لدى علماء كل مجال من مجالات العلوم الاجتماعية والإنسانية، عند علماء الاجتماع ، والتربية و الأنتربولوجيا وعند علماء النفس أيضا

مما تجدر الإشارة إليه أيضا أننا سوف نعرض مباشرة التعريف الاصطلاحي لمفهوم التنشئة الاجتماعية، بحكم أن هذا المفهوم هو مفهوم غربي أي علماء العلوم الاجتماعية والإنسانية الغربيين هم من وضعوه، وبالتالي فهو مفهوم لا يوجد في التراث العربي والإسلامي، وإنما يوجد أصل لكلمة "نشأ" في اللغة العربية ، ولهذا سوف نتطرق إلى وضع المفهوم اللغوي في فصل التنشئة الاجتماعية في المرجعية الإسلامية .

1 - مفهوم التنشئة الاجتماعية في الفكر الغربي

إن مصطلح " التنشئة الاجتماعية" ، مصطلح يكتفه الغموض، ويرجع بعض الباحثين إلى أن هذا الغموض هو نتيجة سوء فهم، ارتكبه "كويدينكز" ، عندما ترجم كلمة vergesellschaftung (أي الدخول في علاقة اجتماعية، أو "الرابطة"، المركزية في عمل "جورج زيمل" إلى الإنجليزية " socialisation" ⁽¹⁾)

ويعتبر مصطلح التنشئة الاجتماعية من المصطلحات الكلاسيكية في العلوم الاجتماعية، وذلك منذ ظهور "موجز السوسيولوجيا" لـ سوتيرلاندر، و دوارد في سنة 1937

¹ – R.Boudon et F.Bourricaud, Dictionnaire critique de sociologie , paris. p.u.f. 1982. p482

ويطلق على مصطلح التنشئة الاجتماعية مصطلحات أخرى: كالتطبيع الاجتماعي أو التطبع الاجتماعي، أو الإدماج الاجتماعي، أو التثقيف، غير أن مصطلح التنشئة الاجتماعية هو الأكثر شيوعاً واستخداماً⁽¹⁾.

إن من أبرز العلوم التي ساهمت في نشأة هذا المفهوم، نجد علم الاجتماع، علم النفس، علم الأنثروبولوجيا، وعلماء التربية، ولهذا نجد كل مفهوم للتنشئة الاجتماعية جاء متأثراً بتخصص أصحابه. وسوف نقوم بعرض مجموعة من التعاريف لكل تخصص من هذه التخصصات، وسوف نبدأ بمجال التربية، كون أن التربية كانت أسبق من العلوم الأخرى في الظهور، أو قل على الأقل في مجال التربية كانت تستوعب التخصصات الأخرى كعلم الاجتماع التربية، علم النفس التربية، الأنثروبولوجيا... وغيرها.

أ - عند علماء التربية القدامى

المربي واللغوي القسيس: جون أموس كومينوس⁽²⁾ (1592-1670)

إن هذا المربي يعرف التربية انطلاقاً من وظيفتها، فهو يرى أن غاية الإنسان القسوى هي السعادة الأبدية في الحياة الآخرة، وأن وظيفة التربية هو المساعدة على تحقيق هذا الهدف. فحسبه أن للتربية وظيفة أسمى سمو الإنسان، وهي تلخص غاية هذا المخلوق في الحياة. من خلال هذا التعريف يمكن أن نستنتج أن أهداف التنشئة الاجتماعية كانت دينية في المجتمعات الغربية، إلا أنه مع تبني هذه المجتمعات فكرة العلمانية واللائكية أبعدت الدين من حياة الأفراد.

¹ - أحمد علي الحاج محمد، علم الاجتماع التربوي المعاصر، مرجع سابق، 2001 .

² - اسمه الحقيقي باللاتينية "جان عموس كومنسكي"، ولد بشكسلافاكيا. هو أول من نادى بضرورة الجمع بين تسلية الطفل وتعليمه كما يرى أن طرق المعرفة هي الحس والعقل والكشف الإلهي وأن تحقيق التوازن بينهم سيمنع الوقوع في الخطأ.

ب - عند علماء الاجتماع

يقصد بمفهوم "التنشئة الاجتماعية Socialisation ، في قاموس علم الاجتماع "الاروس"، socialiser يقصد بهذا الفعل "تحويل الفرد من كائن غير اجتماعي إلى كائن اجتماعي، وذلك من خلال تلقينه أنماط التفكير والتصرف والشعور. ومن بين النتائج التي تحققها التنشئة الاجتماعية هي جعل السلوكات المكتسبة سلوكات ثابتة⁽¹⁾

ويشير مفهوم "التنشئة الاجتماعية" في معجم العلوم الاجتماعية إلى "أنها عملية إعداد الفرد منذ ولادته لأن يكون اجتماعيا وعضوا في مجتمع معين.

ويعرفها عالم الاجتماع الفرنسي "اميل دوركايم" بقوله: "...إن الإنسان الذي تريد التربية أن تحققه فينا، ليس هو الإنسان على غرار ما أودعته الطبيعة، بل الإنسان على غرار ما يريده المجتمع. فالتربية هي التأثير الذي تمارسه الأجيال الراشدة على الأجيال التي لم ترشد بعد وتكمن وظيفتها في إزاحة الجانب البيولوجي من نفسية الطفل لصالح نماذج من السلوك الاجتماعي المنظم.

ويعرفها "تالكوت بارسونز": بأنها عملية تعليم تعتمد على التلقين، والمحاكاة، والتوحد مع الأنماط العقلية، والعاطفية، والأخلاقية عند الطفل الراشد، وتهدف إلى إدماج عناصر الثقافة في نسق الشخصية، وهي عملية لا نهاية لها بل مستمرة"⁽²⁾.

ج - عند علماء الأنثروبولوجيا

يذهب بعض علماء الأنثروبولوجيا أمثال: "فرانز بواس" Franz Boaz ، و "روث بنيدكت" Ruth Benidict ، و"مرجريت ميد" Margret Mead ، إلى القول بأن التنشئة الاجتماعية عملية يقلد الطفل من خلالها ثقافة مجتمعه بطريقة تلقائية وذلك من خلال أساليب الثواب والعقاب التي يتعرض لها في مراحل طفولته.⁽³⁾

¹ - Raymond Boudon, *dictionnaire de la sociologie*, Paris : Librairie Larousse, 1989, page 181

² - صالح محمد علي ألوجداد، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، الأردن: دار المسيرة ، ط2 ، 2000 ، ص 16

³ - أنظر: بهاء الدين خليل تركية، علم الاجتماع العائلي، مرجع سابق، ص 92 .

د - عند علماء النفس

أما عالم النفس: "سيجمويد فرويد"، فينطلق في تعريفه للتنشئة الاجتماعية من نظريته حول مكونات الشخصية، وفي جدل العلاقة القائمة بين هذه المكونات، والتي تكشف أهمية العلاقة بين الجانب البيولوجي، والجانب الاجتماعي، فالهو **Le ça** ينطوي على الحالة الفطرية الأولية عند الكائن، بينما يشكل **الأنا الأعلى Le sermon** الجانب الاجتماعي الثقافي، ويرمز إلى العادات والتقاليد الجمعية السائدة في المجتمع، ومنه فان التفاعل الذي يتم بين الأنا الأعلى، وهو عبر تدخل الأنا، يمثل الجانب الأساسي في عملية التنشئة الاجتماعية، وعن طريق التفاعل بين عضوية الكائن وثقافة المجتمع يستطيع الفرد أن يتكون اجتماعيا وأن يحظى بعضوية الجماعة.

2 - نقد مفهوم التنشئة الاجتماعية

يمكن القول أنه من غير الممكن في مجال، مثل مجال التربية أن نضع تعريفا فففاض ينطبق على كل المجتمعات وكل الأنظمة وفي كل الظروف، وقد يؤيد اعتقادنا هذا وجود تعريفات مختلفة ومتنوعة لمفهوم التربية والتنشئة الاجتماعية، وذلك لاختلاف جنسيات ومعتقدات وإيديولوجيات ومجتمعات أصحاب هذه التعريفات، فكل واحد من هؤلاء المفكرين حاول وضع تعريف لهذه العملية الاجتماعية انطلاقا من السياقات المذكورة آنفا والتي ينتمي إليها أو يؤمن بها بأي حال من الأحوال، وفي هذا الصدد يكتب الدكتور "إبراهيم الناصر" في كتابه: **أسس التربية**، قائلا: "لقد وجد منذ القدم وليومنا هذا، أنه من الصعب الاتفاق على نوع واحد من التربية، تكون صالحة لجميع البشر، وفي جميع المجتمعات وتحت كل الأنظمة، وفي ظل المؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية" (1) وانطلاقا من قناعته هذه يضع هذا الكاتب تعريفه الخاص بقوله: "التربية هي عملية تطبيع مع الجماعة، وتعايش مع الثقافة، وهي بالتالي حياة كاملة في مجتمع معين وتحت

¹ - إبراهيم الناصر، أسس التربية، عمان (الأردن)، دار عمار للنشر والتوزيع، ط6، 2001، ص17

ظروف معينة، وفي ظل حكم معين، وتمشيا مع نظام محدد، وخضوعا لمعتقد أو عقيدة ثابتة... إنها عملية تشكيل وصدق للإنسان، وهي في النهاية النتاج الذي تشكل به أنفسنا ونصبح بالتالي كما نحن عليه"⁽¹⁾

وينتقد الباحث المغربي "مصطفى حدية"، هو الآخر في كتابه المعنون بـ: "التنشئة الاجتماعية والهوية"، بعض المفاهيم التي وضعها بعض الباحثين للتنشئة الاجتماعية ولاسيما أولئك الذين ينظرون إليها على أنها مجرد عملية تدجين وتوحيد للسلوكيات، ومجرد تعلم للحياة الاجتماعية أو تمرن عليها.

ولهذا فهو يرى أن التنشئة الاجتماعية يجب أن تفهم على أنها صيرورة متواصلة ومستجدة طيلة الحياة، وذلك بهدف اندماج اجتماعي نسبي ومتواصل للفرد، ومن جهة أخرى على أنها وسيلة للتعلم من خلال استدخال آليات الفعل والنشاط (القواعد والقيم والتمثلات الاجتماعية... الخ) سعيا في تحقيق درجة من التكيف في إطار الحياة الخاصة والاجتماعية المتغيرة فصيرورة الاندماج في استمراريتها وتغيرها تتضمن بشكل عام صيرورة تشكيل هوية الفرد النفسية والاجتماعية⁽²⁾ .

ونحن من جهتنا نرى أن مفهوم التنشئة الاجتماعية في الفكر الغربي لا يمكن إسقاطه بكل تفاصيله على مجتمعاتنا العربية الإسلامية، وذلك لسببين هما:

السبب الأول: أن أصحاب هذا المفهوم جعلوا من المجتمع المرجعية الأساسية لعملية التنشئة الاجتماعية، فهم يرون أن هذه العملية تتم في المجتمع من خلال مؤسساته الرسمية منها والغير رسمية ، وأن هذه المؤسسات تقوم بتلقين الناشئة كل ما هو موجود في المجتمع وكل ما تؤمن به الجماعة وتؤيده، ولهذا فالمجتمع هو الوسط الذي تنطلق منه هذه العملية وهو المرجعية وهو الهدف، متجاهلين في ذلك التغيرات التي قد تطال قيم وقناعات ومبادئ

¹ - إبراهيم الناصر، المرجع السابق، ص 21 .

² - مصطفى حدية ، ترجمة محمد بن الشيخ، التنشئة الاجتماعية والهوية ،(دراسة نفسية اجتماعية للطفل القروي المتدريس) :الرباط: ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، دط، 1996 ص 23

هذا المجتمع، فما كانت تؤمن به المجتمعات التقليدية ليس نفسه ما تؤمن به المجتمعات العصرية، فالكثير من القيم اندثرت، وأصبحت سلعة بائرة لا إقبال عليها ولا طلب، وحلت محلها قيم أخرى أكثر رواجاً واستهلاكاً، وهنا يكمن الإشكال فعندما تكون مرجعية التنشئة الاجتماعية شيء متغير، فماذا نتوقع؟

إن الاعتماد على المجتمع إذن كمرجعية لعملية اجتماعية، -تعتبر هي أساس كل العمليات الاجتماعية الأخرى- كالتنشئة الاجتماعية، أمر فيه الكثير من المخاطرة، وذلك ليس لسبب إلا لأن هذه العملية مهمتها تكوين الفرد نفسياً واجتماعياً وحتى روحياً، وهذا يتطلب مرجعية تمتلك في هذا المجال زاد يتسم بالثبات، -نقصد الثبات يكون نسبي وليس مطلق-، وذلك للحصول على شخصية متزنة تقوم على مبادئ ثابتة لا تتغير بتغير الزمان والمكان، وعند البحث عن هذه المرجعية سوف لا نجدتها في الأديان المحرفة ولا الأديان الوضعية، ولا حتى في عادات وتقاليد المجتمع، فاليهودية والمسيحية بدأت تحرف في ثوابت ديانتها يوماً بعد يوم حتى جردتها من خصوصيتها الإلهية وصيرتها بشرية، والأديان الوضعية هي الأخرى تائهة في التغير الحاصل في المجتمع، فهي في كل مرة تضطر إلى تغيير نظرياتها وقوانينها حول الإنسان حسب التغير الحاصل في المجتمع.

هذا، وما يؤخذ على هذه التعريفات أيضاً، هو اعتبار "الثقافة" هي الأخرى مصدراً ومرجعية يستند إليها القائمين على التنشئة الاجتماعية في تربية أطفالهم. فالثقافة كما نعلم في تعريفها الشائع هي: كل ما أبدعته يد الإنسان منذ وجوده وإلى يومنا هذا من أعراف وقوانين وعادات وتقاليد وطقوس ولغة و معتقدات .. وغيرها.

فالثقافة إذن، حسب تأويلنا لهذا المفهوم، هي نتاج صراع أبدي بين الإنسان والطبيعة، ففي كل مرة كان هذا المخلوق يخترع لنفسه وسائل وطرق وأساليب لتسهيل حياته وتطويرها، ولتنظيم علاقاته مع نفسه ومع غيره، ومع الكون، وذلك حسب ما تقتضيه ظروف المكان، والزمان الذي ينتمي إليهما، ومن هذه الظروف تكتسب كل ثقافة خصوصيتها، وعلى

هذا الأساس، فإن اعتبار الثقافة وسيلة المجتمع في الحفاظ على هويته ووجوده، ووسيلة الفرد للتكيف مع مجتمعه، افتراض لا يعول عليه، وذلك لسببين أساسيين هما :

السبب الأول: أن صفة التغير، صفة متجذرة في الثقافة، فطالما أن الإنسان في كل مرة يسعى إلى تحقيق حياة أفضل، فهو إذن في كل مرة يخترع ويبدع وسائل للوصول إلى ذلك ويظهر هذا خاصة في العصر الحالي حيث أصبح التغير يتم بسرعة لا يتصورها العقل. وقد تفسر هذه السرعة، بعامل الثقافة وخصائصها، كالتراكمية، والاستمرارية، والانتشار والديناميكية والمرونة...وهي كلها صفات عززها التطور العلمي والتكنولوجي في هذا العصر.

كما أن هذا التغير يعمل بمبدأ الغاية تبرر الوسيلة، وهذا يتعارض وعقيدتنا الإسلامية أيضا. بالإضافة إلى أن هذا التغير يجعل الثقافة تفنقد للثوابت والمقومات التي تعتبر أساسية لكل هوية.

أما السبب الثاني هو: أنه ما دامت الثقافة هي حصيلة لما أنتجه الإنسان عبر التاريخ وذلك مختلف المجالات، فإن هذه الثقافة ستأخذ من منتجها صفاته وخصائصه وهي النقصان وعدم الكمال. و يكفي بهذين العاملين تشكيكا في قدرة الثقافة وحدها على القيام بالوظيفتين السابق ذكرهما من جهة، وعلى تكوين شخصية الأفراد بصفة سوية من جهة ثانية.

إن المرجعية التي يمكن التعويل عليها يجب أن تكون تمتلك من الخصائص ما إن تجعل متبنيها يطمئن إليها في السراء والضراء ويجد فيها كل ما يعترض طريقه في قطار الحياة الذي قد تطول مسافته أو تقصر، يجب أن تكون تمتلك خاصية الصلاحية لكل زمان ومكان ، بحيث تستطيع هذه المرجعية أن تواكب التطور الحاصل في العالم ، دون المساس بمبادئها وثوابتها .

إن هذه الخصائص حسب رأينا لا تتوفر إلا في الشريعة الإسلامية، ولا ينكر هذا إلا جاحد، إننا لسنا نقول هذا بدافع الذاتية كوننا ننتمي لهذه الشريعة، ولكن نقول هذا من منطلق

موضوعي^(1*)، فالإسلام كما يذهب في ذلك المفكر الإسلامي "محمد قطب" في رده على المشركين، "هو عقيدة ينبثق منها نظام سياسي اجتماعي اقتصادي فكري حضاري مادي ثابت الأسس متغير الصورة بما يناسب أوضاع البشرية خلال مسيرتها التاريخية، وهو في تغييره الدائم محكوم أبدا بالأسس الثابتة التي لا يجوز أن تتغير، لأن تغييرها يفسد الحياة البشرية..."⁽²⁾

إننا لو أسقطنا عبارة محمد قطب: "ثابت الأسس متغير الصورة" على الهندسة المعمارية، سوف نجد أن أي بناء مهما تغيرت أشكاله وصوره، وتطورت تصميماته، فإن له أعمدة تمثل أساس البناء، هذه الأعمدة التي لا يمكنها أن تتغير بتغير صورة البناء وشكله، لأنها الأساس الذي يقوم عليه البناء، ولهذا تجد دائما المهندس يأخذ بعين الاعتبار الأعمدة التي تمثل أساس البناء، فهو لا يستطيع أن يضحى بأحد منها في سبيل تغيير صورة البناء أو شكله، لأن ذلك سوف يؤدي لا محالة إلى انهيار البناء. وما ينطبق على البناء المعماري، ينطبق على البناء الإنساني أكثر.

إنه يتعذر بل يستحيل على كل إنسان كان ما كان فهم هذا الكون بكائناته الحية منها والجمادة، فهما دقيقا يؤهله لكي يضع له نظام وقوانين تسيّره، وعليه فإن وضع منهج للإنسان وللكون عامة من طرف البشر هو تعدي على خالق البشر. إن تدخل يد البشر هو تدخل نسبي وهو من باب الاجتهاد ليس إلا، وذلك في ما لا يناقض ما سطره وخطط له صاحب هذا الكون.

وفي الأخير يمكن القول إن اعتبار المجتمع هو مصدر القيم هو اعتقاد لا يتماشى ومرجعيتنا الإسلامية التي ترى أن مصدر القيم هو الله، وهي القيم التي جاءتنا عن طريق الوحي، وهي القيم الوحيدة التي تستطيع أن تمارس سلطة على الفرد والمجتمع على حد

¹ - يمكن الاستدلال هنا بالاعتماد بعض الدول الأوربية وتبنيها لبعض القيم الإسلامية في التعليم والاقتصاد، كما فعلت ألمانيا وانجلترا في ما يخص التفريق بين الجنسين في المدارس والمؤسسات التربوية، وكذلك اعتماد بعضهم على النظام الاقتصادي الإسلامي الذي يحرم الربا. وغيرها
² - محمد قطب، مفاهيم ينبغي أن تصحح، القاهرة، بيروت: دار الشروق، 1994، ط 8، 251.

سواء، كما أن هذه القيم ليست عرضة للتغير والتحول حسب ظروف المجتمع عبر الزمان والمكان وإنما هي ثابتة فهي تُخضع الظروف لمنطقها وليس العكس. وعلى هذا الأساس يمكن وضع تعريف للتنشئة الاجتماعية انطلاقاً وخصوصيتها الدينية والاجتماعية. وهو التعريف الذي اجتهدنا في وضعه ، والذي يقول "أن التنشئة الاجتماعية⁽¹⁾: عملية تعليم، تقوم على التفاعل، والتأثير المتبادل بين المنشئ(القائم بعملية التنشئة) والناشئ، وذلك من خلال الاعتماد على المرجعية العربية الإسلامية⁽²⁾ (*) على مستوى القيم والأسلوب والأهداف، والاعتماد على تعليم الحكمة، كوسيلة، ومنهج للتكيف مع مستجدات كل عصر. إذن، هنا يمكن القول ، أن القيم والأسلوب والأهداف تعتبر من ثوابت الشريعة الإسلامية التي لا يمكن تغييرها بأي حال من الأحوال ، وأن الحكمة، مادامت تعرّف على أنها كل سلوك يطابق العقل، وقواعد الأخلاق، فهي إذن أسلوب وطريقة تفكير عندما نتعلمها ونعلمها لأطفالنا فإننا بذلك نحصلهم، لأننا نكون بذلك قد زودناهم بمنهجية تجعلهم يُخضعون كل ما هو جديد عن ثقافتهم الأصلية إلى ميزان العقل ومبادئ الأخلاق.

ثانياً : أهداف التنشئة الاجتماعية وأساليبها في الفكر الغربي

1 - أهدافها

تعتبر أهداف التربية انعكاس لأهداف المجتمع وتجسيدا لفسفته ولطموحاته، فلا يمكن لأي مجتمع من المجتمعات تحقيق أهدافه ولاسيما الإستراتيجية منها إن لم يعتمد على التربية بشقيها الرسمي وغير الرسمي، أي التربية داخل الأسرة أو داخل المؤسسات التربوية. فإذا أردت أن تكون المواطن الصالح الذي يحب وطنه ويضحى من أجله توجب عليك

¹ -مقال للباحثة، بعنوان: مفهوم التنشئة الاجتماعية والتحديات التي تواجهه، لم ينشر بعد.

* إننا نتعمد عند حديثنا عن القيم والهوية قول: القيم والهوية العربية الإسلامية ، وليس القيم العربية والإسلامية، لأننا عندما نربط بين العربية والإسلامية، فيصبح هنا المقصود الأخذ بكل القيم العربية بما فيها تلك القيم التي تعارض الإسلام، وهذا لا يعقل لأن معظم القيم التي كانت سائدة في =المجتمع العربي قبل محيء الإسلام حاربها أشد محاربة، فلا يعقل أن ننسبها له وهو رافضها، وإنما المقصود هو تلك القيم فقط التي تبناها وعززها، أي القيم التي تأسلمت، أو تلك التي سكت عنها لأنها لا تعارض مبادئه.

المرور على هذه القناة، وإن أردت أن تصنع جيلا يحب العمل ويقده أنت مضطر أيضا إلى الاعتماد على هذه العملية الاجتماعية... وإن أردت أن تجعل من دولتك دولة مصنعة أو حربية أو ... فلا بد من الاعتماد على التربية لتحقيق هذه الأهداف.

فالتربية المجردة من الأهداف غالبا ما تكون عشوائية ضعيفة المردود، ولهذا فحاجة المجتمعات إلى تربية هادفة كحاجتهم إلى الخبز اليومي كما يعبر أحد الفلاسفة. (1). لكن الإشكال ليس في الأهداف بقدر ما هو في طبيعة هذه الأهداف وفي أولوياتها، وفي ما تقدمه لصالح الفرد والمجتمع.

إن التنشئة الاجتماعية كغيرها من العمليات الاجتماعية لم تسلم هي الأخرى من ظاهرة التغير الاجتماعي هذه الظاهرة التي لم تترك مجال لم تطأه، ولم يمنع منها أي مجتمع من المجتمعات، لقد مسّ هذا التغير التنشئة الاجتماعية في أسسها ومبادئها وحتى في أهدافها فأهدافها في المجتمعات التقليدية ليس هي نفسها في المجتمعات العصرية، وفي المجتمعات العلمانية واللائكية ليست هي نفسها في المجتمعات الدينية.. الخ

وتعتبر المجتمعات الغربية هي أكثر المجتمعات تأثرا بهذا التغير الذي أتى على الأخضر واليابس، ولا سيّما على مستوى الأسرة و مستوى وظائفها، وعلى رأسها وظيفة التنشئة

الاجتماعية وأهدافها، هذه الأهداف التي يمكن استنباطها واستنتاجها خلال تعاريفها التي وضعها علماء ومفكري الغرب، والتي سبق وأن تطرقنا إليها، فكل تعريف يحمل في طياته هدف أو أكثر، من أهداف التنشئة الاجتماعية، هذه الأهداف في الحقيقة هي انعكاس للثورة الفكرية المعرفية والاجتماعية التي عرفت المجتمعات الغربية في عصر هؤلاء المفكرين.

¹ - برتراند راسل، التربية والنظام الاجتماعي، ترجمة: سمير عبده، بيروت منشورات دار مكتبة الحياة، ط2، دت

يعتبر تعريف عالم الاجتماع الفرنسي "إميل دوركايم" -وهو الذي أشرنا إليه سابقاً- من التعاريف الأكثر شيوعاً وتداولاً في أدبيات العلوم الاجتماعية وعلى وجه التحديد علم الاجتماع، وقد يرجع السبب في ذلك لكون أن هذا المفكر، كان سابقاً في إدراج علم الاجتماع التربوية، كتخصص يدرّس في مدرجات الجامعة الفرنسية.

إن المتأمل لهذا التعريف يجد أن صاحبه تغطى على فكره الصبغة الاجتماعية فبالنسبة إليه يمثل المجتمع المرجعية الأساسية التي ينهل منها الأفراد قيمهم التربوية،...ولهذا يمكن استنباط أهداف التنشئة الاجتماعية عند إميل دوركايم وتلخيصها في ما يلي:

- أن التنشئة الاجتماعية أو التربية تهدف إلى تكوين أفراد كما يريد المجتمع، وليس كما تريد الطبيعة. بمعنى أنها تنقل لأفرادها كل القيم والمبادئ التي يؤمن بها المجتمع الذي ينتمي إليه هؤلاء الأفراد، أي أنهم لا يتركوا على الطبيعة التي ولدوا بها وإنما يجب إدماجهم في المجتمع من خلال تشريبهم ثقافته بما تحملها هذه الثقافة من قيم ومبادئ.. وغيرها

إذن نفهم من هذا ، أن هدف التنشئة الاجتماعية حسب هذا المفكر ، هو تدوير شخصية الفرد في الجماعة حيث يصبح مسلوب الإرادة، إذا أحسن الناس أحسن وإذا أساءوا أساء ، فلا حول ولا قوة له أمام سلطة المجتمع وليس له حق الاختيار ولا القبول ولا الرفض إلا في إطار ما يؤمن به المجتمع بغثه وسمنه !، ولنا أن نتصور هذا المجتمع وكيف يجب أن يكون وهل عدم تعرضه لهفوات وتغيرات... مسألة مضمونه .

- كذلك من أهداف التنشئة الاجتماعية حسب إميل دوركايم هو القضاء على الغرائز البيولوجية والنفسية للفرد من أجل اكتساب نماذج من السلوك الاجتماعي، وبهذا تكون النظرة المجتمعية "الدوركايم" تلغي الأبعاد التي تكوّن شخصية الفرد وهي: البعد النفسي والروحي والعضوي.

أما بالنسبة "لتالكوت بارسونز" فإن الهدف من التنشئة الاجتماعية هو إدماج عناصر الثقافة في شخصية الفرد. إذن حسب هذا التعريف نفهم أن الثقافة هي المادة التي تمثل المرجعية الأساسية في عملية التنشئة الاجتماعية، وقد وضحا أعلاه كيف أن الثقافة لا يمكن الاعتماد عليها كمرجعية من مرجعيات التنشئة الاجتماعية، وذلك لصفة التغير التي تتميز بها.

إن ما يمكن استنتاجه من هذه الأهداف المضمنة في تعاريف علماء الاجتماع وحتى علم النفس والانتروبولوجيا هو اتفاقهم على هدف واحد وأساسي للتنشئة الاجتماعية وهي تلقين الناشئة ثقافة مجتمعهم بهدف ادماجهم نفسيا واجتماعيا. متجاهلين بذلك ما تتعرض له هذه الثقافة وهذا المجتمع من تغير وما يطرأ عليهما من تبدل. وهو ما وقع مع المجتمعات الغربية بالضبط.

لقد كانت المجتمعات الغربية، مجتمعات تخضع للتعاليم الدينية المسيحية " حيث كانت التصورات الدينية المسيحية هي التي تسيطر على التفكير الأوربي، هذا التصور الذي كان ينطلق من فكرة الثبات في كل شيء. فالله ثابت أزلي ، وخالق الكون وخالق الإنسان وأن قصده من خلق الإنسان كذلك أزلي ثابت، ومن فكرة الثبات هذه أصبح الأفراد يؤمنون بأن حياة الإنسان ثابتة وعقائده وأفكاره وتقاليده ثابتة أيضا، وكانت فكرة الثبات هذه يؤكد لها الواقع المتمثل في ثبات النظم والقواعد والأفكار والتقاليد التي يقوم عليها المجتمع الزراعي والإقطاعي لمدة طويلة من الزمن مما رسخ هذه الفكرة في نفوسهم وأصبحوا أكثر إيمانا بها. لقد عاش الناس على هذه الفكرة الثابتة ردا من الزمن، فكانت لهم تقاليد موروثة وثابتة، تتعلق بالرجل والمرأة والطفل والأسرة والمجتمع والحياة، تتغير قليلا وتتحوّر من جيل إلى آخر لكنها في مجموعها لها أصول ثابتة، ومن هذا المنطلق كان الدين والأخلاق والتقاليد في تصورهم وحسبهم أمورا ثابتة لا تتغير بتغير الزمن والأحداث.

نعم لقد كان الأمر على هذا الحال إلى أن ظهرت نظرية "داروين" في التطور، هذه النظرية التي قلبت كل الموازين، وزلزلت عقيدة الثبات ونسخت كل ما كان يقوم عليه التصور المسيحي من أفكار ومفاهيم، فنسخت فكرة الثبات في كل شيء وأعلنت أن لا شيء ثابت، لا النبات، ولا الحيوان، ولا حتى الإنسان....⁽¹⁾

لقد كان لهذه النظرية عظيم الأثر في تغيير المجتمعات الغربية تغييرا جذري مسّ البناء الاجتماعي بكل أنساقه، بما في ذلك نسق الأسرة، وهنا تغيرت هذه الأخيرة في بنيتها ووظائفها وأهدافها، وكان قد سبق هذا التغيير تغير في المجال المعرفي، هذا المجال الذي أصبح أصحابه ينادون "بضرورة إحياء التراث الثقافي اليوناني والروماني، وأصبحت التربية فيه ذات بعد فردي يتمثل في الاهتمام بتنميته ومساعدته على النمو العقلي والجسمي والخلقي.."⁽²⁾

وما يلاحظ على هذه التربية هو إغفال البعد الروحي والديني، وذلك لأن التنشئة الاجتماعية أصبحت تستقي قيمها ومبادئها وأهدافها التربوية من القيم العلمانية واللائكية المؤسسة على التراث اليوناني والروماني بعد أن كانت نابعة من التصور المسيحي القائم على الفكرة الدينية.

2 - أساليبها

إذا كانت أهداف التنشئة الاجتماعية انعكاسا لفلسفة المجتمع ولطموحاته - كما مرّ معنا أعلاه - فإن أساليبها انعكاسا لهذه الأهداف وتجسيدها لها، فطالما أن نظرة الأفراد وآرائهم للكون وللإنسان ولكل شيء في هذا الكون تغيرت، فإن نظرتهم أيضا للتربية وأهدافها تغيرت هي الأخرى، ومادامت مضامينها وأهدافها تبدلت، فمن الطبيعي أن تكون أساليبها هي الأخرى تبدلت من أجل خدمة هذه الأهداف وتحقيقها على أرض الواقع.

¹ - أنظر: محمد قطب، معركة التقاليد، القاهرة: دار الشروق، ط 16، 1996، ص 13-15.

² - أنظر: عزت جردات، هيفاء أبو غزالة، خيرى عبد اللطيف، مدخل إلى التربية، عمان: الأردن، مكتبة دار الفكر للنشر والتوزيع، ط 3، 1987 ص 19

لقد بدأ هذا التغيير في المجتمعات الغربية في مجال التربية ، مع بداية "عصر النهضة الأوروبية، هذا العصر الذي تميّز بالصراع بين مفاهيم التربية المسيحية، ومفاهيم التربية اليونانية والرومانية تمخض عنه ظهور حركات واتجاهات تربوية جديدة ميّزت العصر الحديث وطغت على كل مجالاته، ومن أبرز المفكرين التربويين الذين لاقت آرائهم وأفكارهم التربوية رواجاً كبيراً ، نذكر على سبيل المثال لا الحصر: فرانسيس بيكون، جان جاك روسو، باستالوتزي، سبنسر، وليام جيمس، جون ديوي"⁽¹⁾.

لقد كان لكل واحد من هؤلاء نظريته الخاصة في الكيفية والأسلوب الواجب اعتماده لتحقيق أهدافهم التربوية، فمثلاً كان "جون جاك روسو" (1712-1778)، ينادي بضرورة "ترك الطفل، ولا سيما في مراحل الطفولة المبكرة للطبيعة، فهي معلمه الوحيد، وهذا يتوجب عليه ترك المدينة والعيش في الريف. ولكي يتعلم من الطبيعة يجب إعطائه الحرية الكاملة دون تقييده بالفائف، وذلك لتعويده على تحمل أجواء البرد والحر. هذا ومن الأساليب التربوية التي دعا إليها هذا المفكر أيضاً ، هو تحذيره الآباء من أسلوب التدليل، طالبا منهم بعدم جعل أدوات لعب الطفل من الأشياء الغالية ، ويجب أن تكون من الطبيعة ، من فروع الأشجار والأزهار والثمار".⁽²⁾

إذن من خلال ما تقدم يمكننا استنتاج أسلوب التنشئة الاجتماعية في فلسفة "جون جاك روسو"، وهو أسلوب قائم على الحرية المطلقة، هذه الحرية -حسب رأينا- لا تكون تكون في صالح الطفل لما لها من أضرار على سلامته وهو طفل وعلى شخصيته وهو راشد.

¹ - أنظر: عزت جردات، هيفاء أبو غزالة، خيرى عبد اللطيف، ، مدخل إلى التربية، ص 19

² -محمد إبراهيم طایل الديهي ، موقف الإسلام من تنشئة الطفل -نفسيا -اجتماعيا- تربويا- ، مقارنة عميقة بين النظريات الغربية والنظريات الإسلامية بيروت: دار الجيل، ص 419

ومن هؤلاء أيضا المربي والمصلح الاجتماعي "جون هنري باستالوتزي 1714 - 1827"، هذا الأخير الذي يرى أن الأسرة تعتبر أهم مؤسسة تربية، داعيا كل مربي بأن "يجعل المودة والمحبة أساسا لعمله التربوي، وقد كانت نظرتة للتربية تبنى على أساس نفسي مراعيًا بذلك مراحل نمو الطفل والبيئة الثقافية والاجتماعية التي ينتمي إليها"⁽¹⁾ لقد كان أسلوبه التربوي يتسم بالديمقراطية من خلال "جعل الطفل يحيا حياته بصورة كاملة، وأن يصنع ويفعل ما يريد. ولكن مشددا على ضرورة تقديس العمل وعلى اتقنه"⁽²⁾ وبهذا يكون أسلوب هذا المفكر في التربية يجمع بين التدليل والحزم والصرامة في أن واحد.

هذا وقد جاءت أفكار المربي "فريدريك وليام فروبل" 1782-1852 فيها تحذيرا من الأضرار التي تتجم عن أسلوب الإهمال الذي يتعرض له الطفل ولا سيما في مرحلة ما قبل المدرسة، هذه الفكرة التي دفعته إلى إنشاء روضة للأطفال تقوم على فكرة ما أسماه بـ "هدايا الطفل وأشغاله"⁽³⁾.

"لقد كان أسلوبه في التربية يقوم هو الآخر على أسلوب الديمقراطي الحر، ولا سيما في مجال اللعب، مشجعا على اللعب التلقائي الحر، وذلك لإفراغ شحنة النشاط الذي يتمتع بها الطفل"⁽⁴⁾.

ومن خلال ما تقدم يمكننا استنتاج طبيعة الأساليب التربوية التي جاءت بها أفكار هؤلاء المربين، وهي أساليب كلها تهدف إلى الإعلاء من قيمة الفرد، وذلك من خلال مناداتهم بضرورة تنميته في جميع الجوانب ولا سيما النفسية منها، هذا الجانب الذي جعلهم

¹ - محمد إبراهيم طایل النيهي، موقف الإسلام من تنشئة الطفل - نفسيا - اجتماعيا - تربويا -، مقارنة عميقة بين النظريات الغربية والنظريات الإسلامية مرجع سابق، ص 423 .

² - أنظر: عزت جردات، هيفاء أبو غزالة، خيري عبد اللطيف، مرجع سابق، 1987، ص 23 .

³ - محمد إبراهيم طایل النيهي، موقف الإسلام من تنشئة الطفل - نفسيا - اجتماعيا - تربويا -، مقارنة عميقة بين النظريات الغربية والنظريات الإسلامية مرجع سابق، ص 24 .

⁴ - نظر: عزت جردات، هيفاء أبو غزالة، خيري عبد اللطيف، مدخل إلى التربية، مرجع سابق، 1987، ص 26 .

يرون أن الأسلوب الديمقراطي هو الأسلوب الأمثل لتحقيق ذلك. لقد كانت أساليبهم وسيلة لتحقيق أهدافهم التربوية، هذه الأهداف التي كما قلنا أنفا هي أهداف تسعى إلى تكوين الفرد تكويناً نفسياً وجسدياً ومعرفياً لكنها تهمل جانباً مهماً وهو الجانب الروحي.

ثالثاً: القيم في الفكر الغربي

من المعمول به أننا عندما نريد تحديد مفهوم من المفاهيم يتوجب علينا البحث عن جذوره في اللغة. وفي ما يخص مفهوم القيم سوف لا نتطرق إلى مفهومه في اللغة العربية في هذا العنصر ، ولكن سوف نتطرق إليه في فصل التنشئة الاجتماعية في المرجعية الإسلامية، وذلك تفادياً للتكرار، ولهذا سوف نكتفي بعرض هذا المفهوم في المعنى اللاتيني.

1 - مفهوم القيم

أ - المفهوم اللاتيني للقيم

جاء في كتاب " مقدمة في الفلسفة العامة" لصاحبه: "يحي هويدي" ، أن كلمة القيمة valeur مشتقة من الفعل اللاتيني valeo ، ومعناها في الأصل "أنا قوي"، أو "إنني بصحة جيدة"، أي أنه يشمل على معنى المقاومة والصلابة ، وعدم الخضوع للتأثيرات وأيضاً على معنى التأثير في الأشياء والقدرة على ترك بصمات قوية عليها.

ويرى الدكتور "يحي هويدي" ، أن كلمة القيمة في معناها العام تتفق مع معنى القيمة الأخلاقية، لأن القيمة الأخلاقية بحث في الفضيلة، وكلمة فضيلة vertu تقابلها في اللاتينية كلمة virtus ، وهي تشير في هذا الفعل اللاتيني إلى قوة المرء وصلابته أمام الأخطار والملمات.

ويستنتج " هويدي " من هذا، أن الفضيلة مرادفة للشجاعة، " لأن الإنسان الذي يبعد عن الأخلاق الفاضلة حسبه، هو عادة الإنسان الذي يضعف أمام نفسه، وأمام شهواته وأمام العقبات الكثيرة التي تعترض طريق تحقيقه للفضيلة، أو هو الإنسان الذي تخونه

شجاعته أمام كل هذا. هذا فضلا عن أن الشعور الأخلاقي مهدد دائما بأن ينحدر إلى المرتبة التي تليه من مراتب الحياة الباطنية، وهي مرتبة الشعور النفسي البيولوجي، ولذلك فإن على الرجل الفاضل أن يزود نفسه بقليل من الشجاعة لكي لا ينجذب إلى الشعور البيولوجي، وليظل محافظا على المستوى الأخلاقي في مقاومة طريق الغواية والشر"⁽¹⁾.

نفهم من هذا أن القيم، ومنها القيم الأخلاقية تعطي لصاحبها مناعة، وحصانة ضد كل التغيرات، والطوارئ التي تناقضها. وهذه المناعة هي الشجاعة، فالفقير الذي يفضل الفقر على المال الحرام، فهذا يتطلب منه شجاعة كبيرة، لكي لا يضعف أمام هذا المال، بالرغم من أنه في أمس الحاجة إليه، والمجاهد الذي يتحمل التعذيب على أن لا يخون وطنه، لا بد أن تكون له من القوة والشجاعة، ما يجعله يصبر على كل أصناف وأنواع التعذيب التي يتعرض إليها من طرف العدو...وقس على ذلك الكثير من المواقف التي يتعرض لها الإنسان، والتي من خلالها تختبر مناعته هذه، وحصانته القيمة إن صح التعبير.

ب- المفاهيم الاصطلاحية للقيم

يعتبر مفهوم " القيمة" من المفاهيم المتداولة من طرف العديد من الباحثين في مختلف التخصصات كعلم الاجتماع والاقتصاد والنفس والفلسفة والتربية. .. وغيرها، وقد نتج عن هذا أن تعرض هذا المفهوم إلى الكثير من الغموض والخلط في استخداماته من طرف بعض الباحثين في هذا المجال، لدرجة أنه لا يجتمع ولا يتفق مفكري تخصص واحد على تعريف واحد لهذا المفهوم⁽²⁾

¹ - يحي هويدي، مقدمة في الفلسفة العامة، القاهرة، دار النهضة العربية، 1970، ط7، ص 286.

² - أنظر: عبد اللطيف محمد خليفة، ارتقاء القيم، الكويت: عالم المعرفة، عدد: 160، يناير 1978. ص 30

– المفهوم الاقتصادي للقيم

"يعرف علماء الاقتصاد القيمة بأنها: "أهمية الشيء من حيث الحاجة إليه، أو الرغبة في الحصول عليه، أو نوع النظرة إليه" (1)

إن قيمة الشيء، أو السلعة في علم الاقتصاد حسب الدكتور "يحي هويدي" مرادفة لسعره أو لسعرها، سواء نظرنا إلى هذا السعر من ناحية تكاليف الإنتاج، أو من ناحية مقدار العمل الذي بذله العامل في إنتاج السلعة، أو من ناحية العلاقة بين العرض والطلب، أو من ناحية فائدة الشيء أو السلعة للإنسان في حياته المعيشية. لأنه لا قيمة للسلعة في ذاتها، بل في تبادلها مع شيء آخر (2).

بالإضافة إلى هذه المعايير التي حددها "هويدي" لتقييم السلعة، هناك معيار آخر يتحكم في هذه القيمة، وهو في نظرنا المعيار الثقافي ، فقد تكون بعض السلع باهضة الثمن من حيث تكاليفها والجهد الذي تتطلبه ، والوقت الذي تستغرقه ، إلا أنها لا قيمة لها في ثقافة بعض المجتمعات ، والعكس صحيح ، وهناك الكثير من الأمثلة في هذا المجال .

– المفهوم الفلسفي للقيم

إن تحديد القيمة في عالم الأفكار والآثار الفنية يتوقف على عملية "تقويم ذاتي"، من جانب الشخص للأشياء أو الموضوعات أو الأفعال، هذا التقويم قد يمس نواح الجمال التي تحتويها ، أو يكون من ناحية الحقيقة التي تشتمل عليها، أو قد يمس جانب الخير والشر الذي تنطوي عليه. ولهذا فهي في هذا المجال أقل نسبية من تحديد القيمة في عالم الاقتصاد، لأن هذا الأخير تكون القيم فيه قابلة للتبادل، والتعويض، في حين أن القيمة في معناها الفلسفي مرتبط بمجموعة من الاعتبارات المعنوية الأخرى التي تكسبها نوعا من الموضوعية، والاستقلال عن عالم الأشياء المتبادلة (3).

¹ -ثريا التيجاني، القيم الاجتماعية والتلفزيون في المجتمع الجزائري، الجزائر(عين مليلة): دار الهدى، دط، 2011 ، ص 58 .

² - يحي هويدي، مقدمة في الفلسفة العامة، مرجع سابق ، ص 286 .

³ - يحي هويدي، مقدمة في الفلسفة العامة، مرجع سابق ، ص 285 .

مما لا شك فيه، فإن هناك تغيرات كثيرة طرأت على المجال الاقتصادي ، نتيجة للتطور الهائل للتكنولوجيات الحديثة ، وقد مس هذا التطور مختلف حقوله، وقد نجم عن هذا أن اختفت بعض قيمه اختفاء تاما، ولم يصبح لها أي فاعلية ، والبعض منها عوضت بقيم أخرى، في حين الأمر يختلف بالنسبة للقيم في المعنى الفلسفي ، فالشجاعة مثلا، قيمة لا يعوضها الكرم، والكرم أيضا قيمة لا يعوضه الوفاء... وهكذا، فكل قيمة لها وظيفتها الخاصة وسياقها الخاص، وغيابها لا يعوضه حضور أي قيمة أخرى.

"إن ما يميز القيمة في المعنى الفلسفي، أنها علاقة ذات بموضوع، في حين أنها تعني في الحقل الاقتصادي علاقة بين موضوع، وموضوع آخر. فدراسة القيم في معناها الفلسفي ليست دراسة موضوعية للأشياء والأفعال وليست دراسة سيكولوجية ذاتية للنفس أو الأنا وللعمليات التي تتعاقب عليه، بل دراسة ذاتية-موضوعية ، قائمة على العلاقة الديناميكية التي تقوم الذات عن طريقها موضوعات الحق والخير والجمال.

وعليه فإذا كانت القيم الاقتصادية قيما نسبية، نظرا لاعتمادها على ما يقابلها في عالم الأشياء، أو على ما نستطيع أن نضعه بدلا منها، فإننا نستطيع القول أن القيمة الفلسفية ليست نسبية بهذا المعنى، بل مطلقة أو أن لها قيمة في ذاتها، وليس معنى هذا أن القيم في معناها الفلسفي ثابتة أزلية تنتمي إلى عالم آخر غير عالمنا، وذلك لأن الفلاسفة المعاصرين لم يعودوا يتحدثون عن مثل الحق والخير والجمال باعتبار أنها نماذج عليا ثابتة ، قائمة في عالم منفصل عن عالمنا، بل أصبحوا ينظرون إليها على أنها تقويمات بشرية خالصة، تنشأ وتنمو في عالمنا هذا الذي نعيش فيه، ومعنى ذلك أن القيم من هذه الناحية أصبحت نسبية وليست مطلقة، ولكننا عندما نضع القيمة الفلسفية في مقابل القيمة الاقتصادية فبوسعنا أن نقول إنها أقل نسبية من هذه الأخيرة" (1) .

¹ - يحي هويدي، مقدمة في الفلسفة العامة، مرجع سابق، ص 283 - 284 .

– المفهوم السوسولوجي للقيم

انقسم علماء الاجتماع في دراستهم للقيم إلى قسمين ، منهم من درسها من حيث الموضوعات، وما تنطوي عليه من قيمة أمثال (توماس وزنانكي، وهاندي، وكاتز وبيري...) ومنهم من درسها كما يتبناها الأفراد، و نأخذ على سبيل المثال، لا الحصر (البورت، وكلوكن، وليندزي، وماسلاو، وتشارلز موريس).

إن القيم الوحيدة في نظر علماء الاجتماع، هي تلك التي يختص بها مجتمع من المجتمعات، أو تتبناها مجموعة من الجماعات، تجعلها تتميز عن مثيلاتها، أي هي كل القواعد، والمبادئ التي يتبناها مجتمع بعينه، وفي مكان محدد، وفي فترة زمنية تاريخية ولهذا فهي نسبية ، ليس فقط لاختلافها من مجتمع إلى آخر، ولكن لأنها أيضا تتضمن شحنة انفعالية، تستدعي انتماء عاطفيا وأحاسيس قوية . هذه الشحنة من الحساسية هي التي تفسر الثبات النسبي للقيم عبر الزمن، وهي التي تفسر أيضا المقاومة التي يلاقيها عموما تغيير القيمة وتبديلها داخل أي مجتمع من المجتمعات(1).

ولقد تباينت التعاريف التي وضعها الباحثون المختصون في العلوم الاجتماعية وتعددت ، ومن أهم هذه التعاريف ما يلي(2): تعريف "فلوريان زنانكي، الذي يرى أن القيم الاجتماعية تعني المعطيات ذات المحتوى الواقعي المرتبطة بجماعة معينة، والتي تنطوي على معان تجعل منها موضوعا للنشاط "

تعريف "كلود كلوكهون، الذي يرى أن " القيمة هي تصور، ظاهر أو مضمّر لما هو مرغوب، يميز الفرد أو الجماعة، ويؤثر في الاختيار بين الوسائل، والغايات المتاحة للسلوك"

¹ - أنظر: عبد الغني عماد، سوسولوجيا الثقافة (المفاهيم والإشكاليات من الحداثة إلى العولمة)، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ، ط1 ،

2006 ، ص 140

² المرجع نفسه ، ص 141-142

تعريف "روبرت بارك و أز برجس يريان": "إن أي شيء يحظى بالتقدير والرغبة هو قيمة" "ستيوارت دود"، يرى أن القيمة هي رغبة، أو أي شيء مرغوب يختاره المرء في وقت معين وهي من الناحية الإجرائية: ما يقول المرء أنه بحاجة إليه"

هذه بعض التعاريف، التي وضعها بعض العلماء والباحثين الغربيين في مجال العلوم الاجتماعية للقيم، وهي تعاريف فيها اختلاف في وجهات النظر، باختلاف الاتجاهات والتخصصات والمدارس التي ينتمون إليها.

إن المتأمل في هذه التعريفات يكتشف أن معظمها تخضع مصطلح "القيمة" للرغبة والحاجة، بدون شرط أو قيد، و حسب رأينا أنه عندما تكون القيم خاضعة للرغبات والاختيارات العشوائية بدون معايير تضبطها، فإن هذا الأمر سوف تجعل القيم يختلط قبيحها مع جميلها ومذمومها مع محمودها.

2 – مصادر القيم في الفكر الغربي

تعتبر مصادر ومرجعيات القيم من المواضيع المعقدة التي تطرح تساؤلات عدّة على جلّ الباحثين في هذا المجال، وغالبا ما تتمحور هذه التساؤلات حول اعتبار الدين مرجعية للقيم، أو افتراض المجتمع كمصدر لها، وفي أحيانا أخرى اعتبار الفرد كمنتج لها، وعلى كل حال، فإنه يوجد هناك العديد من التقسيمات والتصنيفات في ما يخص هذا الموضوع فالباحثين اختلفوا أيما اختلاف في تحديد هذه المصادر وتصنيفها، ونظرا لكثرتها فلا يمكن التطرق إليها كلها وإنما سوف ننتقي فقط ما نراه يخدم موضوع بحثنا هذا.

أ – الاتجاه الفلسفي

إن موضوع القيم في الفكر الفلسفي سال فيه الكثير من الحبر، حيث يعتبر من المواضيع المحورية التي استرعت اهتمامات الكثير من الفلاسفة، وذلك كون أن هذا الموضوع يخص الإنسان دون غيره من الكائنات الحية الأخرى، والإنسان كما نعلم هو موضوع الفلسفة بامتياز.

وقد جاءت رؤاهم الفلسفية في كثير من الأحيان مختلفة ومتباينة باختلاف مشاربهم واتجاهاتهم وبتباين إيديولوجياتهم كذلك. وبهذا تعددت اتجاهاتهم مما جعل الكثير من الباحثين يصنفونها تصنيفات مختلفة.

إننا في بحثنا هذا لا يمكننا التطرق إلى كل هذه التصنيفات وذلك بحكم أن موضوع القيم وإن كان يعتبر متغير من متغيرات بحثنا إلا أنه ليس هو موضوع البحث، ولهذا سوف نعرض فقط على بعض هذه الاتجاهات، ولا سيما ما هو شائع منها بين الباحثين والمفكرين.

"لقد انقسم الفلاسفة في هذا الموضوع عموماً إلى قسمين ، قسم صنف ضمن الاتجاه المثالي والعقلي وصنف آخر صنف ضمن الاتجاه المادي الحسي. ولعل أشهر من يمثل الصنف المثالي هو الفيلسوف اليوناني "أفلاطون"، الذي يرجع مصدر القيم إلى عالم آخر غير عالمنا أين توجد فيه الأشياء كاملة كما يجب أن تكون وهو عالم الحق والخير والجمال. وهو يرى أن البشر بالرغم من أنهم لا يعون مصادر الكثير من الأشياء والقيم إلا أنهم يدركون مثل عليا، ويتحدثون عن الخير والجمال والحق، وهو بذلك يستبعد أن تكون الأحاسيس والحياة المادية مصدراً لمثل هذه المثل العليا، فهو كغيره من الفلاسفة المثاليين يقولون باستقلالية القيم عن الخبرة الإنسانية كما ذهب إليه بعض الفلاسفة الطبيعيين، الذين يعتقدون أن القيم من نسج الخبرة الإنسانية، ذلك حسب اعتقادهم أننا نحن البشر من نظمي عليها صفة الخير أو الشر، القبح أو الجمال وتصدر أحكامنا هذه من خلال واقع تعاملنا معها ومدى تأثرنا بها مرة وتأثيرنا فيها مرة أخرى." (1).

وإذا كان "أفلاطون" يرجع مصدر القيم إلى عالم المثل فان الفيلسوف "كانط" يرجعها إلى عالم الفكر، "فينبوع الخير والجمال والحق عند هذا الفيلسوف هو الفكر ذاته، هذا الفكر حسبه هو الذي يصنع العالم ويفرض قوانينه على الوجود الحسي ذاته" (2). "ومن الفلاسفة من نظروا نظرة حسية شبيهة إلى القيم، وهو ما نجده عند "هوبز" حيث نظر إلى القيم نظرة

¹ - أنظر: عبد اللطيف محمد خليفة، ارتقاء القيم، الكويت: عالم المعرفة، بناي 1978، عدد 160، ص 32.

² - أنظر: محمد بلفقيه، العلوم الاجتماعية ومشكلة القيم - تأصيل الصلة-الرباط: دار نشر المعرفة، ط1، 2007، ص 192.

حسية تقوم على الفاعلية والحركة ، فالخير عنده هو اللذة أو السرور، لكن السرور هنا ليس حالة ثابتة بل يمثل ما يتجه إليه الإنسان برغبته أو ميله. أما الشر فهو ما ينفر منه الإنسان لعلمه بأنه لن يحقق له السرور.

إن هذه النظرة الحسية تطورت أكثر فأكثر عند "فرويد" فاتخذت طابعا ديناميكيا حقا ذلك أن "فرويد" رأى أن أفعال الإنسان تصدر عن هذه القوة الحيوية الدافعة لكل ألوان نشاطه، وهي التي أطلق عليها اسم "الليبدو libide" ، والتي تخصصت في مدلولها بعد ذلك فأصبحت تدل على القوة الجنسية. و"فرويد" يرى أن جميع القيم الدينية والأخلاقية والسياسية والجمالية لا قوام لها بذاتها، بل هي مجرد صورة من صور الليبدو . صورة لا تتحقق فيها الليبدو في حالتها الطبيعية، بل تصبح في حالة استعلاء.

فالنشاط الفني مثلا عند "فرويد" ليس إلا صورة من الصور المتطورة التي نستطيع عن طريقها تفريغ شحنة الليبدو. والنشاط الديني كذلك ما هو إلا تطور للحنان الذي يشعر به الطفل نحو أبويه عندما يفقدهما ، فيرتمي -متأثرا في ذلك بعقدة أوديب المعروفة - في أحضان الأب⁽¹⁾. إن هذه النظرة جعلت من القيم الأخلاقية والروحية ما هي إلا انعكاسا وصورا للرغبة الجنسية.

وإذا كان بعض الفلاسفة يعزون مصدر القيم للشعور والغريزة، فإن منهم من يعزوها إلى الإرادة، أمثال الفيلسوف الألماني "تنشه"، الذي يرى أن الحياة ليست غريزة بل إرادة والأكثر من هذا أنها إرادة قوية، ومن هذا المنطلق اعتبر الإنسان مقياس كل شيء، وقد أدى به اعتقاده هذا إلى الاستغناء عن فكرة الله وهو يراها زائدة، بل الأكثر من ذلك اعتبرها ضارة، ودعا بذلك ضرورة استئصالها من وجدان وأفكار البشر، فهو يدعو إلى ضرورة التحرر من القيم التقليدية وإرجاع الفضيلة الضالة إلى الأرض .

¹ - يحي هويدي، مقدمة في الفلسفة العامة، مرجع سابق ، 7ط ، ص 289- 290 .

لقد وصل الفيلسوف "تتشييه" بعد كل هذه المقدمات إلى نتيجة مفادها أن الإنسان هو المصدر الوحيد للقيم وهو صانعها، وذلك بهدف الحفاظ على ذاته⁽¹⁾.

إن السؤال الذي يمكن طرحه على هذا الفيلسوف وعلى أتباعه هو: مادام الإنسان هو من يصوغ منظومة قيمه للحفاظ على ذاته، فلماذا يضع في ذات الوقت قيم منافية لهذا الهدف، فيما تهدد وجوده، كقيم الظلم، والجور، والحرية المطلقة، وغيرها؟.

ب - الاتجاه الاجتماعي

- النظرية الماركسية

"إذا نظرنا نظرة عابرة إلى المذاهب السابقة نستطيع أن نتبين بوضوح أنها تتصور أنواع النشاط أو الفاعلية عند الإنسان على شكل هرمي: يوجد في أسفله اللذة أو السرور أو المنفعة أو الليبيدو وفي قمته توجد الإيديولوجيات التي أصطلح على تسميتها بالقيم أو المثل الأخلاقية والدينية والروحية، والتي نظرت إليها هذه المذاهب على أنها قيم جوفاء أو مجرد حلقة من حلقات القوة الحسية التي وضعوها في أسفل الهرم .

إن هذه النظرة تتفق مع النظرة المادية التي نظرتها الفلسفة الماركسية إلى القيم، في صورتها العامة وإن كانت تختلف معها في التفاصيل، فالماركسية فلسفة للمجتمع لا للفرد بعكس المذاهب السابقة، ولذلك فبدلاً من أن تضع في أسفل الهرم نزعات فردية، وضعت قوة اجتماعية، أما هذه القوة الاجتماعية فقد حصرتها الماركسية في الحياة المادية الاقتصادية التي يحياها مجتمع من المجتمعات وفي أدوات الإنتاج التي يعتمد عليها، ونظرت إلى الإيديولوجيات التي في قمة الهرم على أنها مجرد صور ومظاهر لهذه القوة،" ⁽²⁾.

¹ أنظر: محمد بلفقيه، العلوم الاجتماعية ومشكلة القيم - تأصيل الصلة-، مرجع سابق ص 193

² - يحي هويدي، مقدمة في الفلسفة العامة، مرجع سابق، ص 290-291.

"إن الحادث الرئيسي المهيمن على التاريخ البشري في اعتقاد "ماركس" هو العامل الاقتصادي، ومنه خلصت الماركسية إلى أن "ليس ضمير الإنسان هو الذي يحدد طراز وجوده بل إن طراز وجوده الاجتماعي هو الذي يحدد ضميره، وأن الحقائق ومن ثم القيم هي من صنع التاريخ، أي من صنع البشر.

إن الاقتصاد هو حجر الزاوية في العلاقات الإنسانية، أما الأوضاع السياسية والحقوقية ومختلف العقائد الدينية والفلسفية والفنية والثقافية فإنها إضافية، أو بنيات فوقية تستند إلى البنية الاقتصادية وتنشأ عنها"⁽¹⁾.

ويقول الباحث "محمد الفقيه"، بعد عرضه لنظرية كل من "فرويد"، و"ماركس" في ما يخص القيم، يقول: " فإذا أردنا موازنة نظرة ماركس وفرويد من الزاوية القيمية، على الرغم من تعارضهما، أمكننا القول أنهما يتفقان على اعتبار أن مصدر القيم هو الأنا الدنيا، أي الـ"هو" أو الليبيدو في نظر فرويد، والبنية التحتية في نظر ماركس .

وهذا ينبوع القيمي يلقي رقابة كبت وزجر يتحول بالتصعيد إلى إسقاط قيم مثلى إلى قيم الأنا العليا عند فرويد، ويتحول في رأي ماركس بالثورة والصراع الطبقي إلى قيمة وحيدة عليا هي المطلب الشيوعي الأخير، للقضاء على الانخلاع والاعتراب، أي لتحرير العامل والشغيلة والمجتمع والأرض وفي كل أرض."⁽²⁾

– النظرية الدوركايمية

"لقد واجهت النظريات التي أسست القيم على الشعور السيكولوجي اعتراضات شديدة من المدرسة الاجتماعية الفرنسية، مدرسة "دوركايم"، هذه المدرسة التي أسست القيم على أساس اجتماعي، وهي لا تجعل هذا الأساس في أسفل الهرم متمثلاً في الحياة المادية

¹ - محمد بلقفيه، العلوم الاجتماعية ومشكلة القيم ، مرجع سابق، ص 199

² - نفس المرجع ، ص 199

والاقتصادية التي يحياها المجتمع على نحو ما نجد ذلك عند الماركسيين، بل نجده في القيمة و أكثر من هذا نجده يحيط بالهرم كله، ويتمثل في مجموعة من الظواهر والقوالب والمنشآت الاجتماعية، هي التي تخلق الشعور الجمعي بكل ما له من قهر وضغط وإلزام وهي التي تشعر الفرد بأن المقدس le sacré محيط به ويجده ماثلاً أمامه أينما ولى وجهه. والقيم كلها عند "دوركايم" ، سواء منها الأخلاقية أو الدينية أو الاجتماعية، تصدر عن "المقدس"، وليست في حقيقتها إلا مظاهر له. فنحن هنا أمام المجتمع . لكننا لسنا بإزاء "مادة" المجتمع على نحو ما نجده عند الماركسيين، بل بإزاء "روح المجتمع" أو الروح الجمعية أو الشعور الجمعي بكل ما يدعمه من سحر، وطوطم ، وطقوس ، وتراتيل ... تجعل الفرد أمامه قداسة من طراز خاص"⁽¹⁾.

"المجتمع عند دوركايم هو أصل القيم ومصدر الإلزام. فالحادث الاجتماعي كما يراه دوركايم "تصور جمعي" و"تمثل مشترك" وهو واقع خارج عن الأفراد و مفروض عليهم بالضرورة، ولكن القيم التي تنتج عنه وهو ينبوعها تتصف في آن واحد بأنها ملزمة ومرغوب بها، وتلك مفارقة غريبة أيما غرابة لم يقدم لها دوركايم أي تفسير"⁽²⁾. على حد تعبير - الباحث محمد بلقفيه-

– الاتجاه الديني³

"إن تلك التأمّلات الفلسفية، على تنوع مشاربها، وهذه الدراسات العلمية على اختلاف مناهجها، حول مصدر القيم إضافة إلى التقاطعات الحاصلة بينها، ظلت ردحا من الزمن هي التي تؤطر البحث الاجتماعي وتوجهه، حيث لم يعد للدين دور يذكر، اللهم باعتباره

¹ - يحي هويدي، مرجع سابق ، ص 294 .

² - محمد بلقفيه، العلوم الاجتماعية ومشكلة القيم ، مرجع سابق، ص205 .

³ - محمد بلقفيه، العلوم الاجتماعية ومشكلة القيم ، مرجع سابق، ص212 .

واقعا اجتماعيا، وليس مصدرا للقيمة والسبب في هذا معروف: إنها الخصومة بل العداوة بين العلم واللاهوت الكنسي.

فمن المعلوم أن الآباء المؤسسين للمدارس الاجتماعية الكبرى التي يمثلها "ماركس" و"دوركايم" و"فيبر"، والتي هي نتاج لفلسفة الأنوار والمذهب الوضعي، كان همهم الأكبر "إزاحة الغشاوة والتبريرات الدينية عن الواقع الاجتماعي". فلا غرابة أن تكون نظرياتهم قد سعت وما تزال تسعى إلى القضاء على الدين وإلغاء تأثيره في واقع الناس وتصرفاتهم وتصوراتهم، حتى يخلو هذا الواقع للفلسفات المادية والإلحادية، بدعوى محاربة الخرافة والأسطورة، ورفع شأن العقل والعلم.

إضافة إلى هذه المسلمة المزيفة التي تسفّه الدين والعقل الديني على الإطلاق، مدعية أنهما يحولان دون فهم الواقع الاجتماعي، هناك مسلمة أخرى تتناقض الأولى، تقول أن الأفكار الدينية وإن كانت تنتمي إلى مجال الواقع، ليست في متناول البحث العلمي. ولذا إن حضر الدين في البحث الاجتماعي فهو يحضر بصفته جزءا من الواقع الاجتماعي المدروس، وليس باعتباره معيارا قيميا يعمق الفهم.

"وعلى أي حال فإن الفلسفات ولا سيما الوضعية منها قد حالت باسم العلمية بين العلوم الاجتماعية الناشئة والعقائد الدينية، كل العقائد. وحينما لم يتخذ الدين مصدرا للقيم استعاضت عنه نظرية القيمة المعاصرة تارة بالمجتمع وتارة بالفرد وثالثة بالعقل ورابعة بالطبيعة فطرحت أخلاقا نسبية ترى في القيم مفاهيم تختلف باختلاف الشعوب والفئات الاجتماعية والأفراد، وأنها ترتبط على نحو معين بمصالح الناس واقتناعاتهم وميولهم وأنها محدودة، من حيث معناها بشروط المكان والزمان.

إن هذه النسبية التي ألغت السنن الاجتماعية، وأسقطت المسؤولية الفردية، هي بالضبط سبب أزمة القيم التي بدأت بعض الأصوات في الغرب تستنكرها وتطالب بالخروج منها. ولهذا أصبحنا نرى النظريات الاجتماعية وهي تحاول استرجاع البعد القيمي ولا سيما

الأخلاقي منه إذ لا يمكن الاستغناء عن القيم في معرفة المجتمع وفهم الحركية التي تنشئه".

رابعاً : نظريات التنشئة الاجتماعية في الفكر الغربي

يعتبر موضوع "التنشئة الاجتماعية" من المواضيع التي تشترك فيها الكثير من التخصصات في مجال العلوم الاجتماعية، ولهذا فهي تجدها محل اهتمام كل من: علم الاجتماع التربوية، وعلم النفس، وعلم النفس الاجتماعي، والأنثروبولوجيا، وعلوم التربية وغيرها

وعلى هذا الأساس، فإن دراسة هذا الموضوع تعددت فيه أقلام هؤلاء المفكرين بتعدد تخصصاتهم، فجاءت نظرياتهم حول التنشئة الاجتماعية مطبوعة بذلك، ونظراً لأن بحثنا لا يستوعب التطرق إلى كل هذه النظريات فإننا سوف نتطرق إلى ثلاث نظريات أساسية في هذا الموضوع وهي: نظرية التعلم، نظرية الدور والمركز، وأخيراً نظرية التحليل النفسي.

1 - نظرية التعلم الاجتماعي:

تعتبر عملية التنشئة الاجتماعية عملية تعلم في أساسها، سواء كان هذا التعلم يتم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، "وذلك لكون أن هذه العملية تتضمن تغييراً أو تعديلاً في سلوك الأفراد نتيجة لبعض الخبرات والممارسات المعينة. وترى هذه النظرية، أن هذه العملية تقوم على أساس التقليد والمحاكاة، القائم أساساً على عمليتي التعزيز والعقاب والإطفاء ويرى كل من "دولارد وميلر"، أن السلوك يتغير حسب نمط التعزيز المستخدم أو العقاب فكلما كان هناك تعزيزاً مصاحباً لسلوك ما، فإن هذا السلوك سوف يتكرر في المواقف المماثلة، والعكس صحيح، أن السلوك الذي ينتهي بعقاب سوف ينتهي به المطاف إلى العزوف عنه.

هذا ويرى "باندورا" ، أحد أصحاب هذا الاتجاه أن التعلم كثيرا ما يحدث عن طريق مراقبة سلوك الآخرين وملاحظة نتائج أفعالهم، ومن هذا المنطلق يرى هذا المفكر أن الأفراد لا يتعلمون نماذج من السلوك وإنما يتعلمون أيضا قواعد السلوك التي تعتبر أساسه.⁽¹⁾ إن ما يمكن قوله حول هذه النظرية، أنه وبالرغم من أن هذه النظرية تناولت ظاهرة مهمة في عملية التنشئة الاجتماعية وهي ظاهرة التعلم ، إلا أنها جعلت القاعدة في التعلم تتم عن طريق الإثابة والعقاب، وهذا -حسب رأينا- يقضي على الدوافع الداخلية للتعلم ويجعلها تتبع من دوافع خارجية، هذا ناهيك على أن هذا الاعتقاد حول العقاب والثواب، لا يصدق كل الأفراد، فهناك مثلا من الأطفال العنيدون الذين لا ينفع معهم العقاب وتجدهم يكررون السلوك في كل مرة حتى ولو عوقبوا عليه أكثر من مرة، وهنا قد يتحول العقاب إلى تعزيز عند بعض الأطفال.!

2 - نظرية الدور الاجتماعي⁽²⁾

تتركز هذه النظرية حسب رائدها "جورج ميد"، على مفهومين أساسيين وهما: "الدور والمركز، أو المكانة الاجتماعية، وتعرف المكانة الاجتماعية على أنها بناء اجتماعي يتحدد اجتماعيا ، أي يرتبط بثقافة وقيم ومعايير المجتمع، ويترتب على هذه المكانة مجموعة من الحقوق والواجبات، حيث يرتبط بكل مكانة نمط من السلوك المتوقع، فالذكر مثلا يترتب عليه سلوكيات اجتماعية مرتبطة بجنسه كذكر، عكس الأنثى التي تتصرف هي الأخرى وفقا لطبيعة جنسها.

أما الدور الاجتماعي فهو يمثل الجانب الديناميكي للمركز كما ذهب في ذلك "لينتون"، ويشمل الدور حسب هذا المفكر مجموعة من الاتجاهات والقيم والسلوك التي يملئها المجتمع على من يشغلون مراكز اجتماعية معينة.

¹ -أنظر: صالح محمد علي أبوجادو، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، مرجع سابق، ص 48

² -أنظر: عبد الله زاهي الرشدان، التربية والتنشئة الاجتماعية، مرجع سابق، ص 265 ، 266

وحسب أصحاب هذه النظرية أن الأدوار الاجتماعية تكتسب من خلال عملية التنشئة الاجتماعية، وذلك بطرق مختلفة إما عن طريق التعلم المباشر، أو عن طريق المواقف، أو عن طريق اتخاذ الآخرين نماذج.

3 - نظرية التحليل النفسي⁽¹⁾

تعتبر التنشئة الاجتماعية عند " فرويد " عملية نمو وتطور، وأن هذه العملية ترجع بجذورها إلى هذا التطور، وبالتحديد في تطور " الأنا الأعلى " هذا الأخير الذي يتطور عند الفرد في مرحلة الطفولة من خلال محاكاته لوالديه وتقمص أدوارهم. فالطفل حسب يولد بدوافع غريزية، وهو ما أسماه بـ"الهُو"، ودوافعه هذه تطلب منه إشباعها، فيفشل في ذلك وذلك لأنه يصطدم بمعارضة من طرف والديه أو من طرف القائمين على تربيته، وذلك محاولة منهم بتطبيعهم أو تنشئته وفق قوانين وقيم المجتمع لمساعدته على تحقيق الاندماج والقبول الاجتماعي، فيتحول جزء من "الهُو" عنده إلى ما يسمى بـ"الأنا الأعلى"، وهو ما يعرف بالضمير، هذا الأخير الذي يعمل إخضاع مطالب اللذة إلى السير وفق معايير المجتمع وثقافته.

وفي ختام هذا العنصر، يمكن القول أن آراء وأفكار أصحاب النظريات المذكورة أعلاه، هي أفكار كما قلنا من قبل تعكس فلسفة المجتمعات الغربية بصفة عامة، وفلسفة التربية الحديثة بصفة خاصة. وما يلاحظ على هذه النظريات هو إعطاء المجتمع سلطة شبه مطلقة، وأن هذا المجتمع هو من يصنع الأفراد وفق ما يرتضيه هو، حتى نظرية التحليل النفسي، بالرغم من تركيز رائدها على الجانب النفسي وعن الغرائز والدوافع الفردية، إلا أنه يرى أن الفرد في الأخير يطوع ويرضخ لما هو سائد في المجتمع من عادات وتقاليد وقيم.. وغيرها، وذلك عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية.

¹ - أنظر: بهاء الدين خليل تركية، علم الاجتماع العائلي، الأردن: دار المسيرة، ط1، 2005 ص 94، 93.

خلاصة الفصل

لقد ضم هذا الفصل أربعة مباحث، يضم كل مبحث مجموعة من العناصر التي تغطيه، وقد مهدنا لهذا الموضوع بمقدمة مطولة عالجا فيها الإشكال الحاصل في الخلط بين مفهومي التربية والتنشئة الاجتماعية، واختلاف المفكرين فيه ، حيث هناك من يتعامل معهما كمصطلح واحد وهناك من يفرق بينهما، ثم عرضنا موقفنا نحن من هذا الإشكال وهو اعتقادنا بأن التنشئة الاجتماعية والتربية وجهان لعملة واحدة، وقدمنا عدة براهين لذلك أهمها، أن المدلول اللغوي للتنشئة يطابق مفهوم التربية.

ثم عالجا بعد ذلك إشكال آخر، وهو يتعلق بمفهوم التنشئة الاجتماعية في حد ذاته، هذا المصطلح الذي يحصره الكثير من المتخصصين في الجانب الاجتماعي، ولا سيما علماء الاجتماع ، وحجتهم في ذلك أن دراسة هذا الموضوع تتطلب فقط دراسة الجانب الاجتماعي منه . لقد بينا معارضتنا لهذا الرأي مبررين موقفنا هذا بسببين، السبب الأول هو: اقتناعنا بأن مصطلح اجتماعي يستوعب الكثير من المفاهيم السياسية والاقتصادية والثقافية .. وغيرها ، هذا من جهة ومن جهة أخرى، أن الظواهر الاجتماعية في كثير من الأحيان تكون أسبابها نفسية أو اقتصادية أو حتى ثقافية، والعكس صحيح، الكثير من الظواهر النفسية تكون عللها اجتماعية بالدرجة الأولى.

أما السبب الثاني فيتعلق بطبيعة موضوع بحثنا الذي يتناول المرجعية الإسلامية للتنشئة الاجتماعية، وكلنا نعلم أن الإسلام لا يجزئ الإنسان وإنما يدرسه في كليته من جميع نواحيه الاجتماعية، والنفسية والروحية والجسدية.

بعد ذلك انتقلنا إلى المبحث الأول، حيث عالجا فيه مفهوم التنشئة الاجتماعية في الفكر الغربي ، وذلك عند بعض علماء الاجتماع والتربية والأنثروبولوجيا وعلم النفس، هذه المفاهيم التي يكاد يجمع أصحابها على القول بأن التنشئة الاجتماعية هي عملية اجتماعية

لها أهداف اجتماعية ونفسية وثقافية أهمها تعليم الفرد ثقافة مجتمعه ليتمكن من الاندماج فيه. بعد ذلك قمنا بنقد هذه التعاريف كونها لا تتماشى مع مجتمعاتنا الإسلامية، لأنها تجعل من المجتمع والثقافة مرجعية لعملية التنشئة الاجتماعية تنهل منها القيم والمعايير، وهذا غير ممكن لأن المجتمعات متحركة، والثقافات متغيرة، مما يجعل التعويل عليهما فيها الكثير من المخاطرة والمجازفة.

بعد ذلك تطرقنا إلى المبحث الثاني، والذي عالجنا في عنصر آخر وهو أهداف التنشئة الاجتماعية وأساليبها في الفكر الغربي، مستخلصين هذه الأهداف من بعض التعاريف التي وضعها هؤلاء العلماء للتنشئة الاجتماعية، والتي يمكن تلخيصها في القول بأن الهدف الرئيسي لهذه التنشئة هو تشريب الناشئة قيم ومعايير وثقافة المجتمع من من أجل إدماجهم في المجتمع، متجاهلين بذلك أهداف أخرى مهمة بالنسبة لتوازن الفرد، وهو تنمية الجانب الروحي فيه هذا الجانب الذي كانت تركز عليه التربية التقليدية في المجتمعات الغربية في العصور الوسطى، قبل أن تتغير كل قيمها مع انهيار الإمبراطورية الكنسية وتراجع سلطة رجالها.

أما في ما يخص الأساليب فإننا عرضنا بعض الأساليب التي دعا إليها بعض علماء التربية والاجتماع والنفس، هذه الأساليب التي جاءت لتعكس فلسفتهم التربوية ولتحققها على أرض الواقع فمادامت هذه الأهداف -كما قلنا- تركز على تنمية الفرد في جميع جوانبه النفسية والاجتماعية والمعرفية متجاهلة في ذلك الجانب الديني والروحي فإن أساليب التربية جاءت لتحقيق هذا الهدف فكانت تنادي بضرورة استخدام الأسلوب الديمقراطي مع الأطفال، ومعاملتهم معاملة حسنة، وإعطائهم كامل الحرية كما ذهب في ذلك "جون جاك روسو".

وقد خصص المبحث الثالث لتناول "مسألة القيم في الفكر الغربي"، مقدمين لهذا المبحث بتحديد مفهوم القيم في اللغة اللاتينية وتحديد مفهومه الاصطلاحي، وذلك عند الفلاسفة وعلماء الاجتماع وعلماء النفس، وتناولنا أيضا موضوع وإشكالية مصادر القيم عند هؤلاء، حيث لاحظنا أن كل اتجاه أرجع مرجعيتها للتخصص الذي يدرسه، حيث أرجعها علماء الاجتماع إلى المجتمع باعتباره هو هو منتج القيم، وأرجعها علماء النفس، إلى الإنسان، وأرجعها علماء الدين والفلاسفة إلى الله، أو إلى قوة عليا عند البعض

هذا وعالج المبحث الرابع، وهو الأخير "نظريات التنشئة الاجتماعية في الغربي"، حيث قمنا بعرض أهم النظريات في هذا الموضوع مثل نظرية التعلم الاجتماعي، التي يرى أصحابها أن التنشئة الاجتماعية هي عملية تتم عن طريق تعلم الأطفال نماذج من السلوك الاجتماعي عن طريق محاكاتهم وتقليدهم لمن هم أكبر منهم.

ونظرية "الأدوار الاجتماعية"، التي تعتقد أن تعلم الأدوار يتم في الأسرة من خلال تعليم الفرد منذ طفولته الأدوار المرتبطة بجنسه ويسنه ومركزه. وفي الأخير تطرقنا إلى نظرية التحليل النفسي، هذه النظرية التي يذهب صاحبها إلى القول بأن عملية التنشئة الاجتماعية هي عملية نمو و تطور، وبالأخص تطور "الأنا الأعلى" هذا الأخير الذي يتطور عند الفرد في مرحلة الطفولة من خلال محاكاته لوالديه وتقمص أدوارهم.

الفصل السادس: التنشئة الاجتماعية في المرجعية الإسلامية

تمهيد

أولاً: مفهوم المرجعية الإسلامية للتنشئة الإسلامية

ثانياً: أهداف التنشئة الاجتماعية وأساليبها في المرجعية الإسلامية

ثالثاً: القيم في المرجعية الإسلامية

رابعاً: خصائص التنشئة الاجتماعية الإسلامية

- خلاصة الفصل

تمهيد

إذا كان الإنسان ابن بيئته التربوية إلى درجة يصعب عليه الانفكاك عنها أو الانفلات منها، لأنه تشكل بها ، وإذا كانت معارفه ومكتسباته ظنية لا ثقة فيها، فمعنى ذلك أنه تربويا لا بد له من قيم تربوية تحقق له عملية انتشار من خارج نفسه ومعارفه وبيئته التربوية ... لا بد له من معرفة قادمة من خارج نفسه وظروفه وبيئته ... لا بد له من معرفة يقينية يطمئن إلى مصدرها ويؤمن بها ليستقي منها ، ويستبين طريق الهدى من خلالها، هي هنا معرفة الوحي المعصوم في الكتاب والسنة، التي توافرت لها شروط النقل المعروفة، فهي يقينية ومعصومة ومصدرها الرب المربي، الذي خلق الإنسان، وهو أعرف بدوافعه ونوازعه وطبائعه وخصائصه ... وهي بطبيعتها ومصدرها، تبقى بعيدة عن التحيز والتأثر بالإنسان، بعيدة عن أهوائه وشهواته وميوله وعصبياته، يقول الله تعالى سورة الملك الآية 14: "ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير" (1).

ومن فضل الإسلام على البشرية أن جاءها بمنهاج شامل قويم في تربية النفوس وتنشئة الأجيال، وتكوين الأمم وبناء الحضارات وإرساء قواعد المجد والمدنية، وما ذلك إلا لتحويل الإنسانية التائهة من ظلمات الشرك والجهل، إلى نور التوحيد والعلم والهدى والاستقرار.

وتعتبر التربية في الإسلام لونا خاصا يمثل أسلوب بناء الإنسان المتوازن المتكامل وطريقة لبناء ذاته وتكوين شخصيته عقليا ووجدانيا، وترمي إلى صقل العقل الإنساني إلى أقصى طاقاته من أجل خدمة الفرد من ناحية ورفع شأن المجتمع من ناحية أخرى" (2)

¹ - عبد المجيد بن مسعود، القيم الإسلامية التربوية والمجتمع المعاصر (سلسلة كتاب الأمة)، الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ط1 ، 1998 ، ص 27-28

² - صالح أبو جادو، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط2 ، 2000 ، ص 244،245.

أولاً : مفهوم المرجعية الإسلامية للتنشئة الاجتماعية

لا يمكن معرفة وتحديد مفهوم التنشئة الاجتماعية في المرجعية الإسلامية إلا من خلال معرفة مفهوم "المرجعية" وضبطها، فماذا يقصد بهذا المصطلح، وهل هو مصطلح أصيل أم أنه من المفاهيم المستحدثة؟

1 - مفهوم المرجعية

قبل الحديث عن المرجعية الإسلامية، وماذا نقصد بها في دراستنا هذه، أي قبل تعريفها تعريفاً إجرائياً، توجب علينا معرفة مصطلح "المرجعية" أولاً، من غير الصفة التي ألحقت بها وهي صفة "الإسلامية". "هذا المصطلح المستحدث حسب ما أثبتته بعض الدراسات في هذا المجال، ذلك لكونه لم يرد بهذه الصيغة أي لفظ (مرجعية) لا في القرآن الكريم، ولا في السنة النبوية الشريفة، ولا حتى في كتب التراث الإسلامي، وإن كانت دلالاته ومعانيه ومضامينه واردة فيهم.⁽¹⁾

وعليه يعتبر هذا المصطلح "مصدراً صناعياً مثل مصطلح "الجاهلية"، وهو اسم تلحقه ياء النسبة مردفة بالتاء للدلالة على صفة"⁽²⁾ "ونظراً لأن هذا المصطلح مصدر صناعي، وهذا الأخير كما هو معلوم أستحدث بعد زمن النص الشرعي"⁽³⁾، فإننا لم نعثر عليه في قواميس ومعاجم اللغة العربية، وإنما عثرنا على أصل هذا المصدر بلفظ "المرجع"، وسوف نعرض لمجموع الألفاظ القريبة من هذا المصدر والدلالات المرتبطة بها، كما تناولها المعجم الوسيط.

¹ - عماد الدين الرشيد، المرجعية (دراسة في المفهوم القرآني)، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد 21، العدد الأول، 2005، ص 393.

² - أنظر "جامع الدروس العربية" 177/1-178 في مرجع: طه أحمد الزبيدي، المرجعية في ضوء السياسة الشرعية، الأردن: دار النفائس للنشر والتوزيع، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط 1، 2014، ص 47.

³ - عماد الدين الرشيد، المرجعية (دراسة في المفهوم القرآني)، مرجع سابق، ص 394.

أ - المرجعية لغة

جاء في المعجم الوسيط⁽¹⁾ الفعل رجع: رجعت الطير رجوعا، ورجاعا: أي قطعت من المواضع الحارة إلى الباردة ... ورجع فلان من سفره : أي عاد منه. و"المرجع": (بفتح الميم وكسر الراء وضم العين): بمعنى الرجوع وفي التنزيل العزيز: "إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون" . ومحل الرجوع ، والأصل، ويقصد أيضا بلفظ "المرجع" في هذا القاموس بمعنى: أسفل الكتف. وهو أيضا ما يرجع إليه في علم أو أدب، من علم أو أدب، من عالم أو كتاب (محدثة) وجمعه: "مراجع". ونفهم من خلال ما تقدم أن لفظ "مرجع" ، تعني الرجوع والإياب، أي إلى الأصل ، سواء كان مكان أو فكرة ، ويفهم من هذا أن يكون الرجوع "إلى" ، يعني إلى جهة معينة سواء إلى مكان أو شخص أو فكرة.

ب - المرجعية اصطلاحا

بعد التعرف على أصل لفظ "مرجع" في اللغة العربية، سوف نبحت عن معانيها في الاصطلاح، وقبل التطرق إلى المعنى الاصطلاحي لهذه اللفظة عند المفكرين والباحثين ، سوف نبحت عن معناها ودلالاتها أولا : في القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، ثم في التراث الإسلامي، وعند التابعين،، وأخيرا عند بعض المفكرين.

ج - المرجعية في القرآن الكريم⁽²⁾:

وردت كلمة المرجع في القرآن الكريم مضافة بلفظ "مرجعكم" ، ولفظ "مرجعهم" ، وذلك في آيات عدة ، نذكر بعض منها في قوله تعالى : "ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون" (آل عمران 55) ؛ "إلى الله مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون" (المائدة 48) . أما لفظ "مرجعهم" ، فيظهر هذا في قوله تعالى: " ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما

¹ - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مصر: مكتبة الشروق الدولية، ط5 ، 2011 ، ص 331

² -أنظر : عماد الدين الرشيد، المرجعية (دراسة في المفهوم القرآني)، مرجع سابق، ص 395، 398 .

كانوا يعملون" (الأنعام 108)؛ "متاع في الدنيا ثم إينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون". (يونس 70)

وقد كان تفسير العلماء لمفردة "مرجعكم" و "مرجعهم" : الرجوع إلى الله يوم القيامة ، والمصير يوم القيامة، والفرق بين والمصير والرجوع في المصطلح القرآني أن الأول يترتب عنه الجزاء والحساب، مقارنة بالثاني.

ومن الألفاظ القرآنية التي جاءت بمعنى "المرجع" أيضا، قوله تعالى: " ما جاء في تفسير ابن عباس رضي الله عنه ، نقلا عن البخاري: "إن إينا إياهم" (الغاشية 25) وتعني لفظة "إياهم" : مرجعهم. وفي سورة (العلق 8): " إن إلى ربك الرجعى".

وبعد تتبع مصطلح "المرجع" في القرآن الكريم، وعرض بعض النماذج من الآيات القرآنية التي تناولته في سياقاته المختلفة، سوف نستكشف كيف وظفت هذه الألفاظ للدلالة على مصطلح أو مفهوم "المرجعية" ، والذي هو غاية بحثنا هذا.

" لقد تناول القرآن الكريم مفهومين للمرجعية وهما مفهومان مرتبطان، بحيث يتوقف وجود أحدهما على وجود الآخر، وهما : مرجعية الفكرة، ومرجعية الأفراد، فالمرجعية الأولى يقصد بها "الجهة الفكرية التي يحتكم إليها الناس في أمور دينهم وينصبونها حكما وفيصلا عليهم . أما الثانية: فيقصد بها الأشخاص الذي يمثلون هذه الجهة (الفكرية) وتتوفر فيهم خصائص العلم والمصادقية السلوكية.

ولقد أطلق القرآن الكريم عدة ألفاظ للدلالة على المرجعية بنوعها (مرجعية الفكرة ، ومرجعية الأفراد)، ومن بين هذه الألفاظ ما يلي: "إمام"، "أئمة"، "هدى" ، "أولو الأمر"، وسوف نأخذ على سبيل المثال لفظ "إمام" ، وكيف جاء هذا اللفظ يحمل دلالة المرجعية الفكرية تارة، ودلالة مرجعية الأفراد تارة أخرى، ومن بين الآيات التي حملت هذا اللفظ معنى

"المرجعية الفكرية"، ما جاء في قوله تعالى: "ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة"⁽¹⁾. وقد اتفق المفسرين على إعراب "إماما"، على أنها حال من "كتاب موسى"، لا من موسى عليه السلام.

أما مرجعية الأفراد، فتظهر في قوله تعالى: "وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين"⁽²⁾. واتفق المفسرين على أن المراد من "إمام"، في هذه الآية، هو القدوة في الدين، ومن يهتدي بهديه في أمور الدين، ومن يؤتم به في الدين، وكلها عناصر تشكل مرجعية الأفراد وتعكسها"⁽³⁾.

د - المرجعية في السنة النبوية الشريفة⁽⁴⁾

يقول صاحب مقال "المرجعية"، الباحث "عماد الدين الرشيد"، هذا الباحث الذي قام بدراسة علمية استقرائية لمفهوم "المرجعية"، هذا المقال الذي يعتبر مرجع أساسي في حديثنا عن هذا الموضوع، نظرا لما فيه من جهد ودقة جعلته يغطي هذا الموضوع من كل جوانبه تقريبا، وهو وان عثر على الكثير من الآيات القرآنية التي ورد فيها لفظ "مرجع"، بمختلف دلالاته وسياقاته، فإنه يقول بأن هذا اللفظ لم يعثر عليه في أقوال النبي عليه الصلاة والسلام، وإنما جاءت في بعض الأحاديث من لفظ غيره، كالحديث الذي رواه أنس بن مالك في قوله في وصف أصحاب رسول الله صلى عليه وسلم عند "مرجعهم من الحديبية". أي أن اللفظ تُلَفِظ به راوي الحديث الصحابي الجليل "أنس بن مالك".

1 - القرآن الكريم، هود، آية 17 .

2 - القرآن الكريم، البقرة، آية 124 .

3 - أنظر: عماد الدين الرشيد، المرجعية (دراسة في المفهوم القرآني)، مرجع سابق، ص 405 - 408 .

4 - المرجع نفسه، ص 400 .

هـ - المرجعية في التراث الإسلامي⁽¹⁾

"لقد كان استعمال لفظ المرجع قديم قدم العلوم الشرعية، فقد أستخدم هذا المفهوم عند بعض الصحابة، وذلك ما نجده في حديث ابن عباس رضي الله عنهما في نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن شرب الماء واقفا، ويروى أنه شرب من ماء زمزم قائما ، فقال رضي الله عنه: "المرجع فيه إلى كتاب الله" ، وهو قوله تعالى: "كلوا واشربوا.." ، فابن عباس رجع إلى القرآن الكريم أي احتكم إليه فوجد أن الآية تبيح الأكل والشرب على أي حال إلا في موضع خصه النهي من النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد أستخدم هذا اللفظ في أدبيات الكثير من العلماء المسلمين، كقول "ابن حجر" في فتح الباري: (المرجع في الأحكام إنما هو النبي صلى الله عليه وسلم. وقول "السخاوي" في كتابه فتح المغيث : (فهذه الثلاثة أعني كتب الخطابي، والقنبي ، وأبي عبيد ، أمهات الكتب المؤلفة في ذلك، وإليها المرجع في تلك الأعصار). وفي قول "ابن تيمية" : (ولكن لما كان الأنبياء عليهم السلام فيهم موجودين، كانوا هم المرجع للناس فيما يعتمدون عليه.)

ومن هذا نفهم أن مصطلح "مرجع" في التراث الإسلامي كان يدل لفظه تارة على مرجعية الفكرة كما في حديث ابن عباس رضي الله ، وتارة على مرجعية الأفراد وأعمالهم من كتب وعلم .. وغيرها . وهذه الأدلة وغيرها والتي لا يتسع المقام لذكرها - كافية ، للقول بأن هذا المصطلح ليس مصطلحا معاصرا أبتكره أهل العلم من المتأخرين ، بمعنى أن المتأخرين اكتشفوا مصطلح "المرجعية" ، - كما سوف يأتي معنا- الذي يرجع إلى مصدره الأصلي "مرجع" ، المشار إليه آنفا.

¹ - المرجع نفسه ، ص 402،403،410 .

و - المرجعية عند المتأخرين⁽¹⁾

بدأ استعمال مصطلح "المرجعية" في كتب المعاصرين بشكل أكثر شيوعاً، ويقصد المتأخرون من مفهوم "المرجعية"، وهي الجهة العلمية التي يحتكم إليها الناس في شؤون دينهم عامة، والذين يتمتعون بمصداقية كافية تؤهلهم لما هم فيه. وهو المعنى نفسه الذي ذهب إليه العلماء في التراث الإسلامي كما أشرنا سابقاً.

ويقال أن الإمامية هم أكثر استعمالاً لهذا المصطلح فيقصدون به: "المتخصصين الذين يملكون معرفة الحكم الشرعي بالمستوى الاجتهادي، بحيث يكونون حجة للعامة فيما يتحرك به من مسؤولياته الإسلامية أمام الله". وهناك بعض الامامية من يرى أنه لا يمكن حصر مصطلح "المرجعية" في مراجع الفتوى وما يتعلق بها، وأن تطلق المرجعية على المراجع في الدين عموماً، على النحو الذي يقول به المتأخرون من أهل السنة.

وإن كان بعض الأئمة يرون ضرورة تعميم مصطلح "المرجعية" على كل مراجع الدين، وليس فقط على مراجع الفتوى، فإن من المفكرين من أعطى تعريفات لهذا المصطلح في أبعادها المختلفة: المنهجية و الاجتماعية والقيمية وغيرها.

فقد جاء في كتاب "المرجعية في ضوء السياسة الشرعية"، لصاحبه: "طه أحمد الزبيدي"⁽²⁾، عدّة تعريفات لمصطلح "المرجعية" وهي كالاتي:

عرفها الدكتور "طارق البشري" بأنها: التي تؤمن بها الجماعة، وتشكل إطارها المرجعي وثوابتها الحضارية، وتصدر عنها معاييرها في الأحكام، والإطار المرجعي عنده: الذي تتبعث منه أسس الشرعية للنظم والمعاملات والقيم.

¹ - أنظر: عماد الدين الرشيد، المرجعية (دراسة في المفهوم القرآني)، مرجع سابق، ص 404.

² - طه أحمد الزبيدي، المرجعية في ضوء السياسة الشرعية، الأردن: دار النفائس للنشر والتوزيع، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط 1، 2014، ص 47، 48.

وحدها الدكتور "محمد المسيري" في موسوعته بأنها: "مجموعة من القيم والمفاهيم النهائية والكلية التي تستند إليها رؤية ما". والمرجعية في بعدها الديني عند الدكتور "أحمد مختار" هي: "سلطة جهة أو شخص ترجع إليه طائفة دينية معينة فيما يخصها، أو يشكل عليها من أمرها". وفي بعدها المنهجي: "يقصد بها المصادر التي تحكمت في إنتاج المفاهيم وتوظيف الأدوات المنهجية".

أما المرجعية في بعدها الاجتماعي فيقصد بها: "الجماعات التي يرجع إليها الفرد في تقويم سلوكه الاجتماعي، ويربط نفسه بها، أو يأمل أن يرتبط بها نفسياً، ويتأثر سلوكه بسلوك الآخرين فيها، أي أنه يتأثر بمعاييرها السائدة فيها، ويؤدي فيها أحب الأدوار الاجتماعية إلى نفسه، وهي أكثر إشباعاً لحاجاته، ويشارك أعضائها، الآخرين دوافعهم وميولهم واتجاهاتهم وقيمهم ومثلهم، ويتوحد بها ويعدها جماعته".

وبعد ما عرض صاحب هذا الكتاب هذه التعاريف المتباينة، استنتج تعريفه الاصطلاحي الخاص فقال "بأنها ما يرجع إليه من أصول وقيم ومفاهيم كلية سواء في عقل أو كتاب أو من عالم أو مجمع علمي في معرفة حكم ما أو تبنيه، وتكتسب صفة الإلزام بحسب البعد أو الإطار الذي يحدها (ديني - اجتماعي - أخلاقي - منهج علمي أو عقلي مجرد)، ثم يخلصها في قوله: "هي الأصول أو الجهة التي يرجع إليها في أمر ما"

2 - مفهوم التنشئة الاجتماعية في المرجعية الإسلامية

قبل التطرق إلى مصطلح التنشئة في القرآن الكريم والسنة النبوية وعند العلماء المسلمين توجب علينا البحث عن مدلولها اللغوي وذلك من خلال البحث في القواميس والمعاجم اللغة العربية.

أ - أصل كلمة "تنشئة" في اللغة العربية

التنشئة مشتقة من الفعل "نشأ"، ينشأ ونشوءا ونشاء: ربا، وشبّ. ونشأت في بني فلان نشأ ونشوءا: شببت فيهم.

نشأ: أنشأه الله: خلقه.

الناشيء: فويق المحتمل، وقيل هو الحدث الذي جاوز حدّ الصغر⁽¹⁾.

(نشأ) الشيء-نشأ، نشوءا، ونشأة: حدث وتجدد، والصبي: شبّ ونما. يقال: نشأت في بني فلان، ونشأ فلان نشأة حسنة. والشيء عن غيره: نجم وتولد.

(أنشأ) يفعل كذا: شرع أو جعل. يقال: أنشأ فلان يحكي الحديث، وأنشأ السحاب يمطر. والشيء: أحدثه وأوجده. يقال أنشأ الله الخلق.

وأنشأ الشاعر قصيدة أو الكاتب مقالة: ألفها. والصبي: رباه: يقال أنشء في النعيم.

(نشأ) الصبي: رباه، ويقال نشئ في النعيم. وفي التنزيل "أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين.

"الناشيء": الغلام الذي جاوز حد الصغر وشبّ. جمع نشيء، ونشأ.

(الناشئة): الجارية جاوزت حد الصغر وشببت.

جمع نواشيء: وناشئة الليل: الاستيقاظ من النوم والقيام للصلاة. وفي التنزيل العزيز: "إن ناشئة الليل هي أشد وطئا وأقوم قيلا". (المزمل 6)

¹ -ابن منظور، لسان العرب، القاهرة: دار المعارف، ج 55، مجلد 6، دط، دت. ص 4418.

(النشء) أول ما ينشأ من السحاب والصغار من الحيوان والإنسان ما داموا في طور التعليم.
(ج) نشأ. والنسل. يقال هو نشيء سوء، أو من نشء سوء: من نسل سوء. وما ارتفع من كل نبات ولم يغلظ بعد⁽¹⁾.

(النشأة) الإيجاد والتربية، وفي التنزيل العزيز: "ولقد علمتم النشأة الأولى" (الواقعة 62)

(المنشئ): الذي يجيد استنباط المعاني وتأليفها والتعبير عنها بكلام بليغ⁽²⁾

إن اسم المنشئ في موضوع التنشئة الاجتماعية هم القائمين بعملية التنشئة الاجتماعية أي الذي يمارسون هذه العملية مباشرة على الأطفال أي المربين، سوء كانوا آباء أو معلمين أو أقارب. إن كلمة منشئ في القاموس تعني كما أشرنا أعلاه: ذلك الذي يجيد فن التأليف والاستنباط المعاني والأفكار ثم يعبر عنها بأسلوب بليغ، فانطلاقاً من هذا المفهوم يمكن القول حسب رأينا أن المنشئ الذي يقوم بعملية التربية توجب عليه أن يكون حاذقاً يجيد فنون التربية وأساليبها وذلك لكي يستطيع أن يؤدي واجبه والمهمة الموكلة إليه على أحسن وجه.

ب - مفهوم "التنشئة" في القرآن الكريم

يعتبر القرآن المرجع الرئيسي للمسلمين، في مختلف المجالات الحياة، ومنه تنبثق المرجعيات الأخرى، فلا تستطيع مرجعية من المرجعيات الثانوية مخالفة ما جاء فيه من أحكام وشرائع، وإذا تجرأت على ذلك فإن حماة الدين يقفون لها بالمرصاد، والذين لا يخلو منهم زمان ولا مكان.

¹ - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مصر: مكتبة الشروق الدولية، ط5، 2011، ص 920.

² - نفس المرجع، ص 920.

ففي القرآن الكريم يجد الفرد المسلم كل ما يخص حياته الدنيوية والأخروية، وفي القرآن يجد كل الأحكام والقوانين التي تنظم علاقته مع ربه، ومع نفسه، ومع محيطه، ومع الآخرين، وفيه يجد كل التعليمات التي إذا طبقها والتزم بها عاش عيشة هنية، كما عبّر عنها هذا الكتاب المقدس. إن معجزة هذا الكتاب أنه صالح لكل زمان ومكان وأن المؤمن به يستطيع أن يجد حلولاً لكل ما يعترض حياته، فبالرغم من تغير المجتمعات وظهور ظواهر جديدة قد تختلف عن الظواهر التي كانت في العصور السابقة ولا سيما في العصر النبوي إلا أن المسلم وعن طريق القياس يستطيع أن يقيس الظاهرة اللاحقة بالظاهرة السابقة.

وبما أن مسألة التربية أو التنشئة الاجتماعية هي مسألة جوهرية في حياة المسلم وأساسية، وهي -حسب رأينا- الظاهرة التي تتحكم في كثير من الظواهر الاجتماعية منها ونفسية، ومن خلالها يستطيع المسلم المحافظة على هويته وخصوصيته، فإن هذا الموضوع تناوله القرآن الكريم في مواضع ومواقف مختلفة، وعرضه بصيغ وأساليب مختلفة أيضاً، "، وإذا أخذنا هذا الموضوع في كليته وشموله فقد نكتشف أن معظم آياته الكريمة هي تتكلم على هذا الموضوع أي تحاول تهيئة نشئ وتربيته وفق تصور ومنهج خاص يحقق من خلاله استخلافه في الأرض الذي خلق من أجله، فهذه المسألة إما تأتي في شكل قصص عن أخبار الأولين وعن سلوكاتهم الخيرة منها والشريرة، وعن مصير أو مآل كل سلوك من هذه السلوكات، أم تجيء بطريقة مباشرة عن طريق إصدار أوامر وجب على كل فرد الالتزام بها. وفي مواقف أخرى تأتي عن طريق مواظب وإرشادات كما نجده عند لقمان وهو يعظ ابنه، أو إبراهيم مع أبيه، أو نوح مع ابنه... الخ

أما عن مصطلح التنشئة، فإن هذا المصطلح ورد بصيغة الفعل منها في أغلب النصوص القرآنية بمعنى إيجاد الشيء بعد أن لم يكن شيء مذكورا⁽¹⁾.

ومن الآيات التي يمكن الاستشهاد بها يمكن ذكر البعض منها إذ يتعذر ذكرها جميعا بعضها، وهي كما يلي: الآية "61" من سورة هود "، يقول الله تعالى: "وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب". أي ابتداء خلقكم منها.

وقال أيضا في سورة "المؤمنون آية 14 " : "ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين" . قال ابن عباس: يعني تنقله من حال إلى حال إلى أن خرج طفلا ، ثم نشأ صغيرا ، ثم صار شابا ، ثم كهلا ، ثم شيخا ، ثم هرما. ويقول الله تعالى في سورة هود الآية(61): " هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها" أي هو الذي ابتداء خلقكم من الأرض وجعلكم عمّارها وسكانها.⁽²⁾

وفي موطن آخر يقول جلّ جلاله " ألم يرو كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين"(سورة هود الآية 6)، وحسب تفسير "ابن كثير" فإن " أنشأنا" في هذا الموضع تعني أي أنشأنا جيلا آخر لنختبرهم، فعملوا مثل

¹ -سعاد جبر سعيد، سيكولوجية التنشئة الأسرية للفتيات، عمان: جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، إربد: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، 2008، ص 6 .

² -محمد علي الصابوني، التفسير الواضح الميسر، بيروت: المكتبة العصرية، ط14، 2014 .

أعمالهم فأهلكوا كإهلاكهم.⁽¹⁾ وفي سورة أخرى: "أفرايتم النار التي تورون أنتم أنشأتم شجرها أم نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين"

يقول سيد قطب: "ولقد كانا اكتشاف الإنسان للنار حادثا عظيما في حياته، ربما كان أعظم حادث بدأت منه حضارته، ولكنها أصبحت أمرا مألوفا لا يثير الاهتمام... والإنسان يوري النار: أي يوقدها. ولكن من الذي أنشأ وقودها؟ من الذي أنشأ الشجر الذي توقد به النار؟ لقد مر حديث الزرع: أفرايتم ما تحرثون أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون؟.. وشجر من هذا الزرع. فمن احتكاك فرع شجرة بفرع آخر من شجرة أخرى كان العرب يوقدون نارهم⁽²⁾."

ج - مفهوم "التنشئة" في السنة النبوية الشريفة

في الحديث النبوي: "ظموا نواشئكم في ثورة العشاء، أي صبيانكم وأحداثكم. قال ابن الأثير"، كذا رواه بعضهم والمحفوظ فواشيكم بالفاء.⁽³⁾

وردت في صيغة نشأ، فعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله يوم القيامة، الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد ورجلان تحابا في الله واجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعتة امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه". وفي السيرة النبوية ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم نشأ في البادية.

واستنادا للنصوص السابقة، فإن صيغة نشأ، تتعلق بالتربية والتهديب والتعهد والرعاية... التي تستند إلى المداومة والألفة على الطاعة والخير، بحيث تصبح سلوكا قويا

¹ - عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، راجعه: أنس محمد الشامي، محمد سعيد محمد، تفسير القرآن العظيم، القاهرة: دار البيان العربي، ج2 ص 168

² - سيد قطب: في ظلال القرآن، القاهرة: دار الشروق، مجلد: 6 ج 26-30 ط 1، 1972، ط40، 2012، ص 3469.

³ - ابن منظور، لسان العرب، القاهرة: دار المعارف، ج 55، مجلد 6، دط، دت. ص 4418

في الفرد ، فهنا صيغة نشأ تتعلق بالبعد الإيجابي في التربية وتعهد الذات. "وفي المسند في ما يرويه عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "خير أمتي القرن الذي بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم اللذين يلونهم، والله أعلم إذا ذكر الثالث أم لا، ثم ينشأ قوم يشهدون ولا يستشهدون، وينذرون ولا يوفون، ويخونون ولا يؤتمنون". وتتعلق صيغة نشأ هنا بالعادة والألفة على سلوكيات منافية للفطرة، ومجانبة للشرع، تنم عن انحراف الذات، وائتلافها المعصية ودروب الشر ومنزلقاته⁽¹⁾.

د - التنشئة الاجتماعية عند العلماء المسلمين

لقد اهتم المربون المسلمون اهتماما كبيرا بتنشئة الطفل تنشئة اجتماعية إسلامية قومية من أجل تكوين الشخصية الإسلامية المتكاملة وصياغتها بما يتفق والمبادئ الإسلامية التي جاء بها القرآن الكريم والسنة المطهرة. كما تخص النشء المسلم وتدرجه على التكيف مع القيم والعادات والتقاليد والنظم وأساليب الحياة الإسلامية، والسلوك الإسلامي في المجتمع، ومن أبرز المربين المسلمين الذين اهتموا بتنشئة الأطفال، "الإمام الغزالي" في كتابه "إحياء علوم الدين" و"أيها الولد"، و"ابن سينا" في كتابه "السياسة" و"ابن خلدون" في كتابه "المقدمة" وغيرهم من مشاهير علماء المسلمين.

ويرى الإمام الغزالي أن التنشئة الاجتماعية الإسلامية تتميز بمجموعة من المبادئ، يبدأها بتعليم القرآن الكريم، ثم الأحاديث النبوية الشريفة، وأحاديث الأخبار وحكايات الأبرار، وبعض الأحكام الدينية، ويرى أن وسائط التربية عند المسلمين تبدأ بالأسرة حيث يقوم بها الوالدان، وكبار العائلة من الأخوة والأخوات والأقارب، وكبار العائلة الكبيرة، ثم تتبعها

¹ - سعاد جبر سعيد، التنشئة الأسرية للفتيات، مرجع سابق، ص 8.

المدرسة بما فيها من معلمين ومدرّبين وأقران، ثم المسجد وما يقوم به من دور هام في التنشئة الدينية.

أما ابن سينا فقد طالب في كتابه "السياسة"، بأن نبدأ بتعليم الطفل القرآن الكريم بمجرد استعداده من الناحية الجسمية والعقلية... فعلى والده أن يبعده عن قبائح الأفعال ومعاييب العادات بالترهيب والترغيب والتوبيخ وحتى الضرب إن لزم الأمر⁽¹⁾.

أما ابن خلدون، فهو يرى أن التعليم وتحصيله هو طبيعي في البشر، ويتم من خلال رجوع كل جيل إلى الجيل الذي سبقه بعلم أو زاد عليه بمعرفة، هذا الجيل الذي يكون قد أخذه ممن تقدمه من الأنبياء الذين يبلغونه لمن تلقاه⁽²⁾.

3 - التعريف الإجرائي لمفهوم "المرجعية الإسلامية للتنشئة الاجتماعية"

من خلال ما تطرقنا إليه أعلاه، يمكن القول بأن مصطلح "المرجعية" في القرآن الكريم، وفي التراث الإسلامي له دلالة دينية محضة، حتى بالنسبة لمرجعية الأفراد، هذه المرجعية التي تقتضي أن لا يخرج أصحابها عن المرجعية الفكرية المتمثلة في الشرع. غير أن هذا المصطلح أصبحت دلالاته تتسع حيث أصبح يستوعب أبعاداً أخرى (اجتماعية، منهجية، عقلية..)، كما أشرنا أعلاه.

وبناء على ما عرضناه حول هذا الموضوع من دلالات متعلقة بهذا المصطلح في مختلف المجالات، يمكن تحديد مفهومنا الإجرائي لهذا المصطلح، والذي لا يخرج هو الآخر على أحد هذه التعريفات إلا في ما له علاقة بموضوع البحث، وبالتالي يكون تحديد هذا المفهوم منبثق من مصدرين، الأول من المعنى الأصلي للكلمة، والثاني من طبيعة

¹ - عبد الله زاهي الرشدان، التربية والتنشئة الاجتماعية، عمان (الأردن): دار وائل للنشر والتوزيع، ط1، 2005 ص 365

² - عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة (المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2004 . ص 412 .

الموضوع محل الدراسة. فماذا نقصد إذن بمصطلح "المرجعية" في دراستنا هذه، هذا المفهوم الذي يعتبر مفهوم محوري في البحث؟

أشرنا أعلاه، أن مفهوم "المرجعية" الذي وظفناه في دراستنا هذه يتطابق مع أحد التعريفات المتطرق إليها ، ومن بين التعريفات الأقرب إلى المعنى المقصود في بحثنا هذا ، هي تلك الدلالات المضمنة في بعض الآيات القرآنية، وأيضاً في التراث الإسلامي، وبالتالي يكون البعد الديني هو من يحدد هذا المفهوم، قاصياً بذلك الأبعاد الأخرى : الاجتماعية، المنهجية ، الفكرية .. وغيرها التي حددها بعض العلماء المتأخرين.

إن هذا البعد يظهر جلياً في هذا المفهوم، فهو يخبر عن نفسه مما لا يدع مجالاً للشك ولا للتأويل، فهو مسبقاً بالألف واللام أي أنه معرف ومتبوعاً بصفة، وهي نسبته للإسلام.

وبالتالي، فالمفهوم يحصر في ديانة معينة، وهي الإسلام، وبهذا يستبعد ويقصي كل ما يخالف هذه الديانة عقيدة وسلوكاً. ثم يحدد أكثر هذا المفهوم عندما نربطه بموضوع من المواضيع التي تخص الفرد والمجتمع على حد سواء، وهو موضوع "التنشئة الاجتماعية"، فينقسم المفهوم على نفسه إلى قسمين ، ولفهمه في كليته توجب علينا أولاً تحديد مفهوم "المرجعية" في علاقتها مع الإسلام والذي جعلها تأخذ صفته ثم تحديد هذه الأخيرة في علاقتها مع التنشئة الاجتماعية.

أ - المرجعية في علاقتها مع الإسلام

"المرجعية في علاقتها بالإسلام" ، يقصد بها في هذا البحث : هي تلك التعاليم الدينية التي يرجع ويحتكم إليها المسلمين في حياتهم، أي في علاقتهم مع الله ومع أنفسهم ومع الآخرين ومع الكون. هذه التعاليم المضمنة في مصادر الشريعة الإسلامية بشقيها

"المرجعية الفكرية"، و"مرجعية الأفراد" وهي المصادر المتفق عليها، وهي: "الكتاب، والسنة، الإجماع، القياس"⁽¹⁾

ب - المرجعية الإسلامية في علاقتها بالتنشئة الاجتماعية

أما معنى "المرجعية الإسلامية" في علاقتها مع التنشئة الاجتماعية فإننا نقصد بها في هذه الدراسة: هي تلك القيم والأساليب والأهداف التي يعتمدها الوالدين (ولاسيما الأمهات) في الأسر محل الدراسة، في تنشئة أطفالهم والتي تتخذ من مصادر الشريعة الإسلامية المذكورة أنفا مرجعا لها.

ثانيا : مصادر التنشئة الاجتماعية الإسلامية وخصائصها

1 - مصادر التنشئة الاجتماعية الإسلامية²

تعتبر التنشئة الاجتماعية الإسلامية ضرورة حتمية، لكل مجتمع أراد أن يقيم أسسه ومبادئه على الدين الإسلامي، فتكون بهذا المعنى تهيئة النفس لتحمل هذه الأمانة ، ولتحقيق هذا الهدف توجب أن تكون مصادر هذه التنشئة هي نفسها مصادر الشريعة الإسلامية، هذه المصادر التي تتمثل في مصدرين أساسيين ، تنفرع عنهما كل المصادر الإسلامية الأخرى، وهما القرآن الكريم، والسنة النبوية.

¹ - محمد الحبيب بن خوجة، محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية بين علمي أصول الفقه والمقاصد، ج2 ، قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دط، 2004 ، ص 284

² - عبد الرحمن النحلوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع ، دمشق: دار الفكر ، ط27 ، 2009 ، ص 24-

أ - القرآن الكريم كمصدر للتنشئة الاجتماعية

لقد ترك القرآن الكريم أثرا في تربية نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام ، وقد شهدت بذلك زوجته السيدة عائشة ، فقالت في وصفه، كان خلقه القرآن، بل إن شهادة الحق جل جلاله قد سبقت كل شهادة، ودليها في قوله تعالى: "وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا(الفرقان 32) . وفي هذا الآية اشارتان تربويتان ، الأولى تخص تثبيت الفؤاد وترسيخ الإيمان والثانية تتمثل في تعليم الترتيل في قراءة القرآن وفيها نزلت توصيات تربوية صريحة عن الحق جل جلاله إلى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وهو ما جاء في قوله تعالى: " لا تحرك به لسانك لتعجل به، إن علينا جمعه وقرءانه فإذا قرأته فاتبع قرءانه ، ثم إن علينا بيانه(القيامة 16-19)

ولقد كانت حياته صلى الله عليه وسلم شاهدة على ما شهدت به عائشة رضي الله عنها، في سلمه وفي حربه، وفي حله وترحاله. أما صحابته الكرام رضي الله عنهم فقد أخذوا على أنفسهم بتطبيق القرآن الكريم مع تعلمه، حتى قال أحدهم "كنا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نجاوز السورة من القرآن حتى نحفظها ونعمل بها فتعلمنا العلم والعمل جميعا.

لقد كان للقرآن الكريم آنذاك وقع عظيم وأثر تربوي بالغ في نفوس المسلمين، حتى شغلهم عن الشعر، وكانوا من أشد الناس تعلقا به ، وكل فنون العرب في جاهليتهم ، ويرجع السر في ذلك إلى طبيعة القرآن أسلوبا وبلاغة، ومزاياه الفريدة في تربية المرء على الإيمان بوحداية الله وبالיום الآخر، إنه يفرض الإقناع العقلي مقترنا بإثارة العواطف والانفعالات الإنسانية فهو بذلك يربي العقل والعاطفة جميعا متمشيا مع فطرة الإنسان في البساطة وعدم التكلف.

ب - السنة النبوية كمصدر للتنشئة الاجتماعية الإسلامية

تعتبر السنة النبوية المصدر الثاني بعد القرآن الكريم، الذي تستقى منه التربية الإسلامية . وتعرف السنة النبوية على أنها مجموع ما نقل بالسند الصحيح من أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعماله وتركه ووصفه وإقراره ونهيه وما أحب وما كره وغزواته، وأحواله وحياته. وللسنة النبوية فائدتان في المجال التربوي وهما: إيضاح المنهج التربوي الإسلامي المتكامل الوارد في القرآن الكريم وبيان التفاصيل التي لم ترد في القرآن الكريم واستنباط أسلوب تربوي من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم مع أصحابه ومعاملاته في ما يخص غرس الإيمان في النفوس.

وتعتبر شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم نموذج تربوي كامل للإنسان ، فكان مربيا عظيما ذا أسلوب تربوي فذ يراعي حاجات الطفولة وطبيعتها ويراعي الفروق الفردية، فكان يخاطب الناس على قدر عقولهم ، كما يراعي طبائعهم واستعداداتهم وميولهم . وهو من خلال ذلك كله يدعوهم إلى الله وإلى تطبيق شريعته لتكميل فطرتهم وتهذيب نفوسهم شيئا فشيئا .

وقد أدرك بعض علماء الإسلام هذه الأهداف التربوية النبوية فصنفوا بعض أحاديثه صلى الله عليه وسلم تصنيفا ذا غاية تربوية مثل كتاب (الترغيب والترهيب) ، وهو مجموعة أحاديث تربوي في النفس دوافع تحبب لعمل الخير ورواد تبعد عن الشر، فقد شملت أجزاءه كل أمور الحياة المادية والروحية والمالية والجسدية والاجتماعية والتعبدية .

2 - خصائص التنشئة الاجتماعية الإسلامية⁽¹⁾

بما أن التنشئة الاجتماعية الإسلامية تستمد أصولها من الشريعة الإسلامية ، فإن خصائص هذه العملية تستمد أيضا من هذه المرجعية ، ومن هذه الخصائص أن قيمها تعتبر معيار لكل قيم المجتمع الإسلامي ، فقيم مثل الصدق والوفاء والأمانة والتعاون والتراحم جميعها هي قيم ثابتة لا تتغير بتغير الزمان والمكان، كالشريعة الإسلامية التي لا تتغير بتغير الزمان والمكان.

ومن خصائصها أيضا، أنها عملية ترتبط فيها الجوانب الدينية التعبدية مع الجوانب الاجتماعية، ويظهر ذلك في قول تعالى: "وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك (القصص 77)"، ذلك لأن التنشئة الاجتماعية الإسلامية تحرص على إحداث التوازن بين مطالب الفرد من جهة ومطالب المجتمع من جهة أخرى، وبين مطالب الدنيا مطالب الآخرة، ويقوم هذا من خلال تنمية ضمير الفرد المسلم، و ربطه بقوة عليا مسيطرة هي الله سبحانه وتعالى.

هذا و تركز التنشئة الإسلامية على التربية الخلقية فالدين والأخلاق صنوان لا يفترقان في التربية الإسلامية، وهما حقيقتان ثابتتان في الدين الإسلامي.

¹ -أنظر : عبد الله زاهي الرشدان، التربية والتنشئة الاجتماعية، ص 366، 377 .

خلاصة الفصل

لقد حاولنا في هذا الفصل التطرق إلى التنشئة الاجتماعية، كما تتم وفقا للمرجعية الإسلامية. وقد أَلزَمنا أنفسنا بادئ ذي بدء بتحديد مفهوم المرجعية في اللغة والاصطلاح ووفقا لاستخدامه في هذه الدراسة، أو على الأقل وفقا للتصور الحاصل لدينا عن مفهوم المرجعية عموما والمرجعية الإسلامية على وجه التحديد . وقد تتبعنا من أجل ذلك أثر هذا المفهوم في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وعند علماء الإسلام المتأخرين، وتبين لنا أن هذا المفهوم وإن كان اصطناعيا لا نجد له بلفظه في التراث القديم إلا أن الألفاظ التي تشترك معه في الجذر كثيرة مثل الرجوع والرجعى وغيرها. كما تتبعنا أثر مفهوم التنشئة الاجتماعية في هذه المصادر كلها، فكان هذا المفهوم كسابقه غائبا مع حضور الألفاظ التي تشترك معه في الجذر، مثل النشء والناشئة وغير ذلك.

ولما كان ضروريا أن نحدد إجرائيا مفهوم التنشئة في الإسلام، فإننا شرحنا ارتباط المرجعية بتعاليم الإسلام وأحكامه، كونه المصدر لتنظيم كل سلوك يتوق إلى أن يكون إسلاميا. ومن ثم فإننا أفردنا فقرة كاملة لإبراز القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة كمصدرين أساسيين للقيم التي يجب نقلها من قبل كل مرب يقول بتبنيه الإسلام مرجعية للتنشئة الاجتماعية. وحتى يمكن التمييز بين التنشئة الإسلامية وغيرها فإننا عرضنا الخصائص العامة التي تكون عليها هذه التنشئة، والتي يتلخص هدفها في الآية : **"وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون"**، وقوله : **" وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة "**، وقوله

: " يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالعدل ولا تتبع الهوى فيضلك
عن سبيل الله. إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب".

الفصل السابع الإطار الميداني والإجراءات المنهجية

تمهيد

أولاً: الإطار الميداني

ثانياً: الإجراءات المنهجية

- خلاصة الفصل

تمهيد

يتضمن هذا الفصل عرضاً لمعلومات تتعلق ببلدية "مزغران"، وهي المدينة التي شكلت المجال المكاني لدراستنا، إذ به تتواجد الأسر التي أجرينا معها المقابلات الخاصة بجمع المعطيات العلمية لهذه الدراسة. كما يتضمن شرحاً للإجراءات العملية والمنهجية التي قمنا بها في سبيل الحصول على هذه المعلومات. كما عرضنا مجموعة من المناهج المطبقة في دراسة التنشئة الاجتماعية، والتي أفادتنا في هذه الدراسة، إضافة إلى شرحنا للإجراءات المنهجية التي قمنا بها لجمع المعطيات، وذلك بتقسيم جوانب الظاهرة المدروسة إلى فئات تعكس هذه الجوانب وتسهل علينا عملية جمع المعطيات بشكل مركز يجنبنا التشتت والسهو عن بعض الجوانب التي لا تقل أهمية عن جوانب أخرى.

أولاً: الإطار الميداني

1 – مجالات الدراسة

أ – المجال المكاني⁽¹⁾:

لقد تمت دراستنا الميدانية، على الأسر المقيمة ببلدية "مزغران" التابعة لولاية مستغانم، وهي من المدن والأحياء العتيقة التي لها تاريخ، وهي تبعد بحوالي ثلاث كيلومترات عن مقر الولاية. وقبل التعريف بالمدينة وبخصائصها، سوف نقوم بتوضيح الأسباب التي جعلتنا نتخذ هذا المجال دون غيره.

إن اختيارنا القيام بدراسة ميدانية في مدينة مستغانم، وبالضبط مدينة مزغران، كان لعدة أسباب. فاختيارنا لولاية "مستغانم"، كان بحكم إقامتنا بها وتدريسنا في جامعتها. أما اختيارنا لمدينة "مزغران"، فكان أيضاً لعدة أسباب منها:

¹ - أنظر: بن حلوش مختار، مدينة مزغران (حديث عبر الأزمان)، وهران: دار الغرب للنشر والتوزيع، دط، 2009، ص 9، 16، 17، 19، 21، 24، 53.

- أن هذه المدينة تعتبر من أعتق المدن في مستغانم ولها تاريخ، حيث توالى عليها الكثير من السلطات.

- وثانيا كون هذه المدينة قريبة من مقر إقامتنا، فهي تبعد عنها فقط بما يقارب 2 كيلومتر .
- وثالثا، أن هذه المدينة تعتبر من أكثر المدن التي تعرفنا عليها وعلى أهلها منذ إقامتنا في مدينة مستغانم في سنة 2007 ، مقارنة بالمدن والأحياء الأخرى التابعة لنفس المدينة.

- موقع مدينة "مزهران":

هي منطقة تليّة تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط، هذا الأخير الذي يحدها من الشمال على مسافة تقدر بأربع (4) كيلومترات، ومن الجنوب تحدها تلال متوازية للبحر على عرض قدره 2 كيلومتر، وتنتهي هذه التلال تدريجيا نحو الشمال، والمنطقة كلّها رسوبية. ومن الناحية الغربية توجد جبال قليلة الارتفاع شديدة الانحدار نحو البحر الأبيض المتوسط.

لا يزيد ارتفاعها عن 134 م وخاصة على رؤوس الجبال ، ومن الناحية الجنوبية تمتد تلال تضم منطقة تسمى " تليغراف" . وفي نفس الاتجاه توجد سلسلة موازية لها حيث تبعد عنها بمسافة 1 كيلومتر. ومن الشرق تمتد بمسافة سلسلة خفيفة الارتفاع. وبين هذه التلال توجد سهول خصبة خضراء صالحة للزراعة تنحدر نحو مدينة مستغانم.

تترجع مدينة "مزهران"، بين التلال الفاصلة بين القسم الجنوبي والقسم الشمالي، وتملك المدينة شكلا مثلثا، حيث كانت محاطة بالأسوار. وفي عهد المقاومة الشعبية ضد الفرنسيين اتخذها القائد الفرنسي "كلوزيل" مركزا عسكريا. أما "ليليفيار" فاتخذها حصنا ضد المقاومة الشعبية في عهد "مصطفى بن تامي" ، رفيق "الأمير عبد القادر".

– أصل تسمية "مزگران"

سميت "مزگران" باسمين،: "مزگران" و "تمزگران". ففي كتاب الجغرافي "أبوبكر البكري" المعنون بـ "المسالك والممالك" سميت بـ "تمزگران"، وأما في كتاب "البلدان" للمؤرخ اليعقوبي، وذلك بعد 905، فسميت بـ "مزگران".

وقد ذكرت المدينة باسم "مزگران" في قصيدة الشاعر "الخضر بن خلوف" والمسماة: "قصة مزگران معلومة"، والتي نظمها في القرن 16. تضمنت هذه القصيدة وقائع هزيمة الإسبان في مزگران، والتي دارت بين الإسبان والمزغرانيين بقيادة "حسن باشا" نجل "خير الدين بارباروس"، وقد كان الشاعر أحد المشاركين في رحاها، وشاهد عيان على وقائعها وأحداثها.

ولقد سميت هذه المدينة بهاذين الاسمين المتقاربين جدا، – حسب بعض المؤرخين – لأن الذين عرفوها بهذين اللفظين لم يكونوا من عامة الناس، بل كانوا من المرموقين والمؤرخين الكبار في ذلك العهد، العارفين بالمنطقة حق المعرفة، فكل سمّاها بالاسم الذي كان شائعا عندهم.

أما عن أصل التسمية، فالكلمة مكونة من كلمتين، وهي "ما" وتعني الماء (السائل الحيوي) و"زگران"، وتعني الغزير (غزارة المياه). ومنه فمدلول الكلمة هو المياه الغزيرة. وقد وصفها أحد المؤرخين وهو "كازيميرسكي" قائلا: "...المدينة تمنح مشهدا رائعا على مد البصر على البحر المتوسط. ماؤها فرات عذب كثير الغزارة لكونها توجد بها عيون سطحية كثيرة و آبار في كل البيوت وخاصة الأحياء القديمة".

– التنظيم الإداري عبر العصور لمدينة "مزگران"

1 – ما بين 905 و 1095

كانت المدينة تحت سلطة إمارة "هواره".

2 – ما بين 1239 و 1462

كانت هذه المدينة تحت سلطة "المرينيين"، هي ومملكة تلمسان، وهران، مستغانم، ندرومة، هنين، تنس، ومليانة، حيث أصبحت هذه المدن تعيش تحت سلطة وعلم المرينيين تحت قيادة السلطان "أبو يعقوب الناصر"، في عهد السلطان "أبو زيان".

3 – ما بين القرنين 15 و 19

نظرا للتحرش الإسباني أعلن سكان مدينتي مستغانم ومزغران تبعيتهم إلى "أبي زيان أحمد الثاني" ملك تلمسان، ثم بعد انتشار الفوضى وفقدان الأمن، أعلن سكان المدينتين تبعيتهم للأتراك بعدما ظهر النفوذ الإسباني على شواطئها خلال ثلاث محاولات من طرف حاكم وهران الإسباني "الكونت دي كوديت"، وذلك ما بين 1534، 1558.

لكنه خلال التوغل الفرنسي أصبحت "مزغران" خاضعة لإدارة الأمير عبد القادر، والتي كان يشرف عليها القائد مصطفى بن تامي كما أشرنا سابقا.

ب – المجال الزماني

لقد تم إجراء هذه الدراسة ابتداء من سنة 2016، حيث قمنا بدراسة استطلاعية لمجموعة من الأسر التي تعرفنا عليها من خلال طلبة درسوا عندنا في الجامعة، وهناك من الأسر من تعرفن عليهن من خلال بعض الصديقات. ثم انقطعنا عن الميدان نتيجة لظروف صحية وأخرى عائلية، ثم رجعنا للميدان مرة أخرى في عام 2018/2019، لقد كان اتصالنا بالأسر في أغلب الأحيان في العطل الرسمية، أو في عطل نهاية الأسبوع، وذلك بحكم عدم توفر الوقت الكافي لإجرائها، وذلك سواء بالنسبة للباحث أو بالنسبة للمبحوث.

لقد كنا نقوم بمقابلة ما يعادل ثلاث أسر في اليوم، أي ثلاثة أمهات في اليوم، بحيث تستغرق كل مقابلة من ساعتين إلى ثلاث ساعات تتخللها فترات راحة ، من أجل شرب قهوة أو تناول غداء.

لقد لقينا الترحيب من أغلبية الأسر محلّ الدراسة، والحمد لله ، وسرعان ما تحولت علاقتنا من علاقة بين باحث ومبحوث إلى علاقة صداقة وأخوة، حيث عبرت أغلبية المبحوثات عن ارتياحهن معنا ، مما جعلهن يسردن لنا الكثير من الأسرار المتعلقة بحياتهن وحياة عائلتهن، منها بعض المعلومات التي ليست لها علاقة بموضوع بحثنا، ولكن سوف نستغلها، بإنشاء الله، في بحوث مستقبلية إن كان في العمر بقية.

2 - المنهج وأدوات جمع المعطيات

أ - المناهج المستخدمة

"ترتبط مناهج البحث العلمي ارتباطا وثيقا بموضوع الظاهرة محل الدراسة، بمعنى أن مناهج وأساليب البحث العلمي تختلف باختلاف الظواهر والمشكلات المدروسة، فما يصلح لظاهرة معينة قد لا يصلح لظاهرة أخرى، وذلك لاختلاف خصائص وموضوعات كل ظاهرة"⁽¹⁾

وعليه فإن الباحث مسير لا مخير، ليس فقط في مسألة اختيار المناهج البحثية بل حتى في تقنيات جمع المعطيات، فهناك دراسات لا تصلح لها "الاستمارة" كتقنية لجمع المعطيات، وهناك مواضيع على عكس ذلك، تتطلب "المقابلة" ، أو تطلب الاثنتين، كل هذا إذن يتوقف على طبيعة كل بحث وما يفرضه من مقاربات تتماشى وفرضياته وتساؤلاته الإشكالية. ومن هذا المنطلق قمنا نحن باختيار المناهج التي ارتأينا أنها تتماشى وطبيعة بحثنا وهي كالتالي:

¹¹ -أنظر: ربحي مصطفى عليان، البحث العلمي ، أسسه ، مناهجه وأساليبه، الأردن (عمان): بيت الأفكار الدولية، دط، دت ص 35

- المنهج الوصفي

"يعرف المنهج الوصفي على أنه أسلوب من أساليب التحليل المرتكز على معلومات كافية ودقيقة عن الظاهرة أو موضوع محدد من خلال فترة أو فترات زمنية معلومة، وذلك من أجل الحصول على نتائج علمية تم تفسيرها بطريقة موضوعية، وبما ينسجم مع المعطيات الفعلية للظاهرة⁽¹⁾.

لقد قمنا باستخدام المنهج الوصفي في دراستنا هذه متبعين في ذلك أهم خطواته⁽²⁾، حيث قمنا كأول خطوة بجمع المعطيات الخاصة بالظاهرة محل الدراسة ، كالمعلومات الشخصية للمبحوثات (السن، المهنة، عدد الأولاد، المستوى الدراسي..الخ) ، بالإضافة إلى ذلك جمعنا معلومات تخص حياتهن في الطفولة ، ومعلومات تخص علاقتهن مع أزواجهن، وأخرى تتعلق بأساليبهن في تنشئتهن لأولادهن ، والقيم التي يرسخونها في نفوسهم ..إلى غير ذلك من المعلومات التي افترضنا أنها تفيد موضوع بحثنا، معتمدين في ذلك على تقنية المقابلة.

وانطلاقاً من هذه المعطيات قمنا بوصف هذا الظاهرة وصفاً دقيقاً وتحليلها بطريقة موضوعية كخطوة ثانية، بعد ذلك قمنا بربط متغيراتها وتفسيرها وذلك للتعرف على العوامل المكونة لها والمؤثرة فيها.

- المنهج الاستردادي (التاريخي):

لقد لفت انتباهنا أن الكثير من الدراسات المنجزة في العلوم الاجتماعية، ولاسيما في مجال علم الاجتماع يعتمد أصحابها في أبحاثهم العلمية على المنهج التاريخي، شارحين بذلك الطريقة والكيفية التي وظفوا بها هذا المنهج في أبحاثهم.

¹ - أنظر: محمد عبيدات، محمد أبونصار، عقلة مبيضين، منهجية البحث العلمي، القواعد والمراحل والتطبيقات، عمان (الأردن): دار وائل للنشر والتوزيع، ط2، 1999، ص 46 .

² - المرجع نفسه، نفس الصفحة

ولكن صراحة، لم تكن تقنعي كل تلك الشروحات، وذلك لأن طريقة توظيفهم هذه لا تتطبق مع تعريفات هذا المنهج، فالمنهج التاريخي كما يعرف هو "دراسة للأحداث الماضية دراسة دقيقة تتطلب الرجوع إلى السجلات التاريخية والوثائق القديمة، وهذا ليس بهدف جمعها فقط ولكن بهدف إثبات مدى أصالة هذه الوثائق"⁽¹⁾

وانطلاقاً من هذا التعريف، لا يمكن لأحدنا الادعاء بأننا نتعامل مع النصوص التاريخية من كتب ومراجع بهذه الطريقة. وهذا هو الإشكال الذي جعلنا دائماً في حيرة من أمرنا وفي القول باعتمادنا على هذا المنهج بدون اقتناعنا بهذا القول.

لقد بقينا على هذه الحيرة من أمرنا إلى أن عثرنا على أحد الكتب في المنهجية، وهو كتاب جماعي شارك فيه الكثير من الباحثين الجزائريين، وتحت إشراف الباحث "عمار بوحوش" الغني عن التعريف. هذا الكتاب الذي وجدنا فيه ضاللتنا لأنه تناول هو الآخر هذا الإشكال.

لقد قام أصحاب هذا الكتاب بتقديم مجموعة من التعاريف للمنهج التاريخي، منها التعريف الذي أشرنا إليه أعلاه، مشيرين بذلك إلى أن العلوم الاجتماعية تستطيع الاستعانة بهذا المنهج، ولكن هذا يتطلب منها الأخذ بعين الاعتبار بعض الإجراءات المنهجية، والتي تتمثل، كما جاء في التعريف، في الرجوع إلى كل الوثائق الرسمية كالمخطوطات والسجلات والوثائق القديمة وإثبات أصالتها ومدى صحتها والأكثر من هذا مقارنتها بالنص الوارد في المرجع الذي يعتمده الباحث بمثيلاتها في النصوص المضمنة في المراجع الأخرى. هنا يصبح الباحث أمام تطبيق المنهج التاريخي، وهذا نجده خاصة في علم التاريخ.

¹ - ليندة لطاد، عائشة عباش وآخرون، تحت إشراف: بوحوش عمار، منهجية البحث العلمي وتقنياته في العلوم الاجتماعية، برلين (ألمانيا): المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية، دط، 2019، ص 122-125.

ثم يقول أن هناك بعض الظواهر المدروسة من طرف بعض العلوم المنضوية تحت العلوم الاجتماعية لا تستدعي درجة من التحليل الخارجي ولا الداخلي للوثائق والمصادر، بل تقتصر دراستها على وصف وسرد الأحداث الماضية بطريقة استقرائية يغلب عليها التحليل والتركيب، ثم يخرج بالاستنتاج ، وفي هذه الحالة يكون الباحث يستعمل منهجا آخر وهو "المنهج الاستردادي" ، وهو منهج يعتبر جزءا من المنهج التاريخي العام، يستعان به في دراسة بعض الظواهر السياسية والاجتماعية والنفسية والإعلامية .. فهذا المبحث يقوم على مبدأ الاسترداد وعلى العودة إلى الماضي لكي نتمكن من تحليل ما حدث ورؤية جميع الأسباب التي أدت لحدوث المشكلة، وما هي تأثيراتها في الحاضر .

فالمبحث الاستردادي إذن لا يعني تماما المنهج التاريخي كما هو متعارف عليه عند أهل الاختصاص.

بعد ذلك يعرض الكتاب مجموعة من التعاريف الخاصة بهذا المنهج ، ثم يؤثر التصور المنهجي للأستاذ "رشدي فكار" الذي قسم المنهج التاريخي إلى قسمين "المنهج التاريخي كطريقة بحث" ، وهو الذي يعنى بالتأريخ للعلوم جميعها عبر التساؤلات الثلاث: كيف نشأ؟ ، وكيف تطور؟ وكيف آل؟ وهنا يمكن استدراج المنهج الاستردادي، و "المنهج التاريخي كقدرة شرح"، وهذا حسب رأيه يخص الدراسات التاريخية⁽¹⁾.

وانطلاقا من هذا، يمكن القول وبكل ثقة، أننا اعتمدنا على المنهج الإستردادي التاريخي. وتطبيقا لمقولة "أوغست كونت" ، بأنه لا تتيسر معرفة شيء ما، معرفة جيدة إلا بالرجوع إلى تاريخه، فإننا رجعنا إلى تاريخ الظاهرة محل الدراسة بالاعتماد على هذا المنهج حيث وظفنا هذا المنهج خصوصا في الفصول التي تطرقنا فيها إلى الأسرة، سواء الأسرة الغربية أو الإسلامية، أو الجزائرية، والفصل أيضا الذي تناول موضوع التنشئة الاجتماعية

¹ - أنظر: ليندة لطاد ، عائشة عياش وآخرون، تحت إشراف: بوحوش عمار، منهجية البحث العلمي وتقنياته في العلوم الاجتماعية، مرجع سابق، ص 22-25 .

في الفكر الغربي والمرجعية الإسلامية، مثلاً كالرجوع إلى العصر النبوي من أجل التعرف على الكيفية التي كانت تتم بها التنشئة الاجتماعية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وكيف كان هو نفسه يمارسها.

كما استخدمنا أيضاً هذا المنهج عند حديثنا عن الأسرة الجزائرية وعن مراحل تطورها وخصائص كل مرحلة، لقد أفادنا هذا المنهج في معرفة واقع الأسرة في الماضي على مستوى البناء والوظيفة وحتى على مستوى المحتوى ومرجعياته، كما ساعدنا هذا المنهج أيضاً في تتبع هذه الظاهرة في المجتمعات المختلفة من خلال إعطائنا فكرة عن هذه العملية في جوانب شتى.

- المنهج المقارن

يعتبر المنهج المقارن من المناهج الأكثر استخداماً في تفسير الظواهر الاجتماعية، في مختلف الدراسات الاجتماعية الكيفية منها والكمية، حيث يعتبره بعض العلماء "أنه المنهج الملائم بدقة لعلم الاجتماع، وهو يقابل التجريب في العلوم الطبيعية. فحسب "إميل دوركايم" نستطيع في العلوم الطبيعية التأكد من مدى صدق الارتباطات السببية بين الظواهر عن طريق التجربة، في حين الأمر يختلف عندما يتعلق الأمر بدراسة الظواهر الاجتماعية، ذلك لأن التجريب غير متاح لنا، وهذا يتطلب منا إجراء تجارب غير مباشرة من خلال المنهج المقارن.

ويعرف المنهج المقارن في معجم المصطلحات الاجتماعية: "بأنه تلك الطريقة المقارنة بين مجتمعات مختلفة، أو جماعات داخل المجتمع الواحد أو نظم اجتماعية للكشف عن أوجه الشبه والاختلاف بين الظواهر الاجتماعية وإبراز أسبابها، وفقاً لبعض المحكات التي تجعل هذه الظواهر قابلة للمقارنة كالنواحي التاريخية، والإثنوجرافية والإحصائية. ويمكن عن طريق هذه الدراسة المقارنة بصياغة النظريات الاجتماعية.

ولا تعد المقارنة حقلا معرفيا أو موضوعا للدراسة بل هي منهج للبحث والتحليل. وهو منهج لا يفرض على مستخدمه اعتماد تقنية خاصة. وللمنهج المقارن عدة أوجه:

الوجه التاريخي، وفيه تتم مقارنة الظاهرة الاجتماعية في عدة مراحل زمنية متعاقبة، سواء داخل المجتمع الواحد، أو مجتمعات مختلفة.

الوجه المكاني، وتكون فيه المقارنة بين الظاهرة الاجتماعية في مكانين مختلفين.

الوجه الزماني المكاني، ويعني به مقارنة الظاهرة الاجتماعية في مكان وزمان معينين مع تواجد أمكنة أخرى.

لقد ارتبط ظهور المنهج المقارن خلال القرن التاسع عشر بالمنهج التطوري خصوصا بعد تأثير الحركة الداروينية، ذلك أن العلماء لم يكتفوا بدراسة الجذور التاريخية المشتركة للظواهر الاجتماعية مثل دراسة: الدين، أو العائلة، أو الفكر، وإنما تعدوا ذلك إلى المقارنة بينها جغرافيا أو تاريخيا.

وقد استخدم هذا المنهج العديد من العلماء والباحثين وعلى رأسهم مؤسس علم العمران البشري العلامة، "ابن خلدون"، هذا الأخير الذي دعا إلى ضرورة مقارنة الظواهر الاجتماعية بغيرها من الظواهر الأخرى، محذرا في ذلك المبالغة في قياس الغائب على الحاضر، وأخذ الاحتياطات في الحكم على ظاهرة ماضية، على أشباهها من الظواهر الحاضرة.

وقد استخدمه أيضا مؤسس علم الاجتماع الغربي "أوغست كونت" حيث قارن بين الصفات البشرية والصفات الغير بشرية في استخراج المزايا الجوهرية للإنسان ولمجمعه. وبنفس المنهج درس "إميل دوركايم"، ظاهرة الانتحار، مقارنا معدلاتها بين مجتمعات

مختلفة، وفي جماعات مختلفة من مجتمع واحد. وفي دراسته للبيروقراطية استخدم "ماكس فيبر" هذا المنهج للمقارنة بين النوع المثالي للبيروقراطية الألمانية والبيروقراطية البريطانية.

ويميز العلماء بين التحليل المقارن والمنهج المقارن، فحسب رأيهم أن التحليل المقارن يعني اكتشاف أوجه التشابه وأوجه الاتفاق وكذلك أوجه الاختلاف والتباين بين الظواهر الاجتماعية، فهو مطلب رئيس في التحليل العلمي، أما المنهج المقارن فيعد نمطا من التحليل الاجتماعي الذي يتناول الوحدات الاجتماعية من منظور كلي⁽¹⁾.

انطلاقا من هذا التمييز بين الطريقتين، يمكن القول أن معظم الدراسات التي يتناولها الباحثون في مجال علم اجتماع وغيره من العلوم الاجتماعية، هي دراسات يستخدم فيها في الغالب التحليل المقارن وليس المنهج المقارن، إلا إذا كانت الدراسة دراسة مقارنة مصرح بها في عنوان البحث. وهو نفس الشيء كما سبق معنا في ما يخص التفريق بين المنهج التاريخي والمنهج الإستردادي وما يتطلبه توظيف كل منهما.

وبما أن بحثنا هذا لا يندرج ضمن البحوث المقارنة، فإن منهجنا هنا هو التحليل المقارن وليس المنهج المقارن، ذلك لأننا قمنا بإجراء بعض التحليلات المقارنة بين عملية التنشئة الاجتماعية كما هي في الواقع، أي كما يمارسها الآباء في الأسر محل الدراسة وبين ما نصت عليه الشريعة الإسلامية بمختلف مصادرها ومرجعياتها. كما قمنا أيضا بمقارنة القيم التي كانت معتمدة في الأسر الجزائرية في الماضي، وتلك التي تمارس في وقتنا الحالي، مما يجعلنا نبحث عن الأسباب والعوامل التي جعلت بعض القيم تختفي، وأخرى تظهر. كما أننا قمنا بمقارنة التنشئة في مجتمعاتنا بمجتمعات أخرى قد تكون تنتمي إلى نفس الأمة - العربية والإسلامية - أو تنتمي إلى مجتمعات غربية.

¹ -أنظر: لبندة لطاد، عائشة عباش وآخرون، تحت إشراف: بوحوش عمار، منهجية البحث العلمي وتقنياته في العلوم الاجتماعية، مرجع سابق: ص 125-131.

– المنهج البنوي الوظيفي

إن توظيف هذا المنهج أفادنا في كشف أشكال الأسرة : ممتدة، أو نووية، كما ساعدنا أيضا على فهم العلاقات داخل النسق الأسري ، وكيف تؤثر هذه الخصائص البنوية على عملية التنشئة الاجتماعية.

– منهج الفردانية المنهجية

يستند هذا المنهج الذي وضعه عالم الاجتماع الفرنسي "ريمون بودون" ، وقبله عالم الاجتماع الألماني "ماكس فيبر" ، إلى الفرد باعتباره محور البحث الاجتماعي. وعليه فإنه وحسب هذا المنهج لا يمكن تفسير أي ظاهرة اجتماعية وفهمها إلا بالاعتماد على تحليل دوافع الأفراد المتعلقة بالظاهرة محل الدراسة، باعتبار أن سلوكيات هؤلاء وتصرفاتهم هي ترجمة لدوافعهم، وعليه يتوجب الفهم العميق لأفعال الأفراد ، هذا الفهم الذي يجعلنا نقف على المعنى الذي يقف وراءها وجعل الأفراد يتصرفون بالشكل الذي هو عليه سلوكهم⁽¹⁾.

إن استخدام هذا المنهج – حسب رأينا – ضروري لفهم الظاهرة الاجتماعية، لأنه لا يمكن فهمها فهما دقيقا إذا أغفلنا دوافع الأفراد لإتيانهم سلوك أو العزوف عنه، لأن تصريحاتهم بهذه الدوافع تساعد الباحث في اكتشاف العوامل والأسباب التي تتحكم في الظاهرة، وبالتالي توفر عليه الكثير من الجهد الذي قد يضيع في تأويلات مضللة.

إن تصريحات المبحوثين فيما يخص دوافع أفعالهم، قد تحيلنا إلى اكتشاف ظواهر اجتماعية أو نفسية أخرى، لأنه في غالب الأحيان تكون هذه الدوافع إما نفسية أو اجتماعية أو ثقافية، وبالتالي تزودنا بمعلومات أكثر عن مجتمعنا وعن خباياه.

¹ –أنظر : عبد الغني عماد، علم الاجتماع التربوية –الاتجاهات والمدارس والمقاربات- بيروت: منتدى المعارف، ط1 ، 2021 ، ص 91 .

لقد كان توظيفنا لهذا المنهج بشكل واضح في الجزء الخاص بأساليب التنشئة الاجتماعية وأهدافها، بحيث أن هذا المنهج جعلنا نفهم اختيار الأمهات أسلوب معين في التنشئة الاجتماعية دون الآخر، وذلك من خلال طرح السؤال لماذا تعتمدين هذا الأسلوب دون غيره، ما الهدف من وراء ذلك. ومن خلال هذه المعاني التي تعطيها الأمهات لهذا السلوك الخاص بأساليب التنشئة الاجتماعية، نكتشف بطريقة غير مباشرة الأهداف التي تتوخاها كل أسرة من الأسر محل الدراسة في تربية أبنائها، ومقارنتها بأهداف التنشئة الاجتماعية في المرجعية الإسلامية، كذلك يفيدنا هذا في اكتشاف الكثير من متغيرات البحث التي افترضنا أنها تتحكم في الظاهرة وتؤثر فيها كجهل الوالدين بأحكام الدين الإسلامي وخطهم بين ما هو ديني وبين ما هو عادات وتقاليد.

– المنهج الفينومينولوجي

يشترك هذا المنهج مع المنهج الذي سبقه وهو **منهج الفردانية المنهجية** في التركيز على الحياة اليومية للأفراد. هذا الاتجاه، كما هو متمثل في أعمال كل من : "إدمون هوسرل، ألفرد شوز" يعتبر " وسيلة للاستخلاص ما نلاحظه في الواقع لفهم جوهر الأشياء وتحليلها وربطها بالصورة الذهنية والعقلية للأفراد بطريقة علمية مدروسة... وذلك من خلال التركيز على الحياة اليومية كما يعيشها الأفراد، وعلى دراسة "نسق المعرفة وتحليل المعاني والأفكار والتصورات ودراسة أنماط التفاعل ونوعية المواقف عن طريق التعرف على خبرات الأفراد وقدراتهم المعرفية والحياتية وتصوراتهم وانطباعاتهم حول مختلف الظواهر الاجتماعية والمعرفية"⁽¹⁾.

وبما أن دراستنا تهدف في أساسها لمعرفة ما إذا كانت الأسر محل الدراسة تعتمد على مرجعية إسلامية في عملية التنشئة الاجتماعية أم لا، هذا السؤال المحوري ، الذي

¹ -أنظر : عماد الدين خليل، علم الاجتماع التربوية -الاتجاهات والمدارس والمقاربات، بيروت: منتدى المعارف، ط1، 2017 ، ص 96-97 .

حاولنا الإجابة عنه من خلال الاحتكاك المباشر مع الأمهات باعتبارهن الأكثر تأثراً في هذه العملية الاجتماعية، وذلك بملاحظة سلوكهن وسلوك أبنائهن، وما يعكسه من أفكار وتصورات حول هذه العملية، فإن هذا الاتجاه أفادنا كثيراً في الوصول إلى الكثير من الحقائق.

ب - أدوات جمع المعطيات

"تختلف البحوث في العلوم الاجتماعية باختلاف أهدافها، بحوث تهدف إلى قياس الظواهر، وأخرى تهدف إلى أخذ معطيات كيفية، كجمع الأقوال ومعانيها أو السلوكيات التي تمت ملاحظتها في الميدان، هذه المعطيات لا يمكن عدّها أو قياسها، ذلك لأن الهدف من البحث هو فهم الظاهرة محل الدراسة وتفسيرها. وكل نوع من هذه البحوث يعتمد على المنهج الذي يتماشى وهدفه البحثي، حيث يعتمد النوع الأول على المنهج الكمي، ويعتمد الثاني على المنهج الكيفي"⁽¹⁾

ويترتب على اختيار المنهج، اختيار أدوات وتقنيات جمع البيانات، "هذا الاختيار الذي يخضع لعوامل عدّة: منها ما يتعلق بالموضوع، ومنها ما يتعلق بمجتمع البحث، ومنها ما يتعلق بظروف الباحث.

فأما العامل الأول، فيكمن في طبيعة الموضوع وخصوصيته ومميزاته، فهناك من البحوث من تتعثر فيها استخدام تقنية من التقنيات، وتصلح معها أداة أو أدوات أخرى، والعكس صحيح. أما العامل الثاني، فيتعلق بطبيعة مجتمع البحث أو أفراد الدراسة، فمثلاً في بعض الأحيان لا يمكن الباحث استخدام تقنية المقابلة، ذلك لأن أفراد مجتمع بحثه يقيمون في أماكن بعيدة عن إقامته، ففي هذه الحالة يكون اعتماد تقنية "الاستمارة" أمراً لا مفر منه،

¹ - أنظر: موريس أنجيس، ترجمة: بوزيد صحراوي وآخرون، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية-تدريبات عملية- الجزائر: دار القصة للنشر، ط2، 2006، ص 100

أو مثلاً عند دراسة مجتمع بحث تكون عينته غير متجانسة من حيث المستوى التعليمي، تجد فيها المثقف، والمتعلم، والأمي، - وهو حال مجتمع بحث دراستنا هذه - ، ففي هذه الحالة الباحث مجبر على اعتماد تقنية "المقابلة"، وهكذا كل البحوث يعتمد فيها الباحث على التقنية التي تراها صالحة وناجعة لجمع معطياتها.

أما بالنسبة للعامل المتعلق بالباحث، فهذا العامل لا يقل أهمية عن العوامل المذكورة، حيث يختار الباحث أدواته انطلاقاً من عوامل متعلقة بشخصه وبظروفه، كقدراته المادية وكفاءته العلمية المتمثلة في مدى معرفته لاستخدام أداة من الأدوات، وفي الأخير إمكانية الوقت المتاح له⁽¹⁾ .

إن لكل تقنية من التقنيات عيوبها ومزاياها الخاصة، فمثلاً تستطيع تقنية الاستمارة التي تستخدم عادة في البحوث الكمية، تغطية عينة كبيرة من المبحوثين محل الدراسة، في حين هذا يتعذر، إذا تعلق الأمر بتمثيلتها "المقابلة" التي تستخدم عادة في البحوث الكيفية، "وما يميّز هذه الأداة هو كونها مسعى كلامي محادثاتي يقع بين الباحث والمبحوث حول موضوع من المواضيع، يتم في إطار تفاعلي، يعطي الفرصة للمبحوث بإدلاء بآرائه والتعبير عن تمثلاته لهذا الموضوع بكل حرية"

إن أهم شيء يميّز المقابلة عن الاستمارة هو التفاعل الذي يحدث بين الباحث والمبحوث خلال المقابلة، هذا التفاعل الذي يمكن الباحث المتمرس أن يكتشف الكثير من الحقائق التي تخدم بحثه، من خلال إشارة يقوم بها المبحوث، أو من خلال هفوة أو زلّة لسان تصدر منه، وهذا أكيد لا يتأتى للباحث في حالة استخدام الاستمارة كأداة لجمع المعطيات.

¹¹ - أنظر: محمد عبيدات، محمد أبونصار، عقلة مبيضين، منهجية البحث العلمي، القواعد والمراحل والتطبيقات ، مرجع سابق، ص 54 ، 55

ويبقى القول أن لكل أداة مجالها الخاص، فالاستمارة قد تساعدنا في جمع معطيات سبر الآراء ، أو بعض المعلومات الشخصية وغيرها، ولكن عند دراسة ظواهر معقدة تتداخل فيها الكثير من المتغيرات وتتشابك الكثير من العوامل ، كما هو الحال لظاهرة التنشئة الاجتماعية، فإن الاعتماد على الاستمارة كتقنية لجمع البيانات الخاصة بهذا الموضوع لن تؤتي ثمارها، لأنها تقيد المبحوث وتجعله يتعامل مع أسئلتها كآلة، وفي بعض الأحيان، وخاصة إذا لم تبين هذه الاستمارة بطريقة صحيحة، فإن الكثير من أسئلتها لا تستوعب أجوبة المبحوث.

إن قولنا هذا مؤسس على تجربة، حيث وقع معنا في كثير من الحالات، حيث كنا من بين المبحوثين لعينة في بعض الدراسات العلمية في مختلف التخصصات ، في علم الاجتماع ، وعلم النفس، وعلوم الإعلام والاتصال، أين وزعت علينا استمارات لم نجد مكان فيها لأجوبتنا، بمعنى أن الأجوبة التي وضعت في هذه الاستمارات لم تغط جميع الأجوبة المتوقعة من المبحوثين، ولن تستطيع أن تغطيها مهما اجتهد الباحث.

نظرا لهذه الخصائص التي تتميز بها كلتا الأدوات، تم اختيارنا لتقنية المقابلة، فما نؤمن به، هو أن دراسة موضوع مثل موضوع الأسرة والتنشئة الاجتماعية ، ومن مختلف الجوانب لا يمكن أن نفهمه حق الفهم إذا لم نجمع معطياته عن طريق المقابلة، ورغم هذا فإن المعطيات المصرّح بها من قبل المبحوثين تبقى نسبية لا تعبر بصفة مطلقة عن الواقع.

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى، فإن اعتمادنا على المقابلة أيضا كان نتيجة لطبيعة عينة بحثنا، فنحن اعتمدنا على عينة غير متجانسة لاسيما في ما يخص المستوى التعليمي، بمعنى أن في الأسر هناك الأمهات المتعلمات ، وهناك الأميات، وهناك من لديهن مستوى محدود، ومن لديهن مستوى عالي... الخ. إن هذا النوع من العينات لا

تتماشى معه الاستمارة، فالأمر لا يستطيع حتى رفع القلم وكتابة الأجوبة، والمتعلم المحدود المستوى قد يصعب عليه فهم واستيعاب الكثير من الأسئلة.

لقد اعتمدنا في بحثنا هذا على المقابلة النصف موجهة، وذلك من خلال إعداد مجموعة من الأسئلة ضمننت في ما يسمى "دليل المقابلة"، حيث أدرجت ضمنه العديد من المحاور، بحسب متغيرات فرضيات الدراسة ويندرج تحت كل محور مجموعة من الأسئلة التي لها علاقة بالموضوع. وهناك بعض المعطيات تحصلنا عليها ليس من الأسئلة المباشرة وإنما من الأسئلة الغير مباشرة، ففي بعض الأحيان يجيب المبحوث على سؤال "أ" مثلاً، وتستطيع أن تستنبط منه الكثير من الأجوبة للسؤال "ب"، مثل ما وقع معنا في السؤال الذي صغناه لمعرفة مدى جهل الأمهات بأحكام الدين، فإن هذا السؤال استنبطنا معطياته من أجوبة المبحوثات على الأسئلة الأخرى.

وبالإضافة إلى تقنية المقابلة الشبه الموجهة، اعتمدنا أيضاً على الملاحظة المباشرة، هذه الأخيرة سمحت لنا بالتعرف أكثر على مجتمع بحثنا وعن خصائصه، فالملاحظة كما هو معروف هي عملية تتم من خلال "مراقبة أو مشاهدة الباحث لسير الظواهر والمشكلات والأحداث ومكوناتها المادية والبيئية وذلك بهدف تفسيرها وتحديد العلاقات بين متغيراتها والتنبؤ بسلوك الظاهرة"⁽¹⁾.

لقد أسدت لنا هذه التقنية الكثير من الخدمات التي أفادتنا في سير بحثنا ولاسيما في تحليل المعطيات. لقد تمت مقابلاتنا مع المبحوثات في بيوتهن، مما أعطى لنا الفرصة لتسجيل الكثير من المعطيات التي خدمت بحثنا، كملاحظة نوعية السكن، طريقة اللباس، طريقة الكلام، ملاحظة الإيماءات والإشارات، طريقة تعامل المبحوثات مع أطفالهن أمام أعيننا، في مواقف مختلفة مما جعلنا نفهم الكثير من الأمور.

¹ - أنظر: محمد عبيدات، محمد أبو نصار، عقلة مبيضين، منهجية البحث العلمي، القواعد والمراحل والتطبيقات، مرجع سابق ص 73

ثانياً: الإجراءات المنهجية

لقد تم جمع معطيات هذا البحث من خلال النزول إلى الميدان، ومعاينة الأسر محل الدراسة، المقيمين ببلدية مزعران، ب: مستغانم، حيث قمنا بإجراء مقابلات مع الأمهات وبعض الآباء ، إلا أننا في ما بعد ركزنا على مقابلة الأمهات دون الآباء وذلك لأن عملية أخذ مواعيد معهم ليس بالأمر السهل، كما هو مع الأمهات، كما أنه تبين لنا إمكانية الحصول على المعطيات التي تخص الآباء من خلال زوجاتهم، وعلى هذا الأساس أجرينا مقابلاتنا بعد ذلك مع الأمهات فقط، أما المعطيات التي جمعناها من بعض الآباء، فقمنا بالاحتفاظ بها لعلها تفيدنا في بحوث ودراسات ميدانية أخرى، إنشاء الله.

وللإشارة فقط، فإن هذا العمل قمنا به وحدنا ولم نعتمد على أي شخص آخر في إجراء هذه المقابلات، وهو معمول به في البحوث العلمية حيث المقابلة لا يجريها الباحث، وإنما يكلف فريق بحث متكون من المستخدمين يقومون بهذه العملية⁽¹⁾.

لقد فضلنا القيام بهذه العملية وحدنا وذلك للتعلم أكثر في الميدان، حيث إجراء المقابلة يعطي للمبحوث فرصة الملاحظة، كملاحظة نوعية السكن، طريقة اللباس، طريقة الأكل، طريقة الكلام... الخ ، هذه المتغيرات التي أفادتنا أيما إفادة في المراحل المتقدمة من بحثنا ولاسيما في عملية التحليل.

هذا وقد ساعدتنا الملاحظة المباشرة أيضاً، في اكتشاف العديد من التناقضات بين تصريحات بعض المبحوثات وبين سلوكهم، وهو ما لاحظناه في الأسرة رقم(1)، حيث

¹ -أنظر: بوترة بلال، التحليل الموضوعي للمقابلات البحثية في العلوم الاجتماعية،مجلة البحوث والدراسات الإنسانية،-الوادي-، عدد 2018، ص 221 .

صرحت المبحوثة لنا عن تبنيها قيم من القيم، ولكن لاحظنا سلوكها لا يعكس هذه القيمة بأي حال من الأحوال. (أنظر: هامش¹).

كما أن إجراء الباحث المقابلات بمفرده سوف يجعله يلاحظ ردود أفعال المبحوثين في عملية الحوار، فقد تعطي له إيماءات وملامح وجوههم وأجسادهم أكثر مما تعطيه له بعض تصريحاتهم، ولهذه الأسباب وغيرها، فضلنا إجراء المقابلات بمفردنا.

أما في ما يخص عملية تسجيل المعطيات، فقد تم تسجيل معظمها بواسطة المسجل الصوتي للهاتف (Magnétophone)، إلا في بعض الحالات التي رفضت فيها المبحوثات التسجيل، فقمنا بتدوينها في كراسة.

ثم تأتي بعد ذلك المرحلة الثانية وهي عملية النسخ، وهي نقل البيانات والمعطيات من حالتها الصوتية إلى حالتها المكتوبة، وذلك بنقل كل التصريحات من غير قص أو تجاوز لبعضها، وبلغة المبحوث، وذلك لكي نستشهد بها في كل مرة في مشوارنا التحليلي للمعطيات.

إن عملية النسخ هذه عملية جد متعبة وذلك بشهادة جلّ الباحثين في هذا المجال، ولهذا يستعان فيها أيضا بمجموعة من الخبراء والتقنيين للقيام بها، فبالرغم من إمكانية الاعتماد على من يساعدوننا في هذا المجال، إلا أننا فضلنا القيام بها وحدنا وذلك لعدة اعتبارات أهمها تفاديا للوقوع في مشاكل تضر بالبحث وتمس بالمبحوثين، وهي مشاكل أشار لها الكثير من الباحثين في هذا المجال،⁽²⁾ كإخراج أسرار المبحوث، وبالتالي تفقد الثقة بينك وبينه، وتخل بالعهد الذي قطعه على نفسك بأن هذه المعلومات تبقى سر بينك وبينه،

¹ - لاحظنا أن المبحوثة تقول أنها تربت في أسرتها على الحياء، واللباس المحشتم، ولكن لاحظتها تقف في باب منزلها، الباب المطل على الشارع تتادي على ابنها الذي تشجار مع أحد أبناء الجيران وهي في لباس نوم وكل مفاتها بارزة.

² - أنظر: بوترة بلال، التحليل الموضوعي للمقابلات البحثية في العلوم الاجتماعية، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، -الوادي-، عدد 16، 2018، ص 222.

وكذلك الباحث لا يضمن كفاءة وجدية ومصداقية نسخ المقابلات، كما هي في شكلها الصوتي.

ثم تأتي عملية تفريغ المعطيات في جداول، بعد ترميز هذه المعطيات في شكل فئات، حيث يحتوي كل جدول على فئة من الفئات، أعطي لها عنوان، ومثال ذلك: أننا وضعنا جدول بعنوان: البيانات الشخصية، وجدول بعنوان: التنشئة الأولية للمبحوثات، وجدول بعنوان أهداف التنشئة الاجتماعية... الخ، ثم قمنا بعد ذلك بتفريغ المعطيات في هذه الجداول وبعدها قمنا بمعالجة وتحليل هذه المعطيات حتى استوفينا كل الفئات، وذلك بقراءتها مرّات عدّة، والوقوف على ما هو متشابه منها والتركيز عليه، ومعرفة ما هو مختلف.

لم تكن عملية تحليلنا للمعطيات تتوقف فقط على كشف العلاقات والارتباطات بين المتغيرات التي تم استخدامها في الفرضيات وإنما قمنا أيضا بكشف العلاقات والارتباطات بين متغيرات أخرى ليس لها علاقة بالفرضيات، وقمنا بتوظيفها في عملية التحليل.

إن وضعنا لهذه الجداول التي ساعدتنا على عملية ترميز معطياتنا وتقييمها لم يتم إدراجها في الرسالة، وإنما قمنا بوضعها في ملف خاص، نرجع إليها كل ما اقتضت الضرورة ذلك.

1 - تحديد وحدات التحليل

أ - تنشئة الأم في أسرتها الأولية

تضم هذه الفئة مجموعة البيانات والمعطيات التي تعطينا فكرة أو نظرة عن طبيعة التنشئة التي خضعت لها المبحوثة (الأم) في أسرتها، أي كيف تمت تنشئتها هي، وما هي القيم والأساليب والأهداف التي اعتمدها والداها لتربيتها وتربية إخوتها، وهل هي قيم وأساليب

ذات مرجعية إسلامية أم أنها غير ذلك؟ كذلك كيف كانت العلاقة بين والدي المبحوثة وكيف أثرت هذه العلاقة على عملية التنشئة الاجتماعية، وهل عملية التنشئة كانت مسؤولية الأم وحدها أم كانت بالتعاون بين الأم والأب؟

إن هذه المعطيات تجعلنا نفهم السياق الاجتماعي والنفسي الذي نشأت فيه المبحوثات وذلك لمعرفة كيف أثر كل هذا على ممارستهن لعملية التنشئة الاجتماعية على أولادهن في ما بعد، وخصوصاً على المرجعية الإسلامية؟

بمعنى آخر، يمكن تفسير المتغير التابع الذي هو المرجعية الإسلامية، بالمتغير المستقل الذي هو طبيعة التنشئة الاجتماعية، التي خضعت لها المبحوثات في أسرهن الأولية، أو كما يسميها البعض أسرة التوجيه؟ فقد تكون هذه التنشئة سبباً صريحاً أو ضمنياً في عدم اعتماد المبحوثات على مرجعية إسلامية، وهو ما اكتشفناه في الواقع حيث وجدنا بعض المبحوثات يتبنون بطريقة واعية وعن قناعة التنشئة الاجتماعية التي مورست عليهن، ومنهن من يمارسن تنشئة اجتماعية عكس تلك التي مورست عليهن، لأنهن ينتقدنها ويشككن في فعاليتها.

هذا، وهناك نوع ثالث من المبحوثات من ينتقدن التنشئة التي مورست عليهن من طرف القائمين عن تربيتهن، وبالرغم من ذلك يمارسها بدون وعي، لأنهن تشربنها وتمثلها عقلمن الباطني، وبالتالي لم تستطعن التخلص منها فبقيت في لا شعورهن. فمثلاً على مستوى الأسلوب، حاولنا استجواب المبحوثات في ما يخص طبيعة الأسلوب الذي اعتمده والداهن، مقارنة له بمدى قربه من المرجعية الإسلامية أم لا، وبالتالي مدى تأثير هذا الأسلوب في تكوين شخصياتهن ونفسياتهن، ومن ثم آثار هذا التأثير على طبيعة التنشئة الاجتماعية التي يمارسها على أطفالهن ودور هذا المتغير في اعتماد المبحوثات على مرجعية إسلامية أم لا.

أما الأهداف فمن خلال وصف المبحوثات للتنشئة الاجتماعية التي مورست عليهن في طفولتهن وحتى شبابهن، استطعنا اكتشاف الأهداف التربوية التي تسعى إلى تحقيقها أسر المبحوثات، وبالتالي يمكن معرفة مدى قربها من المرجعية الإسلامية أو بعدها عنها، ومن ثم يمكن مقارنتها بأهداف التنشئة الاجتماعية التي تتبناها المبحوثات في عملية التنشئة الاجتماعية.

أما في ما يخص طبيعة العلاقة بين والدي المبحوثات، فيفيدنا هذا العنصر في معرفة طبيعة العلاقة بين الوالدين ومرجعية التعامل بينهما: وهل هي إسلامية أم لا؟ هل تقوم على الصراع أم على التفاهم؟ على الاختلاف أم على الاتفاق؟ وما أثر هذا على التنشئة الاجتماعية، وكيف أثرت هذه العلاقة على المبحوثات وعلى شخصيتهن وأفكارهن ونظرتهم للزواج وللعلاقة الزوجية بصفة عامة، وكذلك على اتجاهاتهن ولاسيما في ما يخص موضوع التنشئة الاجتماعية؟

ب - الزواج والمعايير المعتمدة في اختيار الشريك

لا يمكن الحديث عن التنشئة الاجتماعية وعن مرجعياتها في الأسرة، قبل الرجوع إلى المراحل التي سبقت الإنجاب وسبقت ممارسة التنشئة الاجتماعية، وهي مرحلة الزواج، لأن أهمية التنشئة الاجتماعية ولاسيما في المرجعية الإسلامية، لا تبدأ بإنجاب الأولاد وإنما تبدأ قبل الزواج أي تبدأ مع اختيار شريك الحياة، ومع المعايير التي يعتمدها كل طرف في عملية الاختيار هذه، وفي هذه الفئة قمنا بطرح مجموعة من الأسئلة لمعرفة اتجاه المبحوثات في هذا الموضوع ومدى معرفة مرجعية اتجاهاتهن، هل هي مرجعية إسلامية أم هي مرجعية مجتمعية، بمعنى أنها تخضع لعادات وتقاليد المجتمع وكل ما يؤمن به؟

ج - طبيعة العلاقة الزوجية للمبحوثات

في هذه الفئة حاولنا معرفة طبيعة العلاقة بين المبحوثات وأزواجهن: هل هي علاقة تقوم على التفاهم، أم على الصراع، فقبل معرفة مرجعية التنشئة الاجتماعية هل إسلامية أم لا، توجب أن نعرف طبيعة العلاقة الزوجية هل هي مبنية على مرجعية إسلامية أم لا، أي هل ينطلق كل طرف في علاقته مع الطرف الآخر من المرجعية الإسلامية، كما هي محددة في الكتاب وفي السنة النبوية الشريفة، أم لا؟

إن هذا المتغير في غاية الأهمية، لأن الأولاد يكتسبون أغلبية قيمهم واتجاهاتهم بتقليد من هم أكبر منهم، أكثر من اكتسابهم ذلك بالتلقين المباشر.

ثم بعد ذلك حاولنا معرفة مدى اتفاق الطرفين على قيم واحدة وأسلوب واحد للتنشئة الاجتماعية، وأهداف واحدة، وإذا كان هناك اتفاق، فهل مرجعية هذا الاتفاق هي مرجعية إسلامية أم لا، وإذا كانت إسلامية ما هي الجوانب التي يعتمد فيها الوالدان على مرجعية إسلامية، وما هي الجوانب التي لا يعتمدون فيها على هذه المرجعية، ولماذا؟ وإذا كان هناك صراع بين الزوجين، فكيف أثر هذا الصراع على اعتماد مرجعية إسلامية في عملية التنشئة الاجتماعية؟

كما أنه يمكن في هذه الفئة معرفة مسؤولية التنشئة الاجتماعية، هل هي من مسؤولية الأم وحدها أو من مسؤولية الأب وحده، أو مسؤوليتهما معاً، وكيف يؤثر هذا على مرجعية التنشئة الاجتماعية؟

د - طبيعة القيم التي تنقلها الأسر لأطفالها

وفي هذه الفئة حددنا بعض القيم الإسلامية وقمنا بتصنيفها، بمعنى أننا حددنا القيم الإسلامية التي تنظم علاقة الفرد بالله مثل: الصلاة، الصيام، الصدقة، أو الزكاة، وغيرها، ثم القيم الإسلامية التي تنظم علاقة الفرد مع نفسه، مثل: القيم الصحية، القيم الذاتية.. الخ ثم القيم الإسلامية التي تنظم علاقة الفرد مع الآخرين: الاحترام، التواضع، البر.. الخ ثم

القيم الإسلامية التي تنظم علاقة الفرد مع البيئة : نظافة المحيط، الرأفة بالحيوان، الاهتمام بتزيين المحيط، الاهتمام بالنبات .. الخ إن تحديد هذه الفئات وتصنيفها ما هو إلا تحديد شكلي، لأنه لا يمكن بحال من الأحوال تصنيف قيمة من بين القيم في خانة واحدة، فهناك تداخل كبير بين ما هو روحي واجتماعي وذاتي وغيرها، ولهذا فهذا التصنيف ما هو إلا تصنيف منهجي لتسهيل عملية البحث.

هـ - أسلوب التنشئة الاجتماعية المعتمد لدى المبحوثات

وفي هذه الفئة حاولنا التعرف على الأسلوب المعتمد في التنشئة الاجتماعية في الأسر محل الدراسة، وذلك من خلال طرح بعض الأسئلة المباشرة مثل: هل تعتمد على أسلوب الحوار مع أبنائك؟ هل تكافئ أبنائك؟... الخ، في حين استنتجنا بعض الأساليب من خلال تصريحات المبحوثات في مواضيع أخرى، ومن الأساليب التي حددناها ما يلي: أسلوب الحوار، أسلوب المكافأة، أسلوب الإهمال، أسلوب التذبذب، أسلوب العقاب، أسلوب القدوة، أسلوب التذليل والحماية الزائدة، أسلوب التسلط، وربطنا هذه الأساليب مع نظيرتها في المرجعية الإسلامية.

و - أهداف التنشئة الاجتماعية لدى المبحوثات

هنا حاولنا اكتشاف الأهداف التي تسعى المبحوثات تحقيقها من تربية أبنائهن، وذلك من خلال طرح بعض الأسئلة على المبحوثات فيما يخص هذا الموضوع، منها ما هو بطريقة مباشرة ومنها بعض الأسئلة طرحت عليهن بطريقة غير مباشرة، كما أننا استنتجنا بعض الأهداف من خلال تصريحاتهن حول مواضيع أخرى.

ثم بعد ذلك قمنا بمقارنة الأهداف المصرح بها بتلك التي في المرجعية الإسلامية، وذلك بالرجوع إلى النصوص الدينية المتضمنة في القرآن الكريم أو الأحاديث النبوية، أو عند بعض المفكرين المسلمين.

ز - مؤسسات التنشئة الاجتماعية

تحتوي هذه الفئة على مؤسسات التنشئة الاجتماعية ودورها في تبني الأسرة مرجعية من المرجعيات في التنشئة الاجتماعية، أي كيف تكون هذه المؤسسات عاملا مساعدا على تبني أو اعتماد الأسر محل الدراسة على مرجعية إسلامية ، أو العكس كيف تكون عاملا معيقا لاعتماد المرجعية الإسلامية، وقد ركزنا هنا فقط على المؤسسات التي افترضنا أنها ذات تأثير على عملية التنشئة الاجتماعية، بحكم أن كل الأسر لها علاقة بها. وهذه المؤسسات تتمثل في ما يلي: المدرسة، المسجد، جماعة الرفاق، وسائل الإعلام والاتصال (تحديدا الانترنت، والتلفاز).

ح - جهل الوالدين بأحكام الشريعة الإسلامية

لقد حاولنا من خلال هذه الفئة اكتشاف مستوى الثقافة الدينية للمبحوثات ولاسيما فيما يخص الأحكام الشرعية المتعلقة بالتربية، وقد تمت عملية الاكتشاف هذه من خلال عدّة طرق، بعضها كان من خلال طرح مجموعة من الأسئلة المباشرة ، يتعلق بعضها بأساليب التنشئة ، وبعضها بالقيم .. وفي بعض الحالات يكون عن طريق طرح أسئلة غير مباشرة. وعموما تم اكتشافنا لهذا الجهل في كثير من الأحيان عند إجابة المبحوثات وتصريحاتهن على بعض الأسئلة في المحاور الأخرى. ومن خلال تصريحاتهن أيضا اكتشفنا الخلط بين الدين من جهة، والعادات والتقاليد من جهة أخرى، في فكر هؤلاء المبحوثات.

ط - العادات والتقاليد

في هذه الفئة حاولنا تصنيف المعطيات التي جمعناها حول بعض العادات والتقاليد الشائعة في المجتمع الجزائري بصفة عامة ومجتمع مستغانم بصفة خاصة، وحاولنا اكتشاف ما يتوافق مع الدين وما يتعارض معه في سلوكهن واعتقادهن، كالاحتفال بالمناسبات الدينية كالعيدين ، وشهر رمضان ، والمولد النبوي، وعاشوراء . كل هذا في علاقته في المرجعية

الإسلامية، أي معرفة أولا الطريقة التي تحتفل بها المبحوثات ، ومدى تناسبها مع المرجعية الإسلامية، ثم التعرف على مدى معرفة المبحوثات لحقيقة هذه المناسبات والطرق التي يحتفل بها من الناحية الشرعية، وهذا جعلنا نكتشف الكثير من الحقائق التي تخدمنا في الفئة التي تناولت جهل الوالدين بأحكام الشريعة الإسلامية.

ومن خلال التعرف على الطرق التي يحتفل بها في هذه المناسبات اكتشفنا كيف أن هذه الطرق صيرت الكثير من المناسبات الدينية عادات وتقاليد.

هذه هي كل الفئات التي جعلناها وعاء لاحتواء تصريحات أفراد عينتنا، والتي سهلت لنا عملية قراءتها وتحليلها وتفسيرها.

2 – مجتمع البحث وخصائصه

أ – العينة: مفهومها وأنواعها

"يعتبر استخدام العينات في مجال الدراسات والبحوث العلمية: الاجتماعية، منها والطبيعية، من الأمور المتعارف عليها منذ أن أصبحت هذه الظواهر تدرس وفق المنهج العلمي.

وتعرف العينة على أنها عبارة عن مجموعة جزئية من الأفراد أو المشاهدات أو الظواهر التي تشكل مجتمع الدراسة الأصلي، حيث يتم اختيار جزء من تلك المفردات بطريقة معينة، وهذا يوفر على الباحث الجهد الذي يتطلبه إجراء الدراسة على كامل أفراد المجتمع.

وتعتبر الإجراءات العملية لاختيار المعاينة من الإجراءات المهمة التي لا يمكن إغفالها في أي بحث علمي، وعلى العموم لا توجد طريقة مثلى يمكن إثارتها على غيرها من الطرق، كما أنه ليس هناك معاينة أفضل من الأخرى، فلكل واحدة مزاياها وعيوبها.

هذا، وتخضع عملية اختيار العينة إلى عدّة اعتبارات أهمها طبيعة موضوع البحث، وطبيعة ظروف الباحث، وأخيرا طبيعة مجتمع الدراسة. فهناك من الأبحاث ما يتطلب الاعتماد على نوع من المعاينات دون غيره، كما أن ظروف الباحث وإمكاناته الاقتصادية والاجتماعية تفرض عليه اختيار النوع الذي يناسب ظروفه، أما مجتمع البحث فإن طبيعته وخصائصه تفرض هي الأخرى على الباحث اعتماد نوع من العينات دون غيره⁽¹⁾.

وما نعبر عنه بالمعاينة إنما هو في نفس الوقت تشكيل العينة Echantillonnage ، وملاحظة عينة وفهمها Investigation ، مما يظهر اللبس في استخدام هذين المفهومين، ويصنف المختصون في مجال البحث العلمي المعاينة إلى صنفين، صنف يسمى المعاينة الاحتمالية، وصنف آخر يسمى المعاينة غير الاحتمالية. "وتسمى الأولى بالاحتمالية لأنها تعتمد على نظرية الاحتمالات وهي النظرية التي تسمح بحساب الممكن، أي احتمال وقوع حدث. وتتطلب المعاينة الاحتمالية عدا أو جردا لقائمة تشتمل على كل عناصر مجتمع البحث المراد دراسته. ثم تسحب عينة تكون عناصرها التي تكونها تتشابه مع العناصر الأخرى لمجتمع البحث، وتسمى هذه العينة بالمجموعة التمثيلية. وتدرج تحت المعاينة الاحتمالية عدّة أنواع من المعاينات وهي: المعاينة العشوائية، والمعاينة البسيطة، والمعاينة الطبقيّة⁽²⁾.

أما المعاينة "الغير الاحتمالية" فإن ما يميزها عن مثلتها الاحتمالية، هو أن اختيار الوحدات أو المجموعات التي سوف تمثل العينة يكون موجه ومقصود، حيث يكون الباحث يعرف إلى حد ما، مسبقا من هي العناصر التي سيتم اختيارها في العينة، ويطلق أيضا على هذا النوع من المعاينات بـ"المعاينة الإمبريقية"، أو "الاختيار المعقول"، ويندرج تحت هذا

¹ -أنظر: محمد عبيدات، محمد أبونصار، عقلة مبيضين، منهجية البحث العلمي، القواعد والمراحل والتطبيقات، مرجع سابق ص 83 ، 86 ، 87 .

² - أنظر: موريس أنجريس، ترجمة: بوزيد صحراوي وآخرون، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية-تدريبات عملية، مرجع سابق، ص 301-303 .

النوع من المعاينات عدّة أصناف أهمها: العينة الحصصية، العينة العرضية، عينة المتطوعين، العينة النمطية، وأخيرا العينة التراكمية أو عينة الكرة الثلجية⁽¹⁾.

لقد كان هذا تمهيدا مختصرا لعرض بعض النماذج من المعاينات وأنواعها، والعمليات الإجرائية لاختيار كل نوع من هذه المعاينات. وانطلاقا من هذا نستطيع معرفة النوع الذي تنتمي إليه عينة هذا البحث، وإلى أي صنف في هذا النوع.

إن هذه الدراسة اعتمدت على المعاينة الغير الاحتمالية، ذلك لأنها المعاينة التي تتناسب مع طبيعة الموضوع، وتتناسب أيضا مع ظروف الباحث، مقارنة بالمعاينة الاحتمالية التي تتطلب جرد أو وضع قائمة كبيرة من أسماء الأسر المقيمة في مكان الدراسة، ثم أخذ عينة ممثلة للمجتمع البحث.

وكما أن هذه الظروف فرضت علينا اختيار المعاينة الغير احتمالية، فإنها فرضت علينا أيضا اختيار النموذج الذي يتماشى وهذه الظروف، وهو "العينة التراكمية"، أو ما يسمى بعينة "الكرة الثلجية"، "هذه العينة التي يتم الحصول عليها عندما يطلب الباحث من شخص أو عدّة أشخاص إيداءه أو إرشاده نحو أشخاص آخرين من معارفهم يكونون يشتركون معهم في نفس الخصائص التي أراها الباحث أن تكون في عينته.

وعينة "الكرة الثلجية"، هي عينة تتمثل في إضافة إلى نواة من الأفراد كل أولئك الذين هم في علاقة بهم، وهكذا دواليك.."⁽²⁾. ويتم الاعتماد على هذا الصنف من العينات عندما يكون الباحث لا يمتلك معلومات كافية عن مجتمع بحثه. وهو ما ينطبق علينا، فنحن لا نملك معلومات كثيرة عن الأسر التي تقيم بمدينة "مزغران"، ولا نعرف الكثير عن الأسر هناك، إلا البعض منهم، وذلك كما أشرنا سابقا بحكم أننا لا ننتمي إلى هذه المنطقة.

¹ - سعيد سبعون، الدليل المنهجي في إعداد المذكرات والرسائل الجامعية في علم الاجتماع، الجزائر: دار القصة للنشر دط، 2012، ص

148-144

² - المرجع نفسه، ص 148 .

ولهذا قمنا بالاعتماد على الأشخاص الذين نعرفهم مثل بعض الطلبة الذين درسوا عندنا ، أو بعض الأصدقاء، حيث طلبنا منهم أن يتوسطوا لنا مع بعض الأسر من أقاربهم أو جيرانهم أو أصدقائهم. وقد كان لهذه الطريقة مفعولها في الحصول على أكبر عدد ممكن من الأسر، ومقابلتهم بكل ارتياح، والأكثر من هذا كسب ثقتهم ، وهو الأمر الذي ليس بالسهل، والذي عادة ما يكون سببا في عرقلة البحث، لأن الناس عادة لا يستقبلون أي شخص في بيوتهم ويطلعونه على أسرهم وحياتهم العائلية والاجتماعية، وخاصة في عصرنا الحالي الذي فقدت فيه الثقة بين الناس حتى بين الأقارب والجيران، فما بالك بالغريب.

ب - عينة الدراسة وخصائصها

يتمثل العدد الإجمالي لعينة هذه الدراسة في أربعين (40) أسرة، أي أربعون مبحوث، حيث قمنا بإجراء مقابلات مع الأمهات ، وقد قمنا أيضا في البداية بإجراء مقابلات مع الآباء في بعض الأسر، إلا أننا سرعان ما تخلينا عن الفكرة، وذلك لعدة أسباب، أهمها : أن أخذ موعد مع الزوج ليس بالأمر السهل مقارنة بالزوجة، فمعظم الأزواج يقضون أوقاتهم خارج البيت إما في أماكن العمل ، أو مع أصدقائهم في المقاهي أو الشارع وغيرها من أماكن الترفيه، وعندما يدخلون إلى بيوتهم يكون التعب قد نال منهم، قبل أن نتال منهم مقابلاتنا، هذا ناهيك عن أن معظم الرجال لا يرغبون في الإكثار من الكلام مقارنة بالنساء اللواتي يشتهرن بالثرثرة، إلا أن هذه الثثرة حسب رأينا لها ما يبررها، فأنا حسب ما اكتشفته في الميدان أن الكثير منهن يتحمن لإجراء المقابلة معي، خاصة عندما أ طرح عليهن سؤال مفتوح وأعطيهم الحرية في التعبير، فالكثيرات منهن يجهشن بالبكاء وهن يصارحنني بهمومهن. واللواتي لم يعبرن بدموعهن ، يعبرن بتنهيدة عميقة توحى بحزنهن وألمهن.

فحسب رأينا أن المرأة تحب كثرة الكلام، لأنها تحمل الكثير من الهموم والأكثر من هذا لا تجد من يسمعها أو يحس بها ولاسيما من طرف الأزواج ، على كل حال هذا موضوع

يستحق الدراسة هو الآخر، وهو ليس مقامه هنا ، وإن كان يساهم بطريقة غير مباشرة في نجاح أو فشل عملية التنشئة الاجتماعية، كغيره من العوامل الأخرى المتخفية وراء هذه الظاهرة الاجتماعية، والتي لا يمكن اكتشافها إلا بالتقريب عنها.

بالإضافة إلى هذه الأسباب، هناك أسباب أخرى جعلتنا نتخلى عن فكرة إجراء مقابلة مع الآباء، وهي أننا في موضوعنا ركزنا على الأمهات أكثر من الآباء بحكم أن الأطفال يقضون وقتاً أطول مع أمهاتهم مقارنة مع آبائهم، ثم أيضاً بحكم الثقافة السائدة في مجتمعنا والتي تجعل من الأم هي من يتحمل مسؤولية التربية والتوجيه والرعاية . هذا بالإضافة إلى إمكانية الاعتماد على المرأة بتزويدنا بمعلومات حول زوجها، وحول طبيعة العلاقة بينهما، مما يجعلنا نستغني عن إجراء مقابلات معهم.

لقد حرصنا على أن تكون مجموع أسر عينتنا موزعة على أحياء بلدية مزعران، كما حرصنا أيضاً على أن تكون ممثلة لجميع الفئات الاجتماعية . لذلك فقد قمنا بدراسة العينة من نواحيها الاجتماعية المتعددة: وضعية الأسرة الاقتصادية ، مستوى أفرادها التعليمي ، مجالها السكني ، حجمها أو كونها ممتدة أو نووية ... إلى غير ذلك من المتغيرات، والتي سوف نوردتها في الجداول التالية:

ج - عرض وتحليل البيانات الشخصية

جدول 1 : توزيع أفراد العينة حسب السن

النسبة المئوية %	التكرار	السن
5%	2	30-20
32.5%	13	40-31

50-41	16	40%
60-51	9	22.5%
المجموع	40	100%

يمثل هذا الجدول الفئات العمرية للمبحوثات، وقد قمنا بتقسيم الأعمار إلى أربع فئات بحيث تستوعب هذه الفئات كل أفراد العينة ، وذلك انطلاقاً من معطيات الدراسة.

إن القراءة الإحصائية لهذا الجدول في ما يخص أعمار المبحوثات، تبين أن أغليتهن تتراوح أعمارهن بين أربعين سنة وخمسين سنة، وهو ما تبينه الدلالة الإحصائية في الجدول حيث تمثل هذه الفئة نسبة 40 % من المجموع الكلي، ثم تليها الفئة الثانية ، التي تمثل السن بين الثلاثين والأربعين وذلك بتكرار 13 ، أي ما يناسب 32.5 % ، بعد ذلك الفئة الرابعة التي تمثل الفئة العمرية بين الخمسين والستين سنة وذلك بتكرار 9 حالات أي ما يعادل نسبة 22 % ، وتأتي في المرتبة الأخيرة الفئة الأولى التي تمثل الفئة العمرية بين العشرين والثلاثين سنة بنسبة 5 % .

إن التفسير الذي يمكن تقديمه فيما يخص ارتفاع هذه النسب في بعض الفئات وانخفاضها في أخرى، يرجع إلى طبيعة الموضوع، هذا الموضوع الذي بني فيه اختيار العينة على شرطين أساسيين وهما: امتلاك الأسر لأطفال، وأن يكون أعمار الأطفال من سن الأربع سنوات فما فوق. هذا الاختيار الذي لم يكن اعتباطياً وإنما هو مؤسس على نظريات تربوية وعلمية تؤكد أهمية التنشئة الاجتماعية في المراحل العمرية الأولى للطفل.

إن توفر هذا الشرط غالباً ما يكون عند النساء اللواتي تتراوح أعمارهن بين الأربعين والخمسين سنة، لأن سن الزواج في الأعوام الأخيرة ارتفع مقارنة بالأعوام الماضية، وذلك لعدة عوامل اجتماعية، أهمها: تراجع الثقافة التقليدية في جانبين، جانب الزواج ، وجانب

التعليم أما في ما يخص الزواج فإن المرأة أصبح لها نوع من الحرية وأصبح رأيها مسموعاً في هذه المسألة، أما من حيث التعليم فإن هذه الثقافة أصبحت لا تعارض فكرة تعليم المرأة ولاسيما فيما يخص إتمام دراستها في الطور العالي ، هذا الأخير الذي يتطلب وقت كبير، مما يجعل بسبب هذا تؤجل الزواج ويترتب عن هذا تقدمها في السن.

فإذا أخذنا بهذه العوامل، إضافة إلى عوامل أخرى، كعزوف الشباب عن الزواج ، وأزمة السكن وغيرها، وهي العوامل التي قد تكون الأقرب إلى خصائص عينة هذا البحث، ذلك لأن أغليبتهم لم يكملن دراستهن الجامعية، وحتى الثانوية، فإن متوسط سن الزواج سوف يكون بين ثلاثين وأربعين سنة، وبالتالي يكون متوسط سن الأولاد بين الخمس سنوات والخمسة عشر سنة عندما تصل أمهاتهم إلى سن الأربعين فما فوق، وما ينطبق على هذه الفئة ينطبق على الفئات الأخرى.

إن هذه هي القراءة الإحصائية لأعمار أفراد العينة، أما القراءة السوسولوجية لهذه الأعمار في علاقتها بموضوع البحث، فيمكن القول انطلاقاً من المعطيات الميدانية أن تأثير هذا المتغير له علاقة سببية في بعض الحالات بمرجعية التنشئة الاجتماعية، حيث أظهرت لنا نتائج الدراسة أن الأمهات اللواتي تتراوح أعمارهن بين الخمسين سنة فما فوق هن أكثر تشبهاً بالعادات والتقاليد من بالدين، بل في أغليبتهم لا يملكن ثقافة دينية، وفي بعض الأحيان يخلطون بين ما هو ديني، وما هو عادات وتقاليد. هذه الميزة التي تضعف عند مثيلاتهم من الأمهات في الفئات الأخرى.

جدول 2 : توزيع أفراد العينة حسب المستوى التعليمي

المستوى التعليمي	التكرار	%
أمي	6	15%
ابتدائي	16	40%

متوسط	8	20%
ثانوي	7	17.5%
جامعي	3	7.5%
المجموع	40	100%

يمثل الجدول 2 ، توزيع أفراد العينة حسب المستوى التعليمي، هذا المستوى الذي قمنا بتصنيفه إلى خمس فئات، بحيث كل فئة تستوعب كل خصائص العينة.

وما يلاحظ من هذا الجدول من الناحية الإحصائية، هو أن المستوى التعليمي لأفراد العينة يتأرجح بين المستوى الابتدائي والمتوسط بنسبة كبيرة ، حيث يأتي المستوى الابتدائي في المرتبة الأولى بـ 16 تكرار أي ما يعادل نسبة 40 % ، وهي نسبة لا يستهان بها مقارنة بالنسبة الإجمالية للعينة، ثم تأتي بعد ذلك الفئة التي تمثل المستوى المتوسط ، بنصف تكرار الأولى أي بثمان تكرارات، وهو ما يقابله نسبة مئوية تقدر بـ 20 % ، تليها بعد ذلك المرحلة الثانوية بسبع تكرارات، وهو ما يعادل نسبة 17.5 % ، ثم تأتي الفئة التي تمثل الأميين بست تكرارات ، أي ما يعادل نسبة 15 %، وأخيرا تأتي الفئة التي تمثل المستوى الجامعي في المرتبة الأخيرة بثلاث تكرارات أي ما يعادل نسبة 7.5 % ، وهي نسبة ضئيلة جدا مقارنة بالمستويات الأخرى.

وقبل حديثنا عن العلاقة بين متغير المستوى التعليمي ومرجعية التنشئة الاجتماعية، سوف نقدم قراءة سوسولوجية سريعة لهذه المستويات التعليمية في علاقتها بسن أفراد العينة من جهة وبالأصل الجغرافي ، والثقافة المرتبطة به من جهة أخرى. فمعظم المبحوثات كما تبينه الإحصائيات في الجدول 1 تتراوح أعمارهم بين 40 سنة و 50 سنة، أضف إليهن نسبة الفئة التي تليها وهي ما بين 50 60 سنة ، معنى هذا أن الفئة الأولى تمثل جيل

السبعينات، والفئة الثانية تمثل جيل الستينات. وكلنا نعلم الثقافة التي كانت سائدة في مجتمعنا في هذه الفترة في ما يخص تعليم المرأة، بل التعليم بصفة عامة، فبالرغم من السياسة التي انتهجتها الدولة في هذا المجال كإجبارية التعليم ومجانيته، إلا أن الكثير من الأطفال آنذاك لم يكملوا دراستهم، ولا سيما الإناث. أما جيل الستينات فكان أقل حظا من الجيل الذي قبله، حيث كانت الجزائر في هذه الفترة حديثة الاستقلال، خرجت من الحرب محطمة على جميع المستويات نتيجة لسياسة الثالوث الاستعماري الفرنسي، والمتمثل في: الجهل والفقر، والمرض. وبالتالي لم تكن لها الإمكانيات المادية ولا البشرية لفتح مدارس على كامل التراب الوطني، بالإضافة أيضا للثقافة التي كانت سائدة آنذاك في ما يخص تعليم المرأة. هذا بالنسبة لمتغير السن في علاقته بالمستوى التعليمي، أما بالنسبة لعلاقة هذا المستوى بالأصل الجغرافي، فإن أغلبية أفراد العينة هم من أصل ريفي، وحسب تصريح الكثير منهن، فإن عدم إكمالهن لدراستهن أو حتى التحاقهن بالمدرسة هو نتيجة للثقافة السائدة في قراهم ومدا شرهم، هذه الثقافة التي تتجسد عموما في سلطة الأب أو الأخ الأكبر، فتحرم كل أنثى تحت إمرة هذه السلطة من التعليم.

أما بالنسبة للقراءة السوسولوجية لمتغير المستوى الدراسي في علاقته بمرجعية التنشئة الاجتماعية، هل هي إسلامية أم لا، فإن هذا ليس له تأثير كبير، بل بالعكس لاحظنا بعض المبحوثات أميات لا يعرفن القراءة ولا الكتابة ولكن لديهن ثقافة دينية، والأكثر من هذا يحرصن على تنشئة أولادهن تنشئة إسلامية، وأخريات لهن مستوى دراسي لا بأس به ولكن يجهلن الكثير من الأمور الدينية، والأكثر من هذا لا يعتبرن الدين أولوية في حياتهن، وبالتالي لا يحرصن على تربية أولادهن تربية إسلامية، بل لهن لا يعتبرن قدوة لأطفالهن في هذا المجال.

إن المستوى الدراسي في رأينا، لا يمكن اعتباره متغيرا أساسيا يمكن أن يفسر به اعتماد الأمهات على تنشئة إسلامية من عدمه، ذلك لأن المدرسة هي الأخرى لا تعطي في

مناهجها التربوية أهمية كبيرة للدين، وأن تعليم بعض السلوكيات الدينية يتوقف على الأساتذة ممن لديهم اتجاه إسلامي، ويحرصون على تنشئة تلامذتهم على هذا الاتجاه، وهو ما اكتشفناه من خلال تصريح الكثير من المبحوثات بأنهن تعلمن الصلاة وبعض الأذكار والأدعية من المدرسة عن طريق أحد المعلمين أو المعلمات أو بعض الأساتذة في المتوسط والثانوي.

جدول 3 : توزيع أفراد العينة حسب الحالة العائلية

الحالة العائلية	التكرار	%
متزوجة	36	90 %
أرملة	3	7.5 %
مطلقة	1	2.5 %
المجموع	40	100 %

يمثل الجدول 3 ، توزيع أفراد العينة حسب الحالة العائلية لكل واحدة من المبحوثات، وقد قمنا بتقسيم الحالات إلى ستة فئات حسب خصائص العينة، وحسب ما هو موضح في الجدول، فإن أغلبية المبحوثات متزوجات، وذلك بتكرار 36 حالة ، وهو ما يعادل نسبة 90 %، ثم تأتي الفئة الثانية ، والتي تمثل الأرامل ، وهي إن كانت في المرتبة الثانية إلا أن نسبتها لا تقارن بنسبة الفئة الأولى فالفرق شاسع بينهما ، حيث تمثل ثلاث حالات أي بنسبة 7.5 % ، بعد ذلك الفئة الثالثة التي تمثل المطلقات، وهي حالة واحدة. وللاشارة فإن هناك أربع حالات تطلقن ثم أعدن الزواج.

إذن من خلال الجدول نستنتج أن أكبر نسبة من المبحوثات كانت في حالة زواج، وهذه النسبة مكنتنا من اكتشاف تأثير متغير العلاقة الزوجية على طبيعة التنشئة

الاجتماعية وعلى مرجعية الأزواج ، كما مكنتنا من ضبط هذا العامل جيدا ، واكتشاف تأثيراته الإيجابية منها والسلبية، ومكنا هذا المتغير أيضا من المقارنة بين حضوره في الفئة الأولى وغيابه في الفئتين الثانية والثالثة، وكيف أن هذا الغياب له أيضا انعكاساته على عملية التنشئة الاجتماعية بصفة عامة، بغض النظر عن طبيعتها ومرجعيتها إسلامية كانت أم غير ذلك.

جدول 4 : توزيع العينة حسب نوعية السكن

نوعية السكن	التكرار	%	م/ايجار	التكرار	%	عدد الغرف	التكرار	%
مشترك/أفار ب	7	17.5%	ملكية	17	42%	غرفة واحدة	5	12.5%
مشترك/حو ش	11	27.5%	كراء	12	30%	غرفة ومطبخ	9	22.5%
مستقل	22	55%	أخرى	11	27.5%	2غ ومطبخ	6	15%
						3غ فما فوق	20	50%
المجموع	40	100%	المجموع	40	100%	المجموع	40	100%

يمثل هذا الجدول توزيع أفراد العينة حسب المجال السكني وخصائصه. وقد تم تقسيم فئاته حسب أنواع السكن التي لاحظناها من خلال الدراسة الميدانية، هذه الأنواع التي قمنا

بتصنيفها في مرحلة أولية إلى سكن مستقل ، ومشارك، وهذا الأخير قسمناه هو الآخر إلى صنفين: مشترك/ أقارب، ويعني به إقامة أفراد العينة مع العائلة الممتدة ، مع الوالدين والإخوة، أو مع الوالدين فقط، وفي بعض الأحيان مع الإخوة فقط، أما النوع الثاني المشترك، فيتمثل في السكن الجماعي، والذي يعرف في المنطقة محل الدراسة باسم: "لحواش"، وهو عبارة عن بناية من طوابق ، فيها الكثير من الغرف، بحيث يأجر صاحبها لكل عائلة غرفة واحدة، وفي بعض الأحيان تكون غرفة ومطبخ حسب الإمكانيات المادية للمستأجر، ومن خصائص هذا النوع من السكن هو الاشتراك في دورات المياه وفي الفناء، أما المرحلة الثانية، فقمنا فيها بتصنيف السكنات من حيث الملكية أو الاستئجار أو الاستعارة ، وقد وضعت لهذا التصنيف ثلاث فئات، فئة تمثل السكنات الملكية، وفئة تمثل السكنات المستأجرة، وفئة أطلقنا عليها اسم "أخرى"، لأنها لا هي ملكية ، ولا هي مستأجرة ، منها ما هو إعاره ومنها ما هو ميراث، ومنها ما هو في انتظار تسوية الوضعية، أما الحالة الثالثة، فتم تصنيف الفئات فيها من حيث عدد الغرف، وذلك للتمييز بين البيت الواسع والآخر الضيق، وقد قسم هذا النوع إلى أربع فئات، فئة تمثل عدد السكنات ذات غرفة واحدة، وفئة تمثل عدد السكنات ذات غرفة ومطبخ وفئة تالثة تمثل السكنات ذات 2 غرف ومطبخ، والأخيرة تمثل السكنات ذات 3 غرف فما فوق.

وبعد هذا الشرح المبسط لفئات الجدول وما تعنيه كل فئة، سوف نقدم القراءة الإحصائية للجدول، فما هو ملاحظ بالنسبة للمرحلة الأولى التي تمثل خاصية الاستقلال ولاشتراك، فإن فئة الاستقلال تمثل أكبر نسبة وذلك بتكرار 22 حالة، أي ما يعادل 55 % ، ثم تليها الفئة التي تمثل السكن المشترك بنوع "حوش"، وذلك بتكرار 11 حالة وهو ما يقابله نسبة 27.5 % ، وفي الأخير الفئة التي تمثل السكن المشترك مع الأقارب.

أما في المرحلة الثانية يمكن ملاحظة تصدر المرتبة الأولى الفئة التي تمثل السكن كملكية، بتكرار 17 ، وذلك ما يعادل نسبة 42 % وهي نسبة كبيرة مقارنة بالفئات الأخرى. ثم تليها الفئة التي تمثل السكن من نوع إيجار بتكرار 12 أي ما يعادل 30 % ، ثم في المرتبة الأخيرة الفئة التي تمثل سكنات من نوع آخر لا هي بالملكية ولا بالمستأجرة، وذلك بتكرار 11 ، أي ما يعادل نسبة 27.5 % . وفي الأخير المرحلة الثالثة التي تصنف السكن من حيث عدد الغرف، وحسب الجدول فإن الفئة الأخيرة تمثل عدد ثلاث غرف فما فوق تحتل المرتبة الأولى بتكرار 20 ، أي ما يعادل نسبة 50 % ، ثم تليها الفئة الثانية التي تمثل غرفة ومطبخ بتكرار 9 حالات، أي ما يعادل 22.5 % ، بعدها تأتي الفئة الثالثة بتكرار 6 حالات أي بنسبة 15 % ، وفي الأخير الفئة التي تمثل غرفة واحدة بتكرار 5 حالات أي ما يعادل 12.5 % .

وبعد هذه القراءة الإحصائية للجدول، سوف نقدم القراءة السوسولوجية للأرقام والنسبة المئوية التي يحتويها، قراءة نفسر من خلالها العلاقات السببية والوظيفية بين متغير المجال السكني وطبيعة التنشئة الاجتماعية ومرجعيتها الإسلامية.

لقد لاحظنا من خلال زيارتنا المتكررة للأسر محل الدراسة أن المجال السكني كمتغير يتحكم في عملية التنشئة الاجتماعية بشكل كبير، ولاسيما في الأسر التي تقيم في سكنات مشتركة، بصيغة "حوش" ، أو بصيغة "أقارب" ، ولكل نوع من هاذين النوعين ظواهره ومشاكله، وإن كانت مشاكل النوع الثاني أقل ضررا مقارنة بالنوع الأول.

لقد بدأنا تسجيل أول ملاحظة حول السكنات التي تعرف بـ "لحواش"، قبل الدخول إليها، وذلك من خلال سمعتها عند الناس، والنظرة السلبية التي ينظرونها إليها، فبمجرد إخبارك أحد المقيمين بهذه المنطقة، أنك زرت هذه الاقامات وأجريت

مقابلات مع الأمهات هناك، يتعجب من جرأتك للتردد على أماكن كهذه، وذلك لأنهم يعتقدون أن الكثير من الأسر المقيمة هناك، هي من الأسر المنحرفة أخلاقياً، سواء تعلق الأمر بالآباء أو الأمهات أو بالأبناء، ولكن نحن من خلال إجراء مقابلات مع المبحوثات، لم نلاحظ أي شيء من هذه الأشياء. صحيح هناك من المبحوثات من أخبرتنا بأنها التحقت بـ " الحوش " محل الدراسة منذ شهر فقط ، وذلك هروباً من أحد " لحواش " ، التي كانت تقيم فيها، وذلك بسبب كثرة المشاكل والظواهر الغير أخلاقية، وذلك - حسب رأيها - أن أغلبية المقيمين هناك مدمنون على الخمر نساء ورجالاً، مما يجعلهم يتشاجرون باستمرار يصل بهم الأمر في بعض الأحيان للمشاجرة الأسلحة البيضاء مما يجعل الشرطة لا تفارقهم ليلاً ولا نهاراً.

إن ما تصرح به هذه المبحوثة هو واقعي لأنني كنت دائماً أسمع عن ظواهر كهذه، حتى المبحوثات اللواتي يقطن في إحدى هذه الاقامات صرحن لي بهذا، ولكن ما لاحظناه نحن في الاقامتين (الحوشين) اللذين أجرينا مقابلات في إحداها مع إحدى الأسر ، لا حظنا بعض الأسر المحترمة التي تقيم هناك، ولكن الحقيقة أن هذه الأسر تعد على الأصابع، وهي غير راضية بتاتا عن السكن في إقامة كهذه. ولكن ظروفها المادية حتمت عليها الإقامة في سكنات كهذه ، لأن مبلغ الإيجار زهيد نوع ما بحيث لا يتجاوز ثمانية آلاف دينار للغرفة الواحدة .

إن ما يمكن ملاحظته في هذه المجالات السكنية أنها مجالات لا تتماشى مع الثقافة الإسلامية ولا حتى العربية في جاهليتها، لأن الثقافة الإسلامية تحرم أن يكون هناك اختلاط بين الرجال والنساء بدون ضوابط شرعية كاللباس وغيرها حتى بين الأقارب، فما بالك بين الأجانب، لأنه حتى وإن كان قاطني هذه الاقامات من الملتزمين بالثقافة الإسلامية ، فإنهم لا يستطيعون التأقلم مع هذا النوع من السكنات بأي حال من الأحوال، وهو حال إحدى المبحوثات ، التي صرحت لنا كيف أن هذا

السكن تسبب في مرضها نفسيا، بسبب عدم تقبلها لما يحدث فيه من تجاوزات، لدرجة أنها لا تخرج من غرفتها، إلا للضرورة، عندما تخرج لقضاء حاجتها، وأنها تخاف، لأن هناك من الرجال من يضايقها دائما ، مستغلا خروج زوجها للعمل. ولقد أثر هذا على نفسيته ونفسية طفليها اللذين لا يفارقان هما أيضا الغرفة. هذا كما أنه يزعجها سلوك بعض جاراتها اللواتي لا يتحفظن في لباسهن ولا في كلامهن ولا في علاقتهن مع الجنس الآخر، كما يزعجها أيضا استعمالهن للموسيقى الصاخبة، والغناء الماجن، هذا السلوك أدخلها معهن في شجار وصل إلى حد تدخل صاحب الإقامة.

صحيح أننا لاحظنا هؤلاء النساء بالرغم من أنهن يرتدين الحجاب عند خروجهن من المنزل، لكن داخل الإقامة لا يتحرجن في مقابلة بعض رجال جارتهن بلا حجاب، بل ولباس يكشف مفاتن المرأة ولاسيما في الصيف حيث تلبس المرأة بعض الملابس التي تكشف جزءا من ذراعيها وصدرها وساقها، لقد لاحظنا هذا عند أغليتهن، وهذا بلا شك يخالف النصوص الشرعية وأحكامها المتعلقة بلباس المرأة وحيائها.

نعم لقد سجلنا الكثير من الملاحظات التي قد تصلح لانجاز أطروحة أخرى وربما لا تستوفيها حقها. ولكن الملاحظات التي سجلناها فيما يخص التنشئة الاجتماعية في علاقتها بالمرجعية الإسلامية، فإن ما يمكن ملاحظته هو أن هذا النوع من المجالات السكنية لا يتوفر على أدنى شروط العيش الكريم، ولا يصلح لأن يكون مجالا لتربية النشء تربية سليمة، ناهيك عن تربيته تربية إسلامية.

إن الأطفال الذين يكبرون في أماكن كهذه، ينشئون على الكثير من القيم الغير أخلاقية، فهم يسمعون صباح مساء الكلمات النابية، إن لم تكن من والديهم وإخوتهم، يسمعونها من جيرانهم الذين يشاركونهم في الفناء وفي السلام وحتى في الحمام ، كما ينشأون على ثقافة الصراع والمناورات التي عادة ما تميز سكنات كهذه.

أما فيما يخص النوع الثاني من المجالات السكنية المشتركة، أي التي تكون فيها بعض الأسر تقيم مع أهل الزوج، أو أحد الإخوة فإن هذا النوع من السكنات وإن كان له بعض المزايا ، كاجتماع العائلة ، والأمن وغيرها، إلا أنه هو الآخر لا يخلو من مشاكل لها تأثيرات على العلاقات الأسرية، والأكثر من هذا على عملية التنشئة الاجتماعية.

لقد صرحت لنا بعض الأمهات اللواتي يعشن في سكنات من هذا النوع، معاناتهن فيما يخص تربية أبنائهن، مظهرين في ذلك مدى انزعاجهن من بعض التصرفات والسلوكات التي تصدر من بعض أفراد أهل الزوج، هذه السلوكات أثرت حسب رأيها على تربية أبنائها تربية إسلامية، ولاسيما على مستوى القيم وعلى مستوى الأسلوب، فهي تقول أن أهل زوجها (أمه وأبيه وأخواته وإخوته) يكذبون كثيرا، وأنهم علموا ابنها الكبير الذي يبلغ من العمر 12 سنة الكذب أيضا، وذلك بحكم احتكاكه بهم كثيرا، كما أنهم علموه الكثير من الأخلاق السيئة كالتجسس ونقل الأخبار. وإن هذا أثر على أسلوبها وطريقتها في التعامل معه، حيث أنها تمارس عليه العنف بكل أنواعه ولاسيما الجسدي، فهي تضربه ضربا مبرحا.

هذا وتصرح أخرى بأن سكنها مع أهل زوجها وإن كان مستقلا نسبيا كونه في الطابق الأول إلا أنهما يشتركان في باب الدخول، فإن هذا يجعل أهل زوجها يراقبون دخولها وخروجها ، ويحاولون معرفة كل ما تشتريه من أثاث وأواني أو لباس لها ولأولادها. إن هذه السلوكات تزعجها كثيرا، ويجبرها تصرفهم هذا على الكذب عليهم ، هي وأبناؤها، بالرغم من أنها لا تحبذ أن تربي أبنائها على هذه الصفة الذميمة.

ومن بين العراقيين التي تواجه الأسر في تبني مرجعية إسلامية، نذكر أيضا ضيق المساحة، حيث لاحظنا أن عددا لا بأس به من الأسر يعيش في سكنات ضيقة، وهذا أيضا يؤثر على تطبيق بعض الأحكام الشرعية كالتفريق بين الذكور والإناث، الذي أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما جاء في أحد الأحاديث في سنن ابن داود: " مروا أولادكم بالصلاة

وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع". وقد فسّر بعض العلماء هذا الحديث بأنه لا يقصد به التفريق فقط بين الذكور والإناث، وإنما أيضا يشمل بالإضافة إلى ذلك التفريق بين الذكور والذكور، وبين الأولاد وآبائهم.

إن تطبيق هذا الحديث النبوي في ظروف سكنية كهذه أمر صعب المنال، وقد لاحظنا أحد الأسر ممن استقبلونا يمتلكون غرفة واحدة ، ولا توجد بها حتى نافذة للتهوية، أما المطبخ فاتخذوا له مكان تحت السلام. وأخبرتنا صاحبة البيت أن هذه الغرفة تنام فيها كل العائلة، والأكثر من هذا أنها تستقبل فيها الضيوف ولاسيما أهل زوجها الذين في بعض الأحيان، يمكنون هناك لمدة أسبوع أو يزيد.

هذه إذن، أهم العراقيل والتحديات - وليست كلها - ، التي تواجه التنشئة الاجتماعية بصفة عامة في مجالات سكنية كهذه، والتنشئة الإسلامية بصفة خاصة.

الفصل الثامن: التنشئة الأولية للمبحوثات وأثرها في ممارستهن للتنشئة الاجتماعية

تمهيد

أولاً: مرجعية قيم التنشئة الأولية للمبحوثات

ثانياً: مرجعية أساليب التنشئة الأولية للمبحوثات

ثالثاً: أهداف التنشئة الأولية للمبحوثات

رابعاً: العلاقة بين والدي المبحوثات وأثرها في تنشئتهن

خامساً: تأثير التنشئة الأولية للمبحوثات على تربية أولادهن

- خلاصة الفصل

تمهيد

إن القيم التي يتم نقلها من قبل المجتمع عن طريق التنشئة الاجتماعية، لا تخرج في طبيعتها عن القيم التي يحملها الأفراد الذين يمارسون هذه التنشئة مباشرة أو غير مباشرة، سواء الأسرة كما هو الحال في دراستنا أو مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأخرى، التي تتبنى الثقافة التي ينتمي إليها الأفراد الخاضعون للتنشئة الاجتماعية، أو التي تتبنى ثقافة مابينة. لذلك ارتأينا في هذه الدراسة أن نتطرق إلى القيم التي تحملها المبحوثات لمعرفة مدى تأثيرها في تنشئة الطفل إلى جانب القيم التي تحملها أطراف أخرى تمارس على هؤلاء الأطفال بصورة غير مباشرة.

وتؤكد بعض الدراسات الكلينيكية على أثر التنشئة الاجتماعية للأُم في إرساء اتجاهاتها نحو أبنائها، كما يلعب عامل "اللاوعي" الذي يرجع إلى عهد طفولة الأُم وما تعرضت له من أساليب التنشئة في اتجاهات الأمهات نحو التنشئة الاجتماعية لأطفالهن. فطفولة الأُم وما لاقته من الكبار من إهمال أو تدليل أو نبذ تعتبر المصدر الأساسي للأُمومة، ولم تتفق نتائج البحوث على نوع الاتجاهات التي يولدها نوع معين من خبرات الطفولة فقد تتجه الأُم التي عانت من النبذ أثناء طفولتها إلى نبذ أطفالها وقد تتجه اتجاهها معاكسا. فتشير بعض الدراسات إلى أن اتجاه الأُم نحو الحماية الزائدة لأطفالها يكون في بعض الحالات تعويضا عن خيبة الأمل في الحصول على القدر الكافي من الحب أثناء فترة طفولتها وفي بعض الحالات تعتبر الأُم التي لاقَت الحب أيام طفولتها بأنها ستكون قابلة على إعطاء الحب⁽¹⁾.

¹ - عبد الله زاهي الرشدان، التربية والتنشئة الاجتماعية، الأردن: دار وائل للنشر والتوزيع، ط1، 2005، ص 130 .

إن النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسات هي نتائج صدقتها دراستنا الإمبريقية، فمن خلال مقابلاتنا مع المبحوثات ومن خلال تصريحاتهن المتعلقة بتنشئتهن الأولية، وهو ما سوف نتعرف عليه في هذا الفصل.

أولاً : مرجعية القيم في التنشئة الأولية للمبحوثات

إن التنشئة الاجتماعية التي مورست على المبحوثات في أسرهن الأصلية، تكاد في كثير من الحالات لا تمت إلى المرجعية الإسلامية بصلة، فهي تنشئة تأخذ من العادات والتقاليد مرجعاً لها أكثر من الشريعة الإسلامية، وذلك سواء على مستوى القيم أو الأساليب أو الأهداف أو حتى العلاقة بين الوالدين.

فعلى مستوى القيم، ولاسيما القيم الروحية، من صلاة، وصيام، وذكر، وقيام.. أي كل الشعائر والسلوكات والاعتقادات التي تعزز وتقوي علاقة الفرد بربه، فإن هذا النوع من القيم يكاد يكون منعدماً في أسر المبحوثات، وأن أغليبتهن لم ترسخ في نفوسهن هذه القيم، ولم تبنى في طفولتهن علاقة متينة بينهم وبين خالقهم من خلال هذه القيم.

فالصلاة التي تعتبر عماد الدين وهي ثاني ركن من أركان الإسلام لم تلق نفس الأهمية في أسر المبحوثات كما أعطها لها الشرع.

فحسب ما اكتشفناه في الميدان من خلال استجواب المبحوثات، فإن أغلبية الأسر⁽¹⁾. لم تكن تعطي أهمية لتعليم أطفالها الصلاة، حيث أن الكثير منهن بدأن الصلاة في سن متأخرة، ومنهن من صرحت بأنها بدأت الصلاة بعد زواجها⁽²⁾.

وكما يقول المثل "فاقد الشيء لا يعطيه"، فمعظم الأسر آنذاك، لم يكونوا يؤدون هذه الفريضة، وحتى أولئك الذين يصلون فهم لا يحرصون على تأديتها في أوقاتها، ولا يداومون

¹ - الأسر (7، 12، 15، 16، 19، 20، 21)

² - الأسرة 11 : "أنا حتى زوجت باه وليت نصلي منكذبش عليك"

عليها، إلا القلة القليلة منهم. ومنهم من يصلي إلا في شهر رمضان⁽¹⁾. فكيف يعلم الآباء أبنائهم قيمة وهم لها تاركون؟! !

وتفسر أحد المبحوثات أن عدم حرص الأسر على أداء الصلاة وعلى تلقينها لأطفالهم آنذاك، يرجع إلى كون أن تلك الفترة وهي فترة من الستينات حتى الثمانينات من القرن الماضي كان هناك جهل في ما يخص أحكام الدين في أوساط معظم الأسر الجزائرية، والمحيط بصفة عامة⁽²⁾،

ويمكن إرجاع هذا الجهل لكون أن الجزائر كانت حديثة الاستقلال، فهي للتو خارجة من استعمار أقسم أن يجردها من هويتها الإسلامية ويطمس معالمها، وبالرغم من أن معظم المبحوثات لم يتعلمن الصلاة في أسرهن لسبب أو لآخر، إلا أن منهن من تعلمت هذه الشعيرة خارج الأسرة، وهنا نلاحظ أن بعض مؤسسات التنشئة الاجتماعية كان لها دور كبير في تعليم الصلاة للأطفال آنذاك ولا سيما المسجد، والمدرسة، وهو ما صرحت به الكثير من المبحوثات⁽³⁾ فنجد مثلا، أحد المبحوثات ترجع فضل تعلمها الصلاة إلى المسجد والمدرسة، وحسبها أن دور الأم كان دور ثانوي في هذه المهمة⁽⁴⁾ .

وتؤكد أخرى أن أول مرة تعرف فيها الصلاة وتمارسها كانت في المدرسة⁵. هذا وتعترف أحدهن بأن الفضل في تعلمها للصلاة يرجع إلى المدرسة⁽⁶⁾، بالرغم من أن والديها

1 - الأسرة 15 : "أنا في الأسرة انتاعي مكنوش يهتموا بالصلاة أنا الأب انتاعي والأم انتاعي مكنوش يصلوا ،كانوا يصلوا في رمضان نشفوهم يصلوا".

2 - الأسرة 15 : في ذلك الوقت الحقيقة كان شويه الجهل مكنوش يهتموا بالصلاة ...أنا نعقل حتى هناك لونتوراج انتاعنا مكناش في بيئة فيها انسان متدين نشان وكان هكا الي تصلي معاه ولا يجبرك ولا كانوا مخلبنا على الحرية انتاعنا.

3 - الأسر: 3، 6، 6، 15 .

4 - احنا لكثيرة الجامع تعلمنا فيه الصلاة ، والمدرسة ثاني كانوا يقولونا صلوا، ماما مكناش عندها دور كبير في الصلاة ، كان الجامع والمدرسة.

5 - أنا كيدخلت نقرا أول مرة بديت نصلي من المدرسة تعلمت الصلاة، الشيخة ثاني كانت معاونتنا ..كانت تحن فينا ، كانت تهدر معنا طحنا فيها مسقمة)

6 - احنا تقريبا في المدرسة السنة الثالثة ابتدائي بدينا نصلوا، تعلمناها في المدرسة تعلمنا زعمى كيفية الصلاة والوضوء زعمى في المدرسة.

كانوا يصلون ويحافظون على صلاتهم⁽¹⁾. وقد نفسر هذا أن هؤلاء الوالدين الذين يمارسون الصلاة ويحرصون عليها، ولكن لا يلقونها لأبنائهم قد يكونون تعلموها أو اكتسبوها بطريقة تقليدية فهم لا يعرفون عنها الكثير ويمكنهم يجهلون بأنها فرض على كل مسلم ومسلمة، وقد يجهلون أيضا أنه من الواجب عليهم شرعا تعليم أبنائهم الصلاة عند بلوغهم سن معينة، كما جاء في الأحاديث النبوية.

إن جلّ المبحوثات في الأسر المذكورة أعلاه كانت تصريحتهن متقاربة، ويمكن تفسير ذلك لأنهن عشن تقريبا في نفس الفترة الزمنية، أي أن طفولتهن كانت ما بين أواخر الستينات وأواخر السبعينات، وفي هذه الفترة كان الدين غير منتشر للدرجة التي عليها اليوم. ويبقى القول ، أنه وبالرغم من اتفاق معظم المبحوثات على أن أسرهن لم تكن ترسخ لهن فكرة الصلاة وتحرص على تعليمهن إلا أن هناك بعض الأسر وهي قليلة لا تمثل مجتمع البحث، صرحن بأن أسرهن كان لهم حرص على تعليمهم الصلاة حتى وإن اختلفت طرقهم وأساليبهم في ذلك، ففي الأسرة رقم (1) نجد الأب يحرص كل الحرص على تعليم أبنائه الصلاة وعلى تأديتها في وقتها⁽²⁾.

وفي أسرة أخرى أيضا تصرح الباحثة بأن أمها كانت تعتبر الصلاة أولوية في تربية أبنائها ، حيث كانت تحرص أيما حرص على تعليم أبنائها الصلاة، وهي تؤكد لهم على أنها أسبق من أي شيء آخر⁽³⁾، ويمكن تفسير سلوك كهذا في الأسرة ، بمتغير المستوى الثقافي والعلمي للوالدين⁽⁴⁾ فالأم مثقفة وهي طيبة حسب تصريح المبحوثة وحتى والدها أيضا طيب، هذا المتغير الذي هو شبه مفقود عند الأسر الأخرى، حتى وإن منهم من حافظ

1 - قتلك نعقل على بابا نعقله مسكين من الصباح يفجر ، وماما تصلي وتحافظ على صلاتها.

2 - أنا نعقل ، الأب انتاعي ، الحاجة الي نعقل كل يوم .. كل يوم ، الصلاة، حفظ القرآن، الصباح هو ينوض على الريعة ، ساعات على 5 ، السنة غيل ربيع(5.45 د) ، هذي حفظتها في راسي : "إذا قاموا للصلاة قاموا كسالى"، هذي يوميا. نعقل أنا وحد النهار عالسنة 6 انتاع الصباح بابا يقبط الماء انتاع القوطي ويبدأ يرش عليا باش انوض ، هو يقلك نوضي تصلي ، واعاودي اذا بغيتي ولي أرقدي أرقدي.

3 - الصلاة: احنا بدينا نصلو بكري، قتلك ماما رياتنا على القيم والمباديء ..نقلنا كيما زعما نقولو الصلاة انتاعكم سبق.

4 - ماما كانت ميدسا (طبيبة) وبابا ثاني كان ميدسا Médecin

لكتاب الله ولكن لا يفقه منه شيئاً ، ولا يصلي وهو حال أحد الآباء في الأسرة 12، كما صرحت المبحوثة ابنته⁽¹⁾ والأسرة 20 .

وما يمكن ملاحظته أيضاً في ما يخص الصلاة، هو أن أغلبية المبحوثات يصرحن أن أمهاتهن كن يصلينها وإن كن غير منضبطات ولا يؤدينها كما يجب، في حين هذا السلوك مفقود عند أغلبية الآباء إلا في بعض الأسر، كالأسرة (1).

أما في ما يخص الصيام كقيمة روحية، فهو لله ويزكى به كيف شاء، فإن أسر المبحوثات وعلى عكس الصلاة⁽²⁾ ، كانوا يحرصون على تعليم أطفالهم الصيام في سن مبكرة وهو ما لمسناه في أجوبة معظم المبحوثات⁽³⁾، والأكثر من هذا أنهم يشجعونهم ويكافئونهم على ذلك بمختلف الطرق، حيث يصومونهم في سن صغيرة، وهي ما صرحت به المبحوثة في الأسرة (17)⁴، متعجبة بأن أولادها لم يشبهوها في هذه النقطة.

إن حرص الوالدين في تلك الفترة على تعليم أبنائهم الصيام دون حرصهم على الصلاة تفسره أحد المبحوثات بأن هؤلاء كانوا يصومون للمجتمع، وليس لله لأن المجتمع يجعل من لا يصوم محل سخرية، وبالتالي الكثير من الأسر تعلم أبنائها الصيام تجنباً لذلك⁽⁵⁾، فهي ترى أن الصيام لم يكن يعلم للأطفال على أساس أنه فرض أو ركن من أركان

¹ - بابا حافظ 60 بصح مكانش يعرف... (ماشي قاري ماشي واعى) (هو فقط حفظ من باب العادات والتقاليد، وكذلك حفظ بدون وعي وفهم للآياته)، وبابا منكذبش عليك حتى لكبر وعاد يصلي، أنا منكذبش عليك أنا معايا غادية تصيبي الصراحة، مصلاش بكري حتى عقل 50 ولا 51 سنة.

² - كانوا يأكدونا على الصيام أكثر كيكرنا ولا يأكدونا على الصلاة.

³ - الأسر: (4-19-15-5)

⁴ - صمنا صغار بزاف أنا ولادي تقعد نزقي عليهم ..أنا صمت صغيرة مولات سبع سنين أولادي مشبهونيش وأنا صمت صغيرة بزاف .. سخفونا ، كنصوم يشريلي سخايف جايينهم وننقلش ، وبكري كان رمضان يجي في الصيف جايينها وجاية نقرمي على خواتي ..غدوة لخرى ثاني تصوم، كان هكا دايرينا .

⁵ - تقريبا هي كان متصومش يقولك ضك يعابروك برى يقولوك وكال رمضان ولا ... راه كبير وكالي رمضان،

الإسلام، وإنما على أساس عادة فرضها المجتمع -وحسب رأيها- يرجع هذا لجهل الكثير من الناس لأمر دينهم¹.

وقد يكون تفسير المبحوثة صحيحا ولا سيما، حيث تجد أن من الأسر من تعلم أبنائها صيام أيام منهي عنها شرعا كإفراد يوم الجمعة بالصيام، وهو ما اكتشفناه في تصريح أحد المبحوثات التي قالت في ما معناه أن أمها كانت حريصة على تعليمها صيام يوم الجمعة، وأنها صامت 44 جمعة²، فهل هذا يجوز من الناحية الشرعية، وما هي مرجعية هذا الصيام؟.

وبما أن معظم الأسر لم يكونوا يمارسون الفرائض كالصلاة مثلا ، فان السنن والنوافل لا يعرفونها أصلا، وهو ما صرحن به تقريبا كل المبحوثات، كقراءة القرآن والذكر وقراءة أذكار الصباح والمساء وصلاة النوافل وصيام الأجر، وقيام الليل.. والتفكر والتأمل في خلق الله وغيرها من التعاليم والقيم الدينية والروحية.

أما بالنسبة للقيم الاجتماعية، فان ما يلاحظ من خلال تصريحات المبحوثات أن هذه القيم في معظمها ذات مرجعية مجتمعية، وإن كان الكثير منها يعود إلى المرجعية الإسلامية، لكن الأسر تعلمها لناشئتها على أساس أنها من العادات والتقاليد، وليس على أساس أنها أحكام شرعية، ولهذا نجد هنا ترسيخ في نفوس الناشئة ثقافة العيب أكثر من ترسيخ ثقافة الحرام ، فلباس القصير بالنسبة للفتاة البالغ، و قص الشعر، أي تشبه بالرجال كلها قيم، نهى عنها الشرع، إلا أن بعض الأسر تنهي بناتها عن القيام بهذه السلوكات ليس

¹ - الأسرة: 15 " بصح مكننش عندهم هذيك الثقافة بش يقلك غادي تتحاسب ربي فرض علينا هذا جاهلين ..معدوش صورة ولا آية يقلك ربي فرض علينا هذي ولا ... في أي سن تصوم ولا مكانش ...الصيام فرضه عليك المجتمع كتولي 12 عام تصوم للمجتمع"

² - الأسرة: 5 "أنا صمت 44 جمعة ... معلمتي ماه نصوم 44 جمعة"

من باب أن الله ورسوله نهى عنها وإنما من باب أنها هي الأم وأمها وجدتها، لم يسلكن هذا السلوك، أي من باب العادات والتقاليد، وهو ما صرحت به المبحوثة في الأسرة¹ 20 حتى خروج المرأة لتعلم حرفة، أو العمل خارج البيت كان محرماً اجتماعياً وليس دينياً عند الكثير من الأسر².

إن ثقافة العيب تتحكم في جزء كبير من حياة الأفراد، في الأسر محل الدراسة، حتى العلاقات الاجتماعية تحكمها هذه الثقافة، فالاحترام مثلاً في العلاقة الزوجية أو في علاقة الكبير بالصغير مثل العلاقة بين زوجة الابن (الكنة) والحماة تحكمها هذه الثقافة⁽³⁾ ولا تخضع لا إلى المنطق الذي يرى الأشياء بمنظار واقعي ولا إلى الدين الذين نظم هذه العلاقات أيما تنظيم، حيث ضمن حقوق كل فرد في جميع المواقف الاجتماعية، والمراكز التي يحتلها والأدوار الاجتماعية التي يقوم بها.

إن من القيم الاجتماعية التي كانت تحرص بعض الأسر تلقينها لأطفالها ولا سيما للمبحوثات محل الدراسة، هي قيم ذات مرجعية إسلامية كالصدق والأمانة، والاحترام، والحياء وغيرها ولكن ما يلاحظ على هذه الأسر أنها تنسب هذه القيم في كثير من الأحيان إلى العادات والتقاليد، وتجعل من المجتمع هو المرجعية في ممارسة الضبط الاجتماعي وليس الدين، وفي بعض الحالات توظف قيم في غير محلها، كاحترام والحياء، هذه القيم التي

¹ - الأسرة 20: "متلبسليش لقصير ..مديريش ذيك ماشي مليحة ..لا احناه متعرفش هاذيك انتاع حرام تعرف أكثرية عيب وارثاتوا على جدودها هذيك عيب ..مجمعيش معانا منين نكونوا احنا عيب ..انتاع تقصي شعرك عيب فهمتيني زعمى وتقلك أنا مدرتش أنا ماه مدرتش هكذا"
² - الأسرة 12: "كنت نحب الخياطة مزلت الضروك على بالك نخيط، بغيت نخيط ، وكانوا دابرين سونيتاكس برى، مبخاوش، يقلك زعمى عندنا عيب المرأة ...الطفلة تخدم، تخرج".

³ - الأسرة 6: "لحد الآن تقلي ماما ذيك الحاجة عيب ، مثلا كاشي حاجة مع راجلي ، تقلي عيب متقوليلوش هذاك راجلك ، ولا كان نقول على عجوزتي تقلي عيب هذيك مهما كان عجوزتك"

تعرف في أوساط المجتمع الجزائري بالحشمة، وهي في كثير من الأحيان تمارس بطريقة فيها قهر للمرأة وسلبا لحقوقها⁽¹⁾

ومن أكثر القيم التي نشأت عليها المبحوثات في أسرهن الأصلية، هو ترسيخ قيم الشرف والعفة لديهن ، ومن الآليات التي كانت تتخذها الأسر لتحقيق هذه القيم هو منعهن من الخروج، فالكثير من المبحوثات صرحن بأن خروجهن آنذاك لا يكون إلا لضرورة قصوى بل الأكثر من هذا، هناك من الأمهات من يعلمن قيمة الصدق لبناتهن ويؤكدن عليها، ويحذرنهن من الكذب، ليس تطبيقا لحكم شرعي، وإنما كآلية يعتمدنها لكشف أي خطر يتعرضن له بناتهن يمس شرفهن وعفتن، وهذه حقيقة اكتشفتها أحد المبحوثات إلا بعد كبرها حسب تصريحها.⁽²⁾

إن مسألة شرف الفتاة وعذريتها يبقى أكثر القيم أهمية في ثقافة كل أسر المبحوثات، وهذه الثقافة ليست مرتبطة بالمجتمعات التقليدية فقط، بل ما زالت هذه الثقافة سائدة إلى يومنا هذا.

إن الحفاظ على هذا الشرف حسب تصريح المبحوثات، يتوقف على مكوئهن في البيوت وعدم خروجهن، لأن خروجهن سوف يسمح لهن بالالتقاء بالجنس الآخر، هذا الأخير الذي يشكل خطر على شرفهن.

ومن لأمهات من تقوم بدور الطبيب، حيث تقوم بفحص بناتها إذا اقتضى الأمر وخرجن لقضاء حوائجهن، فعند دخولهن مباشرة تقوم بفحصهن للتأكد من عذريتهن ، تقول

¹ - "ماما احنا تحشم ادبنا منها هذيك الحشمة لحد الآن رانا نحشمو ..ماما تحشم من كل حاجة ، ما تحشم من الحماة من الشيخ من الرجل ...كون بالمثل احماها يجي يقلها اعطيني ذيك الحية تعطيه ..قعدت أنايا فيا ذاك الفيس كان يجي حمايا يقلي اعطيني ذيك الحاجة نعطيهاالوا ونخلي راجلي"

² - كانت تضربنا منين نكذبوا عليها ، أنا شحال من مرة كنت كنقلها حاجة وتصيبيني كذبت عليها تضربني ثقلي متكذبيش عليا هي على حساب مفهوماتي أنا كي كبرت وفهمتها هي تقلك زعمي كنتذبي عليا غدوة كنتكري واديري حاجة انتاع كرش (الحمل) أحنا امنا الهدف انتاعها تقلنا ننما طفلات نخاف لغدوة تكبروا كاش واحد يحشبهالكم.

المبحوثة حتى كبرن وأصبحن نرفض هذا السلوك⁽¹⁾. الذي أثر سلبيا على نفسية هذه الفتاة، فمن شدة خوفها أصبحت تعتقد لو أن أي شاب تحدث معها سوف تفقد عذريتها⁽²⁾ !!

إن هذه السلوكات تبرهن على أن الأسر الجزائرية و كغيرها من الأسر العربية لم تكن تلقن لأفرادها ثقافة جنسية، وذلك قد يكون نتيجة لكون هذه المواضيع تعتبر من التابوهات، المحرمة اجتماعيا، أو نتيجة لغياب الحوار داخل الأسرة.

فالكثير من الأمهات لم تكن تربطهن علاقة صداقة مع بناتهن تجعلهن يبحن لهن بأسرارهن الأنثوية والتي يشتركن فيها، كأسرار تخص البلوغ وغيرها³⁶ 12 ، 20 ، لأن الكلام في مواضيع كهذه تعتبر من سوء الأدب وقلة الحياء⁽⁴⁾.

أما بالنسبة للحجاب كقيمة يرمز إلى العفة وكلباس يستر جسم المرأة ويخفي مفاتها حثت عليه الشريعة الإسلامية، وأمرت كل أنثى بارتدائه عندما تصل إلى سن البلوغ، مع احترام مواصفاته وشروطه، فإن المبحوثات يؤكدن على أن الحجاب لم يكن منتشرا في وقتهن، وأن معظم المجتمع لم يكن يعرف الحجاب بالمفهوم الذي هو معروف به اليوم، وهو المفهوم الديني، وإنما كانت بعض الأسر تحرص على لباس بناتهن اللباس المحتشم من غير

1 - " منين كنا صغار تلقنا احرزوا رواحكم من الذراري بحشولكم ، تلقنا عيب دائما ترقبنا من تحت هي احي تشوفنا كيما الطبيب حتى الي كبرنا ولينا نعرفوا ولينا منخلوهاش ...حتى وليت أنا كيروح للخالتي عندها الحرية وقاع كان يجي جان يهدر معايا نخاف نقول غير يهدر معايا خلاص راه"

2 - حتى وليت أنا كيروح للخالتي عندها الحرية وقاع كان يجي جان يهدر معايا نخاف نقول غير يهدر معايا خلاص..."

3 - مكانش كيما البنيت كيتشعها امها كون قع لزتنا ليها كيف كيف حتى ولوكان عندها عشرة انتاع لبنات وتسقسينا بنتي شا خاصك وانت شاخاصك، مديش هذيك الحاجة وديري هذي لمليحة، تبعيني أنا الحاجة اللي بيغيها قلبي ديريها و الحاجة الي مبيغيهاش مديهاش، ماشي زعمة تعرف غير تضرب، ماما تعرف غير تضرب وتزقي هذا ما كان.

4 - شفني البنيت كتبغي اجيك العادة الشهرية، الأم تفهم بناتها نقلهم ..باش متخلعش احنا امه والو ..المشكلة حتى احنا لبنات موليناش نتحاوروا مع بعضانا ، أنا خواتي لكبار زوج هما فابطة عليهم نورمالمو يقولولي مقالوليش حتى معرفتش نهار الاول شا هي هاذيك حتى وحد النهار كنت باغية روح نلعب السبور عندنا في السيام كنت نقرا في الويتيام أني في لي فاكونس انتاع البروميبار أني جاوني لي راقل ..كنا باغيين نلعبوا الصبور وحسبت روجي غير انا هاك وغبنت ولقيت مشاكل كديري كيفا اديري لبيوند انتاعك متعرفيش انغبنت وأثرت عليا ..وليت نحس حتى النهار الي نكون هكذا وليت نتأثر ..نخاف ..تبالي كلي كل الناس راهم فايقين بيا كراني مسخة وضك راهم يشوفوا فيا ضك ننكتشف برى مكنتش عارفة قع بلي ..حتى سمعات لبنات يقولوا لبعضاهم أنا اليوم مغادياش نلعب أنا راني فيا هاي كيفا ..عادة عرفت بلي هذوا الصوالح قع لبنات يجوهم حتى أني مكنتش عندي الجرأة باش نقول للاستاد بلي منلعيش كنت تبالي عيب وحرام وكننت نلعب بيهم والبنات عادي يقولوا ..

لباس الحجاب، حيث أن الكثير منهن لم يرتدينه إلا بعد الزواج، كما هو الحال في الأسرة¹⁴، و7 و 12، وتفسر المبحوثة في الأسرة 12 عدم لبسها الحجاب لأن والديها لم يأمرها بذلك، ولأن التدين لم يكن منتشرًا آنذاك كما هو الحال في عصرنا الحالي، هذا الانتشار الذي ساعدت عليه-حسبها- وسائل الإعلام والاتصال ولا سيّما التلفاز (البرابول)، بالإضافة إلى الانترنت كل هذه الوسائل جعلت الدين ينتشر في أوساط الناس⁽²⁾.

وبالرغم من أن معظم المبحوثات لم يتلقين أوامر من أسرهن بلبس الحجاب، إلا هناك منهن من تعرفن على هذا اللباس وأدركن بأنه فرض عليهن من خلال أساتذتهن في المؤسسات التربوية، مثل المبحوثات في الأسر 15، 21 ... حيث جعلهن يفتتن بارتدائه، لكن قرارهن هذا قوبل بالرفض من طرف أسرهن وهو ما صرحت به المبحوثة في الأسرة 15، من أن والديها وقفوا ضد رغبتها في لبس الحجاب هذه الرغبة التي كانت نتيجة تأثرها بأستاذتها في الثانوية⁽³⁾

وفي الأخير يمكن القول أن معظم المبحوثات لم ينشأن تنشئة اجتماعية تعتمد على قيم إسلامية، ولا سيما القيم الروحية وعلى رأسها الصلاة، حيث كانت معظم هذه القيم مغيبية تماما في عملية التنشئة الاجتماعية لدى أسر المبحوثات، وحتى الأسر التي كانت تعلم أبنائها الصلاة على قلنتها كانوا يهملون قيم أخرى بالرغم من أنها تعتبر من الفرائض كالحجاب مثلا، فتجد بعض الأسر تحرص على تعليم أبنائها الصلاة ولكن لا تحرص على

¹ - زعم اللبسة ماشي غير نلبسو هكذا لباس محتشم وليس حجاب، أنا كترزوجت كسع درت الحجاب ..بصح مكناش نلبسو كيما قتلك ..مام فالدار تقلالك متعريش روحك قدام خوك ..مكناش تلبسي حاجة كيما الميني ولا مزيرة.

² -الحجاب جامي كانوا يقولونا عليه ، بابا عمرو وما قالي على الحجاب، كيما أنا حتى حتى جاء خطبني هذا مول الدار وأنا سيفيليزي مدرتش حجاب ، مكناش هذا الدين منتشر عندنا العكس كيما ضروك راه التيليفون والبرابول ، الحجاب ضك راه مناشر على بكري ، راه باين على بكري لأنه الدين كان ناقص آنذاك .

³ - ككنت في التارمينال مخلونيش نتحجب في الدار الأب انتاعي محوشش، كان خويا لكبير كبعيت نتحجب قالولي مكناش الحجاب أنا قرانتي وحد الأستاذة انتاع الأدب كانت متدينة تأثرت بها

ارتداء بناتها الحجاب، ومن الأسر من تحرص على تلقين أبنائها قيم مثل الأمانة والصدق والتسامح، ولكن لا تحرص على تعليمهم الصلاة، والذكر... وغيرها.

وقد يرجع هذا، حسب تصريح الكثير من المبحوثات إلى كون أن الدين لم يكن منتشرًا آنذاك. أما في ما يخص القيم الاجتماعية فهناك الكثير من القيم التي نشأت عليها المبحوثات إسلامية المرجعية، لكن الأسر لم تنقلها إلى ناشئتها انطلاقًا من هذه المرجعية وإنما انطلاقًا من المرجعية المجتمعية أي من العادات والتقاليد.

ثانياً: مرجعية أساليب التنشئة الأولية للمبحوثات

في كتابه "مقدمات لدراسة المجتمع العربي"، يقول الدكتور "هشام شرابي"، أن طرق تربية الطفل تمثل دوراً حاسماً في تعيين نوعية الشخصية من حيث ارتباطها بمجتمع معين، ودلالاتها عليه، ولذا فإن فهم طرق تربية الطفل يؤدي إلى فهم السلوك الاجتماعي ودوافعه في المجتمع.⁽¹⁾

إن الأسلوب المعتمد في التنشئة الاجتماعية يتحكم بشكل كبير في هذه العملية وله دور فعال في نجاحها من عدمه، حيث أنه كلما كان الأسلوب صحيحاً وملائماً للموقف الذي تنقل أو تعلم فيه القيمة كان ذا فعالية وتأثيراً، والعكس صحيح، فقد يعتمد القائمين على هذه العملية على قيم صحيحة ونبيلة وسامية ويحرصون على نقلها لأطفالهم، ولكن إذا أخفقوا في اختيار الأساليب الصحيحة لعملية النقل هذه، فإن هذا قد يكون سبباً في الإخفاق وعدم النجاح في القيام بهذه العملية بكاملها، والأكثر من هذا فإنه إذا كان الأسلوب غير صحيح فإنه يجعل من القيمة قيمة سلبية.

فمثلاً لاحظنا في بعض الأسر من الأقارب والأصدقاء، وخاصة أولئك الذين يحرصون على أن يربوا أبنائهم تربية إسلامية، فنجدهم مثلاً عندما يبدؤون في تعليم الطفل

¹ - هشام شرابي، مقدمات لدراسة المجتمع العربي، بيروت: ، بيروت: الدار المتحدة للنشر ط2، 1975، ص 33

الصلاة على سن سبع سنوات فإنهم يتشددون كثيرا معه ، ويراقبونهم في كل كبيرة وصغيرة ويتابعون طريقة وضوئه إلى غير ذلك من المراقبة المستمرة والمزعجة للأطفال ، ويصل بالبعض منهم إلى ضربهم ، بالرغم من الأطفال في هذه السن غير مكلفين شرعا، إن تلقين الأطفال هذه القيمة بهذا الأسلوب قد يجعل الكثير منهم يتحايلون على آبائهم ويحلفون الأيمان الغليظة بأنهم أدوا الصلاة وأنهم أسبغوا الوضوء وهم في الحقيقة غير ذلك .

إن أسلوب التسلط هذا لا تتوقف نتائجه في مرحلة الطفولة فحسب، بل تمتد في بعض الحالات إلى المراحل العمرية اللاحقة، فهناك الكثير من الأطفال عندما يصلون إلى مرحلة التكليف الشرعي، تصبح الصلاة حمل ثقيل عليهم ، وهناك ممن يتركها نهائيا. فقد تكون القيم التي تنقل إلى الناشئة قيما عالية وراقية ولكن إن لم تنقل بأساليب تربوية صحيحة فإن هذه القيم قد يكتسبها الناشئة بطريقة عكسية.

إن ما يلاحظ على الأساليب التربوية التي كانت تمارس على المبحوثات محل الدراسة في أسرهن هو طغيان أساليب التسلط ولا سيما من طرف الآباء، بالإضافة إلى شيوع أساليب العقاب ولاسيما الضرب، لدرجة هناك من المبحوثات من لا تصدق بعدم تعرض أي فرد في طفولته للضرب في أسرته⁽¹⁾

إن الكثير من المبحوثات يصفن آبائهن بالقسوة والتسلط، والصرامة المبالغ فيها، هذا ناهيك عن عدم وجود الاتصال والحوار بين الآباء والأبناء، مما يجعل العلاقة بينهم (بين الآباء والأبناء) مبنية على الخوف أكثر من الحب والاحترام، فالكثير من المبحوثات يصرحن بأنهن يخفن من آبائهن⁽²⁾ وفي هذا الصدد يقول الدكتور الداعية: محمد راتب النابلسي: كل أب في الأسرة العربية محترم، ولكن كل أب ليس محبوب"

¹ - ، يكذب عليك الي قلك تربينا بلا منظرىوا، قاع كلينا الشنقلة وتقاييسنا، قاع كلينا المطرق ...

² - باه(أبي) يضرنا ، أنا كنت نخاف منوا.

وفي بعض الأحيان تجد بعض الأسر تجمع بين جميع الأساليب، حيث يصل في بعض الحالات إلى حد الاعتماد على أساليب تربية متناقضة، فتجد القسوة والتسلط والخوف والعنف والحوار والتدليل، والإهمال.. والخ

إن ما يلاحظ على الأساليب المعتمدة في أسر المبحوثات غياب أسلوب الحب والحنان في التربية، فمعظم الآباء قاسين مع آبائهم، ومعظم الأمهات كذلك، فبالرغم من أن الأم تعرف بحنانها وعاطفتها الغريزية، إلا أن الظروف القاسية التي يعيشهن مع أزواجهن¹، ومنهن من ضاقت الويل مرتين عند والديها وعند زوجها(الأسرة15)²، كل هذه الظروف تنتج أم حزينة وقاسية و تحوّر عاطفتها وتصيرها قاسية ولاسيما مع أولادها، الأسر: (6 ، 9 ، 12 ، 13 ، 15³ ، 17 ، 20) فحسب تصريح المبحوثات في هذه الأسر أن أمهاتهن لم يشبعن حنان وعاطفة ، إلا أنهن يجدن تفسيراً لذلك، فحسب رأيهن أن الظروف القاسية التي يعيشنها أمهاتهن مع آبائهن والعنف الذي يمارس عليهن من طرفهن هو الذي فقدهن عاطفة الأمومة، وهن لم يكن يلتمسن لهن الأعدار ويتفهمنهن إلا بعد زواجهن⁴.

ومن الأمهات من يصبحن قاسيات بسبب ضغوطات الحياة كتحمل مسؤولية إعالة الأولاد وذلك عند وفاة الأب أو بسبب الطلاق، وهو ما صرحت به أحد المبحوثات في الأسرة 13⁵ ، أن أمها أصبحت قاسية وعصبية وتضربهم كثيرا بعد وفاة الأب وتحمل الأم الكثير من أعباء الأسرة المادية والمعنوية منها ، بالإضافة إلى الضغوطات التي تمارس عليها من طرف المجتمع ولاسيما من طرف الأهل والأقارب، سواء أقارب الزوج أو أقاربها هي.

¹ - ماه ..ماه نغبت بزاف بصح صيرت علينا بزاف ، كان يضربها ..الضرب فيها فيها .

² - قتلك الأم انتاعي ... ، معششش في ظروف عادية لا في دارهم ولا في زواجها .

³ --...بصح من بعد كي كبرنا وليت حسنت عونها .

⁴ - اشويه كانت تربينا بقسوة كنا نحسوا بلي الحنان مكانش الأم انتاعنا كانت صارمة ، من جهة تربت بتيمة ، حتى تكبرت أنا وكسع استوعبت هاذوا الصوالح ..تعدت نراجع في هاذوا الصوالح علاه كانت الام انتاعي هكذا وكانت المعاملة انتعها هكذا ، الأم انتاعي قتلك ماتت الام انتاعها زدت تزوجت مع باه عاشت مع جداتي كانت عجوزة صارمة ..الأب انتاعي شغل ولا يدير النساء، هذي الظروف كشغل أثرت على حياتها .

⁵ - أيا شغل اماه مسكينة ملي توفي الوالد ولات في الضغط مولاتش حنينة معانا بزاف ولات تضربنا ، بصح متبعيش علينا في نفس الوقت .

إن ما يميز أيضا التنشئة الاجتماعية الأولية للمبحوثات، هو غياب العدل بين الأولاد، ولا سيما بين الذكور والإناث... فالكثير من الأسر كانت تفضل الذكر على الأنثى في كثير من المواقف التربوية المادية منها والمعنوية، وهو ما صرحت به بعض المبحوثات في الأسر (6. 12. 13. 19. 20)، أن والديهم كانوا يميزون بينهم وبين إخوتهم، سواء من ناحية العاطفة، أو من ناحية الأشياء المادية، كإعطائهم الأولية في تعليمهم وحرصهم على نجاحهم مقارنة بالإناث.

إن التمييز بين الذكر والأنثى هي عادة من عادات الجاهلية، والإسلام حاربها محاربة شديدة، وبالرغم من ذلك إلا أنها مازلت تمارس في معظم الأسر العربية إلى يومنا هذا. إن التمييز بين الأولاد سواء من الناحية العاطفية أو المادية له انعكاسات سلبية بين الإخوة، ومن بين هذه الانعكاسات، زرع الكراهية والبغض بينهم، وهو ما صرحت به بعض المبحوثات في الأسر (12 ، 20 . وعلى العكس من ذلك فإن العدل بينهم يزرع في نفوسهم المحبة والرحمة والتكافل (الأسرة 10 ، 13)

وما يلفت الانتباه أكثر أن هذه الأساليب معتمدة حتى من طرف بعض الأسر -والتي لا تمثل عينة البحث - والتي تحرص على تعليم أبنائها القيم الإسلامية، أي تعتمد على مرجعية إسلامية، فهي من ناحية الأساليب بعيدة كل البعد عن المرجعية الإسلامية، فهناك عنف وتسلط وقسوة في هذه الأسر عند حرصهم مثلا على صلاة أبنائهم وحفظهم للقرآن، حتى منع الفتيات من التعليم، وتزويجهم بالرغم من عدم رضاهم، كما هو الحال في الأسرة (1)

هذا كذلك ما لاحظناه من تصريح المبحوثات أن معظم أسرهن كانت تخلوا من القدوة لا سيما في ما يخص ممارسة الصلاة والذكر وقراءة القرآن وغيرها، فمعظمهن صرحن بأن والديهن لم يكن يصلين، ولا يقرأون القرآن ولا يتدارسون السنة النبوية، ولا أي شيء من هذا

القبيل. هذا بالإضافة إلى أن أبائهن لم يكن على استقامة فمعظم كانوا يربطون علاقات محرمة مع النساء ويشربون الخمر، الأسر (6 . 9 . 10 . 15 . 17)
وفي الأخير يمكن القول أن مرجعية أساليب التنشئة الاجتماعية التي مورست على المبحوثات ليست في غالبها إسلامية، بل هي مرجعية تخضع لعادات وتقاليد المجتمع العربي بصفة عامة والجزائري بصفة خاصة، كأسلوب: التسلط، القسوة، وغياب الحوار، والضرب ، وأسلوب التخويف، والتمييز بين الذكر والأنثى ... وغيرها.

ثالثا: أهداف التنشئة الأولية للمبحوثات

إن ما يلاحظ على هذه التنشئة أنها تكاد تكون مفرغة من الأهداف، وإنما كانت تخضع للتقائية والعشوائية وحتى وإن كانت هناك أهداف فهي في جلها أهداف دنيوية ضيقة لا تخرج عن التركيز عن الجانب الحيواني في الإنسان من أكل وشرب ونوم وتزواج ، وهو ما صرحت به المبحوثات في الأسر (19¹، 10²)
حتى في نقل بعض القيم والتي هي ذات مرجعية إسلامية، إلا أن أهدافها ليست إسلامية، وإنما هي تحقيقا لأهداف مجتمعية أي أهداف تتماشى مع العادات والتقاليد، فالتأكيد مثلا على قيمة النظافة وهي قيمة إسلامية الهدف منه ليس تطبيقا لحكم شرعي، وإنما الهدف منها هو الخوف من المجتمع ومن كلام الناس..الخ.

كذلك الصلاة، كقيمة إسلامية، استغلت لتحقيق أهداف اجتماعية، فمثلا في الأسرة 13، وحسب تصريح المبحوثة أن أمها كانت تحرص على ترسيخ الصلاة في أطفالها الذكور أكثر من الإناث وذلك حسبها لحمايتهم من الوسط الخارجي، أي من الوسط المنحرف³،

¹ - : إمام مكائش عندها هدف ..نأكلو ونشربو ونكونو مستورين في دارنا هذا هو الهدف انتاعها لأولادها

² - الهدف انتاعها كانت نقلنا تشهرنا وتزوجنا ونقلنا نقبضلكم دياركم. ندبرلكم دياركم خير.

³ - إماما كانت نقلنا على الصلاة خصوصا خاوتي الشائرة هي في طوع باش ميروحولهاش لهذيك الطريق فهمتي

صحيح أن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر، ولكن الإسلام عندما فرضها ليس لهذا هدف فقط وإنما لأهداف أخرى.

ومن بعض القيم كذلك التي كانت في جوهرها ذات مرجعية إسلامية لكن الهدف من نقلها للناشئة لم يكن إسلامي، قيمة الصدق، فترسيخ هذه القيمة مثلا عند بعض المبحوثات، هدفه ليس تربيتهم على هذه القيمة الإسلامية التي أوصى بها الشرع، وإنما تحقيقا لغاية أخرى وهي اطمئنان الأم على عدم كذب بناتها عليها إذا ما تعرضن إلى أمور تمس شرفهن، هذا الهدف الذي اكتشفه المبحوثة لاحقا، أي بعد ما كبرت، وذلك من خلال تصريحاتها¹

إن الحفاظ على شرف الأسرة ومن خلال بناتها يبقى الهدف الأول والأخير لكل أسر المبحوثات، فثقافة المجتمع تعفي الذكر من هذه المهمة وهي الحفاظ على شرف العائلة ولكن تحملها للأنثى، فبالرغم من أن أغلبية آباء المبحوثات وحسب تصريحاتهن أنهم كانوا يربطون علاقات مع النساء خارج إطار الزواج إلا أن شرف العائلة لا يدنس بسلوكهم هذا، لأن المجتمع يبيح لهم ذلك ما لا يبيح لغيرهم من الجنس الآخر .

إن ما يلفت الانتباه، -وهو حسب رأينا تتناقض صارخ- أن هؤلاء الرجال (أزوار النساء) أكثر خوفا وحرصا على هذه المسألة ولهذا تجدهم يمنعون بناتهم من الخروج إلا لضرورة وحتى من مزاولة الدراسة. الأسر (9 ، 10 ، 15 ، 17 ...).

كذلك من المبحوثات من صرحت بأن أمها كان هدفها هو نجاحنا في المدرسة²، وحلمها هو تحصلنا على مكانة اجتماعية مرموقة.

¹ - كانت تضررنا منين نكذبوا عليها ، أنا شحال من مرة كنت كنفلها حاجة وتصيبيني كذبت عليها تضررني ثقلي متكذبيش عليا هي على حساب مفهوماتي أنا كي كبرت وفهمتها هي ثقلك زعمى كنتكذي عليا غدوة كنتكيري واديري حاجة انتاع كرش (الحمل غير شرعي)...ولا...

² - احنا ماما بغانتنا نقرأو، لضررك قبل متمررض ديما ثقلنا أنا بغيتكم نقرأو ، بغيت تخرجولي حاجة ومخرجتوليش .

إن الكثير من الأمهات وخاصة أولئك اللاتي يعشن حالات من الغبن والمعاناة مع أزواجهن يتمنين أن هذا النوع من الحياة لا يتكرر مع بناتهن ولهذا تجدهن يرون أن أفضل حل هو تفوقهن في الدراسة وتحررهن من سلطة الرجل.

وفي الأخير وبالرغم من أن معظم أسر المبحوثات لم تكن لديهم أهداف إسلامية واضحة من وراء تربيتهم لأولادهم، إلا أننا لاحظنا أسرة كان لديها أهداف إسلامية، وهي الأسرة (1)، وهو هدف يتعلق بالعلاقات الاجتماعية وبالتحديد بصلة الرحم، حيث أن الوالدين يصلون من قطعهم وذلك من منطلق مخافة الله وليس من منطلق آخر¹

رابعاً: العلاقة بين والدي المبحوثات وأثرها على تنشئتهن

إن ما يميّز هذه العلاقة هي عدم اعتمادها على مرجعية إسلامية وتظهر مؤشرات هذا في موقفين أساسيين، موقف العلاقة لا تقوم على العشرة بالمعروف والمودة والرحمة كما أمر الشرع الإسلامي، وإنما تقوم على القسوة والتسلط، والاحتقار من طرف الأب على الأم، وهي حالات تكاد تتكرر في معظم أسر المبحوثات(2⁶، 9، 10، 12³، 15⁴، 20، 17). حتى أن منهن من تحمل أبيها مسؤولية موت أمها⁵

¹ - واه روحوا نزورو لفامي، هو لحد الآن هكذا... شفتي كايين مشاكل من الأقارب وقاع.. يقلك منديرش عليهم... أنا عندي بابا هاك... يقلك أنا نحوس الغادي.. هو مي جيش عندي، أجي ماما تقلك منديرش كيفهم.. بجر عليهم، خليههم... الموت عندي، شا رايجين ندو معانا كيما هكا حتى تقاودني ومن بعد تديني معاها، هما من ناحية انتاع هذي... ميحوسوش. الحقد معندناش احنا.

² - امه تريات مغبونة ماشي من جبهة والديها تريات مغبونة مع باه... عاشت حياة قاسية شويه معاه. كان يضريها بزاف، يقهرها بزاف... وسيرتوا كيتزعف ماه، كيتزعف ماه بزاف بزاف، يضريها، بلا ميسقسيسها، قاتلك انهار يجي عند الباب= ويقلقها كي عيشيتي ماه ومتردش عليه، قاتلك ذاك النهار اليوم ندي لهرارة. كيصيب امه مقتلوش صباح الخير يسموها ندي لهرارة.

³ - شوفي نعقل انا بابا كيكان يضرب يضرب امنا قدامنا باش مجات بونك (طابوري) مسكينة نعقل خطرة ضربها بنك ماشي انتاع بلاستيك كيما ضك انتاع بلاستيك انتاع اللوح والله مسكينة ضربها (و تشير إلى رأسها) شقلها راسها منا، يضرب... يضرب بابا... يضرب

⁴ - ماه مرضت مرضت بزاف وحتى المشاكل أثروا عليها نفسيا وصحيا دمرت شغل، كان باه (الأب) شويه مكانش مهتم بيها قع، كان عايش في وحد العالم. كان يجرحها كان كيشغل يحقرها وهذيك المشاكل أثرت أثرت فينا بزاف، مام هي عائلتها ميقيمهمش وهذاك الجانب كان ضارها.

⁵ - ... الحية الي كتلتها مدايزة هي وياه.. ذوك العفسات انتاوعه كان ملي يخلص ميعطيهملاش قاع يروح يدخل على النساء هاكي تشوفي قلبه في الدنيا

وأيضاً المؤشر الثاني، هو أن مسؤولية التربية كانت الأم من يتحمل عبأها والأب (أسرة¹ لا يقوم بأي دور، وإن كان له دور، فهو دور ثانوي، أو يقوم عندما يتعلق الأمر بالعقاب إلا في حالة واحدة في الأسرة (4) ، أين صرحت المبحوثة بأن والديها كانوا يشتركون في تربيتهم، بالرغم من أنهما كانا منفصلين فكانوا دائماً يلتقيان لمناقشة هذا الأمر، وكانوا يتفقان على مبدأ واحد في التربية، وهنا قد يكون متغير المستوى الثقافي والعلمي سبب في هذا، وهو المتغير الذي هو مفقود في باقي الأسر الأخرى.

كذلك هناك حالة أخرى حالة شاذة، أين الأب هو من يقوم بعملية التربية في حين أن الأم لها دورها ثانوي²، وفي هذه الأسرة العلاقة بين الوالدين علاقة مستقرة، وقد يفسر هذا لأن الأب له مرجعية إسلامية في معظم علاقاته القرابية وفي علاقته الزوجية، وحتى في القيم التي ينقلها لأولاده ماعدا الأسلوب الذي يعتمد في نقل هذه القيم ، فيه بعض الأساليب ليست إسلامية المرجع، بحيث فيها نوع من التسلط. وقد يفسر هذا لكون أن هذا الأب من خوفه على تفلت أبنائه فهو يمارس عليهم نوع من القسوة والعنف، أو لأنه هو مورس عليه العنف في طفولته.

وفي حالة أخرى، وبالرغم من أن الوالدين منفصلين حسب تصريح المبحوثة، إلا أنهما يشرفان على تربية أبنائهما، كما أنهما يتفقان على أغلبية القيم والأساليب التربوية³ إن مستوى وعي الوالدين في هذه الأسرة يمكن أن نفسره بمتغير المستوى العلمي والثقافي للوالدين، حيث أن والدي المبحوثة كانا طبيبان، أي لديهما مستوى من الوعي الذي يجعلهم يعون أهمية التربية.

¹ اماه بارك ، بابانا كان لاهي غير بروحو .

² - ماما متحوش اعليك صليتي ولا مصليتيش معندها حاجة... ماما اطيب وتقضي وقايمة بينا وقاع ... بصح باه هذوا النصائح ولوخر .. كان الأب كثرة هو الي واقف .

³ - الأب انتاعنا كان هو و ماما كيف كيف كانوا متافقين على التربية انتاعنا، مكانش سباري علينا الويكاند عندنا لي جور د يسومان عندنا .. هو يجي والويكاند يجي بدينا ... كان موفرنا كلشي منحوش خلاص بلي والدينا مطلقين... أنا الآن متزوجة ويجي لعندي .

خامسا: جهل والدي المبحوثات بتعاليم الإسلام وأثره في تنشئتهن

يتحكم متغير جهل الوالدين لأحكام الشريعة في كثير من تصرفات وسلوكات والدي المبحوثات، وهذا ما التمسناه من خلال تصريحاتهن، فنحن لم نجري مقابلات مباشرة مع والدي المبحوثات، ولكن من خلال تصريحات بناتهن محل الدراسة، تبيّن لنا أن والدي معظمهن ليس لديهم مستوى علمي ولا ثقافي، ولا أدنى ثقافة إسلامية، ويرجع السبب حسب بعض المبحوثات إلى أن تلك الفترة، وهي فترة طفولة المبحوثات والتي تتحصر أغليبتها ما بين الستينات حتى الثمانينات، في هذه الفترة لم يكن الدين منتشر بين عامة الناس كما هو في الوقت الحالي^(16، 7، 15²)

كما أن الكثير من الأسر آنذاك لم يكن الدين أولوية بالنسبة إليهم، وهو ما صرحت به أحد المبحوثات في الأسرة رقم 37، عندما سألتها عن السن الذي ارتدت فيها الحجاب والسن الذي بدأت فيه الصلاة.

سادسا: تأثير التنشئة الأولية للمبحوثات على تربية أبنائهن

من خلال ما تقدم يمكن القول أن التنشئة الاجتماعية الأولية للمبحوثات لم تكن تعتمد في معظمها على المرجعية الإسلامية وذلك سواء على مستوى القيم أو الأسلوب أو حتى الأهداف، ولهذا فإن الكثير منهن اكتسبن في طفولتهن بعض القيم الإسلامية خارج النسق الأسري أي من مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأخرى ولا سيما المسجد والمدرسة.

وبما أن مرحلة الطفولة حسب علماء النفس والتربية والاجتماع، هي المرحلة التي تتشكل فيها القيم والاتجاهات وطرق التفكير، أي هي المرحلة التي تبنى فيها شخصية الفرد، فإن هذه المرحلة أثرت أيما تأثير على شخصيتهن وبالتالي على أسلوبهن في ممارسة التنشئة

¹ - الحرام احنا حتى هنا هنايا باه عادوا يعرفوا الحرام.

² - في ذلك الوقت الحقيقة كان شويه الجهل مكنوش يهتموا بالصلاة ، بصح مكنتش عندهم هذيك الثقافة بش يقلك غادي تتحاسب ربي فرض علينا هذا جاهلين ..معدوش صورة ولا آية يقلك ربي فرض علينا هذي ولا... بصح كان وقت زعمى فع الناس كيف كيف

³ - يعني مكنوش يقولونا على الدين مكنوش يهتموا بكري بالدين ماشي كيم

الاجتماعية على أطفالهن، سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وهو ما صرحت به الكثير من المبحوثات (الأسر: 15 ، 12 ، 20 ، 9 ..)، ومما صرحن به أيضا أن الكثير منهن غير راضيات على التنشئة الاجتماعية التي مورست عليهن من طرف والديهن، ولا سيما الطريقة والأسلوب المعتمد في هذه التنشئة، فالكثير منهن ساخطات على العنف والقسوة وغياب الحوار الذي مورس عليهن. في حين هناك من هي راضية على تنشئة والديها لها وهي تريد إعادة إنتاج نفس التنشئة، وذلك عن قناعة، وهنا يمكن ملاحظة أن المبحوثة (أسرة 3) لا تركز على المرجعية الإسلامية بقدر تركيزها على مرجعية أمها. فالمرجعية هنا اقتترنت بالشخص وليس بالقيم التي يمثلها هذا الشخص..

إن ما لفت انتباهنا في أجوبة المبحوثات في ما يخص هذا الموضوع هو تأسف الكثير منهن على الظروف القاسية المادية منها والمعنوية التي عرفنها في طفولتهن ، لكن ولا واحدة منهن تأسفت على كون والديها لم ينشئنها تنشئة إسلامية، وقد يفهم من هذا أن الدين لم يكن يعتبر أولوية في حياة الأفراد ولا زال كذلك، بالرغم من انتشار بعض مظاهره وصوره. هذا بالإضافة إلى أن مفهوم التربية هند هؤلاء ينحصر في الرعاية الجسمية والنفسية ولا يتعداهما

وفي الأخير يمكن القول مما تقدم أن التنشئة الأولية للمبحوثات تتحكم بشكل كبير في طبيعة التنشئة الاجتماعية التي يمارسها على أطفالهن وفي المرجعية التي يستقون وينهلون منها قيمها وأساليبها وأهدافها، فمعظمهن لم يتلقين تنشئة دينية في أسرهن الأصلية، بل والأكثر من هذا أن الدين لم يكن أولوية في أسرهن، كما أن من خصائص هذه التنشئة أنها كانت تخضع للعشوائية والتلقائية.

فمن ناحية القيم فمعظمها ليست قيم إسلامية، وإنما هي قيم تعود مرجعيتها للمجتمع أكثر من الدين، كالخوف من العار ، وكلام الناس أكثر من الخوف من الحرام وغضب الله، وبالتالي ترسيخ ثقافة العيب بدلا من ترسيخ ثقافة الحرام.

أما الأهداف فهي الأخرى ذات مرجعية اجتماعية في معظمها، ولا تمت بصلة إلى المرجعية الإسلامية إلا في حالات نادرة، وهذا ينسحب كذلك على أسلوب التنشئة الاجتماعية الذي مورس عليهن في أسرهن، وهذا ما صرحت به الكثير من المبحوثات بأنهن لم يستطعن التخلص من ماضيهن، وأن تنشئتهن الأولية تمارس عليهن نوعا من الإكراه والقهر، فهم يتصرفون وفقها سواء بطريقة شعورية أو لا شعورية، فالقسوة مع الأولاد.... (20، 6، 12، 15، 9، أسرة 1، 3، 4 ..) حتى وفي بعض الحالات المبحوثات أصبحن لديهن وعي وأصبحت لديهن بعض الثقافة الإسلامية، كما أنهن يمتلكن نية تطبيق هذا في التنشئة الاجتماعية التي يمارسونها على أولادهن إلا أنهم لا يوفقون في كثير من الحالات.

فالأم التي نشأت في أسرة لا تعطي قيمة للصلاة ولا للذكر ولا لقراءة القرآن... وغيرها ليس من السهل عليها أن تعطي أهمية لهذه القيم حتى وإن أرادت ، وهو ما التمسناه في أجوبة الكثير من المبحوثات وفي بعض الأحيان يكون تأثير عكسي، بمعنى أن تنشأ المبحوثة في أسرة تكون أسرتها لا تعطي أهمية للقيم الدينية لتنشئة أطفالها ، إلا أنها عندما تتزوج وتكون أسرة نجدها على النقيض من ذلك تحرس على تربية أولادها تربية إسلامية، وهو ما التمسناه عند بعض الأمهات، فمثلا الأم في الأسرة (8) ، فمن خلال تصريحاتها فهمنا بأنها تحرص على تربية أولادها تربية إسلامية، ويمكن تفسير هذا بالكثير من المتغيرات ، وأهمها في هذه الأسرة أن الأب رجل متدين تربي على القيم الدينية حيث كان أبوه إمام ، وهو بالنسبة له الدين أولوية في الحياة، ويحرص كل الحرص على تنشئة أطفاله

على المبادئ الإسلامية، هنا الزوج غير مرجعية الأم وقناعاتها، ونفس الشيء نجده عند الأسرة رقم (13)، التي صرحت فيها الأم بأنها أمية، -رغم صغر سنها- وأنها تجهل الكثير من أحكام الدين إلا أن زوجها الذي هو أيضا متدين، وملتزم بأحكام الشريعة حاول تعليم زوجته الكثير من أمور الدين، وحاول في كل مرة تصحيح الأخطاء التي ترتكبهم في أساليبها التربوية مع أبنائه، ولكن الذي اكتشفناه عند هذه الأم أنها تمتلك الفطرة السليمة، بمعنى أنها لها قابلية وحب لتعلم أمور الدين، بفطرتها وليس بعلمها، ولهذا رغم أميتها إلا أنها تحرص على تنشئة أولادها تنشئة اجتماعية إسلامية.

وفي الأخير يمكن تأكيد الفرضية القائلة بأن تنشئة الأم لأطفالها تتأثر بطريقة أو بأخرى بتنشئتها الأولية وبظروف طفولتها، وهذا يؤثر في المرجعية التي تعتمدها، سواء بوعي أو بدون وعي وهو ما أكدته دراستنا . وهو ما سوف نكتشفه في الفصل الذي يليه.

خلاصة الفصل

تناول هذا الفصل بالدراسة والتحليل التنشئة الأولية للمبحوثات، وتأثيرها على مرجعية التنشئة الاجتماعية التي يمارسها على أطفالهن. وقد تم هذا من خلال الرجوع بالمبحوثات إلى مرحلة طفولتهن، والوقوف من خلال تصريحاتهن على طبيعة التنشئة الاجتماعية التي مورست عليهن من قبل آبائهن، من حيث قيمها وأساليبها وأهدافها، ولاسيما في علاقتها بالمرجعية الإسلامية، ومن حيث الظروف التي طبعتها ولاسيما العائلية منها كالتعرف على طبيعة العلاقة بين والدي المبحوثات، وعن مستوى ثقافتهم الدينية.

ومن خلال هذا التحليل وربط المتغيرات بعضها ببعض، اكتشفنا أن طبيعة التنشئة الأولية للمبحوثات كانت أقرب إلى العادات والتقاليد منها إلى الدين الإسلامي، وذلك سواء على مستوى القيم أو الأساليب والأهداف، حيث نشأت معظم المبحوثات في أسر لا تقوم العلاقة الزوجية فيها على المبادئ الإسلامية، ناهيك عن التنشئة الاجتماعية، وما كان يطبع هذه التنشئة هو العنف وانعدام ثقافة التواصل والحوار داخل النسق الأسري. وقد كان لهذا الأمر عظيم الأثر على شخصيتهن ومن ثم على تنشئتهن لأطفالهن.

الفصل التاسع: التنشئة الاجتماعية في الأسر المبحوثة والمرجعية الإسلامية

أولاً: طبيعة القيم التي تنقلها الأسر لأطفالها والمرجعية الإسلامية

ثانياً: أساليب التنشئة الاجتماعية وعلاقتها بالمرجعية الإسلامية

ثالثاً: أهداف التنشئة الاجتماعية وعلاقتها بالمرجعية الإسلامية

- خلاصة الفصل

تمهيد

إذا كان الذي يهتم الدارس عند تناوله بالبحث التنشئة الاجتماعية، هو الكيفية التي تتم بها عملية الارتقاء بالفرد من المستوى الطبيعي إلى المستوى الاجتماعي، وكان يهتمه أيضا الوسائل والآليات المستخدمة لبلوغ هذا الهدف، فإن الذي يهتمه خصوصا هو القيم الثقافية التي تسخر هذه الوسائل وتتبنى هذه الطرق والأساليب من أجل بلوغها. لذلك فإننا خصصنا هذا الفصل لمعرفة القيم التي يتم نقلها من قبل الأسر المبحوثة عند ممارستها التنشئة الاجتماعية وهل هي قيم تمت بصلة على المرجعية الإسلامية أم لا. وهذه القيم لا تزيد عن كونها ثلاثة أنواع: قيم تنظم علاقة الفرد بربه، وقيم تنظم علاقة الفرد بغيره وقيم تنظم علاقة الفرد بالآخرين كما سيرد في الفقرات التالية.

أولا : طبيعة القيم التي تنقلها الأسر لأطفالها والمرجعية الإسلامية

لقد كان لظهور الإسلام تأثيرا كبيرا ، ليس فقط على العرب ولكن على جميع البشرية ممن ارتضوه ديناً، وقد كان من نتائج هذا التأثير تغيير قيم الأخلاق والأشياء حيث وصل بهذا التأثير لأن ارتفعت قيم وانخفضت أخرى" وظهرت قيم أخرى جديدة، "وبهذا يكون الله هو مصدر الأخلاق والمثل العليا حسب مفكري الإسلام.⁽¹⁾

إن الإيمان بالمرجعية الإلهية للقيم، لا نجده عند المسلمين فقط، وإنما نجده حتى عند أولئك المفكرين غير المسلمين ، أمثال الفيلسوف الكاثوليكي الفرنسي "جاك ماريتان Jacques Maritain (1882-1973) ، الذي يقول : "... إن أي مجتمع بشري يحتاج

¹ -أنظر: صلاح الدين بسبوني رسلان، القيم في الإسلام (بين الذاتية والموضوعية)، القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، دط، 1990 ، ص 128

إلى مجموعة من القيم ذات المصدر الإلهي الذي يعلو على الإنسان، أي أن مصدر القيم لا يجوز أن يرجع إلى الإنسان نفسه، وإلا فإنه سوف يكون طرفا وقاضيا في نفس الوقت⁽¹⁾ وفي نفس الاتجاه يقول "ديكارت"، أن الله هو الصادق الذي يمنح للحقيقة معناها ويجعل البحث عنها مشروعاً...ولهذا فإننا إذا أنكرنا وجوده وتملكننا اليأس صار يظهر لنا أن التوهم يسود كل ميادين الحياة⁽²⁾.

1 - مفهوم القيم في المرجعية الإسلامية

أ - مفهوم القيم في اللغة العربية⁽³⁾:

جاء لفظ "قيمة" في قاموس "المُنجد في اللغة العربية المعاصرة"، بدلالات ومعاني مختلفة، وهي كالتالي:

قيمة: جمع "قيم": سعر ، ثمن ، "قيمة بضاعة".

قيّم: ثمين، ذو قيمة عالية . "مؤلفات قيمة"

قيّم: من يقوم بشؤون الناس.

علم القيم: علم يشمل القيم، وبوجه خاص القيم الأخلاقية

ب - مفهوم القيم الإسلامية اصطلاحاً

"تعتبر القيمة في الإسلام عن قيمة الأفعال والسلوك، التي يقوم بها الراشدين وبيتون من ورائها تحقيق أهدافا. وقد جاءت دلالات هذه اللفظة في القرآن بعبارة "الخير" تارة ، ولفظ "القيمة" تارة أخرى، وهو ما تؤكد بعض آيات الكتاب العزيز، فقد أستخدم مفهوم "الخير" فيه في مجالات عدة ، ك مجال الحكمة والمعرفة ، كما يظهر في قوله تعالى: " ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الأبواب" (البقرة 229)، ومعروف أن

¹ - بن منصور اليمين، دور القيم الدينية في التنمية الاجتماعية(دراسة ميدانية لمجتمع المزابيين المقيمين بمدينة باتنة)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، جامعة الحاج لخضر، باتنة-الجزائر-، قسم علم الاجتماع والديمقراطية، 2010/2009 ، ص 21 .

² - المرجع نفسه ، ص 22 .

³ - المنجد في اللغة العربية المعاصرة ، بيروت: دار المشرق، ط3 ، 2008 ص 1198.

الحكمة هي العمل بمقتضى العلم وسداد التفكير فهي بذلك تجمع بين القيمة الفكرية والعملية، ومن المجالات الأخرى التي ورد فيها هذا المفهوم "الخير"، والذي أخرجت عنه الآيات القرآنية: العقيدة⁽¹⁾، الإنفاق والمساعدة⁽²⁾، الصلاح⁽³⁾، التقوى⁽⁴⁾، الشخصية الإنسانية⁽⁵⁾، رضوان الله.⁽⁶⁾

أما في لفظ "القيمة" فقد استعملت هي الأخرى في مجالات عدّة في العبادة، ومنه قوله تعالى في سورة يوسف (40): "أمر أن لا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم"، وفي مجال الأحكام والقضاء⁽⁷⁾، وفي مجال هداية الناس بالكتاب الكريم⁽⁸⁾، وفي وصف الإسلام كدين⁽⁹⁾، وفي مجال وصف الإنسان بالطريق المستقيم⁽¹⁰⁾.

وهكذا تكون استخدامات القرآن الكريم للفظ "قيمة"، ذات دلالات ومعاني تتصل بمبادئ وأحكام هدفها هداية الناس وترشيدهم في حياتهم، ومن خصائصها أنها ليست من وضع البشر كما أنها لا تختلف وتتغير من جماعة إلى أخرى، بل هي تصلح لكل البشر مهما اختلفت مجالاتهم وميادينهم." ⁽¹¹⁾

فالإسلام لم يضع قيما خاصة بطبقة معينة، وأخرى خاصة بطبقة أخرى، كل الطبقات يخضعون لنفس النظام القيمي، وهذه هي أهم خاصية تميّز القيم الإسلامية التي مصدرها الله، عن تلك التي مصدرها البشر.

1 - القرآن الكريم، آل عمران ، 111.

2 - القرآن الكريم البقرة، 282 .

3 - القرآن الكريم الحج: 30

4 - القرآن الكريم الأعراف 62 .

5 - القرآن الكريم القصص 26 .

6 القرآن الكريم -التوبة 109 .

7 - القرآن الكريم البينة، 3 .

8 - القرآن الكريم الكهف، 1 ، 2 .

9 - القرآن الكريم الروم 30 . 43.

10 - القرآن الكريم الأنعام، 43 .

11 - أنظر: عبد الله محمد أحمد حريري، القيم في القصص القرآني الكريم، رسالة دكتوراه الفلسفة في التربية -تخصص تربية إسلامية-، تحت

إشراف الأستاذ الدكتور: إبراهيم عصمت مطاوع، مصر: جامعة طنطا، كلية التربية، 1988. أطروحة حو القيم في القرآن ص52 ، 53

" فكاتنا الكلمتين "الخير"، و"القيمة" استعملتا في القرآن الكريم لوصف الخصال والأفعال الحميدة التي تعتبر بمثابة قاعدة تربوية ينطلق منها الأفراد والمجتمعات إذا ما أرادت تحقيق السعادة في الدارين"⁽¹⁾

ومنهم من يعرف "القيم الإسلامية على أنها مجموعة المعايير والأحكام النابعة من تصورات أساسية عن الكون والحياة والإنسان والإله، كما يصورها الإسلام، وتتكون لدى الفرد والمجتمع من خلال التفاعل مع المواقف والخبرات الحياتية المختلفة، بحيث تمكنه من اختيار أهداف وتوجهها لحياته تتفق مع إمكانياته، وتتجسد من خلال الاهتمامات أو السلوك العملي بطريقة مباشرة وغير مباشرة.

وتعرف أيضا : أنها حكم يصدره الإنسان على شيء ما مهتديا بمجموعة من المبادئ والمعايير التي ارتضاها الشرع محددًا المرغوب فيه والمرغوب عنه⁽²⁾ من خلال ما تقدم، يمكن تقديم تعريفنا الإجرائي للقيم، وهو تعريف لا يخرج عن إطار التعاريف السابقة.

ج - التعريف الإجرائي للقيم

إن الحديث عن قيم إسلامية يعني الحديث عن قيم تستلهم موضوعاتها من الدين الإسلامي كتلك التي أكد عليها، والأخرى التي نبذها ونهى عنها، والبعض الآخر المسكوت عنه، والمتأمل في القرآن الكريم يجد أن هذا الكتاب العظيم يأخذ نظام القيم فيه حصة الأسد فمعظم آياته تدور حول موضوع القيم، سواء كانت على شكل آيات قصصية أو آيات تقريرية .

¹ - نفس المرجع، نفس الصفحة.

² - حمد أمين الحق، القيم الإسلامية في التعليم وآثارها على المجتمع، دراسات الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ، مجلد 7، 2012، ص

فالمقصود من **بالقيم** في دراستنا لا يخرج عن هذا الإطار، وهي: كل ما تلقنه وترسخه الأسر محل الدراسة لأطفالها في علاقتهم مع الله، ومع أنفسهم، ومع الآخرين، ومع المحيط، وتكون مرجعيتهم في ذلك **المرجعية الإسلامية**، والتي حددنا مفهومها في الفصول السابقة.

2 - تصنيفات القيم في المرجعية الإسلامية

أما من حيث تصنيف القيم فإنه يكاد يتفق معظم الباحثين في مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية، وبالتحديد أولئك الذين حاولوا دراسة القيم دراسة علمية، على أنه من الصعوبة بمكان تصنيف القيم، تصنيفاً شاملاً، ودقيقاً، وذلك لكثرتها وتشعبها و في نفس الوقت تداخلها مع بعضها البعض، وقد كانت هذه مثلاً، وجهة نظر كل من الباحث الأمريكي "كلاكهون"، والباحث "سورلي" sorly . غير أن هذه الصعوبة في التصنيف لا تعني استحالة، فإن اعتماد أي تصنيف أي كان خير من عدم التصنيف، كما ذهب إلى ذلك العالم "هندرسون" Henderson⁽¹⁾

إن أي تصنيف مهما كان سوف يسهل علينا عملية البحث العلمي، ويجعله أكثر دقة، ولهذا فإن أي باحث تناول موضوع القيم، نجده قام بتصنيفها بطريقة أو بأخرى، فمنهم من اعتمد على التصنيف الفلسفي، ومنهم من فضل التصنيف الاجتماعي الأنتروبولوجي.. ومنهم من صنفها انطلاقاً من طبيعة موضوع بحثه، كما قامت به الباحثة "ثريا التيجاني"، حيث قالت بأن تصنيفها للقيم كان انطلاقاً لطبيعة موضوعها⁽²⁾، وقد سلطنا نحن مسلكها في هذا الشأن. فيما أن بحثنا يمس التنشئة الاجتماعية في المرجعية الإسلامية بما فيها القيم، فإن تصنيفنا للقيم كان متأثراً بهذه المرجعية، وبالنظرة الشمولية لها، فالإنسان في

¹ -أنظر: ثريا التيجاني، القيم الاجتماعية والتلفزيون في المجتمع الجزائري، مرجع سابق، ص 68

² -نفس المرجع، نفس الصفحة.

الإسلام كل متكامل ، لا يمكن تجزيئه، وبالتالي لا يمكن تنشئته على قيم تمس جانبا من حياته، وتهمل جوانب أخرى...

ولهذا فإن بعض الفقهاء قاموا بتصنيف الأحكام الشرعية إلى فقه المعاملات وفقه العبادات، ومن هذا المنطلق الفقهي إن -صح التعبير- قمنا نحن بتصنيف القيم، حيث اعتمدنا على جزء من هذا التصنيف الفقهي، وأضفنا إليه تصنيفات أخرى، فوضعنا القيم التي تحدد علاقة الفرد مع الله (القيم الروحية)، والقيم التي تحدد علاقة الفرد مع نفسه (القيم الذاتية)، وقيم أخرى تحدد علاقة الفرد مع الآخرين (قيم اجتماعية)، وقيم تحدد علاقة الفرد مع الكون (البيئة، الحيوان، النبات)⁽¹⁾.

إن هذا التصنيف قد يشمل جميع نواحي حياة الفرد الدنيوية منها، والآخروية، وهو سوف يساعدنا بشكل كبير في الإلمام بها، إلا أن الصعوبة التي واجهتنا في هذا التصنيف هو تداخل هذه الأبعاد مع بعضها البعض وتشابكها، لدرجة يصعب تصنيفها بدقة، أي تداخل ما هو روحي، بما هو اجتماعي، بما هو نفسي، فكل بعد من هذه الأبعاد يؤثر في الآخر ويتأثر به، وبالتالي في النهاية يؤثر على الفرد وعلى تنشئته وسلوكه فهناك الكثير من القيم، مثلا تبدو على أنها قيما روحية محضة، لكننا عند البحث في العلل، والحكم من وجودها، نجد لها الكثير من الأبعاد الاجتماعية والنفسية، فمثلا الصلاة، فهي تظهر لنا أن القائم بتأديتها هو في علاقة محضة مع الله، إلا أن العلم الحديث⁽²⁾، بالإضافة إلى هذا البعد الروحي التعبدي للصلاة فهم يؤكدون على أن لها أبعاد أخرى نفسية واجتماعية... وغيرها، وذلك لما لها من فوائد للصحة النفسية والعضوية، ناهيك عن الفوائد الاجتماعية، فصلاة الجماعة مثلا، ولا سيما صلاة الجمعة، والعديد... وغيرها، فهذه

¹ لقد قمنا باختيار مجموعة فقط من القيم لكل صنف من هذه الأصناف، وذلك لاستحالة التطرق لها بأكملها.

² -أحمد خيرى العمري، كيمياء الصلاة، دمشق: دار الفكر، ط1، 2008.

الصلاة تزيد من تماسك المجتمع المسلم وتكافله ، وجمع أشتاته ... وقس على ذلك الكثير من القيم.

كذلك هناك إشكال آخر، في عملية التصنيف ، هذا الإشكال يمس القيم في حد ذاتها كمفهوم، فهناك من يرى ، أن القيم لا تطلق إلا على تلك القيم الفاضلة، أما الرذائل ، فلا يصدق عليها هذا المصطلح ، لأن القيم تطلق على كل شيء ذو قيمة ومكانة ، ومن غير الممكن القول بأن رذيلة من الرذائل لها قيمة !! ، هذا الرأي نجده عند الباحثة المذكورة أعلاه " ثريا التيجاني"، في بحثها المعنون ب: " القيم الاجتماعية والتلفزيون في المجتمع الجزائري"، حيث تقول: "... وتتميز القيمة في رأينا بالطابع الإيجابي دائما، ولا نعتبر الشيء الذي يتميز بالسلبية قيمة. ومن يتخذ الشيء السلبي بالنسبة لفرد أو جماعة أخرى كقيمة يقدرها، فهو إيجابي بالنسبة له، وقد يصل هذا التقدير حدّ التقديس . ولا نشاطر من يقول قيمة غير مرغوب فيها في المجتمع لأنها بالنسبة لنا آفة أو أي شيء آخر غير القيمة. يعني يصبح مفهومه مناقضا للقيمة في اعتقادنا.."⁽¹⁾

من جهة تفترض الباحثة أن الشيء السلبي قد يكون إيجابي للبعض سواء أفراد أو جماعة، وقد يصل حد التقديس، ومن جهة أخرى تقول بأن ما هو غير مرغوب لا يعتبر قيمة وإنما هو آفة أو شيء آخر غيرها.

ونحن في بحثنا هذا، قمنا بإطلاق مفهوم القيمة على ما هو إيجابي، وعلى ما هو سلبي، وذلك حسب رأينا أن ما هو سلبي يعتبر قيمة عند أصحابه، وما هو إيجابي قد لا يكون له أي قيمة في نظرهم، مثلا في المجتمع العربي الجاهلي هناك الكثير من القيم السلبية التي كانت ايجابية في مجتمعهم، التباهي ، التفاخر، وأد البنات ، الأخذ بالثأر، ومن كان لا يؤمن بها فهو منبوذ اجتماعيا.

¹ - ثريا التيجاني، القيم الاجتماعية والتلفزيون في المجتمع الجزائري، مرجع سابق ، ص 61-62 .

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإنه إذا رجعنا إلى أصل كلمة -قيمة- فإنه يقال في لغة العرب "ما لفلان قيمة": بمعنى ليس له ثبات، ودوام على الأمر. (1)

إذن هنا العرب لم تقصد فقط الأمر الإيجابي، وإنما تقصدهما معا بما فيه الأمور السلبية، فالفرد الذي يثبت على سلوك معين، ويستمر في ممارسته لدرجة يصبح له عادة، سواء كان سلوك يندرج ضمن الفضائل، أو يعد من الرذائل، فإن صاحبه يوصف بهذا الوصف. وقد يكون هذا هو السبب الذي جعل الكثير من الباحثين والمفكرين والعلماء يطلقون مصطلح القيم على الفضائل والرذائل في نفس الوقت.

أ - قيم منظمة لعلاقة الفرد مع الله

- العقيدة

العقيدة في اللغة: من العقد، وهو الربط والإحكام والشد بقوة. العقد نقيض الحل، يقال: عقده يعقده عقداً، ومنه عقدة اليمين والنكاح، قال الله تعالى: "لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الإيمان" (المائدة 89) .

"والعقيدة" اصطلاحاً: هي الحكم الذي لا يقبل الشكّ فيه عند معتقده.

وعرّفها بعضهم بقوله: الأمور الثابتة الجازمة التي ينعقد عليها قلب الإنسان ولا يشكّ فيها"

تعتبر العقيدة الصحيحة بمثابة الأرضية التي تبنى عليها شخصية الفرد المسلم، بحيث تجعل منه إنسان متوازن مع نفسه ومع الآخرين، "فعبادة الإنسان لغير الله تعني سلماً لحريته، وإذلالاً له وخضوعاً لمخلوق مثله، فمن ثمار التوحيد أنه يحرر العقل من الأوهام والخرافات، ويوحد جهة التوجه التي يقصدها الإنسان فيحقق بذلك الاستقرار في شخصيته، كما أنه يحقق الأمن النفسي للفرد، حيث يسد منافذ الخوف عند معرفة أن الأمر كله لله،

1 - المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مرجع سابق ص 768 .

مثل الخوف على الرزق، والأهل، والمال والولد، والخوف من الإنس والجن والموت وما بعد الموت.

ومن ثمار التوحيد أيضا اكتساب الموحد لقوة في النفس، تجعله يصبر عند الشدائد والنوازل، ومصدر هذه القوة هو الرجاء في الله والثقة به والتوكل عليه، والرضاء بقضائه، وقدره، والاستغناء به عن خلقه. (1)

إن السلوك الإنساني القويم سلوك منبعه العقيدة السليمة والتصورات الصحيحة، ومن هنا كانت قيمة التوحيد هي قمة القيم الإسلامية وأساسها جميعا، تأتي في قمة الهرم، ثم تشتق منها بقية القيم، والعقيدة الصحيحة القويمة تلزم صاحبها بأنماط سلوكية إيجابية محددة ومرغوب فيها، وتبعده عن أنماط سلوكية غير مرغوب فيها. (2)

فإذا كانت العقيدة الصحيحة عند العلماء تعني: الإيمان الجازم بالله، وما يجب له، في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، كما تتضمن الإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين وأمر الغيب وأخباره.

فإن هذه العقيدة بهذا التعريف الشامل الذي لا يقبل التجزئة، بحيث الشك بالقلب في أي جزء من أجزائها، أو التقصير في العمل يفسدها ويشوهها، يكاد يكون منعما عند الأكثرية من المبحوثات، صحيح كلهم بدون استثناء يوحدون الله في ألوهيته، ولكن ليس كلهم يوحدون الله في ربوبيته، وصفاته، فتوحيد الربوبية يقتضي الاعتقاد الجازم الذي لا يساوره أدنى شك في الله بأنه الرازق، النافع، الضار،... الخ،

¹ - أكرم رضا، في رحاب العقيدة، مصر: الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع، ط1، 2008، ص 40، 41، 42

² - عيسى عيسى بن صالح، نقل القيم في مرحلة الطفولة المبكرة (دراسة وصفية تحليلية لرياض الأطفال بالجزائر العاصمة)، الجزائر (برج البحري) : معهد المناهج، ط1، 2014 ص 49

نعم ، قد تجد عندهم هذا الاعتقاد نظرياً، ولكن عملياً غالباً ما يغيب هذا الاعتقاد، لقد تم اكتشافنا لهذا من خلال الكثير من المؤشرات بعضها يظهر في تصريحاتهم والبعض الآخر اكتشافناه بطرق غير مباشرة، من خلال بعض المواقف، أو سردهم لبعض القصص.

ومن بين المؤشرات التي تؤكد على زعزعة العقيدة عند هؤلاء هو الخوف الشديد من العين والحسد والسحر، إن تحليل هذا السلوك يجعلنا نفهم أن هؤلاء يعتقدون أولئك البشر لهم القدرة على إيذائهم، وبالتالي هنا، فهم يشركون مع الله البشر في القوة والسلطة.

ومن بين الملاحظات التي سجلناها في موضوع العقيدة أن الأسر لا ترسخ هذه القيم التي تعزز هذه العقيدة، كقيم التوكل الله والثقة به ، والصبر في السراء والضراء.. وغيرها من القيم الروحية التي تقوي علاقة الفرد بخالقه وتعززها.

– أركان الإسلام

"الإسلام هو الاستسلام لله تعالى بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله، وهو دين الله تعالى الخالد الذي ارتضاه للناس، وله إطلاقان: إطلاق عام: بمعنى عبادة الله تعالى وحده دون من سواه، وهو دين جميع الأنبياء. وإطلاق خاص: بمعنى التعبد بشريعة القرآن التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم، وهو ناسخ لما قبله.

وللإسلام خمسة أركان وهي : الشهادتان، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان وحج البيت.

1 – الشهادتان (التوحيد)

"وتعني الشهادتان، أن يشهد أن لا إله إلا الله، ومعناها: الإقرار بأن الله تعالى وحده هو المعبود بحق، وأن كل ما يعبد دونه هو الباطل.

وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، ومعناها: الإقرار بأن النبي صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبيين، وهو المتبوع في هذه الشريعة، فيطاع فيما أمر، وينتهي عما نهى عنه وزجر، ويصدق في كل ما أخبر⁽¹⁾.

وفي موضوع التوحيد يقول: الإمام "سيد قطب"، رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى في سورة البقرة "الله لا إله إلا هو..." يقول: "أن هذه الوجدانية الحاسمة الناصعة، هي التي يقوم عليها التصور الإسلامي، والتي ينبثق منها منهج الإسلام للحياة كلها. وعن هذه القاعدة تنشأ قاعدة: الحاكمية لله وحده، فيكون الله وحده هو المشرع للعباد، ويجيء تشريع البشر مستمدا من شريعة الله، وعن هذا التصور تنشأ قاعدة استمداد القيم كلها من الله، فلا اعتبار لقيمة من قيم الحياة كلها إذا لم تقبل في ميزان الله، ولا شريعة لوضع أو تقليد أو تنظيم يخالف عن منهج الله"⁽²⁾

وفي الدين الإسلامي يقترب توحيد الله مع الإيمان بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم، بأنه رسول أنزل عليه القرآن الكريم، وأنه آخر الرسل، وتعتبر الشهادتين، الباب الوحيد الذي يدخل منه الشخص الغير المسلم إلى الإسلام.

صحيح، لا يوجد مسلم لا يعرف الشهادتان، ولكن يوجد الكثير من المسلمين الذين لا يعرفون المعنى الحقيقي لها، فالكثير من الناس يردد هذه الجملة، ولكنه لا يتعمق في معانيها، مما يجعل ترديدها لا يترك أي أثر في قلب المسلم، ولا في عمله.

إننا عندما سألنا المبحوثات حول تعليم أبنائهن الشهادتان كانت أجوبة أغليبتهم تؤكد ذلك، ولكن التطبيق العملي لهذه الشهادة هو الذي يغيب عند أغليبتهم.

¹ - فخر الدين بن الزبير المحسي، ما لا يسع المسلم جهله، مكة المكرمة: دار طيباء الخضراء، ط1، 2021، ص 19 ، 20.

² - سيد قطب ، في ضلال القرآن، المجلد 1 ، القاهرة: دار الشروق، ط40 ، 2013 . ص 287

2 - إقام الصلاة

"الصلاة عبادة تتضمن أقوالاً وأفعالاً مخصوصة، مفتوحة بتكبير الله تعالى، مختتمة بالتسليم. وللصلاة في الإسلام منزلة لا تعدلها منزلة أي عبادة أخرى، فهي عماد الدين، الذي لا يقوم إلا به، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد".

والصلاة هي أول ما أوجبه الله من العبادات، تولى إيجابها بمخاطبة رسوله ليلة المعراج من غير واسطة، وهي أول ما يحاسب عليه العبد، ويظهر في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله." والصلاة آخر وصية أوصى بها رسول الله أمته وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة: "الصلاة، الصلاة، وما ملكت أيمانكم".

والمتتبع لآيات القرآن الكريم، يجد أن الله سبحانه وتعالى يقرن الصلاة، بالذكر تارة، وبالزكاة تارة أخرى، ويقرنها بالصبر مرة أخرى، وما ورد في الآيات التالية: "إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر" (العنكبوت 45)، وفي آية أخرى: "وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة" (البقرة 43)، وقوله: "واستعينوا بالصبر والصلاة" (البقرة 45).

وقد بلغ من عناية الإسلام بالصلاة، أن أمر بالمحافظة عليها في الحضر والسفر، والأمن والخوف، فقال تعالى في سورة البقرة (238، 239): "حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين (238) فإن خفتم فرجالاً أو ركبانا فإذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون" (239).

ونظراً لمكانة الصلاة في الدين الإسلامي، فإن الله سبحانه شدد النكير على من يفرط فيها، وهدد الذين يضيعونها، فقال جل شأنه: "فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة

واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيًّا" (مريم 59)، وقال: "فويل للمصلين (4) الذين هم عن صلاتهم ساهون (5)، (الماعون 4-5)"⁽¹⁾.

إن هذه الفريضة وبالرغم بما لها من مكانة في الشريعة الإسلامية، لدرجة أن تاركها يعتبر خارج عن الملة عند بعض العلماء، إلا أن أغلبية المبحوثات لا يعرّن أهمية لها، فهي لا تعتبر من أولويات القيم التي يحرصون على تلقينها لأبنائهم

فالكثير منهم لا يحرصن على تعليم أبنائهن الصلاة، ولا يصبرن على متابعتهم ومراقبتهم، إلا عند بعض الأسر أين وجدن الأمهات يحرصن على أداء أبنائهن للصلاة، وهو ما صرحت به المبحوثة في الأسرة مستشهدة بأبنائها الذين كانوا جالسين معنا⁽²⁾ ومنهن من ترجع الفضل لتعلم ابنها الصلاة إلى أبيها الذي كان يحرص عليه لكي يؤديها، وفي المقابل فهي ترى أن زوجها، أي أب الطفل أفسد ما قام به الجد وذلك من خلال اشتراؤه له لوحة رقمية، هذه الأخيرة حسب تصريح المبحوثة كانت سببا في ترك ابنها للصلاة، وعدم الذهاب للمسجد⁽³⁾.

هنا نلاحظ أن الأب في هذه الأسرة لا يحمل هم أداء ابنه للصلاة والأكثر من هذا فهو يخلق له الظروف لتتركها سواء بوعي أو بدون وعي. وقد لا نتعجب لأن الأب نفسه لا يصلي، وهو حال الكثير من الآباء في الأسر محل الدراسة. بل حتى الأمهات الكثير منهن لا يحافظ على الصلاة، ولا يؤديها على الوجه الصحيح كما أرادها الشرع.

ولكن ما لفت انتباهنا في هذا الموضوع، هو وجود بعض الأسر المتدينة التي تحرص على تربية أبنائها وفق الشرع وهي تحرص كل الحرص على تعليمهم هذه التعاليم، ولكن في كثير من الأحيان يخطأون في فهم النصوص الدينية في هذا الموضوع، وفي اتخاذ الأسلوب

¹ - سيد سابق، فقه السنة (العبادات)، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 2006، ج 1، ص 56، 57.

² - أنا قتلهم الصلاة، هاه قدامهم نضال نوصي غير على الصلاة.

³ - الحق papa بسبته ولدي راه يصلي، راه في ثلث 3 سنين ولدي راه يصلي ميبطهاش يوميا يروح للجامع، من هذا العام باباه شرلوا الطابلات ولدي...الجامع محطش كراعوا فيه.

الصحيح لترسيخه ، فالكثير منهن حسب تصريحتهن يضرين أطفالهن ضربا مبرحا، بالرغم من صغر سنهم. وأكثريتهن يعملون هذا عن جهل، فهم يجهلون الأحاديث النبوية والأحكام الشرعية في هذا الموضوع.

وفي الأخير يمكن القول أن الصلاة كقيمة دينية وشعيرة تعبدية، لا تعتبر من القيم التي تحرص الأمهات على تلقينهن لأولادهن، وأن تبريرهم لهذا السلوك غالبا ما يكون عن طريق إلقاء المسؤولية على الأولاد بقولهم أنهم لا يمتثلون لأوامرهم. ولكن السؤال المطروح هو كيف يتشرب الأطفال قيمة كهذه وهي غائبة في سلوك آبائهم وأمهاتهم.

3 - الزكاة

"الزكاة هي أحد أركان الإسلام ومبانيه العظام، وهي قرينة الصلاة في مواضيع كثيرة في كتاب الله عزّ وجل، وقد أجمع المسلمون على فرضيتها إجماعا قطعيا، فمن أنكر وجوبها مع علمه بها فهو كافر خارج عن ملة الإسلام، ومن بخل بها أو انتقص شيئا فهو من الظالمين المتعرضين للعقوبة والنكال.

ولما أرسل النبي صلى الله عليه وسلم معاذ إلى اليمن قال له: **فإن أطاعوا لك فأخبرهم أن الله قد افترض عليهم صدقة، تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم.**

إن الحكمة من تشريع الزكاة، هي جلب المنفعة، ودرء المفسدة، وذلك بالنسبة للفرد أو المجتمع ، فهي بالنسبة للفرد، تزكي نفس المؤمن من أضرار الذنوب والآثام، وتطهير روحه من رذائل البخل والشح، يقول الله تعالى في سورة "التوبة" 103 : **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها.**

أما على مستوى المجتمع ، ففي الزكاة مساعدة لفقراء المسلمين، وسد حاجياتهم، وإكرامهم، كما أن الزكاة تساهم في بناء المجتمعات والمرافق التي يحتاجها المسلمون كالمساجد والمدارس والمستشفيات وغيرها.ومن فوائدها أيضا على من يقوم بها أنه بأدائه

للزكاة يطهر ماله وينميهِ ويحافظ عليه، فالزكاة وقاية من الآفات ببركة طاعة الله وتعظيم أمره والإحسان إلى خلقه⁽¹⁾

بحكم أن الكثير من المبحوثات ينتمي البعض منهن إلى الطبقة الوسطى والكثير منهن إلى الطبقة الفقيرة، فإن هؤلاء يجهلون الكثير عن هذا الركن، ولا يعيرونه أي اهتمام، فالكثير منهن لا يعرفن شروطها ولا أوقاتها التي تخرج فيها، وبالتالي فإن إجابتهن حول ما إذا كانوا يتحدثون لأبنائهن عن هذه الفريضة كانت أغلبية إجابتهن بالإيجاب.

ويعتبر هذا السلوك كأحد مؤشرات غياب الثقافة الدينية لدى الكثير من المبحوثات، وكذلك غياب الرغبة في تعلم أمور الدين.

4 - الصوم

"الصيام هو: الإمساك عن الطعام والشراب والجماع وجميع المفطرات بنية العبادة لله من طلوع الفجر إلى غروب الشمس. أما حكمه: فالصوم واجب على كل مسلم بالغ عاقل قادر عليه مقيم، ويجب على المرأة إذا طهرت من الحيض والنفاس.⁽²⁾

وللصيام فضل كبير، يظهر هذا الفضل في ما رواه "أبي هريرة" قال: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنه لي، وأنا أجزي به، والصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث، ولا يصخب، ولا يجهل، فإن شاتمته أحد أو قاتله فليقل: إني صائم، مرتين، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك. وللصائم فرحتان يفرحهما: إذا فطر بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه."

¹ - محمد بن جميل زينو، أركان الإسلام والإيمان من الكتاب والسنة الصحيحة، مكة المكرمة: مطبعة دار المجمع العلمي، ط 25، دت، ص

49، 50

² - محمد بن جميل زينو، أركان الإسلام والإيمان من الكتاب والسنة الصحيحة، مرجع سابق، ط 25، دت، 67.

والصيام قسمان: فرض وتطوع ، فالفرض ينحصر في صوم رمضان، والكفارات والنذر. أما حكم صوم رمضان فهو واجب بالكتاب والسنة، والإجماع. فأما الكتاب فقوله تعالى البقرة (183) : "يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون (183)، وفي نفس السورة ، الآية 185، يقول أيضا : "شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه".

أما دليله في السنة النبوية، فهو قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة وصيام رمضان، وحج البيت". وقد أجمعت الأمة على وجوب صيام رمضان، وأنه أحد أركان الإسلام، التي علمت من الدين بالضرورة، وأن منكره كافر مرتد عن الإسلام⁽¹⁾

إن هذه الشعيرة الدينية تعتبر من أكثر الشعائر الدينية ممارسة، من طرف كل المبحوثات مقارنة بالشعائر الأخرى، حيث يحرصن كل الحرص على صيام شهر رمضان، والحرص أيضا على تعليم أبنائهن الصيام ، في سن مبكرة، بل منهن من تنتقد أبنائهن وتقول بأنهم لم يشبهوها عندما كانت في سنهم، أين كانت كثيرة الصيام.

ولكن، وبالرغم من مكانة الصيام عند هؤلاء، إلا أن ما لاحظناه هو عدم التزامهن بقواعده وشروطه، فالصيام لا يعني الامتناع عن الأكل والشرب فقط، ولكن يعني الامتناع عن كل ما حرّم الله، من غيبة ونميمة ومشاحنات وغيرها ، إن الأكثرية من المبحوثات فهمن من خلال استجوابهن أنهن لا يلتزمن بهذه الأحكام والقواعد، ولأنهن كذلك فهم لا يربون أولادهن على هذه القاعدة.

¹ - سيد سابق، فقه السنة (العبادات) ، مرجع سابق، ص 259 ، 260.

وبالإضافة إلى هذا فإننا اكتشفنا أن السرّ وراء هذا الحرص على الصيام من قبل الأمهات غالباً ما تكون دوافعه اجتماعية أكثر منها دينية، وذلك لأن المجتمع ينبذ من يتجرأ على فطر رمضان، وبالتالي فإن الأطفال عندما لا يصومون يكونون محل سخرية من قبل أقرانهم وأصدقائهم، لقد صرحت بهذا الكثير من المبحوثات من غير وعي منهن بما يفعلون. ومن هنا يمكن أن نفهم كيف أن التنشئة الاجتماعية في الأسر لها مرجعية اجتماعية أكثر من المرجعية الإسلامية، حتى في ما يتعلق بالعبادات.

5 - الحج

الحج هو: "قصد مكة لأداء عبادة الطواف، والسعي والوقوف بعرفة، وسائر المناسك، استجابة لأمر الله، وابتغاء مرضاته، وهو أحد أركان الإسلام الخمسة، وفرض من الفرائض التي علمت من الدين بالضرورة. فلو أنكر وجوبه منكر كفر وارتد عن الإسلام. يقول الله تعالى في سورة آل عمران (96، 98): "إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ، فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ".

وللحج شروط إذا تحققت وجب على صاحبه، وهي الإسلام، والبلوغ، والعقل، والحرية، والاستطاعة. (1)

يعتبر الحج من الشعائر الإسلامية التي يحرص الكثير من الجزائريين على أدائها، ممن تتوفر لهم الظروف، وحتى أولئك الذين لا يتاح لهم الحج فتجدهم يعوضونه بالعمرة.

ولكن ما يمكن ملاحظته في السنوات الأخيرة، أن هذه العبادة بدأت تتحول إلى أي إلى عادات وتقاليد، حيث أصبحنا نرى الكثير من الناس يتنافسون على الذهاب إلى الحج أو

¹ - سيد سابق، فقه السنة (العبادات)، مرجع سابق، ص 371، 373.

العمرة ، ويتباهون بذلك، ولكن هذا لا يعني أن كل الناس كذلك، بل هناك أيضا الكثرة من الناس يذهبون هناك من باب التعبد والطاعة.

إن الملاحظة التي يمكن تسجيلها في ما يخص هذه الشعيرة ومكانتها عند الأسر محل الدراسة، أن هناك البعض من المبحوثات من يعتقدن أن أداء فريضة الحج أو العمرة هي مسألة تعني كبار السن أكثر من الشباب أو الكهول هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن هناك أيضا من لا يعرف معنى الاستطاعة المادية والمعنوية، التي إذا توفرت للمسلم يصبح فرضا عليه وجب تأديته. إن هناك الكثير ممن يعتقد أن الاستطاعة، وخصوصا المادية منها، تعني أن يكون الإنسان له فائض من المال، ومن هذا المنطلق تجدهم يعتقد الكثير منهم أنهم غير معنيين .

أما في ما يخص تعليم هذه الشعيرة للأطفال وتعريفهم بها وبشروطها فهو شبه منعدم لأن الكثير من الأمهات لا يعرفون الكثير عن هذه الفريضة، بالإضافة لأنهن يعتبرن أنفسهن غير معنيات ولا تتوفر فيهم الشروط وعلى رأسها الشروط الدينية.

ب - قيم منظمة علاقة الفرد مع نفسه

يمكن تقسيم القيم التي تحدد علاقة الفرد مع نفسه إلى قسمين: قيم نفسية ، وأخرى صحية ، وسوف نسلط الضوء على قيمتين أو ثلاث لكل نوع من هذه القيم

- القيم النفسية

"وهي قيم تحفظ نفس كل مسلم من التلف والضعف والذل والهوان والضياع والانحراف فتتعلق بصلة الإنسان بنفسه مثل الشجاعة الصدق، الحياء⁽¹⁾

¹ - عيسى عيسى، نقل القيم في مرحلة الطفولة، دراسة وصفية تحليلية لرياض الأطفال بالجزائر العاصمة ، مرجع سابق

إن اكتشاف هذه القيم في دراستنا الميدانية كان في كثير من الأحيان يتم بطريقة غير مباشرة وذلك من خلال تصريحات بعض المبحوثات حول موضوع من المواضيع أو عن طريق بعض المواقف التي تحدث أمام أعيننا .

لقد لاحظنا أن قيمة الشجاعة تقتل في نفوس الأطفال دون شعور من الوالدين، وذلك نظرا للتخويف الذي يتعرض له الطفل يوميا في أسرته، فالكثير من الأمهات صرحن أنهن يخفن على أولادهن، ويجعلهن هذا في كثير من الأحيان أن يسحبن أبنائهن من معترك الحياة الاجتماعية وحجتهن في ذلك هو غياب الأمن في المجتمع، ولا سيما بعد انتشار ظاهرة اختطاف الأولاد. ولكن ما جلب انتباهنا هو أن هذه الظاهرة ليست عند كل الأسر، وإنما هي تختلف من أسرة إلى أخرى ، فمثلا لاحظنا أن تلك الأسر التي تقيم في السكنات المشتركة أو ما يعرف بـ"الحواش"، تجد أن أولادها لا يعرفون للخوف طريق، فتجدهم يلعبون ويمرحون، ويخرجون ويدخلون وقت ما شاءوا ، ولا يخافون من تتمر ولا اعتداء، لقد لاحظت وأنا أقوم بمقابلة مع أحد الأمهات أن ابنها الذي يبلغ من العمر عشر سنوات ذهب لوحده مع أولاد الجيران إلى البحر، بدون علم والديه، وأنها ليس للمرة الأولى يذهب بدون علمهم.

أما بالنسبة لترسيخ قيمة الحياء في نفوس الأطفال في هذه الأسر، فهي قيمة فيها الكثير من الخلط، بين الحياء والخجل، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى توظيف الحياء في غير محله، وقد لاحظنا الكثير من الأمهات لديهن هذا الخلط، فتجد الحشمة كما يسمونها هي سلوك مرتبط عموما بالمجتمع وليس بالدين، فمثلا هناك الكثير من الأمهات تقول بأنها تحرص على تربية أولادها ، ولا سيما البنات على الحشمة والحياء، ولكن لاحظنا سلوك مثلا لباس بناتها لا يعكس نهائيا الحياء الذي تدعيه.

- القيم الصحية

ومن مظاهر هذه القيم ، هو الاعتناء بالجسم ، وتجنبه الأمراض التي كثيرا ما تؤدي بالإنسان إلى الهلاك ، وسوف يكون تركيزنا في هذا العنصر على قيمتين أساسيتين إذا عمل الإنسان وفقهما، يكون قد ضمن صحته، وهما: الغذاء الصحي، والنظافة، هذان القيمتان أكد عليهما الدين الإسلامي أيما تأكيد، ذلك لأن "قواعد التشريع كلها تدعو إلى جلب المصالح ودرء المفاسد عن العباد، بل تجعل دفع الضرر أولى من جلب النفع إذا تعارضا أحيانا، وفي الحديث النبوي: "لا ضرر ولا ضرار"⁽¹⁾

إن هذه القاعدة الشرعية لا تأخذ بعين الاعتبار في سلوك الكثير من الأسر محل الدراسة، فالكثير من المبحوثات لا يحرصن على ترسيخ هذه القيمة في أولادهن، وذلك لأنهن هن أنفسهن لا يحترمن الكثير من القواعد المرتبطة بنظام الأكل، فالأطفال أصبح نصف غذائهم يعتمد على الحلويات والمملحات ، والمشروبات الغازية... وغيرها. وهذه ظاهرة لا تخلوا منها أي أسرة في المجتمع وليس فقط الأسر محل الدراسة.

فالكثير من المبحوثات لا يمتلكن وعي لخطورة هذه القضية، بل الكثير منهن يربطن مفهوم الأكل الصحي بالمواد الغذائية الباهضة الثمن من خضار ولحوم وفواكه وغيرها، وهم يجهلون بأن الكثير من الخضار الغير المكلفة فيها الكثير من النفع.

أما بالنسبة للنظافة، فإن هذه القيمة حاضرة عند بعضهن وغائبة عند البعض، ولكن في ربطها بالمرجعية الإسلامية فهي غائبة عند الكثير منهن. فمعظم الأمهات يحرصن على نظافة أبنائهن، و لكن لا يربطنها بالمرجعية الإسلامية، فهم يربطنها غالبا بالمرجعية الطبية، فمثلا يحرص بعض الأمهات على غسل أبنائهم أيديهم قبل الأكل وبعده، ولكن لا يربطن هذا بالدين، ولكن يربطنه بالوقاية من الأمراض والفيروسات. هذا ومن مظاهر غياب

¹ - عبد السلام عطوة الفندي، تربية الطفل في الإسلام ، أسس وأساليب، الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط2 ، 2015 ، ص 218 .

المرجععية الإسلامية في ما يخص ترسيخ قيم النظافة ، هو غياب سنة "السواك"، هذا الأخير الذي رغب فيه الإسلام كثيرا، والذي قال فيه سيد الخلق عليه الصلاة والسلام: "لو لا أن أشق على أمتي أو على الناس، لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء." وقال أيضا في وصفه: "السواك مطهرة للفم مرضاة للرب"، وقد أثبت الطب الحديث احتواء السواك على مادة كيميائية مطهرة للفم، ومقوية للثة، وقد ذكر العلماء أن للسواك بعضا وسبعون فائدة.⁽¹⁾

إن هذه السنة النبوية تكاد تكون منعدمة عند الكثير من الأسر، بل أن الكثير منهم لا يعرفن فائدة السواك، ومنهن من لا يتقن في فعاليتها، ويفضلون غسل أسنانهم بالفرشاة ومعجون الأسنان.

ج - قيم منظمة علاقة الفرد مع الآخرين

نقصد بهذه القيم ، هي تلك القيم التي تستلزم دخول الأفراد في علاقات مع الآخرين، وقد ركنا على ثلاث علاقات أساسية والقيم المرتبطة بكل قيمة وهي: بر الوالدين، صلة الرحم، إكرام الجار.

- البر بالوالدين

هناك آيات كثيرة وأحاديث نبوية عدّة ترغب في بر الوالدين، وتحذر من عقوقهما ، وقد جعل الله طاعتها واجبة بعد طاعة الله سبحانه وتعالى، وذلك كما جاء في قوله تعالى: "وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا." (الإسراء 23). وقد جاء في السنة النبوية أن الوالدين أحق الناس بحسن الصحبة ، وذلك في الحديث الشريف "أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله: يا رسول الله من أحق الناس بصحبتى؟ قال : أمك

¹ - عبد السلام عطوة الفندي، تربية الطفل في الإسلام ، أسس وأساليب، مرجع سابق، ص 219

خلقكم من نفس واحد وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا سورة النساء آية 01 "

يقول تعالى في سورة محمد آية 22-23: "فهل عسيتم إن توليتهم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم"

ويقول الله سبحانه وتعالى في سورة الأنعام ، آية 101: " قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا". وفي الحديث النبوي قول صلى الله عليه وسلم: "يا أيها الناس أفشوا السلام، وصلوا الأرحام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام"¹.

إذا كان هذا هو الواجب على كل مسلم ومسلمة في علاقته مع أرحامه، فإن الواقع غير ذلك، لقد أصبحت علاقات الأقارب والأرحام تقوم في كثير من الحالات على الصراع والشحناء والبغضاء، لقد اكتشفنا من خلال مقابلاتنا مع الأمهات أن الكثير منهن لديهن على الأقل مشكل أو اثنان مع أرحامهن، سواء مع أخ أو أخت، أو عمّة ، أو خالة ...، أو حتى مع الوالدين، وتجد الواحدة منهن تبحث عن الأعذار والتبريرات لإعطاء الشرعية لسلوكها هذا. وهناك من ينقلن هذه الشحناء والبغضاء إلى أولادهن. لقد لاحظنا حتى تلك الأسر المتدينة، التي تدعي الرجوع إلى الدين في كل كبيرة وصغيرة، عندما يتعلق الأمر بالأقارب والأرحام تجدها تضرب هذا الدين بعرض الحائط، وتحاول بأي طريقة تبرير سلوكها هذا.

هذا ومما لاحظناه أيضا هو أن الكثير من الأمهات لا يحرصن على تعليم أبنائهن منذ الصغر القيمة، فهم لا يطلبوا منهم الاتصال بذويهم مثلا في المناسبات وغير ذلك، وحسب رأينا لا يعود دائما هذا إلى نتيجة صراع أو مشاكل بين الأهل وإنما يرجع أيضا لعدم

¹ - صلاح عبد الغني محمد، تربية الأولاد وير الوالدين وصلة الرحم، ج6، مصر: مكتبة دار نصر للكتاب، ص 185

إعطاء مكانة للأطفال داخل الأسر، وعدم إشراكه في أمور الكبار، مما يجعل الأطفال يكبرون بعيدا عن هذه العلاقات القرابية.

– إكرام الجار

لقد جعل الله للمسلم حقوقا على جاره المسلم حتى تسود الطمأنينة بين الناس، ويصبح المجتمع كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، يقول الله تعالى: **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين ولجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا (النساء 36)** ، وفي الحديث الشريف: **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، وفي رواية "فليحسن إلى جاره"**، وأوجب الإسلام حقوقا حددها النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف ، أتدرون ما حق الجار؟ : إذا استعان بك أعنته، وإذا استنصرك نصرته، وإن استقرضك أقرضته، وإن مرض عدته، وإن مات شيّعت جنازته، وإن أصابه خير هنأته، وإن أصابته مصيبة عزّيته، ولا تستظل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه، ولا تؤذّه، وإن اشتريت فاكهة فأهد له منها، وإن لم تفعل فأدخلها سراً، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ ولده، ولا تؤذّه بقتار قدرك إلا أن تغرف له منها"⁽¹⁾

تبيّن الآية الكريمة والأحاديث النبوية ، أهمية الجار، وقيّمته في الشريعة الإسلامية، هذه المكانة التي أصبحت مفقودة في مجتمعاتنا، إن هذه الوصايا التي تضمنها الحديث النبوي الشريف، لحق الجار، لا مكان لها في مجتمعاتنا.

فالكثير من الأسر أصبحت تتجنب الدخول في علاقات مع جيرانها، ولكل واحد مبرراته، لقد صرحت لنا الكثير من الأمهات عدم رغبتهن في دخولهن مع الجيران في علاقات،

¹ - الإمام الذهبي، تحقيق مبروك اسماعيل، حقوق الجار، المغرب: دار المعرفة، ط1، ص 6،5 .

ناهيك عن إكرامه. وترى بعض المبحوثات أن ما يزعجها في جيرانها هو تتبعهم لأخبارها وفضولهم الذي كثيرا ما يزعجها. وفي المقابل لاحظنا هناك مبالغة في هذه العلاقة عند بعض المبحوثات خصوصا اللواتي يقمن في السكنات الجماعية (حواش)، رأينهن يتبادلن الهدايا، والمأكولات، كما أنهن لا يتحفظن في التحدث إلى أزواج بعضهن.

إن كلا السلوكين لا يمتان للمرجعية الإسلامية بصلة، فالنموذج الأول يعلم الأطفال يتعلمون قيم الحقد والمشاحنة والصراعات، الثاني يعلمهم كسر الحرمات وعدم الاحترام، وخير الأمور أوسطها.

د - قيم منظمة لعلاقة الفرد مع الكون

لقد اهتمت الشريعة الإسلامية اهتماما واضحا بحماية البيئة الطبيعية، ولم تكتف بالحماية بل دعت إلى تحسين البيئة وجعلها أفضل مع الأيام، والحقيقة أن الإسلام ينظر إلى البيئة وكل خيرات الأرض وإمكاناتها على أنها أمانة تركها الجيل السابق لدى الجيل الحالي كي يسلمها إلى الجيل القادم، وليقوم هذا الأخير بعين العمل مع الجيل الذي يليه.

إن النصوص الدالة على حماية البيئة وتتميتها كثيرة، لعلّ منها قوله تعالى: "وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۗ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ" (الأعراف 56)

وفي الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: **الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبةً: فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان.**

وإنه لشيء عظيم أن تكون إمطة الأذى عن الطريق مع كلمة التوحيد في منظومة واحدة . وجعل كف الأذى حقا من حقوق الطريق ، حين قال صلى الله عليه وسلم : " فإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ، قالوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: غَضُّ

الْبَصْرَ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ". وكف الأذى هنا عامة تشمل الحرص على بقاء الطرق نظيفة، كما تشمل أذى الكلام من استهزاء وغمز ولمز ونبذ بالألقاب.

وعلى المسلم الحفاظ على موارد الأرض من معادن وحيوان ونبات وهواء وماء والحفاظ عليها باستهلاكها باعتدال مع الاقتصاد في ذلك على قدر الإمكان، وفي الحديث، من قتل عصفوراً عبثاً عجز إلى الله عز وجل يوم القيامة يقول: يا رب إن فلاناً قتلني عبثاً ولم يقتلني لمنفعة.

إن المسلم ليس مأموراً بحماية البيئة الطبيعية فحسب، وإنما عليه كذلك تنمية مواردها بكل وسيلة ممكنة، وتلك التنمية من أبواب التقرب إلى الله تعالى، وفي هذا يقول عليه الصلاة والسلام: **إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا.**

وفي حديث آخر: **"لَا يَغْرِسُ مُسْلِمٌ غَرْسًا، وَلَا يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ إِنْسَانٌ وَلَا دَابَّةٌ وَلَا شَيْءٌ، إِلَّا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةٌ"**⁽¹⁾

تعتبر شوارعنا وطرقنا خير دليل على غياب القيم التي تحافظ على البيئة وعلى المحيط بصفة عامة، ويظهر هذا من الأوساخ المرمية في كل مكان، وما هذا إلا مؤشراً لعجز مؤسساتنا التربوية على ترسيخ ثقافة احترام الطريق و النظافة والحفاظ على البيئة في نفوس ناشئتها.

إن أغلبية الأمهات لا يعرفن الحديث النبوي المذكور أعلاه حول حق الطريق، وبالتالي فهن لا يستطعن تعليمه لأبنائهن.

¹ - عبد الكريم بكار، كيف يفكر المسلمون في القرن 21، الرياض: دار وجوه للنشر والتوزيع، دط، 2015، ص 115، 116، 117

ثانيا: أساليب التنشئة الاجتماعية وعلاقتها بالمرجعية الإسلامية

1 - الفرق بين الأسلوب والاتجاه

عند بحثنا حول موضوع الأساليب التربوية المعتمدة في عملية التنشئة الاجتماعية، وجدنا هناك من يستعمل مصطلح الأسلوب، ومنهم من يستعمل مصطلح الاتجاهات ، ولا سيما عندما يتعلق الأمر بالتنشئة الاجتماعية داخل الأسرة ، فجد البعض يفضل القول باتجاهات الوالدين في تربية أبنائهم، فالإتجاه، يمكن أن يعرف بأنه: "دافعا مكتسبا يتضح في استعداد وجداني له درجة من الثبات يحدد شعور الفرد ويلوّن سلوكه بالنسبة لموضوعات معينة من حيث تفضيلها أو عدم تفضيلها، فالإتجاه إذن يعبر عن ميل واستعداد متعلم من جانب الفرد لكي يسلك بطريقة ثابتة منتظمة نحو الأشياء والقضايا والموضوعات المختلفة، ليس كما هي عليها في الواقع، ولكن كما يدركها الفرد ، ومن ثم يصبح له موقف معين منه ، ويؤثر هذا الميل أو الاستعداد الذاتي على مشاعر الفرد ووجدانه وسلوكياته المرتبطة بموضوع الإتجاه" (1)

من خلال هذا العرض المبسط لمفهوم الإتجاه، نستطيع الفهم بأن الأفراد الذين يتبنون اتجاهات معينة حول مواضيع معينة، لا يكون ذلك عن سبيل الصدفة والعشوائية، ولكن يكون تبنيهم لإتجاه ما، دون غيره من الإتجاهات عن إدراك ووعي وقناعة -إن صح التعبير-، وهذا الإدراك والوعي قد يحصل لديهم من خلال خبراتهم المتواترة في مجال من المجالات، وقد يكون نتيجة اطلاعهم وثقافتهم، وقد يكتسب من خلال بيئتهم الاجتماعية التي ينتمون إليها.

وقد يكفي هذا تبريرا لتفضيلنا مصطلح "الأسلوب" عن مصطلح "الإتجاه" ، فالأسلوب هو طريقة يعتمدها الوالدان أو القائمين على عملية التنشئة الاجتماعية في عملية نقل القيم والثقافة التي ينتمون إليها، وقد يتم هذا الأسلوب بوعي أو بدون وعي، وقد يفرض عليك

¹ - وفيق صفوت مختار، الأسرة وأساليب تربية الطفل، القاهرة: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، ط، دت. ص 173

موقف ما أسلوب دون غيره، وقد تحاصرک الظروف من كل جانب فتجعلک تعتمد أساليب لا تؤمن بها إطلاقاً، أو تصل بک الظروف إلى عدم تبني أي أسلوب من أساليب التنشئة الاجتماعية سواء كان ايجابيا أو سلبيا، وبالتالي تكون ممارستک لهذه العملية تتم بطريقة عشوائية وفوضوية في كثير من الأحيان، وهذا ما لمسناه عندما اتصلنا بالميدان، حيث صرحت لنا الكثير من المبحوثات أنهن لا يعتمدن على أساليب معينة، وحتى أولئك الذين لم يصرحوا اكتشفنا من خلال كلامهم أنهم لا يملكون وعي بالأساليب التي يعتمدونها عند ممارستهم لهذه العملية، وقد يكفي هذا كسبب لاختيار مفهوم "الأسلوب" دون مفهوم "الاتجاه"، لأن هذا الأخير يتطلب الوعي والإدراك كما أشرنا سابقاً، وهذان الميزتان مفقودتان عند أغلبية المبحوثات إلا بنسب قليلة وشاذة.

2 - التعريف الإجرائي للأسلوب

يقصد بالأسلوب في هذه الدراسة : بأنه كل أنواع الطرق والآليات التي يعتمدنها الأمهات في تعاملهن مع أبنائهن في ممارستهن لعملية التنشئة الاجتماعية، وطبيعة مرجعيتها .

تعتمد الأسرة ولا سيما الوالدين على العديد من الأساليب لنقل القيم لأطفالهم، وقد نجد بعض الوالدين يختارون أساليب دون غيرها، وهم بذلك واعين بما يقومون ويبررون اختيارهم سواء كان هذا الاختيار صائب أم لا ، ومنهم من يكون أسلوبه في التنشئة يخضع للعشوائية والتلقائية، وقد يكون هذا لعدم وعيهم بالرسالة التي يقومون بها وبأهميتها وخطورتها على مستوى الفرد والمجتمع، وقد يكون أيضا بسبب الظروف الصعبة التي تحيط بهم مما تحول بينهم وبين التفكير الصحيح للقيام بهذه العملية الخطيرة التي تحتاج تضافر كل الجهود وتوفر كل الأسباب والعوامل لإنجاحها. والأسلوب أحد عوامل نجاحها.

وكما أن الشريعة الإسلامية سطرت للأفراد منظومة من القيم تغطي مختلف جوانب حياتهم، فقد زودتهم أيضا بالطرق والأساليب التي تصلح لنقل هذه القيم وتشريبها للناشئة بما يتماشى ومراحل نموهم وظروفهم الصحية و النفسية.

وفي هذا العنصر سوف نتعرف على أساليب التنشئة الاجتماعية المعتمدة من طرف الأمهات محل الدراسة ومقارنتها بتلك التي نصت عليها الشريعة الإسلامية.

3 - الأساليب الإسلامية في تنشئة الطفل

أ - أسلوب القدوة الحسنة

أثبتت بعض الدراسات أن التعلم اليومي للإنسان يتم بواسطة التسجيل اليومي للآلاف من المثيرات الداخلية (أفكار، ردود أفعال انفعالية)، والخارجية (مرئية، سمعية، وقابلة للمس) في القالب الأم لذاكرتنا ، إنه يتم أيضا توثيق الكثير من التجارب على مدار السنة، كل هذا يكون بطريقة لا إرادية بواسطة ما يسمى "بالذاكرة الآلية"، وهو عكس ما يحدث في الحواسيب، التي نقرر نحن ماذا نسجل فيها. وعليه فإن كل الصور التي نستقبلها، وكل أفكارنا وانفعالاتنا السلبية منها وكذلك الايجابي، مسجلا لا إراديا بواسطة هذا التطور⁽¹⁾.

" وفي نفس السياق تؤكد دراسات أخرى على أن الطفل له القدرة على التقاط أنماط السلوك أكثر من قدرته على التقاط اللغة، ومن هنا جاءت أهمية القدوة في التربية ، هذا الأسلوب الذي يعتبر أكثر الأساليب التربوية فعالية وأنجعها على الإطلاق لما لها من تأثير على سلوك الطفل وبالخصوص في الوسط الأسري، ولاسيما الأبوان اللذان يتركان بصمات راسخة على شخصية الطفل تبقى مدى الحياة"⁽²⁾

¹ - أنظر: أوكتو كيري، ترجمة مصطفى لعزوزي، مفاتيح التربية السعيدة، بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1 ، 2014 ، ص 18 .

² - أنظر: ياسمينه كتفي، أساليب تربية الطفل في الأسرة من منظور الإسلام، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية ، المجلد 18 ، العدد 01-2021

"ونظرا لهذا عنيّت التربية الإسلامية بالقدوة الحسنة عناية كبيرة، ودعت القائمين على أمر التنشئة الاجتماعية أن يطبعوا النشء على قيم الخير والبر، ملزمتهم بأن يكونوا النموذج الأمثل شكلا ومضمونا⁽¹⁾.

إن ما يمكن ملاحظته، من خلال المعطيات التي جمعناها حول هذا الموضوع، أن هذا الأسلوب يكاد يندم عند الكثير من الأسر محل الدراسة، إن هذه الحقيقة لم تكن تستدعي طرح أسئلة خاصة بهذا الموضوع، وإنما كانت تعبر عن نفسها في مواقف كثيرة، هذا التعبير الذي كان يكشف في كثير من المرات عن صور التناقض بين أقوال الأمهات وبين أفعالهن، وبين ما يبيحونه لأنفسهن وبين ما يحرمونه على أبنائهن، هذا التناقض الصارخ الذي جعل حتى الأولاد يلاحظونه ويحتجون به على أمهاتهم في كثير من الأحيان.

لقد اكتشفنا في هذه الأسر أن غياب القدوة يأخذ شكلين، شكل يمثل عدم التزام الأمهات بالكثير من الأحكام الشرعية في عبادتهم من صلاة ومن أذكار ومن لباس ومن غيرها، وفي معاملاتهم من صدق واحترام وتواضع.. وغيرها، ولكن هذا النموذج لا يحرص على أن يلتزم أبنائه بما عجز هو عن الالتزام به، وهذا النموذج ليس هو السائد في سلوك المبحوثات، فهناك حالات قليلة وشاذة لا تمثل القاعدة. وحسب رأينا أن هذا النموذج أقل ضررا من النموذج الثاني الآتي ذكره.

أما النموذج الثاني، فهو النموذج السائد في معظم الأسر، وهو النموذج الذي تكون الأم فيه لا تمثل القدوة الحسنة لأبنائها في مستويات ومواقف عدّة لكنها تكلف أبنائها بممارسات وسلوكات هي عاجزة عن فعلها. إن نموذج مثل هذا لا يعتبر شيء جديد اكتشفته هذه الدراسة وإنما هي تؤكد فقط، إنه ظاهرة اجتماعية يعرفها العام والخاص.

"فإذا كانت التربية الإسلامية كما ذهب في ذلك المفكر الإسلامي "محمد قطب"، تستدعي أن يكون الوالدان مسلمين حتى يتمكنوا من تربية أطفالهما تربية إسلامية، فإن هذه

¹ -أنظر: عبد السلام عطوة الفندي، تربية الطفل في الإسلام، مرجع سابق، ، 266 .

الحقيقة البديهية -حسب هذا المفكر- ، تفرض علينا التساؤل التالي: كم من هؤلاء يؤدي شعائر الإسلام التعبدية؟ إن الإجابة على هذا السؤال تجعلنا إذن لا نعجب من أن يتربى الأطفال وينشئون بعيدين عن القيم والأخلاق الإسلامية ، وأهلهم لا يعطون الفرصة لأطفالهم لفطرتهم أن تستقيم على طبيعتها السوية، وإنما يعملون على انحرافها بما يمارسون هم من انحراف عن الطريق المستقيم الذي أراده الله لعباده"⁽¹⁾.

لقد لمسنا هذا الانحراف عن المنهج الإسلامي في التربية وعن القدوة الحسنة كأسلوب يتطلبه هذا المنهج لتحقيق الهدف المنشود، في بعض المواقف، هذا الموقف الذي يمكن أخذه كنموذج يعكس كل المواقف التي لاحظناها خلال عملنا الميداني.

لقد لاحظنا خلال اجراء مقابلة مع أحد الأمهات والتي كانت برفقة ابنتها أين كانت الأم تجيب عن بعض أسئلتنا موضحة صرامتها مع ابنتها في تربيتها تربية أخلاقية، وأعطت مثلا على أن ابنتها دائما تلح عليها بأن تتركها تطول أظافرها فكانت تقابل طلبها بالرفض، فجاءها الرد من ابنتها -أمامنا- "ولماذا أنت تربيين أظافرك؟" فكان جواب الأم لأن أنت مازلت صغيرة وأنا كبيرة.

وفي موقف آخر، صرحت لنا أحد الأمهات أنها تتصح ابنها الذي لا يتجاوز عمره 10 سنوات بأن يصلي، ولكن هي لا تصلي. إن سلوك الأم المتناقض في هذا الموقف قد يعطي من الجانب النظري لهذا الطفل رصيذا نظريا لا بأس به من خلال كلامها عن الصلاة ومن خلال أساليبها المرغبة تارة والمرهبة تارة أخرى، لكن من الناحية العلمية فإن رصيذ هذا الطفل سيكون فارغا، مما يجعله عاجزا عن اكتساب هذه القيمة اكتسابا يجعله يتمثلها في مراحل عمره اللاحقة. ذلك "لأن توليد الروابط اللاواعية لا يتوقف فقط على ما يقولونه الآباء والأمهات لأبنائهم، وإنما يتوقف أكثر عن ملاحظة الأبناء لكل تصرفات وسلوكيات والديهم. فقد تجد الكثير من الوالدين يقولون أشياء جميلة لأبنائهم ، في حين في

¹ -أنظر: محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، ج2، بيروت: دار الشروق، ط3، 1982، ص 88، 89

المقابل لديهم ردود أفعال مهولة أمامهم: كعدم التسامح ، والعدوانية ، والنفاق... الخ . إن هذا التناقض في الأقوال والأفعال مع مرور الوقت يخلق عمق انفعالي سحيق بين الآباء، والأبناء. هذا ناهيك على أن مسح ما قد سجل من قبل ليس بالأمر السهل"⁽¹⁾

وهناك من الأمهات من صرحت بأنها تصلي ولكنها ليست ملتزمة في أدائها للصلاة على أحسن وجه، بحيث تصلي أحيانا وتتقطع عنها أحيانا أخرى، وإذا صلت فهي لا تحرس على أدائها في وقتها. إن سلوك كهذا يعارض بلا شك ما جاء في قول الله تعالى في سورة النساء (103)، "إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا". هذا السلوك الذي وإن كان مشترك بينهم إلا أن دواعيه تختلف من أم إلى أخرى، فهناك من تجهل رأي الشرع في هذه المسألة و بالتالي تتعامل مع أداء هذه الفريضة كما اتفق، وهناك من هي واعية لذلك وتعترف بتقصيرها ولكنها تضع لنفسها مبررات البعض منها متعلق بانشغالاتها اليومية نتيجة مسؤولياتها، والبعض الآخر ترجعه لظروف موضوعية كانعدام الماء الساخن خاصة في فصل الشتاء، وهي مبررات لا تعترف بها النصوص الشرعية أيضا.

إن المداومة والاستمرارية في العمل بصفة عامة وفي "ممارسة العبادات الإسلامية بصفة خاصة بطريقة يومية تجعل الإنسان المسلم يتعود على الأخلاق الصحيحة ويتمسك بها، ومن هنا جاء قوله الرسول صلى الله عليه وسلم: "أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل"⁽²⁾ فإذا كانت هذه القاعدة تصدق على الكبير فإنها على الصغير أصدق وذلك لقدرة هذا الأخير على المحاكاة والتقليد.

ومن مظاهر غياب هذا الأسلوب في الأسر محل الدراسة أيضا أسلوب الإخلال بالوعد، فهذه أيضا تعتبر من السلوكات التي لاحظناها بكثرة سواء في تصريحات المبحوثات أو من خلال بعض المواقف التي حدثت أمامنا، ويظهر هذا السلوك عند الأمهات أكثر عندما يريدون مكافأة أبنائهم، هذه المكافئة التي غالبا ما تكون مقابل النجاح المدرسي، فهناك

¹ - أنظر: أوكستو كيري، ترجمة مصطفى لعزوزي، مفاتيح التربية السعيدة، مرجع سابق ص 19 .

² - محمد ياسين مصطفى الريماوي، دليل التربية الإسلامية الشامل ، باكستان: مطبعة آياد نحل، 2011 ،ص 179

الكثير منهم من تقول أنها تعد أبناءها بشراء هدية أو إخراجهم في نزهة ، ولكن قليلا منهم من تقي بهذا الوعد وتعتبر سلوكها هذا يندرج ضمن الكذبة البيضاء.

إن سلوك كهذا يرتبط في كثير من الأحيان بمدى جهل هؤلاء لأحكام الدين في هذه المسألة، هذه الأحكام التي تؤكد على ضرورة الوفاء بالعهد لأنها هي الأساس التي تبنى عليه العلاقات الاجتماعية.

وفي الأخير يمكن القول أن القدوة الحسنة كأسلوب من أساليب التنشئة الاجتماعية في المرجعية الإسلامية تكاد تكون شبه منعدمة في سلوك الأمهات محل الدراسة، ولكن هذا لا ينفي وجود هذا الأسلوب عند بعض الأمهات واللواتي لا يتجاوز عددهن عدد الأصابع.

ب - أسلوب الحوار

"يعتبر الحوار من أكثر الأساليب استخداما في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، تمارس من خلاله الدعوة إلى الله بأشكال وصيغ مختلفة، وقد اتخذها الرسل والأنبياء وسيلة لهداية الشعوب، فكان أسلوبا ناجحا لما فيه من البساطة والليونة⁽¹⁾،

غير أن هذا الاتجاه الإسلامي في التربية في غالب الأحيان ليس له في واقع المجتمعات العربية أثر يذكر، بما فيها المجتمع الجزائري، وهو ما أثبتته نتائج الكثير من الدراسات العربية التي تناولت هذا الموضوع، و هو ما أشرنا إليه في الفصول السابقة.

هذه النتائج التي أيدتها ملاحظتنا الميدانية من خلال مقابلاتنا مع الكثير من الأسر محل الدراسة حيث اكتشفنا أن هذا الأسلوب يكاد يكون منعدم ، في الأسلوب التربوي لمعظم المبحوثات إلا القلة القليلة .

إن ملاحظة هذا السلوك كان بطريقة مباشرة من خلال معاملة الأمهات لأطفالهن أمامنا، ولكن ما يلفت النظر هو التناقض الذي يقع فيه هؤلاء، بين ما يصرّحون به وبين ما

¹ - عبد الرحمن النحلوي، من أساليب التربية الإسلامية، -التربية بالحوار-: بيروت: دار الفكر المعاصر، دمشق: دار الفكر، ط1 ، 200 ، ص

يسلكونه، حيث كانت إجابة أغليبتهن حول استخدامهن لهذا الأسلوب من عدمه غالبا بنعم، ولكن عند مواصلة الحديث معهن في مواضيع أخرى-طبعاً لها علاقة بموضوعنا- يسقطون، ونكتشف التناقض الصارخ في كثير من أفعالهم وأقوالهم، هذا التناقض الذي قد يفسر بعدم معرفتهم الحققة لمفهوم الحوار.

لقد تكررت هذه المواقف معنا مرّات عدّة و من بين النماذج التي تعبر عن هذا السلوك هو ما لاحظناه في الأسرة رقم 30 ، أين صرّحت لنا الأم باستخدامها لهذا الأسلوب في التربية ، ولكن في موقف من المواقف تسرد لك قصة تكتشف من خلالها العكس ، فهي تقول أنها عندما يتشاجر ابنها مع أقرانه في الحي ، ويشتكون منه ، تنهال عليه ضرباً ، من غير أن تلجأ للحوار مع ابنها ، وتعرف منه الحقيقة إن كان ظالماً أو مظلوماً (أنظر الهامش)¹.

وفي كثير من الأحيان تخلط الأمهات بين الحوار وبين الوعظ والإرشاد، وهذا أيضاً لاحظناه عند بعضهن، كما صرحت به المبحوثة في الأسرة (36) عند طرحنا عليها هذا السؤال، حيث أعطت لنا مثال هو أقرب إلى الوعظ والإرشاد منه إلى الحوار، أنظر الهامش (2)

إن الحوار يعني إعطاء الفرصة للطرف الآخر للتعبير عن رأيه وتقديم الحجج لأفكاره، لكن إذا قارنا هذا بالحوار الذي صرحت به الكثير من المبحوثات- هذا أمكن تسميته حوار- هو بمثابة أوامر تصدر من طرف الآباء، فتجعل هذه السلطة الأولاد في موقف ضعف، لا حول ولا قوة لهم، لا يستطيعون حتى تبرير سلوكياتهم.

¹ - زعمى كيجوا يشكولي ، مكعنديش هذيك نقوف عند الباب ولاخر ..نقولها صح اسمحيلي نبلع الباب ونبرده هو هراوة...غالط ولا ماشي غالط نضريه

² - واه نهدر معاه نوريله، (نقولوا باريكزومبل كان واحد يعيطلك ماشي غي تروح ، لبيغا يقولك نعرف بوك ولا ماماك ...اهرب منه معاه ما والوا ...نوصيه نقلوا كون يعطيك تشرب حاجة ماشي غير تشرب، كيعطوك حاجة تاكلها ماشي غير تاكل. واه أنا نفهمه ونقتعه ، نقلوا شوف كيعطيك حبة حلوة ولا طابلة شيكولة بيديك ...شوف وش راهم يوروا في التيلي ...كشما بيديروك ..واه نفهمه نقوله

إن غياب الحوار في الأساليب التربوية للمبحوثات هو سلوك لا يبعث عن الحيرة أو الدهشة لمن يعرف طبيعة المجتمعات العربية، وطبيعة أسرها، هذه الأسر التي يكاد ينعدم فيها حتى التواصل ناهيك عن الحوار. صحيح لقد طرأت تغييرات كبيرة على نسق الأسرة في سواء في بنياتها أو في وظائفها، ولكن طبيعة العلاقات الأسرية لازالت في معظمها تقوم على الثقافة التقليدية ، ذلك لأن ما هو مرسخ في نفوس الأفراد وعقولهم ليس من السهل أن يمحي بين عشية وضحاها.

وفي الأخير يجب الأخذ بنصيحة "ابن خلدون"، القائلة: "الحيطة عند التعميم"، ذلك لأنه وإن كان هذا الحوار شبه غائب عند الكثير من المبحوثات، إلا أن هناك منهن من تستخدم هذا الأسلوب ولو بصفة نسبية.

ج - أسلوب الثواب والمكافأة

يرى الكثير من العلماء ولا سيما علماء النفس أن أسلوب الثواب و المكافأة أو ما يعرف عندهم بأسلوب التعزيز له أثر كبير في دافعية الأفراد للمزيد من الإنتاجية، وفي الحديث النبوي ، أنه "لا يشكر الله من لا يشكر الناس". والشكر يتخذ أشكالا عدّة ، ومن أشكاله المكافأة سواء تكون عن طريق تقديم الهدايا أو معنوية عن طريق المدح والثناء.... وغيرها

ويستخدم هذا الأسلوب عادة من طرف المربين بصفة عامة والوالدين بصفة خاصة عندما يقوم الأطفال بسلوك ايجابي يقابله الوالدين بالفرح والإثابة والمكافأة، وقد دعا المربين الوالدين والمعلمين تشجيع الأطفال عن طريق هذا الأسلوب وذلك لتحفيزهم وتشجيعهم على اكتساب السلوك السوي وتكراره، وفي هذا الصدد يقول "أبي حامد الغزالي":
مما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود، فينبغي أن يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح بين أظهر الناس⁽¹⁾

¹ - محمد سعيد مرسى، فن تربية الأولاد في الإسلام، القاهرة: التوزيع والنشر، ط1 ، 1988 ، ج1 ط1 ص 407

إن اختبارنا لهذا الأسلوب في الواقع كشف لنا أنه من الأساليب التي يكاد تتخذها كل الأمهات محل الدراسة، ولكن ما يميّز هذا الأسلوب هو أنه يكاد يتخذ شكل واحد وسبب واحد، أما الشكل فتكون المكافأة في غالب الأحيان مادية، أما سببها فغالبا ما يكون بسبب النجاح المدرسي و ما يؤكد قولنا هذا هو ما صرحت به أحد المبحوثات في الأسرة رقم (37) (1)

إن ما يلفت الانتباه في هذا السلوك هو غياب هذا النوع من الأسلوب -المكافأة- في ما يتعلق بالأمور الأخلاقية، كقول الطفل الحقيقة في بعض المواقف ولا يكذب، كأدائه أيضا للصلاة، أو حفظه لبعض الآيات القرآنية... الخ،

إن سلوك الأمهات هذا يفسر لنا عدم إعطاء هؤلاء أهمية للجانب الديني كمرجعية أساسية في تكوين وبناء شخصية أطفالهم، وإنما إعطائهم أهمية أكثر للتفوق المدرسي لأن هذا الأخير -حسب رأينا- هو تفوق مرتبط بنظرة المجتمع، ومرهون بمكانة الفرد داخل المجتمع وبالامتيازات المادية التي سوف يحرزها كتقلده لبعض المناصب الراقية هروبا من الأعمال الشاقة وقد نجد هذا السلوك عند معظم الوالدين وخاصة أولئك الذين فشلوا في دراستهم وخاصة الأمهات اللواتي يرون أن النجاح في الدراسة يعني تحرر المرأة من تسلط الرجل سواء كان أبا أو أخا أو زوجا من ناحية، وقسوة المجتمع من ناحية أخرى.

كما أننا يمكن ملاحظة أيضا شيء آخر في غاية الأهمية وهو المكافأة بالأشياء المادية، لقد لاحظنا أن الكثير من العائلات يكافئون أطفالهم بالنقود أو بالخروج للعشاء في مطعم أو شراء هدية... الخ فنادرا ما يصرح أحدهم بأنه يكافئ ابنه عن طريق تقبيله وضمه ومدحه، أي مكافأته عاطفيا.

حسب رأينا إن المبالغة في مكافأة الطفل في كل كبيرة وصغيرة سوف يقتل فيه روح المبادرة والانجاز، مما يجعله لا يعمل إلا إذا كان لديه حافز خارجي يشجعه على العمل،

¹ - واه نكافأه... ولا نعطيه بشري كاش حاجة... مننين نهود لبلاد نجيبه كاش حاجة.. كيجيب نتائج مليحة نهودوه ونخلصوا عليه بيتزا... ولا ندوه للمناج، ولا نشروله حاجة.

فالحافز الداخلي مع مرور الوقت يضمم ويختفي، ولهذا نجد الكثير من الأشخاص لا يعملون إلا إذا وجدوا التشجيع والاهتمام.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن المبالغة في هذا الأسلوب سوف يلغي قيمة مهمة في الشريعة الإسلامية تقوم عليها كل القيم الأخرى وهي قيمة الإخلاص، إخلاص العمل لوجه الله، هذه القيمة تكاد تكون منعدمة عند الكثير من الأسر، بل عند الكثير من البشر المسلمين .

فمكافأة الطفل باستمرار بالماديات سوف يجعله مادي بحيث ينتظر من كل عمل يقوم به ما يجنيه من مكافآت مادية وليس إخلاصاً لوجه الله، هذه الغاية التي تعتبر أولوية في المرجعية الإسلامية تتوقف عنها كل أعمال الإنسان. فالإخلاص ومعرفة حقيقته والعمل به كما وصفه حجة الإسلام الإمام "أبو حامد الغزالي" "بحر عميق يغرق فيه الجميع إلا الشاذ النادر.. وهو المستثنى في قوله تعالى: "إلا عبادك منهم المخلصين"⁽¹⁾.

هذا ناهيك على أن المبالغة في مكافأة الطفل مادياً، تجعله يؤسس علاقته مع والديه على مبدأ الطمع، وليس على مبدأ البر والطاعة، التي ربطها الله بتوحيده "وأن لا تشركوا بالله وبالوالدين احساناً". والواقع مليء بالأمثلة من هذا النوع.

إذن هذه أهم الأساليب التربوية الإسلامية، بالإضافة إلى أساليب أخرى ، كأسلوب الترغيب والترهيب، و أسلوب التربية بالقصة وغيرها، هذه الأساليب التي إذا طبقت بحذافيرها في تلقين القيم الإسلام فإن فعاليتها مضمونة، كما أثبتت فعاليتها مع الرعيل الأول من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين.

هذا وإن كانت هذه هي الأساليب التربوية التي وضعها الشرع الإسلامي لتربية النشء، وهي أساليب كما رأينا لا مكان لها في سلوك الكثير من المبحوثات، فإنه هناك أساليب تربوية أخرى أخذت مكانها، وهي عادة ما تعرف باسم الأساليب الخاطئة في تنشئة

¹ -أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1 ، 2006 ،

الطفل وهي أساليب لا ترتبط فقط بمجتمع البحث، بل هي أساليب تكاد تكون سائدة في كل بيت وكل أسرة جزائرية وحتى عربية. وسوف نأخذ نماذج من هذه الأساليب.

4 - الأساليب الخاطئة في تنشئة الطفل

أ - الأسلوب التسلطي

من الأساليب الشائعة والأكثر استخداما في تربية الأطفال ولا سيّما في الأسر محل الدراسة نجد الأسلوب التسلطي، هذا الأسلوب الذي تلغى فيه شخصية الصغار بشكل كبير، وتطغى فيه شخصية الكبار بشكل أكبر، ويفسر البعض أن استخدام المربين بصفة عامة والوالدين بصفة خاصة لهذا الأسلوب في التربية هو الخوف الشديد من أسلوب التساهل الذي يؤدي إلى تقلت الأطفال وانحرافهم، وفي هذا الصدد يقول "الفي كون"، في كتابه "تربية الأطفال"⁽¹⁾: "إذا ما أخفقنا في الحقيقة الجوهرية التي نقول: إن التساهل في التربية ليس هو المشكلة الأبرز في مجتمعنا⁽²⁾ *، بل الخوف من التساهل خوفا شديدا من إفساد الأطفال، ينتهي بنا إحكام السيطرة عليهم."

ففي هذه الحالة إذن، يكون اعتماد هذا الأسلوب ناتج عن قناعات راسخة للوالدين بأنه الأسلوب الأنسب، فيلجئون إلى ضبط سلوك أطفالهم، من خلال فرض بعض التعليمات والمبادئ التي يؤمنون بها⁽³⁾.

لقد لاحظنا هذا السلوك عند بعض الأمهات محل الدراسة، فمنهن من صرحت لنا بأنها تعتمد على هذا الأسلوب مع أبنائها لشدة خوفها عليهم، لأن المجتمع لا يرحم، حسب اعتقادها وإذا كان لا مفرّ من هذا الواقع المرير، توجب عليها إحكام سيطرتها عليهم وقيادتهم وتوجيههم في كل كبيرة وصغيرة وذلك خوفا من تقلتهم وانحرافهم.

¹ - ألفي كون، تربية الأطفال - عطاء بلا حدود، ترجمة: علي اللو، أبوظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث-كلمة-، ط1، 2009، ص63

² * - يقصد هنا المجتمع الأمريكي

³ - وفاق صفوت مختار، الأسرة وأساليب تربية الطفل، مرجع سابق، ص 287-288

وإذا كانت هذه الأم تستخدم هذا الأسلوب عن وعي وعن قناعة في تنشئة أبنائها، فهناك من الأمهات من تستخدمه من دون وعي منها ، لأن هذا الأسلوب غالبا ما يكون نتيجة للحماية الزائدة من طرف الأمهات على الأبناء، هذا الأسلوب الذي غالبا ما يشيع استخدامه من طرف الأمهات اللواتي يمتلكن طفل واحد، وقد لاحظنا هذا السلوك عند أحد الأمهات التي لديها طفلة وحيدة لها من العمر سبع سنوات، هذه الطفلة التي تصفها أمها بالعنيدة فهي ترى أنها جد عنيدة ، وأنها طفلة غير مطيعة، ولكن حسب تصريح هذه المبحوثة حول الطريقة التي تتعامل بها مع ابنتها اكتشفنا أن هذه الأم تبالغ في الاهتمام بهذه الطفلة، وأنها تنتقدها في كل كبيرة وصغيرة، بالإضافة، فتمثلت ردة فعلها في التمرد والعناد.

هذا وتشتكي هذه الأم من سلوك آخر مع ابنتها، وهو علاقتها مع الأطفال الآخرين، فهي دائمة الشجار مع أقرانها في الحي، وفي المدرسة وحتى مع الأقارب، وبالفعل لقد لاحظنا سلوك هذه الطفلة بطريقة مباشرة عندما كنا نجري في مقابلة مع أمها، وكانوا أبناء خالتها هناك، فكان في كل مرة يقاطعنا أحدهم شاكيا منها وكانت أمها في كل مرة تتوعدها تارة بالإيماءات وتارة أخرى بالكلام.

إن سلوك هذه الفتاة وتفسيره أثبتته بعض الدراسات (هارت وآخرون)، حيث توصلت نتائجها إلى أن الأطفال الذين تمت تربيتهم من قبل أهل متسلطين، حتى من كان منهم في سن الثلاث سنوات ، يظهرون عدوانية تجاه أقرانهم ، الأمر الذي ينجم عنه إعراض الأطفال الآخرين عنهم. (1)

هذا، وإذا كان العدوان والتمرد أحد نتائج هذا الأسلوب في بعض الحالات، فإن النفاق وضعف الشخصية يعتبران من النتائج الأكثر تأكيدا"في بعض الأحيان إذا كان الطفل نتيجة

¹ - ألفي كون،ترجمة، علي للو، تربية الأطفال-عطاء بلا حدود-، مرجع سابق، ص 70 .

لخوفه وضعفه لا يتحدى والديه، ويفعل ما يأمر، فإنه سوف يجد طريقة ليفعل ذلك من وراء ظهورهم . وفي هذا الصدد يقول أحد الأخصائيين النفسانيين "جول":... لأن أهلنا أصروا على ممارسة السيطرة على حياتنا، فقد خلقنا حياة هم على علم بها ، وأخرى ظلت سرًا يجهلونه"⁽¹⁾

إن ما ذهب إليه هذا الأخصائي النفسي، تم ملاحظته في الواقع، لقد كان لمبحوثاتنا الكثير من القصص مع أولادهم في هذا الموضوع، وعند ربطنا سلوكيات الأطفال هذه مع الأساليب التربوية التي يعتمدها أمهاتهم، اكتشفنا أن هناك أسلوبان تربويان يتحكمن في هذه الظاهرة وهما: الأسلوب التسلطي، وأسلوب الإهمال.

"يذهب الكثير من المختصين في التربية إلى القول بأن الأسلوب المفرط في التسلط والقسوة، ليس له أي فعالية للارتقاء الأخلاقي، بل الأكثر من هذا سوف يقوضه، فالأطفال المطيعين تحت تأثير الضغط، لا يرجح أنهم يعتمدون على أنفسهم لدى التفكير في مآزقهم الأخلاقية، الأمر الذي ما يلبث أن يخلق حلقة مفرغة ، فكلما ضعفت فرصهم في اتخاذ قرارا ما حول طريقة صحيحة للسلوك ، ازداد احتمال تصرفهم وفقا لطرق تجعلهم في نظر أهلهم غير جديرين بتحمل المسؤولية، الأمر الذي يؤدي بالأهل لأن ينكروا عليهم حق الاختيار"⁽²⁾.

نعم، لقد اشتكت لنا أحد المبحوثات من سلوك ابنها المماثل لما ذكره المختصون أعلاه، إنها تعاني من سلوك ابنها، الذي تراه مختلف عن أقرانه، فهي ترى أن ابنها الذي يبلغ من العمر عشر سنوات ، ليس له أي شخصية ، وأن هذا الضعف جلب له الكثير من المشاكل له وللعائلة، إنه -حسبها سهل الانقياد، فمثلا لو قال له أحد أصدقائه أضرب فلان، يفعل ذلك، وإن قال له، لا تتحدث مع فلان يفعل ذلك ..وقس على ذلك الكثير من المواقف

¹ - ألفي كون،ترجمة، علي للو، تربية الأطفال-عطاء بلا حدود- ، مرجع سابق، ص ص 71

² -أنظر نفس المرجع، ص 70 .

المشابهة، إنها تقول ،وكلها حسرة أن ابنها لا يستطيع أخذ أي قرار مهما كان بسيطاً، تقول هذا وهي في حيرة من أمرها. ولكن عندما سألناها عن أسلوبها في تربيته ولا سيما في السنوات الأولى من عمره، قالت بأنها كانت هي وأباه يفرطون في الاهتمام به وفي حمايته، لدرجة أنهم لم يكونوا يتركونه يتمتع باللعب خوفاً عليه.

إن اعتماد هذا الأسلوب في التنشئة قد يترك الكثير من الآثار السلبية على شخصية الطفل وعلى المجتمع بأسره، حسب ما أكدته الكثير من الدراسات ، فالطفل الذي ينشأ في طفولته في وسط متسلط سوف يتشكل عنده مستقبلاً، خوفاً من أي سلطة، كما تكون شخصيته مزعزة الثقة، خجولة ، حساسة ليس لها القدرة على التمتع بالحياة، وبالتالي فإن هذه الشخصية سوف تصبح مصدر قلق للمجتمع ، فهي فوضوية ولها نزعة للتخريب والاعتداء على ممتلكات الغير، ذلك لأنها لم تتمتع بحريتها في الطفولة، وهذه الشخصية غالباً ما ترتكب أخطاءها في غياب السلطة ، أما في حضورها فإنها تتميز بالخضوع والخوف.

إن اعتماد بعض الأسر على الأسلوب التسلطي -حسب رأينا- قد يرجع إلى العديد من العوامل والأسباب فمنها ما هو متعلق بطبيعة التنشئة الاجتماعية التي خضع لها هؤلاء الوالدين المتبنين لهذا الأسلوب ، لأنهم هم أنفسهم مورس عليهم هذا التسلط في طفولتهم فانه بطريقة لاشعورية يجدون أنفسهم متبنين لهذا الأسلوب، هذا بالإضافة إلى عوامل أخرى تتعلق بشخصية وظروف كل أم أو أب.

وفي الأخير يمكن القول أنه، وإذا كان هناك من الأمهات من يتميزن بحمايتهن الزائدة لأطفالهن في بعض الأحيان وبتسلطن أحيانا أخرى، فهناك أسلوب آخر يعتبر من الأساليب الشائعة عند الكثير من الأسر وهو ما يعرف بأسلوب الإهمال، فما هي مظاهر هذا الأسلوب في الأسر محل الدراسة؟

ب - أسلوب الإهمال واللامبالاة

يعرف الإهمال على أنه تجاهل الوالدين للطفل، كأن يترك دون تشجيع أو ردع من قبل والديه، فلا هو يشجع عن سلوك مرغوب فيه، ولا هو يردع ويزجر عن سلوك غير مرغوب فيه، بالإضافة إلى تركه دون توجيه إلى ما يجب أن يفعله من سلوكيات أو ما لا يفعله⁽¹⁾

ويأخذ أسلوب الإهمال أيضا مظاهر عدّة وصورتا شتى منها ما هو مادي ومنها ما هو معنوي، فأما من مظاهر الإهمال في جانبه المادي فيكون الإهمال مثلا، في الغذاء والهدام، والنظافة.

فمن مظاهر الإهمال في الغذاء هو كعدم تكرار بعض الأمهات لصحة أبنائهن، وعدم حرصهن على تعويد أبنائهن الأكل الصحي، وهذه ظاهرة تكاد لا تخلو منها أسرة، لقد لاحظنا في الأسر محل الدراسة أن الكثير من الأبناء لهم إدمان على أكل الحلويات وتناول "رقائق البطاطا"، وهو ما يعرف "بالشيبس"، لدرجة أن إحداهن صرحت لي بأن ابنتها مدمنة على أكل هذه الرقائق مما تسبب لها في قطع شهيتها، وقد نجم عن ذلك تعرضها للعديد من الأمراض.

لقد اكتشفنا من خلال هذه الدراسة أن العديد من الأمهات ليس لديهن هذا الوعي في هذا الجانب. كذلك لاحظنا بعض المبحوثات لا يعرن اهتماما لنظافة أبنائهن، وإن كن لا يمثلن نسبة كبيرة من حجم العينة.

¹ - وفق صفوت مختار، الأسرة وأساليب تربية الطفل، مرجع سابق، ص 217 .

أما الإهمال المعنوي ، فيعتبر أكثر شيوعاً من الأول، هذا الإهمال الذي تتجلى مظاهره في غياب اهتمام الأمهات بتنمية جوانب شخصية أطفالهن المختلفة أخلاقياً نفسياً وعاطفياً، وفكرياً، فالكثير من الأمهات يشتكين من ضيق الوقت و من صعوبة التربية، فيأخذن هذا ذريعة لإهمال أطفالهن.

هذا، ومن بين أكثر أنواع الإهمال شيوعاً ، وأخطرها على الإطلاق في هذا العصر هو ترك الأولاد يتسلون ليلاً نهاراً مع مشاهدة البرامج التلفزيونية بجيّدتها و رديئها، وهدر أوقاتهم وصحتهم في تصفح مواقع الأنترنت و الألعاب الإلكترونية.

لقد لاحظنا الكثير من الأمهات يعطينا أبنائهن الهواتف الذكية بلا شرط ولا قيد. وذلك هروباً من إزعاجهن بالإضافة إلى أن هن بالذات لهن إدمان على هذه المواقع. إن سلوك كهذا يعتبر تتصل من المسؤولية، وهروباً منها .

ومن نتائج أسلوب الإهمال حسب "حجة الإسلام، الأمام: "أبي حامد الغزالي"، هو أن الصبي كلما أهمل في ابتداء نشوئه خرج في الأغلب رديء الأخلاق كذايا حسوداً سروقاً ناماً ذا فضل وضحك وكياذ ومجانة.⁽¹⁾

ج - أسلوب العقاب البدني

"يعتقد الكثير من المؤيدين لأسلوب العقاب البدني، على أنه الوسيلة الأنفع، والأداة الأنجع لتحفيز الكثير من الأطفال، ومنهم من يؤمن بأن العقاب البدني يثير الخوف في نفوس الناشئة مما يدفعهم إلى تقويم سلوكهم، ويجعلهم يفكرون ملياً قبل الإقدام على أي فعل أو سلوك يتوقعون يترتب عليه عقاب⁽²⁾

وإذا كان هذا موقف البعض من المربين، فإن منهم من له رأي آخر، فيرى أن العقاب ولا سيّما البدني منه ، إذ يعتبرونه آخر وسيلة للتربية ويأتي كآخر حل إن لم تنفع الموعدة والإرشاد، فيكون العقاب بعدها، ويرون أن للعقاب درجات، ولا يعتبرون الضرب

¹ - محمد سعيد مرسي، فن تربية الأولاد في الإسلام ، مرجع سابق، ص 406

² - وفيق صفوت مختار، الأسرة وأساليب تربية الطفل، مرجع سابق ، ص 299

وحده الوسيلة الوحيدة للعقاب ، وقد لا يجدي نفعا في بعض الأحيان، وقد يأتي بنتيجة عكسية⁽¹⁾

إذا كان هذا رأي منظري التربية في العقاب كأسلوب للتنشئة الاجتماعية، فإن واقع هذا الأسلوب في الأسر محل الدراسة يكاد يكون هو السائد، فالكثير من الأمهات يضرين أولادهن، وإن لم يكن هن يقمن بهذا لأسلوب فإن الآباء يعوضهنّ ، وقد يتجاوز عنف الآباء عنف الأمهات مما يجعل بعض الأمهات يخفين الكثير من سلوكيات أبنائهن عن آبائهم، وذلك خوفا من ضربهم ضربا مبرحا، فقد صرحت أحدهن أن زوجها عندما يغضب فلا شفقة ولا رحمة، حتى لا تمنع من الضرب.

أما عن الأسباب التي تدفع الكثير من الأمهات اعتماد هذا الأسلوب فهي كثيرة كثرة همومهن ومشاكلهن، النفسية منها و الاجتماعية، فالكثير منهن، ولا سيّما الأرامل والمطلقات، يمارسن هذا الأسلوب مع أولادهن، فقد صرحت لنا أحد المبحوثات أنها تضرب ابنتها المراهقة ضربا مبرحا، وأنها تعنفها وتسخر منها وتعايرها، تمارس معها كل أنواع العنف، كانت تقول هذا وهي تشد على أسنانها شدا، ولكن تفسر سلوكها هذا بسبب المشاكل الاجتماعية وضغوط الحياة، فهي دائمة التفكير في مصاريف وتكاليف البيت والأولاد، وهذا يرهقها مما يجعلها سريعة الانفعال. وتعيش أحد المطلقات نفس الظروف، فتلجأ هي الأخرى إلى هذا الأسلوب.

أما بالنسبة للمتزوجات فلهن أيضا دوافعهن وأسبابهن التي تجعلهن يعتمدن هذا الأسلوب التربوي، وعلى رأسها المشاكل الزوجية، حيث صرحت الكثير منهن أنها تكون أكثر عنفا مع أولادها عندما تكون في شجار مع زوجها.

هذا، وإن كن معظم المبحوثات صرحن بأنهن يمارسن العقاب بكل أنواعه ولا سيّما أبنائهن إلا أنهن لا يعتبرنه أسلوب ناجع للتربية، بل بالعكس، يزيد حسبهن في عناد الأولاد

¹ -- محمد سعيد مرسي، فن تربية الأولاد في الإسلام ، مرجع سابق، ص 112 .

وتكرارهم للسلوك المعاقب عليه. ولكن هن يعتمدنه نتيجة للضغوطات من جهة، ومن جهة أخرى أنه يعتبر حل سريع الفعالية.

إن ما يمكن استنتاجه مما تقدم ، أن العنف داخل أسرنا يكاد يكون في كثير من الأحيان هو السائد، وقد أثبتت الكثير من الدراسات هذا الواقع العربية كما أشرنا في الفصول السابقة وحسب رأينا يمكن تفسير هذا بأن هذا السلوك توارثته الأجيال أبا عن جد، وقد لاحظنا هذا في درساتنا هذه، عندما تطرقنا إلى التنشئة الأولية للأمهات محل الدراسة، فالكثير منهن صرحن على أن أمهاتهن تعرضن للعنف من قبل آبائهن ، بل الأكثر من هذا هن تعرضن أيضا لهذا من قبل آبائهن أو إخوتهن.

ثالثا: أهداف التنشئة الاجتماعية وعلاقتها بالمرجعية الإسلامية

1 - مفهوم الأهداف

يعرف الهدف بأنه "هو الغاية التي يتصورها الإنسان ويضعها نصب عينيه وينظم سلوكه من أجل تحقيقها ولذلك فإن الهدف غير منفصل عن الدافع الذي هو المحرض العضوي أو النفسي الذي يبعث على السلوك أو يغذي القوى الباعثة عليه في النفس والجسم ويحركها وينشطها حتى يحقق غاية حيوية تهم كيان الكائن سواء أدركها أو لم يدركها بعقله أو روحه"¹

والهدف هو الذي يحدد الأساليب التي تتخذ من أجل بلوغ الهدف المتوخى من نشاط معين. والهدف بهذا المعنى يختلف عن النتيجة لأن النتيجة هي ما يترتب عن نشاط معين سواء أكان ذلك مطابقا للهدف أم لم يكن مطابقا له.

2 - التعريف الإجرائي للأهداف

¹ - عبد الرحمن النحلوي، أصول التربية الإسلامية في البيت والمدرسة والمجتمع، مرجع سابق، ص 88

يقصد بأهداف التنشئة الاجتماعية في هذه الدراسة هي الغايات التي تنطلق منها الأسر في تنشئة أبنائهم ، بمعنى هل أهدافهم وغاياتهم من التنشئة الاجتماعية تتوافق مع أهداف التنشئة الاجتماعية أم تتعارض معها.

إن لكل عمل يقوم به الإنسان أهداف محددة، فلا يكون سلوكهم بطريقة مجردة من الغايات والأهداف، حتى تلك الأشياء التي نقوم بها من باب الصدفة أو بطريقة تلقائية فإن أهدافها وغاياتها تكون مضمنة في وعينا الباطن، وعملية التنشئة الاجتماعية من العمليات التي يضع الكثير من القائمين عليها، أهدافها مسبقا ، فان لم تكن هناك أهداف فان القيام بهذه العملية الحساسة والمهمة سيكون عرضة للتذبذب والعبث، وبالتالي ستكون نتائجها وخيمة على الفرد والمجتمع.

وعندما نتكلم عن التنشئة الاجتماعية في المرجعية الإسلامية نجد أن الإنسان لم يخلق عبثا مجردا من كل غاية أو هدف، وإنما الغاية من خلقه كل الغاية هو "العبادة" ، كما جاء في القرآن الكريم(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)، بكل ما تحمله هذه العبادة من معاني على مستوى الأفعال والأقوال والاعتقاد ..

وعلى هذا الأساس فإن أهداف التنشئة الاجتماعية في الإسلام تصب في هذا الاتجاه، فهل يا ترى بحكم أننا مجتمعات إسلامية ، هل أسرنا تحرص على أن تكون أهداف تنشئتها مستقاة من هذه المرجعية؟ وهو ما سوف نعرفه من خلال المقابلات التي أجريناها مع مبحوثاتنا في هذا الصدد.

3 – أهداف التنشئة في الأسر المبحوثة والمرجعية الإسلامية

إن الملاحظ في هذه الأسر أن الكثير منها لا يعي جيدا ولا يعرف، ولا حتى يطرح سؤال لماذا يربي، فالكثير يمارس هذه العملية بطريقة آلية، أي يمارسها كعادة ، وهو في كثير من الأحيان لا يعي الهدف من عمله هذا، بل هناك من لا يعتبر أن تربية الأبناء في حد ذاتها ليست هدف وهو ما لاحظناها في أجوبة أحد المبحوثات حيث ترى أن التربية

ليست هدف في الحياة التي يمكن للمرأة أن تعيش من أجله ، ثم تبرر قولها هذا بمرض ابنها بمرض التوحد الذي حول حياتها إلى جحيم⁽¹⁾ وهنا يمكن القول أن وجود مريض في البيت يؤثر على كل شيء، فهو مما يجعل الوالدين لا يفكرون لا في تربية ، ولا في مرجعية . كما سبق وأن قلنا وانطلاقاً من تصريحات بعض المبحوثات أن أغلبية الأسر ليس لهم رؤي واضحة حول الأهداف التي يتوخون تحقيقها في ممارستهم لعملية التنشئة الاجتماعية، وقد جاءت معظم أجوبتهم حول تحقيق أهداف دنيوية محضة، ويمكن إجمال أهم أهداف التنشئة الاجتماعية عند هذه الأسر كما يلي:

– النجاح المدرسي لقد صادفنا أن أغلبية الأسر تكاد تتفق في مسألة أهداف التنشئة الاجتماعية على النجاح في الدراسة وهو ما صرحت به أحد المبحوثات⁽²⁾. كما أن إرضاء المجتمع والخوف من نظرتة القاسية يعتبر هدف الكثير منهن⁽³⁾

لقد لا حظنا من خلال تصريحات المبحوثات أن هدف التنشئة الاجتماعية هو هدف دنيوي محض ، وهذا أكيد يتناقض ويتنافى مع الهدف الإسلامي، والذي أكدته الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، أهمها قوله تعالى: "وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا"، (القصص 77)، إن هذه الآية وإن جاء شطر منها يرغب الإنسان في الأخذ بالحلال والمباح من الاستمتاع بالدنيا، إلا أن الترغيب في العمل للآخرة كان مقدم في الآية عن الترغيب في الدنيا، بل أن بعض من المفسرين من فسّر: لا تنس نصيبك من الدنيا" ، بقولهم أي لا تنسى نصيبك من العمل الصالح في الدنيا لكي تتال الآخرة.

¹ – التربية هدف وماشي هدف، - أنا ماشي ..كنت مليحة وقاع ، أنا عندي ولدي الزواج انتاع التوحد ستة 6 سنين مسكين ميهدر ماوالوا ...أيا تخططت قع حياتي ، مكنتش قع كيما هكذا، غير هذا (جواد) الخدمة معاه ،شحال ..واعرة خدمتهم ويغبين...تسمحي في روك ..تسمحي ف.... تسمحي في كلشي... احنا ضك مركزين غير على جواد ، ...جواد وكنا يريح ، جواد وكنا

² – احنا قاع نتمناو الحاجة لمليحة لولادنا ..نتمنولهم يقرأو ينجحوا ، أنا نريهم باش يخرجوا صالحين ...ميغبينونيش من بعد كيكبروا .

³ ماشي قال من بعد كيكبر راه ولد فلان ماشي متري ..ولا راه

قد يقول قائل أن النجاح الدراسي هو يصب في طلب العلم ، والدين أمر بطلب العلم، هذا صحيح ، ، لكن هدف المبحوثات ليس طلب العلم، لأنه فرض على كل مسلم ومسلمة، وبالتالي هو امتثال لأوامر الله، ولكن الهدف هو الشهادة واكتساب المكانة الاجتماعية.

إن ملاحظتنا التي سجلناها من خلال دراستنا هذه في هذا الموضوع تؤكد نتائج بعض الدراسات التي توصلت إلى أن نسبة 71.42 % من الأولياء يتابعون ويحرصون على نجاح أبنائهم وتفوقهم وذلك " لأنه أحد الاندماج الاجتماعي الموفق، كما أن الكثير من الآباء يعلمون دور الشهادة في النجاح الوظيفي ضمن النظام الاجتماعي المعاصر.."⁽¹⁾

هذا ومن بين الأهداف التي تسعى الكثير من المبحوثات في تنشئتهن لأولادهن، هو نظرة المجتمع، فهن يخفن من نظرة المجتمع ويخفن أن يحكم عليهن المجتمع بأن يصفن أولادهن بعدم التربية ، إذن الهدف هو إرضاء المجتمع.

وهنا نقول أن إرضاء المجتمع تبقى غاية وهدف غير ديني، حتى وإن كان المجتمع مسلم يطبق كل التعاليم والأحكام الشرعية، وذلك لأن المجتمع كما قلنا سلفاً، يتميز بالتغيير، الذي قد يمس الكثير من مبادئه وقيمه، كما هو حاصل في مجتمعاتنا اليوم، وعندما تكون التنشئة إرضاء لهذا المجتمع فإنها سوف تتغير هي الأخرى وتصبح تنقل القيم التي ترضي المجتمع، وهو تماماً ما نعيشه اليوم، حيث أصبح يروج للكثير من القيم المادية، والانحلال الخلقي وغيرها، والناس أصبحوا يتقبلونها ويدخلونها في عاداتهم وتقاليدهم يوم بعد يوم، سواء بوعي أو بدون وعي.

في حين أن التنشئة الإسلامية من أهدافها هي العمل للدنيا والآخرة، وغايتها إرضاء الله ورسوله . وهذه الغاية لم تتغير منذ أن بعث نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم، ولن تتغير إلى يوم الدين.

¹ - فتحة حراث، القيم الأسرية بين الثقافة التقليدية والثقافة العصرية، مجلة انسانيات، عدد 59 ، 2003 ، ص 18 .

كذلك لاحظنا بعض المبحوثات ينقلن لأطفالهن بعض القيم ذات المرجعية الإسلامية، ولكن هي قيم مفرغة من أهدافها الحقيقية، بل هي قيم تحولت من عبادات إلى عادات وتقاليد ، ومثال ذلك ما اكتشفناه من خلال تصريح المبحوثة بقولها أنها تحرص على إدخال ابنها لتعلم القرآن في المسجد، لأن أسرتها ليس لها الإمكانيات المادية لكي تسافر وتتزه، وبالتالي فهي تقنع ابنها لكي يملأ فراغه بتعلم القرآن⁽¹⁾ ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أيضا فهي تشجعه على الذهاب إلى المسجد لكي لا يحمله أباه مسؤولية مراقبة أخيه الصغير(أنظر الهامش)²

هنا الأم لم ترسخ في ذهن أبنها فكرة أن تعلم القرآن هو فرض على كل مسلم ومسلمة ، وإنما هي في كل مرة ، تعطيه سبب دنيوي اجتماعي وليس ديني، فتارة تربطه بعدم إمكانياتهم المادية التي لا تسمح لهم بالسفر والتزه، وتارة أخرى تربطه بظروف اجتماعية وهو الهروب من المسؤوليات التي يحملها إياه أباه وهي مراقبة أخيه، هنا الطفل عندما يتحرر من هذه القيود قد لا يفكر إطلاقا في قراءة القرآن وحفظه ، وقد يكون العكس ، أنه يتعود عليه ولا يستطيع تركه.

بالإضافة إلى هذا، فإننا نلاحظ أن تعليم قيم في ظاهرها هي إسلامية وفي باطنها العكس تماما ، الأم تحرص على ابنها لكي يحفظ القرآن الكريم ، وإلى جانب هذه القيمة تعلمه قيم أخرى مضادة تماما للقيم الإسلامية ، وهي قيم الأنانية ، والنتصل من المسؤولية، أي فهي تحرضه على أن يكون أناني ولا يفكر في الآخرين .

¹ - وضروك دخلتوا للجامع يقرى من 8.5 حتى 11 ، والعشبة ثاني حتى للربعة...قتله متقعدش هكذا ، قتله أحنا معدناش الدراهم باه نفواياجوا، معدناش الدراهم باه نحوسوا ..قتلوا

² - قنعتة ، قتله وش تقعد ادير ..قتله تقعد يبقى يحمل فيك المسؤولية أنتاع خوك يبقى بقلك ديرله ، خرجة ، أعمله...قتله تروح تقرى وتخرج على الربعة ..وتشرب قهونك وتلعب...وتلعب ..وتلعب حتى تكره حياتك وانهار ميخلصش ، أيا مقال والوا

خلاصة الفصل

تم التطرق من خلال هذا الفصل إلى طبيعة التنشئة الاجتماعية التي تمارس داخل الأسر محل الدراسة، وطبيعة مرجعية قيمها وأساليبها وأهدافها، وذلك لمعرفة ما إذا كانت المبحوثات تنطلقن من مرجعية إسلامية أم لا، وقد قمنا بتصنيف القيم التي تنقلها الأسر إلى أطفالهن، إلى قيم تنظم علاقة الفرد مع الله، وأخرى تنظم علاقته بنفسه، وأخرى علاقته مع الآخرين، وفي الأخير القيم التي تحدد علاقته بالمحيط والكون بصفة عامة.

وقد ركزنا في كل فقرة على بعض القيم التي يفترض أنها أساسية. أما بالنسبة للأساليب فإننا قمنا أولاً بعرض أهم أساليب التنشئة الإسلامية، كأسلوب القدوة الحسنة، والحوار، وغيرها ثم مقارنتها ببعض الأساليب الخاطئة والتي تكاد تكون مشتركة بين جميع الأسر محل الدراسة، كالإهمال، والعنف البدني وغيرها.

أما فيما يخص الأهداف، فقمنا بعرضها في المرجعية الإسلامية ثم مقارنتها مع تلك التي تسعى إليها التنشئة الاجتماعية في الأسر محل الدراسة. وقد لاحظنا من خلال هذه الدراسة أن طبيعة التنشئة الاجتماعية تخرج في معظمها عن المنهج الإسلامي، ولاسيما في ما يخص الأساليب والأهداف.

الفصل العاشر: التحديات التي تواجه الأسر في الاعتماد على مرجعية إسلامية في عملية
التنشئة الاجتماعية

أولاً: التحديات الداخلية

ثانياً: التحديات الخارجية

- خلاصة الفصل

تمهيد

لا تخضع التنشئة الاجتماعية وممارستها، لإرادة الأفراد الذين يقومون بها وحدهم فتكون هذه العملية كما أراد لها أصحابها أن تكون، بل إنها بالإضافة إلى إرادة هؤلاء تتحكم فيها أسباب وعوامل موضوعية خارجة عن إرادة الأفراد وقد تكون لها الكلمة الأخيرة في نجاح هذه العملية أو فشلها. ذلك ما عبرنا عنه بالتحديات الداخلية والخارجية التي يواجهها الأفراد والمؤسسات في ممارستهم للتنشئة الاجتماعية. وفي دراستنا هذه ركزنا على مجموعة من التحديات الداخلية ارتأينا فعلا أنها تعرقل التنشئة الاجتماعية كما تتوخاها الأسر المبحوثة، مثل علاقة الزوجين بعضهما ببعض وعلاقتها بالمرجعية الإسلامية، ومثل تحمل الأم وحدها مسؤولية التنشئة الاجتماعية أو مشاركة الزوج إياها هذه المسؤولية. أما فيما يخص التحديات الخارجية فإننا اكتفينا منها بوسائل الإعلام والاتصال الجماهيرية التي تنافس الأسرة في نقل القيم الثقافية أكثر من مؤسسات التنشئة الاجتماعية.

أولا : التحديات الداخلية

1 - طبيعة العلاقة بين الزوجين والمرجعية الإسلامية

إن للعلاقة الزوجية دور كبير في تربية وتنشئة الأطفال في جو يسوده الاستقرار والتفاهم والطمأنينة، وقد يكون هذا له تأثير بالغ الأهمية في بناء شخصية الأطفال. ونحن في هذا البحث حاولنا أن نكتشف ما لهذا المتغير من تأثير على المرجعية التي يعتمدها الوالدين في عملية التنشئة الاجتماعية، وبالخصوص الإسلامية. ويمكن اكتشاف مدى تأثير طبيعة العلاقة بين الوالدين على اعتماد مرجعية إسلامية في التنشئة الاجتماعية من خلال بعض المؤشرات ، والتي يمكن إجمالها في ما يلي من فقرات الدراسة.

أ - العلاقة بين الزوجين ومبادئ الشريعة الإسلامية

قبل التساؤل عن طبيعة هذه العلاقة هل هي علاقة صراع أم علاقة تفاهم، وقبل الحديث عن اتفاق الوالدين على مرجعية واحدة في عملية التنشئة الاجتماعية توجب معرفة هل هذه العلاقة مبنية على نصوص الشريعة أم على ثقافة المجتمع وعاداته وتقاليده؟، بمعنى هل يحرص الأزواج في علاقتهم مع بعضهم البعض على تطبيق تعاليم الشريعة الإسلامية؟ بحيث يحتكم كل من الزوج والزوجة في علاقتهم، إلى الكتاب والسنة في كل كبيرة وصغيرة.

إن مقابلتنا مع المبحوثات أظهرت لنا في ما يخص هذا الموضوع الكثير من الحقائق، والتي هي في الواقع ليست جديدة بالنسبة لنا، كوننا نعيش في نفس المجتمع وننتمي إلى نفس الثقافة، وما كان لنا أن نختر هذا الموضوع ونصوغ فرضياته إلا لكوننا لاحظنا هذه الظواهر تتكرر في مجتمعنا باستمرار، فعلاقة الرجل بالمرأة في مجتمعنا هي علاقة فيها الكثير من التشنجات وهي علاقة تقوم في أساسها على العادات والتقاليد، هذه الأخيرة التي تقلل من قيمة الأنثى وتعلي من قيمة الذكر بشكل متطرف، ولأن التطرف في شيء سوف يؤدي إلى التطرف في نقيضه كما يقول الفيلسوف "عبد الرحمن بدوي"، فإن هذا التطرف حسب رأينا في ممارسة القهر على المرأة أدى إلى ردة فعل متطرفة، تبلورت في ظهور الحركات والمنظمات النسوية التي أصبحت تطالب بحقوق المرأة بشكل مبالغ فيه، بشكل يعارض معارضة صريحة ما جاء به ديننا الحنيف، كما أن هذا التطرف أدى إلى تمرد الكثير من النساء على أزواجهن، وخير دليل على ذلك، حالات الخلع التي تزداد كل يوم في مجتمعنا، هذه الحالات هي مؤشر خطير، ينذر بانهيأ أسرنا ومن ثم انهيار مجتمعاتنا، والأكثر من هذا ضياع أبنائنا الذين هم بناء المجتمع .

إن العلاقة بين الأزواج في الشريعة الإسلامية، هي علاقة تقوم على أساس المعاشرة بالمعروف، وهو ضد المنكر، الذي يعني: ما أنكره الشرع، وأجمع المجتهدون على

تحريمه. وذلك كما جاء في سورة النساء الآية 19: "...وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا".

ومعنى هذا، حسب ما جاء في تفسير "ابن كثير" (1)، "أي طيبوا أقوالكم لهن، وحسنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم كما تحب ذلك منها .." ثم يستدل "ابن كثير" بآية أخرى تؤكد قوله، الذي هو أن للزوجة أيضا حق على زوجها، مثل حقه عليها، في حسن المعاملة، وحسن المظهر وغيرها. يقول الله تعالى في سورة البقرة الآية 228: "ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف". ويستدل "ابن كثير" في هذا الموضوع بالرسول عليه الصلاة والسلام الذي هو قدوة وأسوة كل مسلم. فيقول: "وكان من أخلاقه صلى الله عليه وسلم أنه جميل العشرة دائم البشر، يداعب أهله، ويتلطف بهم ويوسعهم نفقته، ويضاحك نساءه، حتى أنه كان يسابق عائشة رضي الله عنها، يتودد إليها بذلك.. وكان صلى الله عليه وسلم إذا صلى العشاء يدخل منزله يسمر مع أهله قليلا قبل أن ينام، يؤنسهم بذلك".

إن الشريعة الإسلامية لا تتكر الخلافات التي تحدث بين الزوجين، أو تتجاهلها، هذه الخلافات التي قد تكون نتيجة اختلاف طباع وثقافة كل واحد منهما، أو نتيجة تدخل أطراف أخرى، فتصل المشاكل بالزوج لدرجة كره زوجته وبغضها، فالقرآن في هذه الحالة ينبه الأزواج، وذلك كما جاء في قوله تعالى في الشطر الثاني من الآية نفسها.

ويعلق "سيد قطب" على هذه الآية بقوله: "والإسلام الذي ينظر إلى البيت بوصفه سكنا وأمنا و ينظر إلى العلاقة بين الزوجين بوصفها مودة ورحمة وأنسا، ويقوم هذه الأسرة على الاختيار المطلق، كي تقوم على التجاوب والتعاطف والتحاب.. هو الإسلام ذاته الذي يقول للأزواج: "فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا"، كي يستأنس بعقدة الزوجية فلا تقصم لأول خاطر، وكي يستمسك بعقدة الزوجية فلا تتفك لأول

¹ - ابن كثير، تفسير لقرآن العظيم، راجعه وخرّج أحاديثه: أنس محمد الشامي، محمد سعيد محمد، القاهرة: دار البيان العربي، دط، ج 1، 2006، ص 609.

الفصل العاشر التحديات التي تواجه الأسر في الاعتماد على مرجعية إسلامية في عملية التنشئة الاجتماعية

نزوة، وكي يحفظ لهذه المؤسسة الإنسانية الكبرى جديتها فلا يجعلها عرضة لنزوة العاطفة المتقلبة، وحماسة الميل الطائر هنا وهناك. " هكذا أول صاحب "في ظلال القرآن"، هذه الآية التي تؤثر دوام العلاقة الزوجية واستمرارها على انفصامها وانهارها. ويعزز صاحب الظلال ، تأويله لهذه الآية بموقف لعمر رضي الله عنه، فيقول: "وما أعظم قول عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- لرجل أراد أن يطلق زوجته لأنه لا يحبها ... "ويحك ألم تبني البيوت إلا على الحب؟ فأين الرعاية وأين التذمم؟" (1) .

"وفي الحديث الصحيح: "لا يفرك مؤمن مؤمنة إن سخط منها خلقا رضي منها آخر". ويذهب "ابن كثير" في تفسيره لهذه الآية بقوله: فعسى أن يكون صبركم مع إمساكم لهن وكراهيتهن فيه خير كثير في الدنيا والآخرة، مستدلا بقول "ابن عباس" رضي الله عنه، في تفسيره لهذه الآية بقوله: "هو أن يعطف عليها فيرزق منها ولدا، ويكون في ذلك الولد خير كثير" (2)

إن ما ذهب إليه "ابن عباس"، له في الواقع العديد من الحالات التي تثبت هذا الاعتقاد وفي مختلف الأزمان.

إن اتصالنا بالميدان جعلنا نكتشف في ما يخص هذه العلاقة أن ما تنص عليه الأحكام الشرعية شيء ، وما يمارس في الواقع من قبل الأزواج شيء آخر ، فالشيء الذي لفت انتباهنا أن المبحوثات يستغرقن وقتا أطول عند جوابهم على هذا السؤال، أي عند حديثهم عن العلاقة بين أزواجهن ، وكذلك عند حديثهن عن علاقة آبائهن بأمهاتهن، وهذا إن دلّ عن شيء وإنما يدل رغبة المبحوثات في إخراج المكبوتات التي يعانينها مع أزواجهن، وما عانت به أيضا من قبلهن أمهاتهن.

¹ - سيد قطب، في ظلال القرآن، القاهرة: دار الشروق، ط40، ج1-4، 2012 ص 606 .

² - بن كثير ، تفسير لقرآن العظيم ، ج1، مرجع سابق ، ص 610.

الفصل العاشر التحديات التي تواجه الأسر في الاعتماد على مرجعية إسلامية في عملية التنشئة الاجتماعية

لقد فهمنا من تصريح هؤلاء المبحوثات، أن علاقتهن مع أزواجهن لا تخضع إلى المبادئ والأحكام الشرعية، بحيث تخضع علاقتهن في كثير من الحالات إلى العادات والتقاليد، أين يمارس الرجل على زوجته الكثير من العنف بكل أنواعه.

وهناك بعض المبحوثات من دفعتها طريقة تعامل زوجها معها إلى طلب الطلاق، هذه الحالة التي صرحت لنا أن زوجها كان يعاملها معاملة سيئة لدرجتها أنه يوقظها في أي ساعة من الليل، بطريقة فيها الكثير من العنف، كأن يضربها برجله، فتنهض مرعوبة من شدة تروعها. هذا ناهيك عن الحقوق الأخرى، كعدم كسوتها وتطبيبها.

وهناك من المبحوثات من قالت أن زوجها كان يعاملها معاملة سيئة حتى في الأشهر الأولى من زواجها، وحسبها أن له كثير من العلاقات الغير الشرعية مع النساء. كما صرحت هي الأخرى، بأن زوجها يحرمها من كثير الحقوق، كالكسوة، وتكاليف العلاج.. وغيرها.

وقد صرحت لنا أيضا هذه المبحوثة بأن أهل زوجها هم من اختاروها وليس هو، وهي تصرح بأنها بعد الزواج اكتشفت أن أهل الزوج اختاروها بالرغم من أنهم لا يعرفوها حق المعرفة وإنما تقدموا لها عن طريق وساطة، وهي بعيد عن مقر سكنهم، فهي تسكن في إحدى قرى ولاية مستغانم، وهم يسكنون في مدينة مستغانم، فبعد الزواج تبين لها أن هذا الزوج تقدم لخطبة الكثير من الفتيات من الجيران، ومن الأقارب ولكن كان يرفض من قبل الأسر، لكونه لم يكن صاحب أخلاق فاضلة، حيث كان سكير، ولديه الكثير من العلاقات المحرمة مع النساء.

إن تصريح المبحوثة في هذه النقطة بالذات هو خير دليل على أن مجتمعنا لا يعتمد على مرجعية إسلامية في ما يخص الزواج وفي كل مراحلها من الخطوبة وحتى الإنجاب والتربية. وأن هذه المسألة يرجع فيها إلى العادات والتقاليد أكثر من الرجوع إلى الدين.

وبما أن مجتمعنا مجتمع ذكوري في كثير من الأمور، فإنه لا يعتبر انحراف الرجل عار، مقارنة بالمرأة، ولهذا فهم يتغاضون في كثير من الأحيان عن هذا الجانب المهم من شخصية

الفصل العاشر التحديات التي تواجه الأسر في الاعتماد على مرجعية إسلامية في عملية التنشئة الاجتماعية

كل فرد سواء كان رجل أو امرأة. ومن أكبر أنواع الظلم الاجتماعي في مجتمعنا هو البحث عن المرأة الصالحة لابنهم الطالح. ! فهذه هي الثقافة السائدة عند كثير من الأسر.

ويمكن القول أنه، وبالرغم من أن مجتمعنا مجتمع ذكوري بالدرجة الأولى، وبالرغم من الظلم والقهر الذي تتعرض له المرأة من قبل الرجل، إلا أن هذا لا يعني أن المرأة ملائكة، فهناك الكثير من النساء هن من يمارسن العنف على الرجال ولا سيّما العنف الرمزي واللفظي، هذا بالإضافة إلى أن الكثير منهن لا تحتكمن للنصوص الدينية في علاقتها الزوجية.

ب - العلاقة بين الزوجين: علاقة صراع أم علاقة تفاهم وانسجام؟

في بعض الأحيان عندما يكون هناك مشاكل وصراع بين الأزواج فإن هذا يحول دون الاعتماد على مرجعية إسلامية، ففي بعض الأحيان يأخذ أحد الطرفين من الأولاد أداة لمخالفة الطرف الآخر في كل كبيرة وصغيرة ، حتى على حساب الدين وعلى حساب نفسية وبناء شخصية الطفل. رأينا الكثير من الأمهات يعلمن أطفالهن بعض القيم والسلوكيات السلبية من أجل الانتقام من أزواجهن، كأن تعلم ابنها التجسس على أبيه ، وإخبارها بكل كبيرة وصغيرة، ومنهن من تعلم أبنائها ثقافة الاستهلاك والتبذير من أجل تحطيم الرجل مادياً ،...ومنهن من يعلمن الكذب لأولادهن.

إن الأطفال عندما ينشئون في أسر كهذه يسودها الصراع بكل ما يحمل هذا الصراع من قيم كالحقد والكراهية والانتقام ... وغيرها، فإن كل هذا سوف يؤثر على شخصيتهم وأن أقل شيء يكتسبوه في هذا الجو هو ، قيم المناورات، وهذه القيم سوف تصاحبهم في باقي مراحلهم العمرية، حيث يحملونها معهم أينما حلواً وحيث ما ارتحلوا، في علاقاتهم ، وفي أماكن عملهم ..وفي كل مكان.

لقد صرحت لنا الكثير من الأمهات محل الدراسة، من خلال مساءلتهم في هذا الموضوع أن الكثير منهن لا تقوم بعلاقتهم مع أزواجهن على التفاهم، حتى وغن كانت في

بعض الأحيان لا يوجد صراع، وقد صرحت أخريات أنهن يتعرضن كثيرا للعنف من طرف أزواجهن ولاسيما العنف الجسدي واللفظي، وأن هذا أثر عليهن نفسيا وعلى أولادهن. وفي المقابل هناك من المبحوثات من تقول أن علاقتها الزوجية تقوم على الاحترام المتبادل، وعلى التشاور، في كل كبيرة وصغيرة.

إن التنشئة الاجتماعية التي تتم في أسرة متصارعة، هي تنشئة تتميز بالتذبذب في قيمها وفي أساليبها، وحتى في أهدافها. وأن أهم شيء يفتقدونه الأولاد في هذه الأسر هو غياب القدوة الحسنة، من قبل الوالدين.

ج - مدى اتفاق الوالدين على مرجعية واحدة في ممارسة التنشئة

قد يقول من يقرأ هذا البحث، أن هذا السؤال هو في مضمونه ومحتواه نفسه السؤال الذي سبقه بصيغة مختلفة، ولكن نحن نقول أن هناك فرق بين السؤالين، حيث أن الأول يعبر فيها عن حالة يكون هناك صراع بين الطرفين، هذا الصراع قد لا يكون سببه عدم الاتفاق على طريقة التنشئة الاجتماعية، وإنما هو صراع يطبع كل حياتهما، قد يكون سببه أمور أخرى متعلقة بنفسية وشخصية كل واحد منهما، ككره أحدهما للآخر، أو كوجود مشاكل بينهما تعود إلى ما قبل الإنجاب، أو وجود مشاكل بين الزوجة وأهل الزوج وغيرها من الأسباب، مما يؤدي إلى كراهية كل طرف للآخر، مما ينجم عنه مضادات كل طرف للآخر، فقد يكون لهما نفس الاتجاه والمرجعية، ولكن الكراهية التي بينهما والحقد يجعلهما يسلكان سلوكات ضد مبادئهما. أما هذا السؤال، فهو يخص أولئك الأزواج الذين لا يوجد صراع بينهما إذا أخذنا علاقتهما في مجموعها، وإنما يكون الاختلاف فقط في عملية التنشئة الاجتماعية، هذا الاختلاف الذي قد ينجم على الاختلاف في ثقافة وبيئة كل طرف منهما، أو نتيجة عدم التكافؤ في المستوى العلمي والثقافي وغيرها.

إن هذه الظاهرة تعتبر من أكثر الظواهر شيوعا في أسرنا في مجال التنشئة الاجتماعية، أين تجد بعض الأسر لا يتفق الوالدان في تنشئتهما لأطفالهما على اتجاه واحد

الفصل العاشر التحديات التي تواجه الأسر في الاعتماد على مرجعية إسلامية في عملية التنشئة الاجتماعية

أو مرجعية واحدة سواء تعلق الأمر بطبيعة القيم التي ينقلونها لأطفالهم أو بالأسلوب أو حتى بالأهداف التي يراد تحقيقها من عملية التنشئة الاجتماعية.

ويعتبر هذا حسب الكثير من المنظرين في هذا المجال شيء خطير على بناء شخصية الطفل، لأن هذا يجعل عملية التنشئة الاجتماعية عملية ذات مصدرين ، وهذا يصل بالأطفال إلى فقدان البوصلة التي توجهه حياتهم، كما أن عدم اتفاق آبائهم على قيمة واحدة ومرجعية واحدة يجعلهم يحتارون في أي القيم يأخذون وأي رأي يتبعون، وسوف تؤدي بهم هذه الحيرة إلى صراع داخلي، مما يجعلهم هذا الصراع غير متوازنين، والأكثر من ذلك قد يؤدي ببغضهم إلى ازدواجية الشخصية، بمصطلحات علم النفس، وهي تعرف بالانفاق في ديننا الحنيف. هذه الازدواجية التي أكدها عالم الاجتماع العراقي "علي الوردى" شخصية الفرد العراقي⁽¹⁾

لقد لاحظنا هذه الظاهرة تتكرر عند الكثير من الأسر، وهو ما صرحت به أحد المبحوثات أنظر الهامش⁽²⁾، التي ترى أن زوجها يقوم بضرب ابنه بطريقة خطيرة، فهي دائما في صراع معه على أسلوبه هذا، وحسب رأيها أن زوجها يضرب ابنه عموما في الحالات أو المواقف التي لها علاقة مع الجيران أو مع أصدقاء الطفل⁽³⁾ وهي ترى أن هذا ليس مشكلا يستحق الضرب، وهي تفسر سلوك زوجها هذا تارة لأنه تعرض هو الآخر إلى الضرب من طرف أبيه، وتارة أخرى تفسره بعقلية العسكر لأنه شرطي⁽⁴⁾

إن موقف هذه المبحوثة هذا دفعنا إلى الاستغراب من التناقض الذي يظهر على اتجاهاتها، فهي أيضا صرحت لنا من قبل أنها عندما يتشاجر ابنها مع أبناء الجيران فإنها

¹ -أنظر: علي الوردى، شخصية الفرد العراقي، مرجع سابق، ص 61 ، 62 ، 63 .

² - واه .. عندنا التناقض .. أنا منتفهمش معاه غير على الذراري.

³ كيما خطرا ولدي خير على واحد يتكيف ، راح قال لباباه ، كيسمع الزوج انتاعي قبض الحزامه وطاح فيه ..قتله الغريان صغير، قع ملي كنا صغار واحد يخبر على واحد..علاش تضرب فيه بالحزامه. أنا نقولوا ماشي قع الضرب كيما هاك ، أنا شحال من صوالح يديرهم ولدي منقولهملوش ...أو يتعقد الغريان ، ولا معلابليش ..سيرتو الذراري انتاع ضرورك تضريبه كيكر يحقد عليك ، منخبرش عليه كلشي ، خطرناش باباه خشين .

⁴ - أنا زوجي يحكيولي ، كيكانوا صغار بوهم يضربهم بزاف ... منيش عارفة تعلم الطريقة انتاع بوه ولا انتاع العسكر ..ولا .

تتهال عليه ضربا سواء كان ظالما أو مظلوما دون شفقة ولا رحمة...⁽¹⁾ !! ، إن هذا التناقض الذي يقع فيه الكثير الوالدين، وهو الذي يسميه بأسلوب التذبذب في التربية، هذا الأسلوب الذي يجعل الطفل يفقد بوصلة الاتجاه الصحيح.

وفي بعض الأحيان عدم اتفاق الوالدين على قيم واحدة أو أسلوب واحد في عملية التنشئة الاجتماعية يكون ضمنيا، أي لا يؤدي إلى الصراع الظاهر، وإنما يظهر هذا اللاتجانس في الاتجاه التنشئي من خلال سلوكياتهم أو من خلال الأهمية التي يعطيها كل طرف لقيمة من القيم، فمثلا تجد في بعض الأسر الأم تحرص على أداء ابنها للصلاة لأنها بالنسبة لها شيء أساسي ، في حين تجد الأب لا يصلي، إذن هو لا يمثل قدوة لأطفاله، من ناحية كما أنه لا يحمل هم صلاتهم من عدمه وهو ما لاحظناه في تصريح أحد المبحوثات ⁽²⁾.

إن هذه العوامل وغيرها ، حسب رأينا تعتبر من التحديات الداخلية التي تعيق عملية التنشئة الاجتماعية في كل جوانبها، بغض النظر عن المرجعيات التي تعتمدها.

د - التنشئة الاجتماعية : مسؤولية الأم أم مسؤولية أبوية مشتركة؟

تعتبر التنشئة الاجتماعية في الشريعة الإسلامية مسؤولية كل من الوالدين على حد سواء (الأم والأب) ، وقد جاء هذا في كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ففي القرآن الكريم ، قوله تعالى : " يا أيها اللذين آمنوا قووا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة" (التحريم 6)

وهناك أيضا الكثير من الأحاديث النبوية التي تبين كيف كان الرسول عليه الصلاة والسلام يعلم زوجاته الآداب والأخلاق، وكيف كان يرسخ القيم النبيلة في نفوس الأبناء، كما سار على نهجه الصحابة والتابعون وتابعو التابعين.

¹ - قتله بصح أنا شحال من خطرة يجو يقولولي بلي ولدك...دار ودار...منضربوش ، قتلوا هاذوا نزارى معندهمش العقل. هذا يخبر على ذا، بصح هو يعرف غير يصفع...آيا ويحمله المسؤولية....

² - خطراکش هو (زوجها) ميتكلمش ، خطراکش هو الصلاة هاكي عارفة أنتاع انا ولهيه....(يعني لا يصلي ، أو يصلي ويبطل)

الفصل العاشر التحديات التي تواجه الأسر في الاعتماد على مرجعية إسلامية في عملية التنشئة الاجتماعية

إن اعتبار أن التربية مسؤولية من مسؤوليات الأم وحدها هو أيضا مؤشر من مؤشرات غياب المرجعية الإسلامية في الكثير من أسر المبحوثات، فالكثير منهن صرحن بأن أزواجهن لا يهتمون بتربية أبنائهم، ولا يحرصون على نقل القيم التي يؤمنون بها لأبنائهم سواء كانت قيم إسلامية أو غيرها، وأن دور الكثير منهم يتوقف عند المحاسبة فقط، والمعاتبة، محاسبة الأبناء إذا أخطئوا ومعاتبة الأم وتحميلها مسؤولية خطئهم وفشلهم.

وهناك من الأسر من وجدنا لديهم أطفال مرض التوحد، كما هو حال أحد المبحوثات⁽¹⁾، حيث صرحت لنا المبحوثة بأنها هي من يحمل هم مرض هذا الولد، وأنها لكثرة مسؤولياتها لم تستطع تطبيق البرنامج الذي أعطوه لها المتخصصين في هذا المجال، مما عرقل عملية شفائه، ولاسيما أنه من بين النصائح التي أعطوها لها الأخصائيين ضرورة اندماجه في المجتمع، وأحسن طريقة لهذا أن يصطحبه أبيه معه للأماكن العامة كالمقاهي وغيرها، وهي النصيحة التي لم يطبقها هذا الأب.

وهذه الحقيقة أكدتها أيضا دراسة حول التوحد قامت بها أحد الطالبات والتي كنا فيها أحد المناقشين لهذه المذكرة، لقد أثبتت هذه الطالبة أن الأمهات هن من يتحملن هم المرض ويتكفلن به وأن الآباء نادرا ما يتدخلون

قد يقول قائل أن الطفل ولا سيما في السنوات الأولى من عمره يكون أكثر التصاقا بأمه، أما أباه فإنه يقضي معظم أوقاته في الخارج لتأمين وتغطية حاجيات الأسرة المادية، هذا الكلام صحيح إلى حد ما، ولكن حتى الأم أصبحت هي الأخرى تقضي معظم وقتها خارج البيت إذا أخذنا بعين الاعتبار الأمهات العاملات.

¹ -...كينجم فالتالبة أنا وجواد وراني نعتله...أجيك (تقصد ابنتها الصغيرة)...ولا مدرتيهاش في حرك تيدي تكي تكي حتى انت تتنارفي وتلمي كلش زعمى هي كيتخدمى مع جواد راسك اراسوا يليق هو يديها(تقصد زوجها)..وهو 24 ساعة على 24 ساعة وهو هاك هاك (إشارة الى الادمان على الهاتف النقال)، هو قابض التليفزيون ويقلوا شد حوك...شد أنت ولدك .. أدي ولدك ..عاد قالك بلي المجتمع هو الي يخرجوا من هذي العقدة ..قالك كيتخرج للقهوة أديه معاك للقهوة ، كيجمع مع صحابك أديه معاك ..كيتخرج للحنوت تشري الخبز لازم تديه ..يليق تعطيه الدراهم وتقله هاك اعطي لعمي باش يعطيك الخبز، قتله اعطيه راس صلاحة في البورسة باه يشده ..قتله اعطيه الشكارة انتاع الحليب باش يشدها...ولا غير يهرب منوا . خطرا قع منشوفهش منين يروح يشري.

إن عملية التنشئة الاجتماعية ، ولا سيما تنشئة الأطفال في الصغر تتطلب تضافر الكثير من الجهود وليس فقط الوالدين، ومهما كانت مسؤولية الآباء، فهذا لا يعني أنه يتصل من هذه مسؤوليته فهي أولوية الأولويات، فهو يستطيع متابعة سلوك أطفاله وتصرفاتهم حتى عن بعد ولا سيما نحن في عصر أصبح فيه انتشار واسع لوسائل التواصل بالصوت والصورة .

بالرغم من أن الكثير من المبحوثات صرحن بأن أزواجهن لا يحملن هم تربية أطفالهم ، إلا أن هناك حالات ،كالأسرة رقم 14 أين وجدنا الأب هو من يحرص على تربية أولاده ، وهو من يقوم بترويض القيم والمبادئ في نفوسهم، بل الأكثر من ذلك فهو يعلم حتى أهم أمور دينها لأنها أمية ، وتجهل الكثير عن أمور الدين، وهو ما صرحت به المبحوثة (أنظر إلى الهامش)⁽¹⁾

2 – جهل الوالدين بأحكام الدين الإسلامي

لقد ارتأينا في هذه الدراسة أن متغير جهل الوالدين ببعض أو معظم أحكام الشرع يتحكم في اعتماد المرجعية الإسلامية في عملية التنشئة الاجتماعية لدى الكثير من الأسر، ذلك أن فاقد الشيء لا يعطيه كما يقول المثل.

وقد اكتشفنا بشكل ضمني وبطريقة غير مباشرة من خلال تصريحات الكثير من المبحوثات على أسئلة لها علاقة بمتغيرات أخرى وليس بالضرورة لها علاقة بمتغير " جهل الوالدين"،اكتشفنا جهلهم للكثير من الأحكام الشرعية ولا سيما تلك المتعلقة بمسألة التربية وأساليبها.

¹ - البنت ماشي قارية في الجامع بصح باباها منين يجي ويولي يقرأ يقربها معاه هو راه يحوس يدخلها عنده التحت في الجامع اشيوخ مجبوهدش .كيما الصغير يديه للجامع عنده 4 سنين مرة على مرة بلبسله عباية ويديه، قالي منين يولي عنده 7 سنين نولي نديه معايا للجامع منخليش الطفل يروح معاك ، الطفل يقعد مع بوه يقلي باش يتعلم الطريقة انتاع باباه ميتعلميش الطريقة منين تخرجي ، يقلي الا منقلهاش .

فمثلا جواب المبحوثة في الأسرة 1 حول سؤال المتعلق بوفائها بالعهد مع أطفالها أم لا¹، كشف لنا مدى جهلها بأحكام الشرع في هذا الموضوع، فهي لا تقي بوعدا وتبرر عدم وفائها بأسباب واهية، وتعتبر هذا كذبة بيضاء².

كذلك هناك منهن من تعتقد أن الزواج ليس من الدين، وهو من العادات والتقاليد، و للفرد الحرية في ممارسته أو العزوف عنه، ، كما أنها تجهل حتى المعايير التي وضعها الدين الإسلامي لاختيار كل من الزوج والزوجة ، والتي أشرنا لها سابقا، وهو ما صرحت به المبحوثة في الأسرة(10)³

ثانيا : التحديات الخارجية

1 – وسائل الإعلام والاتصال

تطورت وسائل الإعلام في الآونة الأخيرة ، تطورا مذهلا وتنوعت تنوعا كبيرا منها ما هو سمعي كالراديو وما هو مرئي كالتلفزيون والسينما والانترنت، ومنها ما هو مطبوع كالكتب والمجلات والصحف(4) ، وكان من نتاج هذا التطور العلمي والتكنولوجي الذي اكتسح العالم لدرجة أنه أسقط جميع الحواجز التي كانت تفصل بين مناطق العالم في وقت مضى، أن أضحت هذه المناطق عالما واحدا مصغرا تتأثرا أجزاءه بكل الأحداث التي تقع في أي جزء منه(5).

وترتب عن هذا كذلك، أن أصبحت وسائل الإعلام في عصرنا الحالي تحتل مكانة مهمة في حياة الكثير من الأفراد، لدرجة جعل الاستغناء عنها أمر صعب (6). والأكثر من

¹ - يمكن الرجوع الى تصريح المبحوثة كاملا في الصفحة

² - القصة كاملة حول قصة المرأة مع الطفل وحبية التمر

³ - معلبلش أنا شفتوا انسان نورمال محوستش على الزين ولا ..ألا عاقل مربي صايي الحمد لله يا ربي

⁴ -- أنظر: فاديا أبوخليل، الثقافة والتنشئة الاجتماعية، بيروت: دار النهضة العربية، ط1، 2015 ، ص 126

⁵ -أنظر: ثناء يوسف الضبع، تنمية المفاهيم الدينية والخلقية والاجتماعية لدى الأطفال، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن، ط1،

2011،ص 246

⁶ -أنظر: إبراهيم ناصر، التربية الأخلاقية، عمان (الأردن): دار وائل للنشر ط1، 2006 ، ص 293

الفصل العاشر التحديات التي تواجه الأسر في الاعتماد على مرجعية إسلامية في عملية التنشئة الاجتماعية

هذا أصبحت تمثل المصادر والمنابع الأساسية التي يتشرب منها الناشئة القيم الاجتماعية والعادات والتقاليد وحتى الاتجاهات، كما أن لها دور كبير في نشر المعارف والمعلومات وتشكيل الرأي العام، وبلورة العقول والإيديولوجيات ودعم أنظمة أو هدمها (1).

إذن، هناك هيمنة كبيرة لوسائل الإعلام والتقنيات التكنولوجية على عملية التنشئة الاجتماعية، فهي في العصر الحالي المنافس القوي للعديد من المؤسسات التربوية، ولا سيما مؤسسة الأسرة، كما أنها استحوذت على العديد من وظائفها التقليدية، ويرجع السبب في ذلك لسيطرة أو هيمنة ثقافة الصورة السمعية البصرية على حساب الثقافة الشفوية والمكتوبة، كما أن هذه الوسائل تتمتع بمجموعة من الخصائص والمميزات كاعتبارها مثلاً بيئة مفتوحة، تصل إلى معظم الناس، كما أنها ترضي أذواق وحاجات العديد من الشرائح الاجتماعية ولا سيما النشء والشباب، كما أصبحت هذه المؤسسات مرجعية لتشكيل الشخصية المعاصرة ولا سيما الأطفال والشباب (2).

ومن هذا المنطلق كان تركيزنا على هذه المؤسسات وعلى دورها في مدى اعتماد الأسر على مرجعية إسلامية في التنشئة من عدمه، ولكن تركيزنا لم يكن على جميع وسائل الإعلام والاتصال وإنما التركيز على نوعين فقط وهما: التلفاز، والانترنت، واختيارنا لهما ليس من باب الصدفة أو بطريقة عشوائية، ولكن لكونهما الأكثر استعمالاً في أسرنا والأكثر تأثيراً على حياتنا ومعتقداتنا وعاداتنا وتقاليدنا، بل ويمثلون أكبر تحدياً لأغلبية الأسر .

لقد ظهر التلفزيون كوسيلة من وسائل الإعلام في نهاية العشرينات وأوائل الثلاثينات من هذا القرن، ولكن انتشاره العام كان بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، وفي العقود الأخيرة انتشر بسرعة فائقة في معظم أرجاء العالم (3)

1 - أنظر: فاديا أبوخليل، الثقافة والتنشئة الاجتماعية، مرجع سابق، ص 126.

2 - أحمد علي الحاج محمد، علم الاجتماع التربوي المعاصر، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان: ط1، 2012، ص 127-128.

3 - أنظر: عبد الله زاهي الرشدان، التربية والتنشئة الاجتماعية، الأردن: دار وائل للنشر والتوزيع، ط1، 2005 ص 340

الفصل العاشر التحديات التي تواجه الأسر في الاعتماد على مرجعية إسلامية في عملية التنشئة الاجتماعية

وينفرد التلفزيون بمجموعة من الخصائص إذا ما قورن بوسائل الإعلام الأخرى، فهو يتميز عن الإذاعة بكونه وسيلة مرئية، وعن السينما بكونه يدخل كل بيت وعن الجرائد بكونه لا يحتاج إلى قراءة⁽¹⁾ فهو يجمع بين الرؤية و الصوت والحركة واللون والجادبية⁽²⁾. ويعتبر التلفزيون أكثر قدرة على جذب المشاهد وشد انتباهه وذلك لتنوع برامجه ومحطاته، ولهذا فهو يلعب دور كبير في تنمية الحس الأخلاقي إذا ما استخدم بطريقة تربوية⁽³⁾ وقد يكون العكس، فالتلفزيون سلاح ذو حدين ، فهو أقدر المؤسسات الإعلامية على التمويه والمغالطة وقلب الحقائق وإخفائها⁽⁴⁾ ويقوم التلفزيون بعدة وظائف، كالوظيفة الإخبارية والتسويقية (الإعلان والإشهار)، والوظيفة الترفيهية... وغيرها، والوظيفة التربوية ، وهذه أهم وظيفة وأخطرها على الإطلاق حسب رأينا.

فالوظيفة التربوية للتلفزيون تندرج تحت المفهوم الشامل للتنشئة الاجتماعية، حيث تلعب هذه الوسيلة الإعلامية دورا مهما في عملية التنشئة الاجتماعية والنمو الاجتماعي للأفراد والجماعات.

إن ما يبث من برامج على شاشات التلفزيون هي في كثير من الأحيان برامج مقصودة مخطط لها مسبقا ولها أساليبها الخاصة وأهدافها التي وضعت من أجلها، وقد يكون جزء منها في بعض الأحيان يعرض بطريقة عشوائية وقد يؤثر هذا بشكل غير مباشر في قناعات وسلوكات الأفراد ولغتهم ومعتقداتهم وحتى اتجاهاتهم، ومن ثم التأثير على مشاعرهم وأفكارهم⁽⁵⁾

1 - أنظر: إبراهيم ناصر، التربية الأخلاقية ، عناية: جامعة باجي مختار، دط، 2002 ، ص 296

2 - أنظر: مراد زعيمي، مؤسسات التنشئة الاجتماعية، مرجع سابق ، ص 171

3 - أنظر: أنظر: إبراهيم ناصر، التربية الأخلاقية ، عمان (الأردن): دار وائل للنشر ط1، 2006 ، ص 296

4 - أنظر: مراد زعيمي، مؤسسات التنشئة الاجتماعية، مرجع سابق ، ص 171

5 - أنظر: مراد زعيمي ، مؤسسات التنشئة الاجتماعية، مرجع سابق، ص172-175

ويرى "جورج كومستيك (Comstock) أن التلفزيون يلعب دورا كبيرا في تنشئة الطفل، وهو بذلك ينافس الأسرة والمدرسة ومؤسسات تربية أخرى، وهو يؤثر على معتقدات وقيم وتوقعات الأطفال⁽¹⁾.

صحيح، إن هذه الوسيلة الإعلامية أصبحت تنافس الأسرة في وظيفتها بل الأكثر من ذلك أنها أصبحت تشوش عليها في وظيفتها هذه، وهو ما لاحظناه في كثير من الأسر، وذلك لما يبثه من برامج ومسلسلات تزوج للكثير من القيم الغير أخلاقية والتي لا شك تعارض القيم الإسلامية ومبادئها، إن ما اكتشفناه من خلال مقابلاتنا مع الأمهات ، أن الكثير منهن يشاهدن الكثير من المسلسلات ولاسيما التركية والهندية وغيرها، والأكثر من هذا مع أطفالهن الصغار، أو مع بناتهن المراهقات.

لقد تبنى الكثير من الفتيات والفتيان في مجتمعنا أفكار ومعتقدات غريبة عن ثقافتنا الإسلامية، وإننا نلاحظ أن الكثير منهم أصبح يتخلى يوما بعد يوم على هذه الثقافة ويتبنى غيرها.

هذا بالنسبة للمسلسلات والبرامج الترفيهية، اما بالنسبة للأفلام الكرتونية، فإن مشكلتها أكبر، لأن رسائلها خفية لا تظهر للوهلة الأولى ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى، فإن أغلبية الوالدين لا يقومون بمراقبة أبنائهم عند مشاهدتهم للرسوم المتحركة، ذلك حسبهم أنها أفلام بريئة براءة أطفالهم، ولقد اكتشفنا هذا الاعتقاد عند الكثير من الأمهات، عندما تسألها عن ماذا يشاهد أبنائها في التلفزيون فتقول فقط الرسوم المتحركة، أنا لا أتركه يشاهد أشياء أخرى.

وفي هذا المجال قام الباحث "محمود أبو فروة الرحبي" بدراسة حاول فيها تحليل ثلاثة من أشهر الأفلام الكرتونية التي تبث في القنوات العربية الموجهة للأطفال، وذلك

¹ - أنظر: صالح محمد علي أبو جادو، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، الأردن(عمان)، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط2، 2000. ص 235

الفصل العاشر التحديات التي تواجه الأسر في الاعتماد على مرجعية إسلامية في عملية التنشئة الاجتماعية

للكشف عن الرسائل الخفية التي تتضمنها هذه البرامج، توصل من خلالها أن هناك رسائل خفية في هذه البرامج تهدف إلى التأثير على الأطفال وبرمجتهم بطريقة تفيد صانعي هذه البرامج بالإضافة إلى العنف الشديد، كما أن هناك مخالفات شرعية كبيرة، وهو يرى أنه في بعض الأحيان لا تكون هذه الرسائل مقصودة وإنما تأتي عفواً من طرف المرسل فهو من خلال برامجه يحاكي حياته الحقيقية، هذه الحياة التي تتناقض في كثير من الأحيان مع عقيدة وعادات وقيم المتلقي، وكل هذا يتسلل إلى عقول أطفالنا في الخفاء والعلن، وأن معظمها لا تراعي القيم والأخلاق ناهيك عن الشريعة الإسلامية⁽¹⁾.

وإذا كان هذا هو خطر التلفزيون على الأطفال فإن الانترنت خطرهما أعظم، وذلك كونها " بدأت تحدث تحولات جذرية في ملامح حياتنا اليومية التي تهاوت فيها الحدود بين ما هو عالمي ومحلي، وتعددت فيها قنوات الاتصال والتفاعل، وتزايدت فيها المهمات التي يمكن أدائها وتنفيذها على الخط".

لقد أصبح استخدام هذه الوسيلة في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، حسب الدارسين لهذا المجال يزداد يوماً بعد يوم، وذلك في مختلف مجالات الحياة بمستوياتها الثقافية منها والاقتصادية والدينية والسياسية... وقد يكون من الإيجابي وجود الكثير من المواقع الدينية التي تمكن العلماء من استغلالها لنشر الثقافة الإسلامية ووضع الكثير من المراجع الدينية والعلمية مما يسهل عملية تداولها والاستفادة منها⁽²⁾.

لقد أصبحت الانترنت أحد وسائل الاتصال الحديثة التي يتعرض لها الأطفال دون مشاركة من الكبار على عكس وسائل الإعلام التقليدية الأخرى مثل: التلفزيون والإذاعة والكتب والمجلات وغيرها.

¹ -- محمود أبو فروة الرجبى، دليل الأهل في التعامل مع برامج الأطفال التلفازية، في المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الأسرة المسلمة في ظل التغيرات المعاصرة، عمان: دار الفتح، ط1، 2015، ص 802-821.

² - أنظر: عبد المحسن بن أحمد العصيمي، الآثار الاجتماعية للانترنت (رسالة دكتوراه حصلت على امتياز مع مرتبة الشرف الأولى في عام 2004)، الرياض: قرطبة للنشر والتوزيع، ط1، 2004، ص 31.

الفصل العاشر التحديات التي تواجه الأسر في الاعتماد على مرجعية إسلامية في عملية التنشئة الاجتماعية

فالانترنت له ايجابياته مثل البحث عن المعلومات والتعرف على الأشخاص والثقافات والفنون، أما سلبياته فأهمها الإدمان الذي يعني استخدامه لفترات طويلة تغطي على ممارسة الطفل للأنشطة الأخرى الهامة واللازمة لتنشئة الطفل ونموه نموا سليما. كذلك يتعرض الطفل لفيروسات الانترنت التي تدمر المعلومات الخاصة بالأسرة وتقتحم الخصوصية عن طريق قرصنة الانترنت.

كما يؤثر إدمان الطفل للانترنت على أشياء أخرى في حياته مثل الأنشطة الرياضية والعادات الغذائية الصحية وفقد القدرة على التواصل مع العالم من حوله مما يعزز من إحساس الطفل بالوحدة التي تصل إلى حد العزلة⁽¹⁾.

وفي هذا المضمار رصدت بعض الدراسات الميدانية مخاوف الرأي العام العربي من أثر العولمة (كما يمثله الانترنت) على القيم مثل دراسة الزهراني (1992 م) للآثار السلبية للإنترنت وكانت هذه المخاوف تتمثل في تقديم الأفكار الهدامة التي تخل بعقيدة الطفل المسلم، وتضييع وقته وجهده والتشجيع على التبرج والاختلاط وإفساد أخلاق الناشئة ونشر عادات الكفار ومناسباتهم، وإثارة الغرائز والشهوات، بالإضافة إلى عدم احترام العادات والتقاليد المتعارف عليها بين أبناء المجتمع، والسعي الدائب لنشر العادات الغربية في المأكّل والملبس ونمط الترفيه الذي تتعرض له جميع الدول العربية والإسلامية.

إن هذا القول يصدقه الواقع، لقد كانت الكثير من الأمهات محل الدراسة يتذمرن من إدمان أبنائهن وبناتهن على هذه الوسيلة، وأن هذا بالإضافة لتعليم أبنائهن سلوكيات غير لائقة، إلا أنه أيضا يضيع لهم الكثير من الوقت ويجعلهم يضحون بالكثير من الواجبات

¹ - منى محمد علي جاد، طرق وأساليب تربية الطفل، الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط1، 2010، ص 78 .

الفرائض ، كالصلاة مثلا، والذهاب للمسجد وهو ما اتفقت عليه بعض المبحوثات (الأسرة 1 ، 6 ، 11) ¹

هذا وصرحت بعض الأمهات بأنهم لا يمتلكون الأنترنت، وحسبها ان زوجها لا يريد ادخالها لأنه يرى ضررها أكثر من نفعها، وهو يخاف من أن يضيع أولاده بسببها، ولكن بعد مدة أعدت الزيارة لنفس الأسرة، وجدت هذا الأب أدخلها، وهو يرى أنها ضرورية خصوصا بالنسبة له. نعم لقد أصبحت تبعيتنا لهذه الوسيلة أكثر من تبعيتنا لآبائنا.

2 - المسجد

"تلعب أماكن العبادة دورا هاما في التنشئة الاجتماعية للفرد من حيث التعاليم الدينية والمعايير السماوية التي تحكم السلوك بما يضمن سعادة الفرد في الدارين ،وهي بوظيفتها هذه تساهم في توحيد السلوك الاجتماعي وإزالة الفوارق بين مختلف الطبقات الاجتماعية، وتنمية الضمير عند الفرد"⁽²⁾

ونظرا لأهمية هذا المكان المقدس ولدوره الوظيفي في المجتمع الإسلامي "فان أول عمل قام به الرسول عليه الصلاة والسلام عند هجرته من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة هو بناءه للمسجد، ولم يكن ليفعل ذلك إلا لأنه يعي جيدا ما لهذه المؤسسة من أهمية في جمع شتات المسلمين وفي تحقيق أهدافهم"⁽³⁾.

وقد حذا الخلفاء والصحابة وحكام المسلمون حذو الرسول عليه الصلاة والسلام فأسسوا المساجد في شتى أنحاء العالم الإسلامي وفي كل مكان يوجد فيه المسلمون وأصبح

¹ - راه في ثلث 3 سنين ولدي راه يصلي ميظلهاش يوميا يروح للجامع ، من هذا العام باباه شرالوا الطابلات ولدي ...الجامع محطش كراعوا فيه، الجمعة يروح ، بصح كان يصلي الظهر في الجامع ثم ، العصر في الجامع ، المغرب في الجامع ... من الفصل الثالث جابله الطابلات ولدي تبدل.

² - أنظر: فاديا أبو خليل، الثقافة والتنشئة الاجتماعية وأثرهما في تكوين شخصية الفرد، بيروت : دار النهضة العربية، ط1 ، 2015 ، ص

³ - أنظر: عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، دمشق: دار الفكر، ط27 ، 2009، ص 108 .

الفصل العاشر التحديات التي تواجه الأسر في الاعتماد على مرجعية إسلامية في عملية التنشئة الاجتماعية

المسجد رمزا للإسلام ومركزا للمسلمين يؤدون فيه عبادتهم ويبثون من خلالها تعاليم دينهم الحنيف ويلتقون فيه صباحا ومساء على مرّ السنين والأعوام⁽¹⁾

ويعتبر المسجد المؤسسة الإسلامية الأولى في التربية والتعليم، وذلك بعد دار الأرقم بن أبي الأرقم في مكة المكرمة التي اتخذها الرسول عليه الصلاة والسلام والمسلمون من بعده مركزا لنشر العلم والمعرفة بين أبناء المسلمين. وقد نشأت كل العلوم الإسلامية ما بين شرعية ونقلية مثل: الفقه والتفسير ورواية الحديث ولغوية وفلسفية وغيرها في رحاب المسجد قبل أن تظهر الكتابات والمدارس ودور الحكمة والمكتبات والرباطات وغيرها من معاهد التربية الإسلامية. وعن المسجد تفرعت بقية معاهد التربية والتعليم الإسلامية الأخرى، فالمسجد هو أصل التعليم والعلم في الإسلام وفيه تخرج كبار الفقهاء المجتهدين⁽²⁾.

ومن أعظم المؤثرات التي يتركها المسجد في نفوس الناشئة أنه ينمي فيهم الشعور بالانتماء للمجتمع المسلم واعتزازهم وفخرهم بذلك، فمن خلاله يشبع الأفراد مختلف حاجاتهم النفسية، فهم يلبون من خلاله الشعور بالانتماء، وفي هذا المجال يوضح الشيخ "النحلاوي قائلا: "عندما يأخذ المسجد مكانه الطبيعي الذي بني من أجله وأراده الله له يصبح من أعظم المؤثرات التربوية في نفوس الناشئين فيه، يرون الراشدين مجتمعين على الله، فينمو في نفوسهم الشعور بالمجتمع المسلم والاعتزاز بالجماعة الإسلامية وفيه يسمعون الخطب والدروس العلمية فيبدؤون بوعي العقيدة الإسلامية وفهم هدفهم من الحياة، وما أعدهم الله له في الدنيا والآخرة"⁽³⁾

¹ أنظر: الضاوية معاش، تكوين الأمة وعلاقته بالخطاب المسجدي، (أطروحة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع التربوي)، جامعة الجزائر، 2008-2009، ص 93-94

² - أنظر: المرجع نفسه، ص 97-98.

³ - أنظر: عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، دمشق: دار الفكر، ط 27، 2009، ص 110.

لقد كان المسجد ولا يزال إلى يومنا هذا مركزا للتربية يتعلم فيه الناس قيم الفضيلة وحب العلم، ومعرفة حقوقهم وواجباتهم، كما يتربون على الوعي الاجتماعي، وعلى مكارم الأخلاق⁽¹⁾. حيث يتعلم داخله الكبار والصغار أمور دينهم ويحفظون القرآن الكريم، ويتعلمون الفقه والحديث والتفسير، وكذلك يتعلمون كل أحكام الدين، كما يتعلم الناشئة القيم التربوية كالتواضع والعطف والمساواة، والطاعة والامثال، والنظام والدقة..... وغيرها⁽²⁾.

نعم، يعتبر المسجد مؤسسة لتعليم الكبار قبل الصغار، ذلك لسياسة التي انتهجتها الدولة من خلال برنامج محو الأمية، حيث فتحت أقساما تابعة للمساجد ومدارس قرآنية تابعة أيضا له، وسخرت كل الإمكانيات البشرية والمادية، ولقد كان لهذا الفعل فعاليته في مكافحة الأمية، فقد ساهم المسجد في تنشئة الكبار قبل الصغار، وهذا كان له تأثيره على تنشئة الصغار بطريقة غير مباشرة، وهذا ما اكتشفناه في الميدان، فالكثير من المبحوثات أكدنا لنا أنهم قبل التحاقهم بالمسجد لم يكونوا يعرفون أبسط الأمور في دينهم ولكن بعد التحاقهم بالمسجد أصبحوا يعلمون أبنائهم قيم لم يكن يركزن عليها من قبل. لقد عبرت لنا الكثير منهن عن فرحتها العارمة لتعلم دينها، وصل بأحدهن أن دهشت بالبكاء أمامنا.

لقد لاحظنا في بحثنا هذا، أن الكثير من الأمهات اللذين يدرسن أولادهن في المسجد راضيات كل الرضا على ما يتعلمونه أبنائهم في المسجد من قرآن وما يكتسبونه من قيم وخلال حميدة. وقد التمسنا رغبة بعضهن في تدريس أبنائهن في المسجد ولكن بعدهم عن المسجد حرمهم من ذلك.

¹ - نفس المرجع، ص 110.

¹ - أنظر: مراد زعيبي، مؤسسات التنشئة الاجتماعية، الجزائر: جامعة عنابة، دط، ص 109.

² - أنظر: نفس المرجع، ص 133-134.

هذا ومن المبحوثات من صرحت بأن ابنها درس في المسجد لمدة أسبوع إلا أنه بعد ذلك رفض مواصلة تعليمه، وذلك حسبها أن الإمام قام بضربه فرفض الطفل متابعة دروسه.

إن سلوك بعض الأئمة بهذه الطريقة ينفر الأطفال من ارتياد المساجد، ويجعلهم يفضلون أماكن أخرى أكثر إثارة وتشويق وأكثر شيء يحتوي على هذه الميزات هو الانترنت والتلفزيون.

3 - جماعة الرفاق

إن دراسة وسائط التنشئة الاجتماعية لا يتوقف على الوسائط الرسمية كالمدرسة ، وشبه رسمية كالأسرة، وإنما يتوقف أيضا على دراسة تلك الوسائط والتي يعتبرها البعض بأنها ثانوية، ولكن في الحقيقة هي وسائط أولية، ولها تأثير كبير في التنشئة الاجتماعية، وذلك لكونها لا تمتلك تدرجا اجتماعيا ولا تمارس سلطة واقعية، والأكثر من ذلك أن علاقات أفرادها ليست علاقات سطحية وإنما تتسم بالعمق⁽¹⁾.

ولجماعات الأقران ثقافتها الخاصة ، والتي من خلالها تحدد مجالات نشاط أفرادها في مختلف ميادين الحياة ، ومن هنا تكمن أهميتها في عملية التنشئة الاجتماعية، ولكن كل هذا يتوقف على طبيعة وبنية هذه الجماعات وعلى نوعية ثقافتها، وما تتصف به من صفات ، فإذا كانت هذه الصفات حسنة فسوف تدعم الاتجاهات والسلوك الحسن وإن كانت سيئة فسوف تدعم كل ما هو سيء⁽²⁾. ولهذا تجد الكثير من السلوكيات والقيم الغير متفق عليها في المجتمع، يتعلمها الطفل في جماعة الرفاق "كالتدخين" مثلا⁽³⁾.

¹ - أنظر: معن خليل العمر، التنشئة الاجتماعية، الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، 2004 ، ص 159 .

² - أنظر: نعيم جعيني، علم اجتماع التربية المعاصر بين النظرية والتطبيق، الأردن: دار وائل للنشر والتوزيع، ط1 ، 2009 ، ص 271

³ - أنظر: فاديا أبو خليل، الثقافة والتنشئة الاجتماعية وأثرهما في تكوين شخصية الفرد، مرجع سابق، 2015، ص 124 .

ولقد كان لجماعة الأقران عند العرب في الجاهلية دورا كبيرا في تشكيل شخصية الأفراد ، بل وكانت معيارا للحكم على كل فرد بالإيجاب أو بالسلب وملتصقا بهذا في الكثير من أشعارهم، فعلى سبيل المثال لا الحصر، ما نقرأه في المعلقة المشهورة لصاحبها "طرفة بن العبد" والتي يقول فيها: **عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي**

ولأن الإسلام عند مجيئه لم يلغي بعض القيم الجاهلية التي يراها صحيحة، بل عززها وأكد عليها، وهو ما ينطبق على جماعة الأقران . فنظرا لأهميتها ولدورها الخطير في تشكيل قيم واتجاهات الناشئ فإن الإسلام أولى لها أهمية كبيرة، وأمر أولي الأمر في التربية من الوالدين ومن المربين ضرورة حرصهم على اختيار أترابهم وفق المعايير الإسلامية، وذلك لكي يقتدوا بهم ويكتسبوا منهم الخصال الحميدة، وأن يجتنبوا مخالطة الأشرار.

وهناك الكثير من الأحاديث النبوية والآيات القرآنية التي تناولت هذا الموضوع، ومنه قوله تعالى: **الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين". (الزخرف 67)**

وفي الحديث النبوي، كما جاء عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء، كحامل المسك ، ونافخ الكير، فحامل المسك ، إما أن يُحذيك (يعطيك) ، وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير، إما أن يُحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحا مُنتنة" متفق عليه** وعن أبي هريرة رضي الله عنه، يقول أن الرسول عليه الصلاة والسلام يقول: **"الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم إلى من يخال".**

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"لا تصاحب إلا مؤمنا، ولا يأكل طعامك إلا تقي"** (1)

¹ - الإمام النووي، رياض الصالحين، تحقيق: محمد جميل غازي، بيروت: دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، دط، 2005، ص 145-146

وهي أحاديث كلها واضحة لا تحتل معانيها أي دلالات أخرى، إلا دلالة واحدة وهي التحذير من رفيق السوء.

وقد لا حظنا من خلال الدراسة الميدانية أن تأثير الأصدقاء على قيم الناشئة واتجاهاتهم وسلوكاتهم بصفة عامة، مسألة تكاد تتفق عليها جميع المبحوثات، فالكثير منهن يشتكين من رفقاء السوء الذين أصبح المجتمع مليء بهم ، وبهذا تجد الكثير منهن يراقبن أبنائهن ويراقبن أصدقائهم ورفقائهم ، ومع من يتواصلون في مواقع التواصل الاجتماعي، وقد صرحت أحدهن الأسرة(3) أن ابنها كان حسن الخلق ، إلا أنه بمصاحبته لبعض الشباب جعلت الكثير من سلوكاته تتغير ، مما جعل هذه الأم تعيش حالة من القلق والخوف على ابنها، وهو ما التمسناه من خلال مقابلتنا لها.

إن مفهوم "خليل السوء" في المرجعية الإسلامية، يختلف عن مفهومه في مجتمعاتنا المعاصرة، وهذا خير دليل على ابتعاد هذه المجتمعات عن هذه المرجعية بالرغم من أنهم محسوبين عليها، فهذا المفهوم في المرجعية الإسلامية تحدده الآيات القرآنية من سورة الفرقان (29.28.27) في قوله تعالى: "وبوم يعص الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا، يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلانا خليلا، لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولا"

نعم، هذه هي مواصفات خليل السوء، وهي مواصفات لخصها القرآن الكريم من خلال إعجازه البلاغي في كلمة واحدة وهي الذكر، والذي يقصد به الهدى والإيمان، كما جاء في كتاب التفسير لمحمد علي الصابوني⁽¹⁾ . هذا الابتعاد عن طريق الحق يترتب عليه إتباع طريق الباطل والشيطان لا محالة ، وهو ما تؤكد الآية نفسها.

إن مفهوم "رفيق السوء" في فكر الأمهات محل الدراسة، - وفي فكر الأغلبية الساحقة من المجتمع رجالا ونساء-، ليس هو نفسه الذي أشار إليه القرآن، فرفيق السوء في مفهومهن

¹ -أنظر: محمد علي الصابوني، التفسير الواضح والميسر، بيرزت(صيدا): المكتبة العصرية ، ط14 ، 2014ص893

هو ذلك الشاب أو الشابة ، الذي أو التي يصل إلى درجة كبيرة من الانحلال الخلقي ، وقد تتمثل بعض مظاهره مثلا في الإدمان على المخدرات والكحول، أو التورط مع جماعات أشرار، في السرقة، أو الاغتصاب، أو ما شابه ذلك، هذا يعتبر بالنسبة لهم من الكبائر الكبرى، والتي لا تغفر، ولا تمحيها ألف توبة ولا سيّما بالنسبة للفتاة، أما السلوكات الأخرى، من ترك الصلاة، وهجر قرآن، وغيبة، ونميمة، وتبرج ، وتكبر، وتفاخر، وتبذير وإسراف... وغيرها من الصفات الذميمة المنهي عنها شرعا، تعتبر بالنسبة إليهم من الصغائر التي يغض عنها الطرف، فهذه سلوكات ، استساغتها عقول الكثير من الأفراد وارتاحت لها قلوبهم، وأصبحت مباحة اجتماعيا بالرغم من أنها محرمة دينيا.

وما اكتشفناه أيضا في هذا الموضوع، وحسب تصريح بعض المبحوثات أن الكثير من هؤلاء يشتكين من تأثير رفاق وأصدقاء أولادهم، من خلال تقليدهم في اللباس والأكل وغيرها، ولكن هذا القلق منبعه عندهم، ليس في التأثير عليهم من ناحية الخروج عن الأحكام الشرعية، كالتبرج وغيرها، ولكن مصدر قلقهم ناجم عن التكاليف المادية التي تتبع هذا التقليد.

4 - المدرسة

يعتبر النظام التربوي التعليمي، ضرورة اجتماعية لا غنى عنها لأي مجتمع ، وتكمن أهميته حسب علماء اجتماع التربية في كونه جزء ضروري من التكوين الاجتماعي العام، يستخدمه المجتمع لتكوين أنماط معينة من السلوك والمعايير، وعلى هذا الأساس فغاية التعليم المدرسي، هو نقل المعرفة والثقافة من جيل إلى آخر ، وبناء شخصيات الأفراد باتجاهات وقيم مقبولة اجتماعيا، أي بما يتفق وفلسفة المجتمع وأهدافه⁽¹⁾.

والمدرسة في مفهومها السوسيولوجي عبارة عن نظاما معقدا ومكتفا ورمزيا من السلوك الإنساني المنظم الذي يؤدي بعض الوظائف الأساسية في داخل البنية الاجتماعية،

¹ - أنظر: نعيم حبيب جعيني، علم الاجتماع التربوية المعاصر بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص 265

الفصل العاشر التحديات التي تواجه الأسر في الاعتماد على مرجعية إسلامية في عملية التنشئة الاجتماعية

وتتكون المدرسة حسب علماء الاجتماع ، من السلوك والأفعال التي يقوم بها الفاعلون الاجتماعيون، ومن المعايير والقيم الناظمة للفاعليات والتفاعلات الاجتماعية والتربوية في داخلها وفي خارجها ، وهي أفعال تتصف بالتنظيم وتؤدي إلى إعادة إنتاج الحياة الاجتماعية ثقافيا وتربويا⁽¹⁾

هذا، ومن الوظائف الأساسية التي تقوم بها المدرسة هي تحويل الطفل من حالته الاجتماعية إلى حالته التربوية وذلك من خلال تشريبه عناصر الثقافة التربوية والاجتماعية، بالإضافة إلى ذلك أنها تقوم بتنميته جسديا ونفسيا وعقليا وانفعاليا واجتماعيا⁽²⁾. و يرى "جون بياجى" ، أن أكبر دور تلعبه المدرسة في عملية التنشئة الاجتماعية أنها تحاول أن تقضي على صفة التمرکز حول الذات التي يتسم بها الطفل عند التحاقه بالمدرسة هذه الصفة التي اكتسبها في أسرته، وإكسابه صفة أكثر انفتاحا وتقبلا للآخر. فالطفل عندما يلتحق بالمدرسة يكون جزء كبير من شخصيته قد تكون في أسرته، وذلك وفق المعايير والقيم الاجتماعية التي تؤمن بها كل أسرة، ثم تقوم المدرسة بمواصلة عملية التنشئة الاجتماعية ولكن هذه العملية تتم في وسط أكثر تنوعا وتعقيدا ، حيث تتوسع دائرة التفاعل الاجتماعي للطفل، من خلال المواقف والأحداث التي يعيشها الطفل داخل المدرسة والتي تتم في كثير من الأحيان على أسس وضوابط محددة مسبقا

وانطلاقا من هذا يرى بعض العلماء في هذا المجال، أن المدرسة قادرة على إعادة تشكيل شخصية الطفل وتوجيه اتجاهاته، من خلال غرس القيم والمعتقدات التي تؤمن بها، وباستطاعتها أيضا محو بعض القيم السلبية التي اكتسبها في أسرته وتصحيحها، وذلك كله وفق منهجية علمية ومدروسة⁽³⁾

¹ - علي أسعد وطفة، علي جاسم الشهاب، علم الاجتماع المدرسي، بيروت: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2004 ، ص 20

² - أنظر: عبد الله الرشدان، علم الاجتماع التربوية، الأردن- عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1 ، ص 127

³ - أنظر: مراد زعيمي، مؤسسات التنشئة الاجتماعية، مرجع سابق ، ص 147 .

الفصل العاشر التحديات التي تواجه الأسر في الاعتماد على مرجعية إسلامية في عملية التنشئة الاجتماعية

إن هذا الاعتقاد - حسب رأينا- فيه الكثير من المبالغة وذلك من خلال اعتبار أن المدرسة تصحح الأخطاء والقيم السلبية التي اكتسبوها الأطفال من أسرهم، ذلك لأن الواقع ليس دائما كما يعتقد هؤلاء، فبالرغم من المزايا التي تتمتع بها المدرسة مقارنة بالأسرة كونها تقوم بتنشئة اجتماعية مقصودة في كثير من الأحيان وذلك وفق برامج تربوية مخطط لها مسبقا ، أو كما يسميها "إميل دوركايم بالتنشئة الاجتماعية المنهجية"¹ ، إلا أنها تتميز عن الأسرة في كبر حجم عناصرها البنوية كما وكيفا ، مقارنة بالأسرة التي يكون حجم عناصرها البنوية قليل وقد يكون أكثر انسجاما إذا ما قورن بالمدرسة. هذه الأخيرة التي تضم طاقما تربويا من معلمين ومتعلمين وآخر إداري من المدير حتى الحارس، ، وهم يختلفون في ما بينهم باختلاف أسرهم، فكل واحد منهم يأتي بثقافة وقيم ومعايير أسرته معه إلى هذه المؤسسة التربوية . كل هؤلاء يعتبرون نماذج حية لسلوك الطفل ، وهذا قد يؤثر على الطفل ، حيث يجعله مشتت بين هاتاه السلوكات التي تمارس حوله من جهة وبين قيم أسرته، من جهة أخرى، وبين ما يدرسه في الصف من مواضيع ودروس مضمنة في البرامج التربوية.

لقد أكدت لنا بعض المبحوثات أن أولادهن ولا سيما الفتيات منهم، يفقدن الكثير من سلوكات بعض المعلمات ، وبعض زميلاتهن، وكثيرا ما تكون هذه القيم المقلدة تعارض وتتافي القيم التي تنقلها الأسرة لهؤلاء.

هذا وتشتكي الكثير من الأمهات من الظواهر اللاأخلاقية المنتشرة في بعض المؤسسات التربوية ولا سيما في مرحلة المتوسط، وفي المرحلة الثانوية، هذه الظاهرة التي دفعت أحد المبحوثات من توقيف بناتها من الدراسة، خوفا عليهن ولاسيما أنهما جميلات والشباب يعاكسهن كثيرا. إنها ترى أن الأمن ليس مفقود في الشارع فقط، وإنما مفقود أيضا

¹ -أنظر : نعيم جعيني، علم اجتماع التربية المعاصر بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص 95

الفصل العاشر التحديات التي تواجه الأسر في الاعتماد على مرجعية إسلامية في عملية التنشئة الاجتماعية

في المؤسسة التربوية، وقد أكدت لنا هذا الكلام أحد الأستاذات اللواتي يدرسن في نفس المتوسطة التي تدرس فيها بنات هذه الأم، فقد أخبرتنا هذه الأستاذة والتي هي أيضا من أحد أفراد عيّنتنا، بأن المديرية وبعض الأستاذات في هذه المؤسسة يشجعن الفتيات على ربط علاقات غير شرعية مع الشباب.

هذا وإن كان هذا هو رأي بعض المبحوثات في المؤسسة التربوية، وهو رأي فيه الكثير من السلبية، إلا أن هناك من المبحوثات من ترى أن أبنائها يتعلمون في المدرسة أشياء مفيدة ولا سيّما في الجانب الأخلاقي والديني، كتعليمهم الصلاة، وطريقة الوضوء و القيام بالأذكار، وحثهم على الصيام، وكثير من الأمور الشرعية وأنها تعلمت منهم الكثير في هذا الصدد.

تعتبر المدرسة من المؤسسات التربوية المهمة التي تمارس عملية التنشئة الاجتماعية، وذلك بعد الأسرة، وذلك لكون الأطفال يقضون فيها معظم أوقاتهم، تقريبا كما يقضونه في أسرهم، هذا ويعتبر المعلمون والأساتذة مثل الوالدين، في هذه العملية، فهم يمارسون أيضا عملية التنشئة الاجتماعية على الأطفال المتمدرسين، سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، بطريقة مقصودة أو تلقائية، كما أن التلاميذ ولاسيّما في الابتدائي أين يكونون في سنّ يحاكون ويقلدون من هم أكبر منهم، ولهذا تجدهم يقلدون معلمهم بدرجة كبيرة.

خلاصة الفصل

عالج هذا الفصل التحديات الداخلية والخارجية التي تواجه الأسر وتحول دون الاعتماد على مرجعية إسلامية، ومن بين هذه التحديات طبيعة العلاقة الزوجية للمبحوثات، وجهلهم بمعظم أحكام الدين الإسلامي، وبالخصوص في مجال التربية، قد لاحظنا من خلال هذه الدراسة أن العلاقة الزوجية، وإن كان لا يصل الصراع فيها وتشنجهما إلى الدرجة التي كانت عليها علاقة والدي المبحوثات، وذلك بحكم اختلاف الجيلين، إلا أن هذه العلاقة لا تقوم في الكثير منها على مبادئ الشريعة الإسلامية، مما أثر على عملية التنشئة الاجتماعية وعلى طبيعتها.

هذا، ومن خلال مقابلاتنا مع الأمهات محل الدراسة، لاحظنا أن هناك جهلا كبيرا عند هؤلاء فيما يخص الأحكام الدينية، وخصوصا في ما يتعلق بالعلاقة الزوجية وضوابطها، وبالتنشئة الاجتماعية وشروطها. لقد لاحظنا أيضا أن هناك خلطا في فكر الكثير من الأمهات بين الدين من جهة، والعادات والتقاليد من جهة أخرى، بحيث ينسبون الكثير من القواعد إلى العادات والتقاليد، في حين ترجع بأصلها إلى الدين الإسلامي، ولاسيما إلى الأحاديث النبوية، هذه الأخيرة التي أصبحت تتداول على شكل أمثال وحكم مما جعل إدراجها ضمن العادات والتقاليد أمرا سهلا.

أما في ما يخص التحديات الخارجية، التي تعرفها الأسر محل الدراسة، هذه التحديات التي تتمثل خصوصا في بعض مؤسسات التنشئة الاجتماعية، وعلى رأسها وسائل الإعلام والاتصال، والتي تتمثل بالتحديد في وسيلتين أساسيتين هما: التلفزيون والانترنت، بالإضافة إلى جماعة الرفاق، والمسجد والمدرسة، باعتبارهما مؤسستين تعليميتين بالدرجة

الفصل العاشر التحديات التي تواجه الأسر في الاعتماد على مرجعية إسلامية في عملية التنشئة الاجتماعية

الأولى. لقد اكتشفنا من خلال تصريحات الأمهات أن أكثر المؤسسات تزعجهن وتشوش على ممارستهن لهذه التنشئة هي جماعة الرفاق، بالدرجة الأولى، ثم بعد ذلك وسائل الإعلام والاتصال وخصوصا الانترنت، أما المسجد فهو مؤسسة تساعد على اعتماد الأمهات على مرجعية إسلامية، لأن هذه المؤسسة نفسها تنطلق من مرجعية إسلامية، إلا بعضهن فإنهن يشتكين من السلوك العنيف لبعض الأئمة مع أولادهن، والذي دفعهن إلى توقيفهم من حفظ القرآن الكريم.

الفصل العاشر التحديات التي تواجه الأسر في الاعتماد على مرجعية إسلامية في عملية التنشئة
الاجتماعية

الفصل الحادي عشر: مؤشرات المرجعية الإسلامية في أذهان وسلوك الأمهات

أولاً: المرجعية الإسلامية في فكر وفعل الأمهات

ثانياً: الاحتفال بالأعياد والمناسبات الدينية

- خلاصة الفصل

تمهيد

لقد ركز هذا الفصل على دراسة المتغيرات التي تكشف عما إذا كانت لدى المبحوثات مرجعية إسلامية تعتمد عليها في ممارستهن التنشئة الاجتماعية على أطفالهن. ومن المؤشرات التي وضعناها موضع البحث لمعرفة ذلك الأسماء التي تطلقها الأسر على أطفالها، ورأي الأمهات في تحديد النسل، ومدى تبنيه أو لا، وعن ما هو جنس الأطفال الذي ترغب فيه الأسر أكثر، وعن ممارسة المبحوثات أنفسهن الطقوس الدينية أم لا. كما ركزنا على الأهمية التي توليها الأسر لإحياء المناسبات الدينية والاحتفال بها. وهي كلها مؤشرات على المرجعية التي تعتمد عليها الأسر المبحوثة.

أولاً: المرجعية الإسلامية في فكر وفعل الأمهات

1 - مرجعية أسماء الأولاد

تعتبر تسمية المولود حق من حقوقه على والديه، وهو ما أثبتته نصوص الأحاديث النبوية، ولقد نهى الإسلام عن الكثير من الأسماء التي كانت شائعة في الجاهلية، كأسماء الأصنام، وأسماء الحيوانات، وغيرها من الأسماء، ونبه الوالدين إلى اختيار أسماء أولادهم، وأن تكون هذه الأسماء ليس فيها صفة من الصفات الذميمة، التي تجعل صاحبه يتعقد عندما يكبر، كما أنه قال عليه الصلاة والسلام في معنى الحديث: "خير الأسماء ما عبّد وحمّد"، يعني الأسماء التي تبدأ باسم عبد، مثل عبد الرحمن، عبد السلام، عبد الحميد.. الخ وحمّد مثل اسم: محمد، وأحمد وهما أسماء سيد الخلق محمدنا عليه الصلاة وأفضل التسليم.

إن عملية اختيار الوالدين الأسماء لأولادهم هي عملية لا تخضع للمرجعية الإسلامية، في كثير من الأحيان، بمعنى أن الوالدين لا يسمون أولادهم انطلاقاً من وعيهم بأن الشريعة

الإسلامية جعلت الوالدين مسؤولون عن التسمية ، وأن الكثير من الأمهات يجهلن هذه الحقيقة الدينية ، وهو ما أشرنا إليه في عنصر " جهل الوالدين بمعظم أحكام الدين ".
 إن مسألة اختيار أسماء الأولاد هي الأخرى تخضع للمجتمع وعاداته وتقاليده، لهذا تجد في أسرنا أن هذه المسألة يتدخل فيها كل أفراد الأسرة ولا سيّما الكبار ، كالجدة والعم والعمة .. وغيرها، وتجد الكثير من الأمهات والآباء يخضعن لرغبات هؤلاء وذلك خوفاً منهم خاصة إذا تعلق الأمر بالجد، أو الجدة، فلا تستطيع المرأة رفض طلبهما حتى وإن كانت لا تحب الاسم الذي اختاروه ، وقد تكون لديها رغبة في تسمية مولودها باسم تحبه وترضاه لكنها لا تستطيع فعل ذلك، وهو ما صرحت به المبحوثة في الأسرة رقم بقولها:
 أنظر الهامش(13)¹

قد يتبادر إلى أذهاننا في الوهلة الأولى أن أغلبية أسمائنا في المجتمعات العربية هي إسلامية في معظمها، وهذه حقيقة لا يمكن إنكارها، لكن الذي هو غير كذلك، أن هذه الأسماء لم يتم اختيارها من مرجعية إسلامية، وإنما هي أسامي اختيرت في كثير من الأحيان تخليداً لأشخاص من الأقارب أو الأصدقاء، وهو ما التمسناه في تصريحات الكثير من المبحوثات، كما هو الحال في الأسرة رقم (2) ، التي قالت عندما سألتها عن اسم ولدها، الذي هو محمد، لم تقل أننا أسميناه على اسم رسولنا الكريم، وإنما كان جوابها أن الأب هو من أسماه ، وأسماه عن اسم أبيه المتوفى، أي جد المولود. (أنظر الهامش)²
 وبالرغم من أن أغلبية المبحوثات صرحن بأن أسماء أولادهن تم اختياره في كثير من الأحيان تخليداً لأسماء أشخاص في العائلة، إلا أن هناك من الأسر من كان لديهم الوعي في عملية الاختيار، وبالتالي فهم اختاروا أسامي ذات مرجعية إسلامية بوعي، وليس بتخليد أسماء من العائلة، بل تخليد أسماء شخصيات سجلت لها وجود في التاريخ الإسلامي.

¹ - أنا جامي سميت أولادي غير هما بسميو .

² - البنيت لكبيره سماها على امه ، والبنيت الثانية ، ختها سماتها ، ومحمد سماه على باباه ، وسمية محمد مليحة في الدار .

إن هذا الوعي نجده في الأسرة رقم (12)، هذه الأسرة التي تقول الباحثة بأن زوجها رجل متدين، وهي تقول أنها عانت معه ، لأنها لم تستطع الالتزام بما يطلبه منها لأنها لم تتشأ في أسرة متدينة، فهي مثلا لا تستطيع المحافظة على الصلاة مثلا، وهو ينتقدها كثيرا في هذا السلوك. تقول الباحثة أن زوجها هو من اختار أسماء أبنائه، ولكل إسم له مدلول في التاريخ الإسلامي، كاسم أسامة، ، وإسماعيل وإسحاق، ويعقوب، وأسماء...الخ¹

2 - فكرة تحديد النسل

إن الإسلام يشجع على الإنجاب في حين المجتمعات الغربية الحضارية على العكس من ذلك، تشجع على تحديد النسل، ونظرا لأن مجتمعاتنا تأثرت بالثقافات الغربية في كثير من الجوانب ، ولاسيما في ما يخص نمط المعيشة كطريقة اللباس والأكل ، ونمط العلاقات الاجتماعية وغيرها، فإن هذا قد جعل الكثير من الأزواج تبني الثقافة الغربية في مجال الأسرة، ولا سيما في مجال الإنجاب، وهو ما لاحظناه في مقابلاتنا أن الكثير من الأسر أصبحت تتبنى فكرة تحديد النسل وترفض فكرة إنجاب الأطفال بكثرة، سواء من طرف الأم أو الأب، أو في بعض الأحيان تكون هذه رغبة بعض أفراد الأسرة، كأب الزوج مثلا ، مثلما صرحت به الباحثة في الأسرة رقم 1 قائلة².

ولما كان البعض يرفض إنجاب عدد كبير من الأطفال نتيجة لظروفهن الاقتصادية مثلا، كالدخل الضعيف، وعدم امتلاكهم لبيت يأويهم، فإن البعض منهن من ترى أن ظروفها الصحية لا تسمح لها بهذا بحيث أن حملها فيه الكثير من الصعوبات وأن ولادتها أصعب، ولهذا فهي قررت أنها لا تريد إنجاب عدد أكبر، ومنهن من صرحن أن الطبيب هو من معهن من الإنجاب لأن حياتهن معرضة للخطر.

¹ - ابني لكبير إسمه أسامة سماه أبوه على أسامة بن زيد.

² - أنا مكنتش...في جواد صايي ، هادي... (ابنتها) غلطة وصرات...منين كاتبة معليهش لا احنا بروحنا من جواد صايي...بصح هو بوهم، بوهم مبيغيش الاولاد...من جواد صايي صطوب متزديش..قبل منعرفوا بلي راه مريض كان معول زوج منزيدوش..آيا أنا وليت نغير هكا نشوف بنت..اللبسة انتاع لبنات ، آيا بصح والله ماديتها كنا لاهيين غير بجواد ، نجرؤا غير بجواد حتى من بعد صبت روجي مريضة بهادي .

إن ما لاحظناه في تصريحات المبحوثات ، أن الكثير منهن يحملن هم الأكل والشرب والمأوى، ولكن لا يحملن هم التربية التي أصبحت عملية جد صعبة في عصرنا هذا ، في عصر أين أصبحت أطراف كثيرة تتدخل في عملية التنشئة الاجتماعية هذه العملية التي كانت حكر على الأسرة وحده، وبالتالي كانت الأسر تمارسها بارتياح، فما تعطيه الأسر لأبنائها لا تفسده أطراف أخرى.

3 – رغبة الوالدين في إنجاب الذكور أو الإناث

يعتبر هذا العنصر مؤشر على اتجاه الوالدين وعلى طبيعة عقيدتهم، فكما لا يخفى علينا أن مجتمعاتنا العربية بصفة عامة والمجتمع الجزائري بصفة خاصة مازالت معتقداتهم وثقافتهم في هذا الموضوع، مازالت ليومنا هذا تستقى من الثقافة التي كانت سائدة في الجاهلية قبل مجيء الإسلام ، وهي ثقافة تمييز الذكر عن الأنثى، رغم أن الإسلام حارب هذه الفكرة بشدة، وبين أهمية الأنثى وأن تربية ثلاث بنات أو سبعة تربية صالحة سوف يكن سببا في دخول والدهن إلى الجنة إلا أنها ما زالت فكرة التفضيل متجذرة في فكر ونفوس الكثير من الناس.

وما يدهش السامع ، أن هنا في مدينة مستغانم، وهي محل إقامتنا، هناك بعض المصحات المختصة في توليد النساء، هناك من الأطباء أصحاب هذه المصحات، من مازال يفكر على الطريقة الجاهلية، حيث أن في هذه المصحات أن المبلغ الذي يدفعه الوالدان عندما يولد لهما ذكرا ليس نفسه عندما تلد الأنثى، فإنجاب الذكور يتطلب دفع مبلغ أكبر من إنجاب الإناث، والذي يدهشنا في هذا الأمر أن الأطباء وهم أدرى الناس في عمليات التلقيح، والإنجاب والوراثة وغيرها، حيث أثبتت الدراسات العلمية أن الرجل هو المسؤول عن جنس المولود، يتصرفون بهذه الطريقة، فكيف يفكر إذن العامة من الناس.

إن سلوك هؤلاء الأطباء يمكن تفسيره بمتغيرين، لا ثالث لهما ، الأول: هو الجانب التجاري، حيث أن هذه المصحات استغلت الثقافة السائدة في المجتمع ، وهي ثقافة تفضيل

الذكر عن الأنثى، وبالتالي حسبهم أن والدي المولود سوف يفرحون عند زيادة الذكر، وبالتالي سوف يدفعون ما يطلب منهم مهما كان الثمن. أما بالنسبة لتكاليف البنت، فممكن أن أصحاب المصحات لهم من الرحمة والشفقة-وهذا مستبعد- ما ليس لغيرهم، فهم يرون أنه لا يمكن أن يجعلوا من مصيبة الأسرة التي ولد لها بنت، مصيبتان مصيبة البنت !! ، ومصيبة ثقل التكاليف.

أما التفسير الثاني وهو مستبعد، فممكن يرجع السبب إلى كون أن أصحاب هذه المصحات هم أنفسهم ضحية هذه الثقافة السائدة، ثقافة تفضيل الولد عن البنت ، وبالتالي لم يستطيعوا التخلص من هذه الثقافة التي تشربوها في طفولتهم، بالرغم من تعلمهم وحصولهم على أعلى الدرجات.

وعند نزولنا إلى الميدان وجدنا آراء المبحوثات مختلفة، فمنهن من تفضل الأنثى عن الذكر وهو ما وجدناه في الأسرة رقم 1¹، والتي كانت تتمنى لو يكون أول مولدها أنثى ولكنها لما عملت الفحوصات تبين لها أنه ذكر فلم ترضى في بادئ الأمر ولكن مع مرور الوقت رضت، ونظرا لأن هذه الأم مؤمنة وتخاف الله فهي ترى أن مرض ابنها بالتوحد هو غضب من الله لأنها لم ترضى في أول الأمر بالذكر.

وحسب رأينا أن تغير الاقتناعات عند بعض الوالدين ولا سيما الأم في ما يخص تفضيل الأنثى على الذكر وليس العكس كما كان سائدا، هو نتيجة لتغير كثير من القيم والظروف داخل المجتمع الجزائري، فمثلا لم يبقى الذكر يمثل قوة اقتصادية في الأسرة، فالأنثى أيضا أصبحت تمثل هذه القوة، و قد تنفع والديها أكثر من الذكر في أمور عدّة. كذلك ولم يبقى الذكر وحده أيضا يمثل الحامي للأسرة، بل أصبحت الأنثى كذلك، لأنها نتيجة لتعلمها أصبحت تحتل الكثير من المراكز السيادية في الدولة ، كالأمن ، والقضاء ... وغيرها.

¹ - راني عاقلة فالزواج كنت باغية بنت ...راني عاقلة مين درت الايكو وقالى عندك ولد ، هاكا مفرحتش ، وليت نقول آ جاء ولد ... كان جاتني، ومن بعد تقبلت عادي ، نورمال ...عادي. بلاك ربي غضب عليا منيش عارفة.

4 - مؤشر تدين الأمهات

لقد وضعنا في دليل مقابلتنا مجموعة من الأسئلة التي نستطيع أن نعرف من خلالها درجة تدين الأمهات من عدمه من خلال سلوكهم والأهمية التي يولونها للعبادات ومدى ممارستهم لها في كل الظروف، كالصلاة، وصلاة النوافل، الصيام وصيام النوافل، وقراءة القرآن وأذكار الصباح والمساء... الخ

أ - الصلاة المكتوبة والنوافل

إن الصلاة تعتبر مؤشر على مدى تدين الوالدين، ولكن ليست الصلاة هكذا وانتهى، وإنما الصلاة في وقتها وحسب الشروط المنصوص عليها في الشرع، لأنه من المفروض عندما يكونان الوالدان حريصان على الصلاة وفي وقتها، فمن المفروض يحرصون على نقل هذه القيمة لأولادهم، ناهيك على أنهم يصبحون قدوة لهم، أي قد يتعلمونها الأطفال من خلال تقليدهم، حيث أن الطفل مجبول على تقليد من هم أكبر منه ولا سيما والديه، وفي هذه الأسرة الأم تصلي ولكن حسب تصريحها أنها لا تلتزم بأداء الصلاة في وقتها ما عدا الفجر لأنها تنهض باكراً، وهي تتحجج بكون أن النساء لديهن الكثير من الأعمال (أنظر الهامش)¹ إن ما يمكن التعليق عنه في تصريح هذه الباحثة، أنها وحسب تصريحاتها نشأت في أسرة كان الأب حريص كل الحرص تعليمهم الصلاة وتحفيظهم القرآن الكريم، وتكاد هي الباحثة الوحيدة في عينتنا التي نشأت على هذه القيم، إلا أنها تصرح بتقصيرها في هذا الأمر، ويمكن تفسير هذا حسب رأينا إما لأن هذه القيم نقلت إليها بأسلوب غير صحيح، فيه نوع من العنف والقوة، وهذا أمر وارد لأنها صرحت لنا بأن أسلوب أبيها كان فيه قسوة، وكانت تنبذ سلوك أبيها العنيف معهم. وبالتالي كانت تمارس هذه الفرائض بإكراه، ولما كبرت وانفصلت عن أسرة الوالدين أصبحت تصليها أحياناً، وتتركها أحياناً أخرى.

¹ -واه نصلي، بصح منكذبش عليك، ماشي غير يأذن نصلي، هاكي عارفة أنا النساء الشغلات وقع...بصبح نصلي الأوقات الخمسة...اصباح نيكر نوض نصلي الفجر..الظهر كي نوصل انا تكون الزوج (خطراکش ولدي انديه الصباح على 8 ونعود نرجع للدار ومن بعد نعاود نخرج على 12 ونجيبه على خاطر يخرج على الوحدة نوصل انا على الزوج).

والأمر الثاني، إما أن هذه السيّدة ولسبب مرض ابنها بالتوحد، هذا المرض الذي يحتاج جهد وصبر أكبر ووقت أكبر، ونظرا لأنها الوحيدة التي تحمل همه ومسؤولية كل العائلة دون مساعدة من أحد ولاسيّما من الزوج، كل هذا جعلها تقصر في هذا الجانب، وفي هذه الحالة تكون الصلاة ليست أولوية من أولوياتها، هذه بالنسبة لصلاة الفرض أما بالنسبة لصلاة النافلة فهي حسب تصرّيحها ليست حريصة عليها ، فهي كانت تقيمهما، ولكن قطعتهما، فهي ترى أنه حسب الظروف(أنظر الهامش)¹

ب - صيام رمضان و النوافل

ويعتبر الصيام أيضا مؤشر من مؤشرات التدين، لكن الصيام المقصود هنا ليس الامتناع عن الأكل والشرب، هذا الصيام الذي تصومه الأغلبية الساحقة من المسلمين، إلا في حالات نادرة تجد البعض لا يصوم ولكن لا يظهر سلوكه هذا وإنما يأكل خفية لأن في ثقافتنا أن هذا أمر خطير ومنبوذ اجتماعيا. فالمجتمع لا يستتكر أو يسخر من تارك الصلاة، لكنه يستهجن وينبذ وينتقد بشدة من لا يصوم، ويصبح يشار إليه بالبنان.

إن الصيام الحقيقي الذي فرضه الله على عباده المسلمين، هو صيام الجوارح، وليس فقط الامتناع عن الأكل والشرب، فالصائم توجب عليه الامتناع عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وإن كان ارتكاب الإثم في شهر رمضان عقوبته مضعفة مقارنة بالأيام الأخرى.

إن كل المبحوثات صرحن بأنهن يصمن شهر رمضان ، أما صيام النوافل فليس كلهن يتطوعن (رمضان، وشوال)²

ج - قراءة القرآن بشكل منتظم وحفظه

يعتبر القرآن الكريم آخر الكتب السماوية ، وهو الكتاب الوحيد الذي تكفل الله بحفظه من كل تحريف وتزوير، هذا الكتاب الذي يختلف عن الكتب السماوية التي سبقته في إعجازه العلمي واللغوي، وفي شموله لكل ما يخص الإنسان والكون، في العالم الدنيوي والآخروي.

¹ - نصلي من موري المغرب ،قدام الظهر والعصر كونت صليهم ومن بعد قطعتم ...هي كل خطرة وكيفاه.

²² - الصيام ، أنصوم من غير رمضان ، أنصوم شوال ...

ولهذا جعله الله المنهاج الذي نتخذه ونرجع إليه في حياتنا، في كل جوانبها الدنيوية والأخروية، تلك التي تنظم حياتنا بأنفسنا أو بغيرنا أو بالكون بأسره. ونظرا لأهمية هذا الكتاب في حياة المسلم توجب على كل مسلم قراءته وتدبره ، وحفظه إن أمكن، فقراءته من فروض العين وليس من فروض الكفاية التي إذا قام بها البعض سقطت عن البقية، ولهذا نهت الشريعة أن يجعل المسلمين بيوتهم مقابر، بهجرهم للقرآن وعدم تلاوتهم له.

إن ما اكتشفنا في مقابلاتنا أن معظم البيوت مقابر، وذلك من خلال تصريحات المبحوثات، فأغلبيتهن صرحن بأنهن لا يقرآن القرآن بشكل منتظم وفي سائر الأيام، وهو ما صرحت به المبحوثة في الأسر (1) ، بأنها تقرأ بعض السور فقط، كسورة الكهف يوم الجمعة، وياسين. (أنظر الهامش)¹، أما عن الحفظ فهي تقول، أنها تحفظ فقط قصار السور.

د - دراسة السيرة النبوية والقصص القرآنية

تعتبر السيرة النبوية المرجع الثاني بعد القرآن الكريم، ويعتبر الرسول عليه الصلاة والسلام قدوة وأسوة حسنة لكل مسلم، ولهذا فإن الاقتداء به بأقواله وأفعاله واجب على كل مسلم، فلا يمكن الاقتداء بهديه، إلا بالرجوع إلى سيرته ، والوقوف على أحاديثه الشريفة وحفظ ما أمكن حفظه، والتعلم منها، الطرق والأساليب التي تخص العبادات والمعاملات وغيرها.

إن ما هو ملاحظ في مجتمعنا أنه هناك إقصاء كبير للسيرة النبوية، سواء في المؤسسات التربوية أو في الأسرة، فمثلا تجد هناك أئمة في المدارس القرآنية والمساجد يدرسون القرآن للصغار، ولكن ليس هناك أئمة يدرسون للأطفال الأحاديث والسيرة النبوية. وقد أدى هذا إلى جهل الكثير منا في هذا المجال.

وما ينسحب عن المجتمع في ما يخص هذا الموضوع ينسحب عن الأسرة أيضا، فعند طرحنا أسئلة على المبحوثات في هذا الموضوع ، اكتشفنا أن الأغلبية العظمى منهن ، لا

¹ - واه نقرى، كيما في رمضان نقرى يوميا ، بصح كيما في ساير الايام منقراش يوميا ، كيما الجمعة نقرى سورة الكهف ..نقرى ثاني سورة ياسين...منين ذاك ..مين ذاك ..منكذبش على اختي نفلك كل يوم، بصح مين ذاك ..مين ذاك نحل لكتاب ماشي منحلش قاع.

تطلع على السيرة النبوية ولا الأحاديث النبوية، إلا مبحوثة واحدة صرحت بأنها تقرأها ، ولكن ليس دائما.

إن عزوف الوالدين على قراءة السيرة النبوية جعل الكثير منهم يجهلون أمور دينهم ، وبالتالي لا يمكن الاعتماد على مرجعية إسلامية، والأكثر من هذا فإنهم سوف يورثون هذا العزوف لأولادهم، كما ورثوه هم من والديهم.

هـ - ممارسة أذكار الصباح والمساء والأدعية

يعتبر الدعاء مخ العبادة، ولهذا نجد معظم الآيات القرآنية هي أدعية قالها الأنبياء والمرسلين، أو الصالحين من العباد، كما أن أول دعاء قيل، هو دعاء آدم عليه السلام، لما عصى ربه، فألهمه دعاء يقوله، ليتوب عليه.

والدعاء يعني أن يتجه الفرد بطلب حاجته من إله واحد، معبود لا سواه، ويكون على يقين أن الله سوف يستجيب له عاجلا أم آجلا، وهذا هو جوهر التوحيد والعقيدة الصحيحة. وهناك من الأدعية التي تأتي في شكل صلاة: كصلاة الاستخارة، وصلاة قضاء الحاجة.. وهناك أدعية أخرى تأتي في شكل أذكار تقال من أجل التحصين والوقاية من أشرار الجن والإنس، وهي ما تعرف بأذكار الصباح، وكذلك هناك أدعية تقال عند الرقية الشرعية، في علاج الكثير من الأمراض الروحية وحتى الجسدية.

وهناك الأدعية التي يقولها الإنسان وقت ما جاء وبصيغة التي يعرف.

إن ما يلاحظ في هذا الميدان، أن الكثير من المبحوثات يجهلن هذا العلم، ولا يعرفن عنه إلا القلة من القليل، والقليل الذي يعرفه لا يطبقه بانتظام كأذكار الصباح والمساء وغيرها، وبطبيعة الحال لا يعلمنه لأولادهم. (أنظر الهامش)¹

¹ - أذكار الصباح : الصباح منين النوض يوميا نقول الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا

و - مشاهدة الحصص الدينية

يمكن اكتشاف رغبة المبحوثات في تعلم أمور دينهم، من خلال مؤشر آخر، وهو مدى مشاهدتهم للحصص الدينية، سواء تلك التي في القنوات الدينية أو تلك التي المتواجدة في الانترنت.

وعند طرحنا أسئلة على المبحوثات في ما يخص هذا الموضوع، كانت أجوبة الكثير منهن متقاربة ، فالكثير منهن صرحن بأنهن لا يشاهدن هذه الحصص إلا في الحالات النادرة، وهن لا يعرفن عن الكثير من الدعاة المشهورين في هذا المجال، ومنهن من صرحت بأنها لا تشاهد التلفاز كثيرا لأنها ليس لديها وقت كافي، ماعدا قناة الطبخ "سميرة" وذلك في بعض الأحيان، أما الحصص الدينية فهي تشاهد كذلك في بعض الأحيان حصة "هلا سألوك" (أنظر الهامش)¹

ثانيا: الاحتفال بالأعياد والمناسبات الدينية

1 - عيد الأضحى

إن الأعياد الدينية ليست كغيرها من الأعياد ، فالاحتفال بها بالرغم من أنه يختلف من منطقة إلى أخرى حسب عادات وتقاليد كل منطقة، إلا أن هناك بعض القواعد والأحكام الشرعية التي يجب على كل مسلم احترامها وتطبيقها، كصلاة العيدين وإخراج زكاة الفطر وغيرها... فهل يا ترى تلتزم الأسر محل الدراسة بهذه الأحكام أم لا.

إن ما يلاحظ في أجوبة المبحوثات حول الاحتفال بالأعياد أو استقبال رمضان فمعظمهم يركزون على الأكل الذي يطهونه وعن اللباس والتزين، في حين العبادة التي هي جوهر هذه المناسبات فإنهم لا يتكلمون عنها، وهذا ما يؤكد أن الكثير من العبادات أصبحت في مجتمعنا عادات وتقاليد ، أفرغت من محتواها.

¹ - كنت نتفرح ، بصح ضروك معنديش قاع الوقت...وين سميرة...مين ذاك نتفرح سميرة 5 هكذا..ولا مكانش الوقت..مكانش الوقت واه نتبع حصة هلا سألوك.

إن هذه الأسرة وحسب تصريح المبحوثة فإن استقبالها لشهر رمضان والأعياد لا يختلف عن باقي الكثير من الأسر الجزائرية (أنظر الهامش)¹ كذلك في ما يخص عيد الأضحى ، لاحظنا الكثير من الأسر يجهلون السياق الذي وقعت فيه هذه الشعيرة، كما أن الكثير منهن لا يضحون (أنظر الهامش)²، لأنه حسب رأيهن ليس فرض ويمكن الاستغناء عنه، ودائماً يتحججون بعجزهم المادي، الذي يحول دون شراء الأضحية، لكن في المقابل تجد الكثير منهن يصرفون الأموال في البناء والأكل والزينة وغيرها.... كذلك اكتشفنا جهل الكثير من المبحوثات في هذا الموضوع.

2 – الاحتفال بالمولد النبوي الشريف وبعاشوراء

إن مسألة الاحتفال بالمولد النبوي، مسألة فيها الكثير من الاختلافات بين العلماء والفقهاء المسلمين، فمنهم من يرى أنها بدعة، ومنهم من يرى أنها أمر عادي، ومنهم من يرى أنه يمكن الاحتفال بها ولكن بشروط)

وحسب رأينا أن الإشكال ليس في إحياء هذه المناسبة من عدمه، وإنما هو في الكيفية التي يتم الاحتفال بها، وما هي الغاية أو الفائدة التي نجنحها منها، فلو كان الاحتفال هو مناسبة لقراءة السيرة النبوية مثلا واجتماع الأسر وتحلقها في هذه الليلة وتعليمها للنشء كل كبيرة وصغيرة عن حياة الحبيب المصطفى لكان هذا شيء عظيم وواجب، أما أن تتحول هذه المناسبة إلى يوم يؤدي فيه الناس والممتلكات وتهدر فيه الأموال ، فهنا يصبح الاحتفال حسب رأينا -يصبح أكثر من حرام -، ولا يخفى على أحد أنه في كل سنة في هذه المناسبة تملأ المستشفيات بسبب الحوادث الأليمة التي تقع نتيجة المفرقات فكم من ضحية فقد عينه، وكم من منزل احترق على الآخر...والكثير من المصائب التي لا تعد ولا تحصى، ،

¹ - كل منطقة والتقاليد أمتاعها ، هاو كيما العيد الصغير ..ليلة العيد اندير البنتي الحنة...كيما ليلة 27 نديروا هذيك التريد ...كل عام نديروا ، وهذوك القاطوات هذيك السيمانة ، ونهار العيد اصباح نكير ندير لمسنن ..كيجي اصباح نخرجوا برى للكرطي قاع اولاد الحومة اهنا يتلايمو ..كاينة جارة الهنا هي ادير قهوة وأنا ندير لا تاي ونخرجوا القاطو ..ومن بعد الطعام نطروهم قاع نخرجوا ..نبدلوا ومن بعد نهودوا نغافرو .

² - والعيد لكبير ثاني أنا مكننش نذبح ، كنت اروح عند شيخي ، وهاندوا عامين وليت نذبح.

ناهيك أن في كل سنة وعند اقتراب هذه المناسبة تجد كل الجهات الأمنية تتأهب وكأننا في حرب ، من رجال الحماية المدنية إلى الشرطة والدرك الوطني والجمارك...فماذا يكلفنا هذا. وما يؤسف له أن ترتكب كل هذه الجرائم باسم الدين

إن الكثير من المبحوثات يحتفلن بهذه المناسبة بطريقة لا تختلف عند الكثير منهن بحكم أن أغليبتهن ينتمين إلى نفس المنطقة ، ماعدا في بعض الجوانب، إلا أنهم يشتركون في طريقة الاحتفال التي تتمثل في الأطباق المتنوعة من الأكل ، وفي السهرات واستعمال الحنة وغيرها والزيارات. (أنظر الهامش)¹

صحيح أن هذه المناسبات تزيد في أواصر العلاقات القرابية والاجتماعية بصفة عامة، ولكن لو أن هذه الزيارات والسهرات يحياها أصحابها من خصوصيتها ، بمعنى أن المناسبة هي المولد النبوي الشريف ، يجب أن يكون الاحتفال بالاطلاع على سيرته العطرة ومسيرته النيرة.

إن الكثير من المبحوثات يحتفلن بهذه المناسبة ولكن طرحنا عليهن بعض الأسئلة المتعلقة بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، حتى سنة ميلاده ، التي يحيونها كل سنة يجهلونها.

3 - إحياء شهر رمضان

بالرغم من أن هذا الشهر، هو شهر العبادة بامتياز، لأنه الشهر الذي نزل فيه القرآن رحمة بالعباد، وهو الشهر الذي تنتزل فيه البركة، وما يجب أن يكون في هذا الشهر الكريم حسب الشريعة الإسلامية هو: أن الناس يصومنه إيمانا واحتسابا، إلا أن ما هو كائن في الواقع هو العكس، حيث أن الكثير من الناس اليوم لا ينال من صومهم إلا الجوع والعطش،

¹ - أنا كل عام نعرض دارنا...بجيو يفتروا اهنا عندي ، والقهوة اندي راهنا الرفيس الطمينة...نشرنا هذوك الشمع...العام الي فات عمتم انتاع وهران جابت ولدها وجات ودارتله لانيفارسار مع المولد ، واه أنا ندير ... أنا بروحي نبغي هذو الصوالح...نديرلهم الحنة...نجبيوا الهنا الذراري نسقيلهم زلافة انتاع الطعام ياكلوا.

فتحول هذا الشهر من شهر العبادة إلى شهر الأكل ، و السهرات، حيث أصبح عادات وتقاليد، تمارس فيه بعض الطقوس لمدة معينة ثم ينتهي.

إن ما يثبت قولنا هو أننا عندما طرحنا أسئلة على المبحوثات كيف يحييون هذا الشهر الفضيل فإن كل أجوبتهم كانت حول طهي الأطباق المختلفة من الأكل ، وأصناف المشروبات والتحلّيات وغيرها.

خلاصة الفصل

يتناول هذا الفصل بعض المؤشرات التي يمكن من خلالها التعرف على ما إذا كانت الأسر، محل الدراسة تعتمد على مرجعية إسلامية أم لا ، ومن بين هذه المؤشرات مرجعية أسماء الأولاد، هذه الأسماء التي لاحظنا أنها في كثير من الأحيان ذات مرجعية إسلامية، لكن في أذهان الوالدين هي غير ذلك، فتجد الواحدة مثلا منهن تسمي أسماء، مثل محمد، أحمد، خديجة، وهي كلها أسماء إسلامية لكنك عندما تسألها عن الدافع وراء اختيار هذه الأسماء تجده دافعا مجتمعيًا وليس إسلاميًا، كتخليد أسامي بعض أفراد العائلة المتوفين. هذا ومن بين المؤشرات التي استطعنا من خلالها معرفة ما إذا كانت الأسر تعتمد على مرجعية إسلامية أم لا، نذكر بعض الممارسات الدينية عند الأمهات، كالصلاة وقراءة القرآن ومشاهدة الحصة التلفزيونية، وكذلك بعض مظاهر الاحتفالات بالأعياد والمناسبات الدينية، لقد أعطت لنا هذه المؤشرات نظرة كافية للحكم على هذه التنشئة اعتمادها على مرجعية إسلامية أم لا .

خلاصة عامة واستنتاجات

لقد انطلقت هذه الدراسة، التي تناولت موضوع التنشئة الأسرية في المرجعية الإسلامية، من التساؤل حول المرجعية التي تعتمد عليها الأسر المبحوثة في تنشئة أبنائها سواء أكانت هذه المرجعية تخص القيم أو الأساليب أو الأهداف، وما إذا كانت إسلامية أو تختلط فيها تعاليم الإسلام مع عادات وتقاليد غير إسلامية، متسائلة عن الأسباب والعوامل التي وراء ذلك، والتي قد تكون داخلية للأسرة، تخص علاقة الزوجين فيما بينهما، أو وبين المرجعية المعتمدة في التنشئة، أو خارجية تخص القيم التي تنقلها مؤسسات التنشئة الأخرى والتي ليست بالضرورة قيما إسلامية.

وبناء على معرفتنا الأولية بما هو سائد في الأسرة الجزائرية، وبالكيفية التي تمارس بها التنشئة الاجتماعية، افترضنا أن الأسر المبحوثة غالبا ما لا تعتمد التنشئة الاجتماعية فيها على المرجعية الإسلامية، لا فيما يتعلق بالقيم ولا فيما يخص الأساليب والأهداف، نظرا لجهل الغالبية بتعاليم الشريعة الإسلامية، أو لعلاقة التباين والصراع بين الزوجين، أو لمنافسة المؤسسات الاجتماعية للأسرة في عملية التنشئة، أو لأثر التنشئة الأولية للوالدين.

ولاختبار الفرضيات، قمنا بدراسة ميدانية على مجموعة من الأسر (40 أسرة) قاطنة بمدينة " مزهران " - ولاية مستغانم، بعد دراسة نظرية شملت الدراسات السابقة للموضوع، سواء منها الأجنبية أو العربية أو الجزائرية. وقد وقفنا في ذلك على دراسات كبار علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا مثل: ماكس فيبر، وكاردينر أبرام، ووالف لينتون وروث بنيديكت، ومارغريت ميد، بالنسبة للأجانب، وعلي الوردني، وهشام شرابي، وحليم بركات، وعلي زيعور، ومصطفى بوتفنوشت بالنسبة للعرب والجزائريين. كما وقفنا في الدراسة النظرية على النظريات المفسرة للأسرة بمختلف اتجاهاتها الكلاسيكية منها والمعاصرة، مثل التطورية الامبريقية والنسقية والتفاعلية الرمزية.

خلاصة واستنتاجات

هذا من جهة ومن جهة أخرى تتبعنا الأسرة في الفكر الإسلامي، لمعرفة مكانتها في الإسلام، ومحل الزواج في الشريعة الإسلامية، ومعايير اختيار شريك الحياة، ومكانة المرأة والطفل في الأسرة حسب الرؤية الإسلامية.

وأوقفنا الدراسة النظرية كذلك، على التنشئة الاجتماعية، وأساليبها وأهدافها في الفكر الغربي، متطرقين إلى الكثير من الاتجاهات والنظريات بهذا الخصوص، وعلى التنشئة الاجتماعية في الفكر الإسلامي، وإلى التحديات التي تمثلها المؤسسات الاجتماعية المنافسة للأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية.

أما الدراسة الميدانية، التي اعتمدنا فيها على تقنية المقابلة شبه الموجهة، لجمع المعطيات، فقد ركزت على فئات من الأسئلة التي نعتقد أنها أحاطت عموماً بكافة جوانب الظاهرة المدروسة، مثل القيم المرجعية التي نشأت عليها المبحوثات، والأساليب التي مورست بها عليهن التنشئة الاجتماعية، والأهداف المتوخاة من ذلك، ومثل العلاقة بين والدي المبحوثات وعلمهم أو جهلهم بالمرجعية الإسلامية، والتي أفادتنا في معرفة تأثير التنشئة الأولية للمبحوثات في تربية أبنائهن. كما ركزت الدراسة الميدانية على القيم التي تحرص المبحوثات على نقلها، من خلال عملية التنشئة الاجتماعية، ومعرفة ما هو صنف القيم الغالب في هذه العملية، علماً بأن أصناف القيم في المرجعية الإسلامية أربع: قيم منظمة لعلاقة الفرد مع الله، وأخرى لعلاقته مع نفسه، وثالثة لعلاقة الفرد مع الآخرين، وصنف رابع ينظم العلاقة بين الفرد والكون، بممالكه الجمادية والنباتية والحيوانية.

وقد خرجنا من هذه الدراسة المتواضعة بالنتائج التالية:

- تبين الدراسة النظرية للتراث الإسلامي بأنه زاخر بالمصادر العلمية التي تناولت موضوع التنشئة الاجتماعية في الأسرة، ورغم ذلك تبقى الكثير من هذه المصادر مادة خاماً، تنتظر من يستخرجها ويعالجها ويفيد منها في دراسة واقعنا الاجتماعي الراهن.

خلاصة واستنتاجات

- أن مفهوم التنشئة الاجتماعية في الفكر الغربي، مفهوم لا يتماشى وطبيعة مجتمعاتنا، فالتنشئة الاجتماعية حسب المفهوم الغربي لهذا المصطلح تجعل من المجتمع وثقافته المرجعية الأساسية لعملية التنشئة الاجتماعية وذلك سواء على مستوى القيم أو الأساليب، أو حتى الأهداف، وهذا قد يتماشى مع مجتمعات علمانية يلعب فيها الدين دور هامشي، ولكن لا يتماشى بأي حال من الأحوال مع مجتمعاتنا الإسلامية التي يعتبر فيها الدين منهج حياة وهو محورها وأساسها. هذا بالإضافة إلى اختلاف طبيعة ديننا ودينهم، فدينهم حوروه وصيروه ثقافة من خلال تحريفه مما جعله أكثر عرضة للتغير والتبدل مع تطور المجتمعات وتقدمها عبر العصور، في حين أن ديننا هو الدين السماوي الوحيد الذي تكفل الله بحفظه وحمايته، وبالتالي فهو دين لا تتغير أحكامه وأصوله مع تغير الزمن، فهو صالح لكل زمان ومكان، ونظرا لخاصيته هذه يمكن الاعتماد عليه كمرجعية لعملية التنشئة الاجتماعية لأنه يضمن لنا استقرار المجتمع من جهة وتميزه عن المجتمعات الأخرى من جهة أخرى، والأكثر من هذا يقينا من التفسخات التي تصيب المجتمعات بسبب بعض الأمراض الاجتماعية كالانحرافات الأخلاقية والإجرام وغيرها، فهو يحصن الأفراد والمجتمعات من كل الآفات التي قد تعترضهم، وذلك وقائيا وعلاجيا.

- أن عملية التنشئة الاجتماعية، كما نبحتها علميا وخلافا لمعرفتنا الساذجة بها، هي عملية مركبة ومعقدة، وليست كما تقدمها بعض الأدبيات، ولا حتى بعض الكتب الأكاديمية: هي عملية مركبة، بسبب ما يختلط فيها ما هو عضوي واجتماعي بما هو نفسي وروحي، وأن كل جانب من هذه الجوانب يؤثر في الآخر ويتأثر به. وهي معقدة بسبب ما يتدخل فيها من الأطراف والعناصر أثناء ممارستها، والتي منها ما يتدخل بطريقة مباشرة، كالوالدين والمربين، وما يتدخل بطريقة غير مباشرة، كتكنولوجيات الإعلام والاتصال، والمؤسسات الاجتماعية الأخرى كجماعة الرفاق والشارع وغيرها. وهذه الوسائط التي تتدخل بطريقة غير مباشرة في كثير من الأحيان، تلعب دور المشوش على الأسرة، عند ممارستها لهذه العملية الاجتماعية

خلاصة واستنتاجات

وعلى مرجعيتها. وما يترتب عن ذلك يمكن اختصاره في تفهقر سلطة الأسرة أمام سلطة المجتمع ومؤسسات التنشئة الاجتماعية الأخرى، ولاسيما وسائل الإعلام والتكنولوجيا، مما جعل الكثير من الأبناء يتمرّدون على آباءهم وتعاليمهم.

- ونتيجة لذلك، أصبح الأولاد يفرضون الكثير من القيم والمبادئ على آباءهم، بل الأكثر من ذلك غير جيل الأبناء قناعات وقيم كثير من جيل الآباء، مما جعل عملية التنشئة الاجتماعية تمارس بطريقة معكوسة في كثير من الحالات، أو بعبارة نقيضة لعبارة دوركائم حيث أصبحت تمارسها الأجيال التي لم ترشد بعد على الأجيال الراشدة.

- أن الالتزام بتعاليم الدين وأحكامه لا يشكل أولوية في حياة معظم الأسر محل الدراسة، مما أثر على مرجعية التنشئة الاجتماعية التي تمارس في هذه الأسر.

- أن مفهوم التربية ليس واضحاً في فكر أغلبية المبحوثات، حيث أن التربية بالنسبة لهن تتمحور حول رعاية الطفل من أكل وشرب ولباس ونظافة، في حين أن ترسيخ القيم والأخلاق الإسلامية لا توجد في فكر غالبية المبحوثات. وبهذا يكون مصطلح الرعاية هو الذي ينطبق على عملية التنشئة الاجتماعية في هذه الأسر، أكثر من مصطلح التربية الذي يشمل تنمية جميع جوانب شخصية الطفل.

- أن أغلبية الأمهات لم يتلقين في أسرهن تنشئة إسلامية، وقد أثر هذا الأمر بدوره على ممارستهن لعملية التنشئة الاجتماعية على أطفالهن، وأبعدهن على المرجعية الإسلامية.

- أن أغلبية المبحوثات نشأن في أسر غير مستقرة نفسياً واجتماعياً، ولاسيما في ما يخص علاقة آباءهن الزوجية، حيث أن أمهاتهن عشن الغبن والعنف والقسوة مع أزواجهن، وهو ما أثر على تربية وتنشئة المبحوثات وعلى شخصيتهن، مما جعلهن محطّات نفسياً ومثقلات بالمشاكل والعقد، وهذا أثر لاحقاً على ممارستهن للتنشئة الاجتماعية على أطفالهن، وعلى المرجعية التي يعتمدها، وغالبا ما يكون هذا التأثير بطريقة غير شعورية، ويظهر خصوصا

خلاصة واستنتاجات

في أسلوب العنف وغياب التواصل والحوار بينهن وبين أطفالهن. و منه يمكن القول أن طبيعة التنشئة الاجتماعية التي تمارس في معظم الأسر المبحوثة هي عبارة عن إعادة إنتاج للتنشئة الاجتماعية الأولية للوالدين في كثير من مضامينها (سواء على مستوى القيم أو الأسلوب أو الأهداف)، وإن اختلفت بعض صورها وأشكالها.

- أن الكثير من الأمهات يتذمرن من جيل اليوم وينعتونه بالجيل (الواعر) الصعب والعنيد، مقارنة بجيلهم وجيل آبائهم الذي يرون فيه جيل التربية والحشمة والأخلاق، ولكن الكثير منهن يجهلن الأسباب التي جعلت هذا الجيل يتصف بهذه الصفات مقارنة بالجيل الماضي، أهمها التربية التقليدية- التي يفتخرن بها- هذه التربية التي تنطوي على الكثير من العيوب والنقائص ، ناهيك عن ظروف الجيلين التي تختلف اختلافا كبيرا، فالجيل السابق تربي في مجتمعات مغلقة، حيث كانت للأسرة وللشارع وللجيران سلطتهم، في حين جيل اليوم تربي في مجتمعات منفتحة ، حيث أصبح العالم قرية واحدة.

- بالرغم من أن الكثير من الآباء يشيدون بجيل الماضي وبعبصره وبطبيعة التربية التي كانت سائدة آنذاك فيه، إلا أن نتائج هذه الدراسة أثبتت عكس ذلك. فمن خلال رجوعنا إلى طفولة المبحوثات، والى التنشئة الاجتماعية التي خضعن لها، ولاسيما هؤلاء اللواتي عشن طفولتهن في أواخر الستينات والسبعينات وحتى الثمانينات، نجد أن الكثير منهن لم يتلقين تنشئة اجتماعية سليمة، أما عن مرجعيتها فهي لا تمت بصلة للمرجعية الإسلامية ، إلا في حالات نادرة سواء على مستوى القيم أو الأسلوب أو الأهداف.

- أن عملية التنشئة الاجتماعية في معظمها تخضع للعشوائية والتلقائية، ذلك أن الكثير من المبحوثات يعتمدن على أسلوب التساهل في تنشئتهن لأطفالهن، لأن هذا الأسلوب لا يتطلب جهد كبير مقارنة بالأسلوب الحازم الذي يتطلب متابعة مستمرة لسلوك الطفل وتصرفاته.

خلاصة واستنتاجات

وهذا جعل بالتنشئة التي تمارس في الأسر محل الدراسة، تنشئة مفرغة- في كثير من الأحيان- من الأهداف، وإن وجدت فهي أهداف لا تعكس المرجعية الإسلامية، بل تعكس المرجعية المجتمعية، حيث تنحصر خصوصا في التفوق الدراسي، والمكانة الاجتماعية، والسعادة الدنيوية، خلافا لأهداف المرجعية الإسلامية التي ترى أن الإنسان لم يخلق عبثا، وإنما خلق من أجل تحقيق رسالة واضحة ومحددة الأهداف مسبقا: عبادة الله واستخلافه في الأرض. هذا الاستخلاف الذي يوفق بين الدارين، الدنيا والآخرة.

- أن اعتماد مرجعية إسلامية في التنشئة الاجتماعية، يتوقف على ضرورة اتصاف الوالدين بالأخلاق الإسلامية. و هذا لم نجده إلا في أسر نادرة، فأغلبية الوالدين لا يمثلون قدوة لأطفالهم، فهم إن أمرهم أن يلتزموا بالإسلام فإنهم إنما يقولون ما لا يفعلون.

- أن هناك جهلا بالتعاليم الدينية من قبل المبحوثات ، وهذا الجهل نجم عنه خلط في فكر هؤلاء بين العادات والتقاليد من جهة، وبين الدين من جهة أخرى.

- أن جهل الأمهات بأحكام الدين الإسلامي، في كثير من الأحيان، ليس له علاقة بالمستوى التعليمي، فهناك من لهن مستوى تعليمي محدود، ولكن يمتلكن ثقافة إسلامية ووازع ديني والعكس صحيح.

- أن العيش في أسرة ممتدة ليس دائما أمرا ايجابيا لعملية التنشئة الاجتماعية، بل بالعكس. فهو في كثير من الأحيان مشوش على هذه العملية، ولاسيما فيما يخص الاعتماد على مرجعية من المرجعيات ، كالاتتماد على المرجعية الإسلامية مثلا، وذلك نظرا لتدخل الكثير من الأطراف في هذه العملية، ولكل طرف قناعات وآراء شخصية. وهذا ما يؤدي بعملية التنشئة الاجتماعية إلى إنتاج أطفال يتصفون بازدواجية الشخصية نتيجة لأسلوب التنشئة الاجتماعية المذبذب والعشوائي الذي مورس عليهم.

خلاصة واستنتاجات

- أن الدين تحول لدى غالبية الأسر المبحوثة إلى عادات وتقاليد وطقوس تمارس أكثر منه أحكاما شرعية تطبق ويحتكم إليها في حياة الكثير منهم ، أي أنه أصبح مفرغا من جوهره ولم يبق سوى الشكل، وتظهر مؤشرات هذا في الطقوس الدينية، كصيام شهر رمضان، والاحتفال بالمناسبات الدينية، كالمولد النبوي الشريف، وعاشوراء، وعيد الفطر، والأضحى وغيرها.

- هناك البعض من الأسر تعتمد قيما إسلامية، ولكن الأساليب المتبعة غالبا ما تكون غير إسلامية، بل هي أساليب اجتماعية متعلقة بشخصيات الآباء والأمهات، ولاسيما تلك المتوارثة اجتماعيا. و في كثير من الأحيان تكون القيم إسلامية، ولكن الهدف يكون ماديا اجتماعيا.

- إقصاء غالبية الأسر المبحوثة للسنة النبوية الشريفة، مقارنة بالقرآن الكريم، وهي التي تمثل الجانب العملي له مما أثر في التنشئة الاجتماعية التي بقيت نظرية دون تطبيق، بإهمالها القدوة الحسنة المجسمة لأخلاق القرآن، متمثلة في الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام.

- أن الاعتماد على مرجعية إسلامية في الأسرة الجزائرية تعيقه الكثير من التحديات منها الداخلية ومنها الخارجية، حيث تتمثل التحديات الداخلية في الصراعات والانشقاقات التي تعرفها الكثير من الأسر ولا سيما في ما يخص العلاقات داخل النسق الأسري كالعلاقة بين الزوجين، و بين الآباء والأبناء، والعلاقة بين الزوجة وأهل الزوج .. و غيرها، هذه العلاقات التي لا تقوم في كثير من الأحيان على الأحكام الإسلامية. أما التحديات الخارجية فتتمثل في الوسائط الاجتماعية المشوشة كوسائل تكنولوجيايات الإعلام والاتصال ، والشارع، وجماعة الرفاق. وتعتبر التحديات الداخلية أكثر تأثيرا على عملية التنشئة الاجتماعية وعلى مرجعيتها مقارنة بالتحديات الخارجية، و أن رفع الأسرة للتحديات الداخلية من شأنه أن يقيم سدا منيعا في وجه التحديات الخارجية، إلا أن غياب الوعي بذلك حال دون اعتماد الأسر على المرجعية الإسلامية في التنشئة الاجتماعية.

خلاصة واستنتاجات

-أن التنشئة الاجتماعية التي تمارس في الأسر المبحوثة هي تنشئة تُرسخ لأطفالها ثقافة العيب أكثر من ترسيخ ثقافة الحرام، وهذا قد يؤدي بهم مستقبلا إلى التجرؤ على الأحكام الشرعية ومخالفتها، وفي المقابل تعظيم ثقافة المجتمع وتقديسها جيدها و رديؤها وهذا يخالف المرجعية الإسلامية.

والنتيجة التي تلخص ما سبق هو أن مرجعية التنشئة الاجتماعية في الأسر المبحوثة هي خليط من المرجعيات المتناقضة في كثير من الأحيان، سواء على مستوى القيم أو الأساليب أو الأهداف، والتي تجمع بين المرجعية الدينية الإسلامية وبين العادات والتقاليد، وبين العناصر الواردة من الثقافات الأجنبية.

التوصيات والاقتراحات

وانطلاقا من النتائج المتوصل إليها من خلال هذا البحث المتواضع ارتأينا أن نضع مجموعة من الاقتراحات والتوصيات التي قد تكون حلولا لبعض الظواهر الاجتماعية المتعلقة بالأسرة وبالتنشئة الاجتماعية من جهة، و إمكانية الاعتماد على المرجعية الإسلامية في التنشئة الاجتماعية من جهة أخرى:

1-رفع الجهل بالدين على الناشئة الذين هم أمهات وآباء المستقبل، ولا سيما في الجانب الذي يخص الأسرة والزواج وتربية الأبناء، ويكون هذا من خلال إدراج مواد في المناهج التربوية ، في جميع أطوار التعليم، من الابتدائي وحتى الجامعي، وأيضا في جميع المؤسسات التربوية الأخرى كمؤسسات التكوين المهني و التمهيين والمدارس العليا والتحضيرية وغيرها ..و أن تعطى لهذه المواد ثقل ووزن في هذه البرامج وذلك من خلال إعطائها حجم ساعي معتبر ومنحها أيضا معامل لا بأس به. فالجهل بالنسبة للمسلم ليس جهل القراءة والكتابة، كما كان يعرف سابقا، وليس جهل تقنيات الإعلام الآلي كما يعرف حاليا ، وإنما الجاهل هو من يجهل أمور دينه وعقيدته.

2- فرض القيام بدورات تدريبية وتكوينية لكل المقبلين على الزواج، يكون الهدف منها تعليمهم الأسس والمبادئ التي تقوم عليها العلاقات الزوجية، وطرق وأساليب التربية السليمة ، والأهم من ذلك أن تستقي الدورات التدريبية برامجها من المرجعية الإسلامية بالدرجة الأولى، بالإضافة إلى مرجعيات أخرى إذا لم تكن تعارض الشريعة الإسلامية بل تعززها وتزيدها قوة إلى قوتها.

3- وضع برامج تكميلية و خرجات ميدانية تقوم بها كل من وزارة التضامن والأسرة ووزارة الشؤون الدينية ، وحتى وزارة التعليم العالي، حيث تنسق في ما بينها للقيام بخرجات ميدانية إلى الأسر والتعرف عليها عن قرب لمعرفة مشاكلها وطريقة عيشها، فكما أنه هناك جمعيات خيرية ومساعدات مادية من طرف الدولة تقدم للفقراء لا بد أن تمد يد المساعدة لكل الأسر وذلك لإرشادهم وتوعيتهم للأهمية الأسرة ودورها في المجتمع ولأهمية التربية ومخاطرها إذا لم تتم بطريقة صحيحة.

-وفي الأخير أخذ بعين الاعتبار النتائج المتوصل إليها من خلال البحوث الميدانية في مختلف التخصصات و كذلك التوصيات والاقتراحات التي يقترحها الباحثون والانطلاق منها في وضع القوانين والإصلاحات في المجال الأسري.

-إعادة النظر في برامج التعليم في المساجد والمدارس القرآنية، هذه البرامج التي تنحصر في تدريس الأطفال القرآن فقط وحفظه دون فهمه وفقهه، فبالإضافة إلى تدريس القرآن يجب أيضا تدريس السيرة النبوية والفقهاء والحديث والتفسير... وغيرها.

المصادر والمراجع باللغة العربية

- القرآن الكريم

1.المصادر

1. ابن كثير ، تفسير لقرآن العظيم ، راجعه وخرّج أحاديثه: أنس محمد الشامي، محمد سعيد محمد، القاهرة: دار البيان العربي، ط، ج 1 ، 2006.
2. أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1 ، 2006 .
3. الإمام النووي، رياض الصالحين، تحقيق: محمد جميل غازي، بيروت: دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، ط، 2005 .
4. سيد سابق، فقه السنة (العبادات) ، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1 ، 2006 ، ج 1 .
5. سيد قطب، في ظلال القرآن، القاهرة: دار الشروق، ط40، ج1-4 ، 2012.
6. عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة (المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2004 .
7. عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، راجعه: أنس محمد الشامي ، محمد سعيد محمد، تفسير القرآن العظيم، القاهرة: دار البيان العربي، ج 2 .
8. محمد الحبيب بن خوجة، محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية بين علمي أصول الفقه والمقاصد، ج2 ، قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط، 2004 .

9. محمد الغزالي، المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، مصر: دار الشروق، دط، دت.

10. محمد الغزالي، ليس من الإسلام، القاهرة: دار الشروق، ط1، 1998 .

11. محمد علي الصابوني، التفسير الواضح والميسر، بيرزت(صيدا): المكتبة العصرية، ط14، 2014.

2. الموسوعات والمعاجم

1. ابن منظور، لسان العرب، القاهرة: دار المعارف، ج 55، مجلد 6، دط، دت .

2. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مراجعة أنس محمد الشامي، زكرياء جابر أحمد، القاموس المحيط، القاهرة: دار الحديث، دط، 2008

3. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مصر: مكتبة الشروق الدولية، ط5، 2011.

4. المنجد في اللغة العربية المعاصرة، بيروت: دار المشرق، ط3، 2008.

3. الكتب

1. إبراهيم ناصر، التربية الأخلاقية، الأردن: دار وائل للنشر والتوزيع، ط1، 2006.

2. إبراهيم الناصر، أسس التربية، عمان(الأردن)، دار عمار للنشر والتوزيع، ط6، 2001 .

3. إحسان محمد حسن، النظريات الاجتماعية المتقدمة-دراسة تحليلية في النظريات الاجتماعية المعاصرة- الأردن: دار وائل للنشر والتوزيع، ط2، 2005 .

4. أحمد الفائز، دستور الأسرة في ضلال القرآن، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط6 ، 1996 .
5. أحمد أمين الحق، القيم الإسلامية في التعليم وآثارها على المجتمع، دراسات الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ، مجلد7 ، 2012 .
6. أحمد خيرى العمري، كيمياء الصلاة، دمشق: دار الفكر، ط1 ، 2008 .
7. أحمد زايد، المداخل النظرية لدراسة الأسرة، في علياء شكري وآخرون، الأسرة والطفولة، دراسات اجتماعية وأنتربولوجية، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ط1 ، دت.
8. أحمد علي الحاج محمد، علم الاجتماع التربوي المعاصر، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان: ط1، 2012.
9. أحمد علي الحاج محمد، علم الاجتماع التربوي، الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط1 ، 2012
10. أحمد عمر هاشم، الأسرة في الإسلام، القاهرة: دار قباء للطباعة و النشر والتوزيع، دط، 1998 .
11. أحمد فرج، الأسرة في ضوء الكتاب والسنة، المنصورة (مصر): دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط2 ، 1989.
12. آزاد علي اسماعيل، الدين الصحة النفسية، المعهد العالي للفكر الإسلامي، ط1 ، 2014 .
13. الأستاذ مظاهري، الأخلاق البيئية، بيروت: دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع ، ط2، 1997.

14. أسعد السحمراني، الأسرة العربية والتحديات الفكرية، في كتاب الأسرة العربية في وجه التحديات والمتغيرات المعاصرة، مؤتمر الأسرة الأول، بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ط1 ، 2003.
15. أكرم رضا، في رحاب العقيدة، مصر: الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع، ط1، 2008 .
16. ألفي كون، تربية الأطفال-عطاء بلا حدود، ترجمة: علي للو، أبوظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث-كلمة-، ط1 ، 2009 .
17. الإمام الذهبي، تحقيق مبروك اسماعيل، حقوق الجار، المغرب: دار المعرفة، دط، دت.
18. أنتوني غدنز، ترجمة فايز الصياغ، علم الاجتماع، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ط4، 2005،
19. أنجر فوج، ترجمة شوقي جلال، الانتخاب الثقافي، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2005.
20. أنور الجندي، مفاهيم العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق في ضوء الإسلام، (الرد على فرويد وماركس ودوركايم)، الجزائر: دار الكتب، دط، دت.
21. أوكستو كيري، ترجمة مصطفى لعزوزي، مفاتيح التربية السعيدة، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1 ، 2014 .
22. برتراند راسل، التربية والنظام الاجتماعي، ترجمة: سمير عبده، بيروت منشورات دار مكتبة الحياة ، ط2 ، دت.
23. بن حلوش مختار، مدينة مزعران (حديث عبر الأزمان)، وهران: دار الغرب للنشر والتوزيع، دط، 2009.

24. بهاء الدين خليل تركية، علم الاجتماع العائلي، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط1 ، 2015 .
25. ثريا التيجاني، القيم الاجتماعية والتلفزيون في المجتمع الجزائري، الجزائر(عين مليلة): دار الهدى، دط، 2011 .
26. ثناء يوسف الضبع، تنمية المفاهيم الدينية والخلقية والاجتماعية لدى الأطفال، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن، ط1، 2011.
27. جميلة تلوت، الأسرة في التصور القرآني، الدار البيضاء،(المغرب): مركز الدراسات الأسرية والبحث في القيم والقانون، 2015 ، ط1 .
28. جون جاك روسو، ترجمة نظمي لوقا، إميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد، القاهرة: الشركة العربية للطباعة والنشر، دط، دت .
29. حسن أيوب، فقه الأسرة المسلمة، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط2 ، 2003.
30. حسن علي مصطفى، نشأة الدين بين التصور الإنساني والتصور الإسلامي، قسنطينة (الجزائر): مؤسسة إسرائ للنشر والتوزيع، ط1 ، 1991.
31. حمد حامد ، الإسلام ورسوله في فكر هؤلاء، القاهرة : دار الشعب ، د ط ، دت .
32. خالد عبد الرحمن العك، بناء الأسرة المسلمة في ضوء القرآن والسنة، بيروت: دار المعرفة، ط5 ، 2003 .
33. دنيس كوش، ترجمة منير السعيداني، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، بيروت : المنظمة العربية للترجمة.
34. ربحي مصطفى عليان، البحث العلمي ، أسسه ، مناهجه وأساليبه، الأردن (عمان): بيت الأفكار الدولية، دط، دت

35. رولا محمود الحيت، المفردات القرآنية في موضوع الأسرة دلالاتها الفقهية وامتدادها الاجتماعي، في كتاب الأسرة المسلمة في ظل التغيرات المعاصرة، عمان: المعهد العالمي للفكر الاسلامي، ط1، 2015 .
36. زيدان عبد الباقي، علم الاجتماع الديني، القاهرة: دار غريب للطباعة، دط، 1981.
37. سعاد إبراهيم صالح، في الشريعة الإسلامية- دراسة فقهية مقارنة، القاهرة: مؤسسة دار التعاون للطباعة والنشر، -ط3، 1980.
38. سعاد الصالح، الأسرة المسلمة بين النصوص والواقع، في كتاب الأسرة العربية في وجه التحديات والمتغيرات المعاصرة، مؤتمر الأسرة الأول، بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2003 .
39. سعاد جبر سعيد، سيكولوجية التنشئة الأسرية للفتيات، عمان: جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، إريد: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، 2008.
40. سعد إبراهيم طایل الديهي، موقف الإسلام من تنشئة الطفل، نفسيا، اجتماعيا، تربويا مقارنة عميقة بين النظريات الغربية والإسلامية، بيروت: دار الجيل للنشر والتوزيع، ط، 2003
41. سعيد سبعون ، الدليل المنهجي في إعداد المذكرات والرسائل الجامعية في علم الاجتماع، الجزائر، دار القصبية للنشر، دط، 2012.
42. سماح خالد زهران، الأسرة المصرية- قراءات في سيكولوجية التكوين والاستمرار-، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 2016 .
43. صالح محمد علي أبو جادو، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، الأردن(عمان)، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط2، 2000 .

44. صلاح الدين بسيوني رسلان، القيم في الإسلام (بين الذاتية والموضوعية)، القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، دط، 1990 .
45. صلاح الدين شروخ، علم الاجتماع الديني العام، عنابة-الجزائر - دار العلوم للنشر والتوزيع، دط، دت.
46. صلاح عبد الغني محمد، تربية الأولاد وبر الوالدين وصلة الرحم، القاهرة : مكتبة الدار العربية للكتاب، ط1، ج6، 1996.
47. طه أحمد الزيدي، المرجعية في ضوء السياسة الشرعية، الأردن: دار النفائس للنشر والتوزيع ، دار الفجر للنشر والتوزيع، ، ط1 ، 2014 .
48. عبد الجبار الرفاعي، إنقاذ النزعة الإنسانية في الدين، بغداد: مركز دراسات فلسفة الدين، ط2 ، 2013.
49. عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع ، دمشق: دار الفكر ، ط27 ، 2009 .
50. عبد الرحمن النحلاوي، من أساليب التربية الإسلامية، -التربية بالحوار-: بيروت: دار الفكر المعاصر، دمشق: دار الفكر، ط1 ، 2000 .
51. عبد الرحيم عنبي، الأسرة القروية بالمغرب من الوحدة الإنتاجية إلى الإستهلاك، المغرب: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، أكادير، دط، 2014.
52. عبد الرزاق عمّار، علاقة المسلم بالله وبالأخرين - قدرة المسلم على الكينونة في ضوء العلوم الإنسانية-بيروت: دار الجيل للطباعة والتوزيع.
53. عبد السلام الدويبي، الإسلام والطفل -ملاح رعاية وتربية الطفل في الإسلام، قبرص: دار الملتقى للباعة و النشر، ط1، 1993 .

54. عبد السلام عطوة الفندي، **تربية الطفل في الإسلام**، الأردن: دار المسيرة، للنشر والتوزيع والطباعة، ط2، 2015 .
55. عبد الغني عماد، **سوسيولوجيا الثقافة (المفاهيم والإشكاليات من الحداثة إلى العولمة)**، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ، ط1 ، 2006 .
56. عبد الغني عماد، **علم الاجتماع التربوية -الاتجاهات والمدارس والمقاربات** - بيروت: منتدى المعارف، ط1 ، 2021 .
57. عبد الكريم بكار، **الحياة الأسرية**، مقالات قصيرة في العلاقة بين الزوجين..وتربية الأبناء، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط1، 2011 .
58. عبد الكريم بكار، **العيش في الزمان الصعب**، دمشق: دار القلم، ط7، 2015 .
59. عبد الكريم بكار، **كيف يفكر المسلمون في القرن 21** ، الرياض: دار وجوه للنشر والتوزيع، دط، 2015 .
60. عبد اللطيف الهرماسي، **في الموروث الديني الإسلامي**، لبنان: دار التنوير للطباعة والنشر، ط1 ، 2012 .
61. عبد اللطيف محمد خليفة، **ارتقاء القيم**، الكويت: عالم المعرفة، عدد : 160 ، يناير 1978 .
62. عبد الله الرشدان، **التربية والتنشئة الاجتماعية**، الأردن، دار وائل للنشر والتوزيع، ط1، 2005 .
63. عبد الله الرشدان، **علم الاجتماع التربوية**، الأردن- عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1.

64. عبد المجيد بن مسعود، القيم الإسلامية التربوية والمجتمع المعاصر (سلسلة كتاب الأمة) الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ط1 ، 1998.
65. عبد المجيد سيد منصور، زكرياء أحمد الشرييني، الأسرة على مشارف القرن 21، الأدوار، المرض النفسي، المسؤوليات-، القاهرة: دار الفكر العربي، ط1 ، 2000.
66. عزت جردات، هيفاء أبو غزالة، خيرى عبد اللطيف، مدخل إلى التربية، عمان: الأردن، مكتبة دار الفكر للنشر والتوزيع، ط3 ، 1987.
67. عصام منصور، يحي نبهان، علم الاجتماع المعاصر، عمان: دار وائل للنشر والتوزيع، ط1، 2014 .
68. علي أسعد وطفة، علي جاسم الشهاب، علم الاجتماع المدرسي، بيروت: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2004 .
69. علي الوردى، شخصية الفرد العراقي -بحث في نفسية الشعب العراقي على ضوء علم الاجتماع الحديث، بغداد: بيت الوراق للطباعة والنشر والتوزيع، ط2.
70. علي الوردى، مهزلة العقل البشري، بغداد: الوراق للنشر والتوزيع المحدودة، ط6 ، 2016.
71. عماد الدين الرشيد، المرجعية (دراسة في المفهوم القرآني)، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد 21 ، العدد الأول، 2005.
72. عمر فروخ، الأسرة في الشرع الإسلامي، بيروت : نشر ونوزيع المكتبة العلمية والمكتبة المصرية، ط1.

73. عيسى عيسى بن صالح ، نقل القيم في مرحلة الطفولة المبكرة (دراسة وصفية تحليلية لرياض الأطفال بالجزائر العاصمة)، الجزائر(برج البحري) : معهد المناهج، دط، 2014 .
74. غوستوف لوبون، ترجمة ، أحمد فتحي زغلول، روح الاجتماع، لقاهاة: مؤسسة هنداوي للثقافة والتوزيع، دط، 2013.
75. فاديا أبو خليل، الثقافة والتنشئة الاجتماعية وأثرهما في تكوين شخصية الفرد، بيروت : دار النهضة العربية، ط1 ، 2015 .
76. فخر الدين بن الزبير المحسي، ما لا يسع المسلم جهله، مكة المكرمة: دار طبيااء الخضراء، ط1، 2021.
77. ليندة لطاد ، عائشة عباس وآخرون، تحت إشراف: بوحوش عمار، منهجية البحث العلمي وتقنياته في العلوم الاجتماعية، برلين (ألمانيا): المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية، دط، 2019
78. ماكس فيبر، ترجمة محمد علي مقلد، الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية، لبنان: مركز الإنماء القومي، دط، دت
79. مالك بن نبي ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، عمر كامل مسقاوي، شروط النهضة ، دمشق: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، 1986 ، دط .
80. محمد أبو حسان، المرأة والأسرة بين الإسلام والنظم الغربية، الأردن(عمان) : جمعية العفاف الخيرية، ط2 ، 1993.
81. محمد بلفقيه، العلوم الاجتماعية ومشكلة القيم – تأصيل الصلة-الرباط : دار نشر المعرفة، ط1 ، 2007 .

82. محمد بن أحمد الصالح، **الطفل في الشريعة الإسلامية (نشأته-حياته، حقوقه التي كفلها الإسلام)**، السعودية: مطابع الفرزدق التجارية، 1981.
83. محمد بن جميل زينو، **أركان الإسلام والإيمان من الكتاب والسنة الصحيحة**، مكة المكرمة: مطبعة دار المجمع العلمي، ط 25 ، دت .
84. محمد سعيد مرسي، **فن تربية الأولاد في الإسلام**، القاهرة: التوزيع والنشر، ط 1 ، 1988 ، ج 1 ط 1.
85. محمد عبد العليم مرسي، **في الأصول الإسلامية للتربية**، القاهرة: المكتبة الجامعية، ج 1، دط، 2000.
86. محمد عبد الله دراز، **الدين (بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان**، الكويت: دار القلم ، دط، 1982.
87. محمد عبيدات، محمد أبونصار، **عقلة مبيضين، منهجية البحث العلمي، القواعد والمراحل والتطبيقات**، عمان (الأردن): دار وائل للنشر والتوزيع، ط 2 ، 1999
88. محمد عثمان الخشت، **مدخل إلى فلسفة الدين**، القاهرة: دار قباء للطباعة و النشر والتوزيع، دط، 2001 .
89. محمد عمارة، **في التحرير الإسلامي للمرأة**، الجيزة ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 3 ، 2008 .
90. محمد قطب، **معركة التقاليد**، القاهرة: دار الشروق، ط 16 ، 1996.
91. محمد قطب، **مفاهيم ينبغي أن تصحح**، القاهرة، بيروت : دار الشروق، 1994 ، ط 8.
92. محمد قطب، **منهج التربية الإسلامية (في النظرية)**، ج 1 ، القاهرة: دار الشروق، ط 14 ، 1993 .

93. محمد ياسين مصطفى الريماوي، دليل التربية الإسلامية الشامل، باكستان: مطبعة أياد نحل، 2011 .
94. محمود أبو فروة الرجبي، دليل الأهل في التعامل مع برامج الأطفال التفازية ، في المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الأسرة المسلمة في ظل التغيرات المعاصرة، عمان: دار الفتح، ط1 2015 .
95. مراد زعيبي، مؤسسات التنشئة الاجتماعية، الجزائر: جامعة عنابة، دط.
96. مصطفى بوتفوشت، ترجمة دمري أحمد، العائلة الجزائرية: التطور والخصائص الحديثة، الجزائر: ديوان المطبوعات الجزائرية، دط، 1984.
97. مصطفى حدية، ترجمة محمد بن الشيخ، التنشئة الاجتماعية والهوية، (دراسة نفسية اجتماعية للطفل القروي المتمدرس) :الرباط: ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، دط، 1996.
98. معن خليل العمر، التنشئة الاجتماعية، الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1 ، 2004 .
99. معن خليل معن، علم الاجتماع الأسرة، الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1 ، 2000
100. منى محمد علي جاد، طرق وأساليب تربية الطفل، الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط1، 2010 .
101. موريس أنجرس، ترجمة: بوزيد صحراوي وآخرون، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية-تدريبات عملية- الجزائر: دار القصة للنشر، ط2 ، 2006

102. ناصر قاسمي، سوسيولوجيا العائلة والتغير الاجتماعي، القاهرة: دار الكتاب الحديث، دط، 2013.
103. نبيل السمالوطي، بناء المجتمع الإسلامي ونظمه، دراسة في علم الاجتماع الإسلامي، جدة: دار الشروق، ط3، 1998 .
104. نعيم جعيني، علم اجتماع التربية المعاصر بين النظرية والتطبيق، الأردن: دار وائل للنشر والتوزيع، ط1، 2009 .
105. هدى محمود الناشف، الأسرة وتربية الطفل، الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط3، 2013 .
106. هشام شرابي، مقدمات لدراسة المجتمع العربي، بيروت: الدار المتحدة للنشر ط2، 1975.
107. هشام شرابي، مقدمات لدراسة المجتمع العربي، -سلوكنا الاجتماعي وبنية العائلة في المجتمع العربي، الاتكالية، العجز، التهرب ..- بيروت، الدار المتحدة للنشر، ط3، 1984
108. وفيق صفوت مختار، الأسرة وأساليب تربية الطفل، القاهرة: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، دط، دت.
109. يحي هويدي، مقدمة في الفلسفة العامة، القاهرة، دار النهضة العربية ، 1970 ، ط7.

4.المجلات

1. بارندر جيفري، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة عبد الفتاح إمام، مراجعة: عبد الغفار مكاوي، الكويت: عالم المعرفة، عدد 173، ماي 1993 .

2. بوترة بلال، التحليل الموضوعي للمقابلات البحثية في العلوم الاجتماعية، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية،-الوادي-، عدد 2018،16
3. عتيقة حرايرية، نعيمة طبال ، مراحل وخصائص تطور الأسرة الجزائرية من أجل فهم وتفسير التحولات الحاصلة، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله: مجلة هيرودوت للعلوم الاجتماعية والإنسانية، عدد 6 ، 2018 .
4. فتيحة حراث، القيم الأسرية بين الثقافة التقليدية والثقافة العصرية، مجلة إنسانيات، عدد 59، 2013 .
5. فتيحة حراث، المشرف : أحمد رميثة، القيم الأسرية بين الثقافة التقليدية والثقافة العصرية، مجلة إنسانيات، عدد 95 .
6. ياسمينه كتفي، أساليب تربية الطفل في الأسرة من منظور الإسلام، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية ، المجلد 18 ، العدد 01-2021 .
7. اليمين شعبان، عوفي مصطفى، الأسرة الجزائرية عبر التاريخ، الثابت والمتغير، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، العدد 52 ، جوان 2017 .

5. الرسائل الجامعية

1. أحمد تازي، التنشئة الاجتماعية القاعدية والوعي الديني عند المهاجرين الجزائريين بفرنسا، -دراسة عينة من المهاجرين بمطار الجزائر الدولي- تحت إشراف الأستاذ : أحمد رميثة، جامعة غرداية ، 2011-2012 .
2. بن منصور اليمين، دور القيم الدينية في التنمية الاجتماعية(دراسة ميدانية لمجتمع المزبيين المقيمين بمدينة باتنة)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، جامعة الحاج لخضر، باتنة-الجزائر-، قسم علم الاجتماع والديمغرافيا، 2010/2009.

3. حرّاث فتيحة، صراع القيم الثقافية في التربية الأسرية-دراسة سوسولوجية ميدانية لعلاقات الشباب بأولياءهم في إطار الثقافتين التقليدية والعصرية، تحت إشراف الأستاذ: أحمد رميتة، دراسة لنيل شهادة دكتوراه علوم ، جامعة الجزائر 2 ، قسم علم الاجتماع، 2012/2011.
4. حمودة سليمة، التغيرات الاجتماعية والاقتصادية وانعكاساتها على السلطة الوالدية كما يدركها الأبناء في الأسرة الجزائرية- دراسة ميدانية على عينة من طلبة جامعة محمد خيضر -بسكرة-، تحت إشراف الأستاذ: جابر نصر الدين ، أطروحة دكتوراه علوم في علم النفس الاجتماعي .
5. الضاوية معاش، تكوين الأئمة وعلاقته بالخطاب المسجدي، (أطروحة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع التربوي) ، جامعة الجزائر، 2008-2009.
6. عبد الله محمد أحمد حريري، القيم في القصص القرآني الكريم، رسالة دكتوراه الفلسفة في التربية -تخصص تربية إسلامية-، تحت إشراف الأستاذ الدكتور: إبراهيم عصمت مطاوع مصر: جامعة طنطا، كلية التربية، 1988. أطروحة حو القيم في القرآن
7. عبد المحسن بن أحمد العصيمي، الآثار الاجتماعية للانترنت (رسالة دكتوراه حصلت على امتياز مع مرتبة الشرف الأولى في عام 2004)، الرياض: قرطبة للنشر والتوزيع، ط1 ، 2004.
8. محمد حمداوي، البنيات الأسرية ومتطلباتها الوظيفية في منطقة بني سنوس في النصف الأول من القرن العشرين (قرى العزايل نموذجا)، تحت إشراف الأستاذ: أحمد العلوي،- دراسة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة- جامعة وهران، 2005

المراجع باللغة الفرنسية

La bibliographie

I. Les ouvrages

1. Ahsène Zehraoui, **Les travailleurs algérien en France, étude sociologique de quelques aspect de la vie familiale**, Paris, Maspero, 1976.
2. Andrée Michel, **Sociologie de la famille et du mariage**, Paris, PUF, 1972.
3. Gustave Le Bon, **Psychologie de l'éducation**, Paris, Déterra, 2009.

4. Jacques Berque, **Le système de Parenté dans les sociétés musulmanes**, Paris, EPHE, 1968.
5. Jean- Paul Charnay , **La vie musulmane en Algérie d'après la jurisprudence de la première moitié du XXeme siècle**, Paris, PUF, 1965.
6. Joseph Chelhod, **Les structures du sacré chez les arabes**, Paris, Maisonneuve et Larose, 1964.
7. Joseph Schasht, **Introduction au droit musulman**, Paris, Maisonneuve et Lacrosse, 1999.
8. Louis Gardet, **L'Islam, religion et communauté**, Paris, Foi vivante, 1970.
9. Marcel Morand, **La famille musulmane**, Alger Jourdan, 1903
10. Mostefa BOUTEFNOUCHET, **La famille algérienne : Evolution et caractéristiques récentes**, Alger, SNED, 2eme ed, 1982.
11. Raymond Boudon, **dictionnaire critique de la sociologie**, Paris : Librairie Larousse, 1989.
12. Roger Caillois, **L'homme et le sacré**, Paris, Gallimard, 1950
13. Sabine Dirk, **La famille musulmane son Evolution au XXeme siècle**, Paris, Mouton, 1969.
14. Zerdoumi Nafissa, **Enfant d'hier et d'aujourd'hui : L'éducation de l'enfant en milieu traditionnel algérien**, Paris, Maspero, 1970.

2. Dictionnaires

15. Dictionnaire Hachette, Paris, 2008.

3. Les revues

16. DESCLOITRES ,Robert et, DEBZI Laïd, Système de parenté et structure familiales en Algérie, **in Annuaire de l'Afrique du nord**, Paris, CNRS, 1963

17. Pierre Bourdieu, Genèse et structures du champ religieux, **Revue française de sociologie** , n° 122, 1972.

4. Les thèses

M.HAMDAOUI, **Le changement familial dans l'Ouest algérien** (Thèse de troisième cycle reproduite sur microfiche), Université René Descartes, Paris V, 1988

الفهرسة

02	- مقدمة
	الفصل الأول : الإطار المنهجي للدراسة
09	- تمهيد
09	أولاً : تحديد الموضوع وأهميته
13	ثانياً : دوافع الدراسة وأهدافها
15	ثالثاً : إشكالية الدراسة وفرضياتها
15	1- إشكالية الدراسة
17	2- فرضيات الدراسة
19	رابعاً: صعوبات الدراسة
	الفصل الثاني: الدراسات السابقة والنظريات المفسرة للظاهرة
23	-تمهيد
25	أولاً: الدراسات السابقة
25	1-الدراسات الأجنبية
31	2-الدراسات العربية
37	3-الدراسات الجزائرية
44	ثانياً: النظريات المفسرة للظاهرة
44	1-التعقيب على القول بالزامية الباحث بنظرية اجتماعية
48	2-النظريات الاجتماعية المفسرة لبعض جوانب الظاهرة
	-خلاصة الفصل
	الفصل الثالث: لأسرة في الفكر الغربي
57	تمهيد
58	أولاً: مفهوم الأسرة وأنماطها
59	1-مفهوم الأسرة في الفكر الغربي

61	2- أنماط الأسرة في الفكر الغربي
62	ثانيا: الاتجاهات النظرية لدراسة الأسرة
63	1- التيارات النظرية الكلاسيكية
67	2- الاتجاهات النظرية المعاصرة
74	ثالثا: الزواج وبدائله في الفكر الغربي
74	1- مفهوم الزواج
76	2- بدائل الزواج في الفكر الغربي
77	رابعا: الأسرة الغربية والتنشئة الدينية
77	1- الدين في الفكر الغربي
78	أ- مفهوم الدين لغة
78	ب- مفهوم الدين في الاصطلاح
78	- مفهوم الدين في نظر علماء الاجتماع
80	- المفهوم الفلسفي للدين
81	- مفهوم الدين في نظر علماء النفس
82	ج- التعريفات الإجرائية
83	2- الأسرة ودورها في التنشئة الدينية في الفكر الغربي
	- خلاصة الفصل

الفصل الرابع: الأسرة في الفكر الإسلامي

94	تمهيد
95	أولا: مفهوم الأسرة ومكانتها في الإسلام
95	1- مفهومها الاصطلاحي الإجرائي
96	2- مكانة الأسرة في الإسلام
97	ثانيا: الزواج في الشريعة الإسلامية
98	1- الزواج في القرآن الكريم
101	2- الزواج في السنة النبوية الشريفة وعند الصحابة الكرام
104	ثالثا: معايير اختيار الزوجة والزوج في الإسلام

104	1-معايير الاختيار في النصوص الشرعية
108	2-أهمية الزوجة الصالحة في الفكر الإسلامي
110	رابعاً: العلاقات الأسرية في التصور الإسلامي
111	1-العلاقات الزوجية
113	2 - العلاقات بين الآباء والأبناء
113	أ-مكانة الطفل في الإسلام وواجبات الآباء نحو أبنائهم
115	ب-علاقة الأبناء بالآباء (واجب الأبناء نحو آباءهم في الشريعة الإسلامية)
118	خامساً: الأسرة الإسلامية والتنشئة الدينية
118	1-الدين في التصور الإسلامي
118	أ-مفهوم الدين في اللغة العربية
119	ب-مفهوم الدين في القرآن الكريم
120	ج-مفهوم الدين عند العلماء المسلمين
121	2-الأسرة والتنشئة الدينية (رؤية إسلامية)
124	3-الأسرة الجزائرية: خصائصها وتطورها
	-خلاصة الفصل

الفصل الخامس: التنشئة الاجتماعية في الفكر الغربي

134	تمهيد
138	أولاً: مفهوم التنشئة الاجتماعية ونقده
138	1-مفهوم التنشئة الاجتماعية في الفكر الغربي
139	أ-عند علماء التربية القدامى
140	ب-عند علماء الاجتماع
140	ج-عند علماء الأنثروبولوجيا
141	د-عند علماء النفس
141	2-نقد مفهوم التنشئة الاجتماعية الغربية
146	ثانياً: أهداف التنشئة الاجتماعية وأساليبها في الفكر الغربي
146	1-أهدافها

150	2-أساليبها
153	ثالثا: القيم في الفكر الغربي
153	1-مفهوم القيم
158	2-مصادر القيم في الفكر الغربي
165	رابعا: نظريات التنشئة الاجتماعية في الفكر الغربي
168	-خلاصة الفصل
	الفصل السادس: التنشئة الاجتماعية في المرجعية الإسلامية
172	تمهيد
173	أولا: مفهوم المرجعية الإسلامية للتنشئة الإسلامية
173	1-مفهوم المرجعية
174	أ-المرجعية لغة
174	ب-المرجعية اصطلاحا
174	ج-المرجعية في القرآن الكريم
176	د-المرجعية في السنة النبوية الشريفة
177	هـ-المرجعية في التراث الإسلامي
178	و-المرجعية عند المتأخرين
179	2-مفهوم التنشئة الاجتماعية في المرجعية الإسلامية
180	أ-أصل كلمة تنشئة في اللغة العربية
181	ب-مفهوم التنشئة في القرآن الكريم
184	ج-مفهوم التنشئة في السنة النبوية الشريفة
185	د-التنشئة الاجتماعية عند علماء المسلمين
186	3-التعريف الاجرائي لمفهوم المرجعية الإسلامية للتنشئة الاجتماعية
187	أ-المرجعية في علاقتها مع الإسلام
188	ب-المرجعية الإسلامية في علاقتها مع التنشئة الاجتماعية
188	ثانيا: مصادر التنشئة الاجتماعية الإسلامية وخصائصها
188	1-مصادر التنشئة الاجتماعية الإسلامية

188	أ-القرآن الكريم كمصدر للتنشئة الاجتماعية
190	ب-السنة النبوية كمصدر للتنشئة الإسلامية
191	2-خصائص التنشئة الاجتماعية الإسلامية
	- خلاصة الفصل
	الفصل السابع الإطار الميداني والإجراءات المنهجية
194	تمهيد
194	أولاً: الإطار الميداني
194	1-مجالات الدراسة
194	أ-المجال المكاني
194	ب-المجال الزمني
198	ثانياً: المنهج وأدوات جمع المعطيات
198	أ-المناهج المستخدمة
207	ب-أدوات جمع المعطيات
214	1-تحديد وحدات التحليل
214	أ-فئة تنشئة الأم في أسرتها الأولية
216	ب-الزواج والمعايير المعتمدة في اختيار الشريك
216	ج-طبيعة العلاقة الزوجية للمبحوثات
217	د-طبيعة القيم التي تنقلها الأسر لأطفالها
217	هـ-أسلوب التنشئة الاجتماعية المعتمد لدى المبحوثات
218	و-أهداف التنشئة الاجتماعية لدى المبحوثات
218	ز-مؤسسات التنشئة الاجتماعية
219	ح-جهل الوالدين بأحكام الشريعة الإسلامية
219	ط - فئة العادات والتقاليد
220	2-مجتمع البحث وخصائصه
220	أ-العينة: مفهومها وأنواعها

- 223 ب- عينة الدراسة وخصائصها
- 224 ج- عرض وتحليل البيانات الشخصية
- خلاصة الفصل

الفصل الثامن: التنشئة الأولية للمبحوثات وأثرها في ممارستهن للتنشئة الاجتماعية

- 238 تمهيد
- 239 أولاً: القيم المرجعية لتنشئة المبحوثات
- 248 ثانياً: مرجعية أساليب التنشئة الأولية للمبحوثات
- 252 ثالثاً: أهداف التنشئة الأولية للمبحوثات
- 254 رابعاً: العلاقة بين والدي المبحوثات وأثرها في تنشئتهن
- 256 خامساً: تأثير التنشئة الأولية للمبحوثات على تربية أولادهن
- 256 سادساً: تأثير التنشئة الأولية للمبحوثات على تربية أبنائهن
- خلاصة الفصل

الفصل التاسع: التنشئة الاجتماعية في الأسر المبحوثة والمرجعية الإسلامية

- 262 تمهيد
- 262 أولاً: طبيعة القيم التي تنقلها الأسر لأطفالها والمرجعية الإسلامية
- 263 1- مفهوم القيم في المرجعية الإسلامية
- 263 أ- القيم في اللغة العربية
- 265 ب- مفهوم القيم الإسلامية اصطلاحاً
- 265 ج - التعريف الإجرائي للقيم
- 266 2- تصنيفات القيم في المرجعية الإسلامية
- 269 أ- قيم منظمة لعلاقة الفرد مع الله
- 279 ب- قيم منظمة لعلاقة الفرد مع نفسه
- 281 ج- قيم منظمة لعلاقة الفرد مع الآخرين

286	د-قيم منظمة لعلاقة الفرد مع الكون
288	ثانيا: أساليب التنشئة الاجتماعية وعلاقتها بالمرجعية الإسلامية
288	1-الفرق بين الأسلوب والاتجاه
289	2-التعريف الإجرائي للأسلوب
290	3-الأساليب الإسلامية في تنشئة الطفل
306	ثالثا: أهداف التنشئة الاجتماعية وعلاقتها بالمرجعية الإسلامية
306	1-مفهوم الأهداف
306	2-التعريف الإجرائي للأهداف
307	3-أهداف التنشئة في الأسر المبحوثة والمرجعية الإسلامية
	- خلاصة الفصل
	الفصل العاشر: التحديات التي تواجه الأسر في الاعتماد على مرجعية إسلامية في عملية التنشئة الاجتماعية
313	تمهيد
313	أولا : التحديات الداخلية
324	ثانيا: التحديات الخارجية
	- خلاصة الفصل
	الفصل الحادي عشر: مؤشرات المرجعية الإسلامية في أذهان وسلوك الأمهات
344	تمهيد
344	أولا: المرجعية الإسلامية في فكر وفعل الأمهات
353	ثانيا: الاحتفال بالأعياد والمناسبات الدينية
	- خلاصة والفصل
359	- خلاصة واستنتاجات
367	- قائمة المراجع والمصادر

« Intitulé :La référence islamique de la socialisation au sein de la famille algérienne»

Résumé :

Cette étude a pour objet d'étudier la socialisation par rapport à la référence islamique. Elle se demande, en effet, dans quelle mesure, la famille algérienne prend- elle comme point de départ et comme objectif les valeurs religieuses et morales proclamées par l'Islam, dans l'exercice de sa fonction socialisante. Pour la faisabilité de l'enquête, l'étude a pris la famille mazagrane (W. de Mostaganem) comme modèle de la société de recherche. Par ailleurs, afin d'appréhender la nature du rapport entre la socialisation et la référence Islamique, l'étude s'est concentrée sur trois niveaux : celui des valeurs à transmettre au moyen de la socialisation ; celui des modalités utilisées pour inculquer ces valeurs ; et celui des objectifs visés par la socialisation.

Mots clés: La référence islamique, l'éducation sociale, , la famille, les valeurs, les enjeux de l'éducation

« Title » The Islamic Reference of Socialization within the Algerian Family

Abstract :

The purpose of this research is to study socialization in relation to the Islamic reference. It wonders to what extent does the Algerian family take the religious and moral values proclaimed by Islam as a point of departure and as an objective in practising its socializing function. For the feasibility of the investigation, the study took a sample of families from Mazagrane (town of Mostaganem) as a research model field. Furthermore, in order to understand the nature of the relationship between socialization and the Islamic reference, the study has focused on three levels: the values as transmitted through socialization; the methods used to inculcate these values; and the objectives of socialization

Key words : The Islamic reference, the social education, the family, values, the challenges of education

العنوان " المرجعية الاسلامية للتنشئة الاجتماعية في الأسرة الجزائرية

المخلص: تتناول هذه الدراسة بالبحث موضوع التنشئة الاجتماعية في علاقتها بالمرجعية الاسلامية، إذ تتساءل إلى أي مدى تتخذ الأسرة الجزائرية القيم الدينية والأخلاقية التي نادى بها الإسلام منطلقا وغاية في ممارستها التنشئة الاجتماعية على افرادها. ولقد اتخذت الدراسة نموذجا لمجتمع البحث عينة من الأسر بمدينة مزهران - ولاية مستغانم، حيث القابلية لإجراء الدراسة الميدانية. وللكشف عن طبيعة العلاقة بين التنشئة والمرجعية الاسلامية، ركزت الدراسة على مستويات ثلاث: مستوى القيم التي تعمل الأسر المبحوثة على نقلها بواسطة التنشئة الاجتماعية؛ مستوى الأساليب المستعملة في تكريس القيم المنقولة؛ مستوى الأهداف المتوخاة من التنشئة. .

الكلمات المفتاحية: المرجعية الإسلامية ، التنشئة الاجتماعية ، الأسرة، القيم ، تحديات التنشئة